الصراع العربي الإسرائيلي



من مذكرات وذكريات

الفريق عبد المنعم واصل

مكتبة الشروق الدولية

الصراع العربى الإسرائيلى

من مذكرات وذكريات

الفريق عبد المنعم واصل

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



القاهرة - كوالالمبور - جاكارتا - لوس أنجلوس

تليفاكس: ٤٥٤٤٤٦٧ ـ ٢٥٦٥٩٣٩ ـ تليفون ٤٥١٩٦٢٨

Email: adel almoalem < shoroukintl @ Yahoo. com >

الصراع العربى الإسرائيلى

من مذكرات وذكريات

الفريق عبد المنعم واصل

ساعد فى الصياغة وإعداد الخرائط

اللواء متقاعد أحمد رأفت حلمى



إهـــداء

إلى أسرتى الصغيرة
إلى كل من خدم وقاتل معى
إلى كل من استشهد فى سبيل مصر
إلى كل من اجتهد فى أن يضع الحقيقة أمام أعين الناس
إلى كل من آمن بهذا الشعب وقدراته الفائقة

أهدى هذا الكتاب الذى ضممت فيه مذكراتى وذكرياتى

الفريق عبد المنعم واصل

كلمة لا تنسى

سوف يجيء يومٌ نجلس فيه لنقص، ونروى ماذا فعل كلٌ منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منّا أمانته وأدى دوره ، وكيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة فى فترة حالكة ساد فيها الظلام؛ ليحملوا مشاعل النور ، وليضيئوا الطريق حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء .

الرئيس الراحل محمد أنور السادات

المقدمـــــة

عزيزى القارئ، ربما تتساءل لماذا أكتب هذا الكتاب، ولمن أكتبه، ولماذا أقدمه الآن وبعد مرور أكثر من ٢٧ عامًا على انتهاء خدمتى بالقوات المسلحة، فى الوقت الذى امتلأت فيه المكتبة العامة والمكتبة العسكرية بالعشرات من الكتب والمراجع التى تناولت مراحل الصراع العربى الإسرائيلى مجتمعة أو منفردة، من وجهات النظر المختلفة، سياسية كانت أم تاريخية أم عسكرية، وبشكل عام أو تخصصى.

ولطالما شعرت فى قرارة نفسى أن هناك من ينتظرون هذا الكتاب، وهم ليسوا - كما سيتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى - المفكرين والمحللين والمؤرخين العسكريين فقط، وإنما أعتقد أن هذا الكتاب ينتظره - أو على الأصح سيستقبله - قطاع كبير من الشباب فى مختلف القطاعات العسكرية والمدنية، هؤلاء الذين لمست حرارة استقبالهم لى، وسعدت باهتمامهم بالاستماع إلى حديثى فى الندوة التى أقامتها القوات المسلحة فى أكتوبر عام ١٩٩٨، بمناسبة مرور ٢٥ عامًا على حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

والحقيقة أننى على مدى السنوات السبع والعشرين التى تلت انتهاء حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم أنقطع عن متابعة ما صدر عنها من الكتاب المصريين أو الإسرائيليين، ولم أنقطع عن الكتابة عن أحداثها التى عايشتها لحظة بلحظة كقائد للجيش الثالث الميدانى، وكثيرًا ما استضافتنى العديد من الجهات لإلقاء المحاضرات، والاشتراك فى الندوات التى أقيمت عن هذه الحرب التى سطرت فى التاريخ المصرى استعادة الكرامة والثقة للجيش المصرى العريق، كما سجل لى العديد من البرامج التليفزيونية فى العديد من المناسبات وأهمها بالطبع أعياد

القوات المسلحة فى ذكرى الانتصار فى أكتوبر، وكذلك فى أعياد تحرير سيناء فى أبريل من كل عام، وعلاوة على ما سبق، فقد كان لى شرف الاشتراك فى لجنة كتابة تاريخ الحرب والإشراف والمراجعة للعديد من المراجع العسكرية التى صدرت عن حرب أكتوبر١٩٧٣، وأيضًا عن حرب يونيو ١٩٦٧.

وبعد هذا المشوار الطويل من الاشتراك فى الحروب بين مصر وإسرائيل أثناء خدمتى بالقوات المسلحة، ثم القراءة والكتابة والحديث عنها بعد انتهاء خدمتى بالقوات المسلحة، تكونت لدى حصيلة ضخمة من الكتابات والتسجيلات عن هذا الموضوع، وفى الوقت نفسه داوم القادة والزملاء الذين نشروا مذكراتهم عن تلك الحرب وبعض الشخصيات المهمة الذين يعلمون دقائقها على حثى على كتابة مذكراتى وخبراتى وأفكارى، خاصة فى حرب يونيو ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر١٩٧٣ وما بينهما من مراحل، وهى الفترة التى قمت فيها بدور مهم فى الأحداث كما سنرى فيما بعد.

أما الذين لم يكلوا أو يملوا أو يفقدوا الأمل فى أن أكتب مذكراتى أو كتاب عن هذا الموضوع، فهم فى الحقيقة أسرتى الصغيرة : زوجتى السيدة نعمت فهمى، التى شاركتنى رحلة الحياة منذ عام ١٩٤٢ أى بعد تخرجى بعامين، وأبنائى : طارق الذى كان ضابطًا بسلاح المدرعات، وشاركنى القتال تحت قيادتى فى نفس اللواء المدرع أثناء حرب يونيو ١٩٦٧، وكان له الفضل فى إنقاذى أثناء القتال، وطلال الذى هاجر عام ١٩٦٨ إلى الولايات المتحدة الأمريكية عقب تخرجه من كلية الهندسة فى عام ١٩٦٧، وأصبح ذا مركز مرموق بإحدى الشركات الأمريكية العالمية الكبرى، ومع ذلك داوم على مطالبتى أن أكتب عن حياتى العسكرية، وما تم خلالها من أحداث، خاصة الحروب بين مصر وإسرائيل باعتبارها خبرة، ليس من حقى أن أخفيها، أو أن أحتفظ بها، مهما كانت الأسباب والدوافع.

وبعد تلك السنوات الطويلة، وبعد أن قرأت ما كتبه زملائى السابقون فى الخدمة العسكرية، وما كتبه كبار الكتاب المصريين عن الصراع العربى الإسرائيلى بمراحله المختلفة، وبعد أن قرأت العديد من الكتب التى كتبها قادة إسرائيليون

سابقون أو كتاب أو صحفيون إسرائيليون، ومع متابعتى اليومية لأحداث الصراع العربى الإسرائيلى، أحسست أن الوقت قد حان؛ لكى أعيد ترتيب وصياغة واستكمال ما كتبته وقلته فى السنوات الطويلة السابقة، حتى أستكمل بعض الأجزاء التى لم تشملها الكتابات العسكرية أو المدنية، حيث لن يكتبها سواى، محاولاً أن أضيف للمكتبة سجلاً متكاملاً بقدر ما أستطيع عن الصراع بصفة عامة، والعمليات العسكرية بصفة خاصة مع التركيز على حربى يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ والفترة التى بينهما ؛ لأهمية تلك الفترة فى تاريخنا ؛ ولكى تكون تسجيلا أمينًا من أحد أفراد جيل أكتوبر ٧٣ ، أضعه فى أيدى الأجيال القادمة التى أتمنى لها النجاح فى الحفاظ على بلدنا وعروبتنا ومقدساتنا.

وربما يجد القارئ فى بعض أجزاء الكتاب تفاصيل مطولة للأحداث، فأرجو منه أن يتقبلها بصدر رحب، فقد تكون مهمة للغاية لقارئ آخر، وقد يحس القارئ أحيانًا أنه يحتاج إلى تفاصيل أكثر فى بعض الأجزاء، فأرجو منه أن يعذرنى عن مدى علمى ومحاولتى أن أضم فى هذا الكتاب أهم ما يجب أن يعرفه القارئ من وجهة نظرى، وليس كل ما يمكن معرفته، ويمكنه الاستعانة بقائمة المراجع التى استعنت أنا بها فى الحصول على التفاصيل التى ينشدها.

وقد اعتمدت فى كتابتى للأحداث والحروب التى لم أشترك فيها اشتراكًا مباشراً على الوثائق المدققة والمصادر المتعددة، بينما اعتمدت فى كتابتى عن الأحداث والحروب التى اشتركت فيها اشتراكًا مباشراً على تسجيلى الشخصى للأحداث والحقائق التى تمت فعلاً، وأرجو أن أكون بهذا الكتاب قد أضفت إلى مكتبة العلم والمعرفة الذاخرة جزءاً يسيراً يعين الباحث وطالب العلم والمعرفة على بلوغ هدفه.

وفى النهاية أوجه شكرى للقوات المسلحة التى أعطتنى الكثير، وأخص بالشكر والعرفان رجال اللواء ١٤ مدرع مستقل، والفرقة الرابعة المدرعة، والجيش الثالث الميدانى وجميع من كانوا يومًا تحت قيادتى.

وما توفيقى إلا بالله.

السيرة الذاتية للكاتب

فى البداية أرجو من القارى العزيز أن يفسح لى صدره؛ كى أعرفه بنفسى من خلال عرض سريع وموجز لمسيرة حياتى بصفة عامة وحياتى العسكرية على وجه الخصوص.

فى عام ١٩٣٩ أعلنت الكلية الحربية عن قبولها لدفعة جديدة، وكنت فى هذا الوقت طالبًا بالسنة الثالثة بكلية التجارة بجامعة القاهرة، واتفقت مع بعض الأصدقاء، وتقدمنا إلى الكلية الحربية، وعندما سئلت عن المرحلة الدراسية التى أنهيتها، أجبت بأننى قد أنهيت السنة الثالثة فى كلية التجارة، ودهش اللواء إبراهيم خيرى الذى كان يفحص أوراقنا وقبلنى على الفور، فدخلت الكلية الحربية فى ذلك العام ١٩٣٩.

ونظرًا لظروف الحرب العالمية الثانية والمعارك التى كانت تدور فى الصحراء الغربية لمصر بين القوات الإنجليزية والقوات الألمانية والإيطالية، فقد تخرجت دفعتنا من الكلية الحربية بعد عام واحد، أى فى سبتمبر سنة ١٩٤٠.

وكان مدير سلاح الفرسان الملكى فى ذلك الوقت، وهو الأمير إسماعيل داود، محبًا للخيل والفروسية وطوال القامة، وكنت أتمتع بطول القامة، وأجيد ركوب الخيل وتمرينات الفروسية، وعند تخرجى عينت فى سلاح الفرسان الملكى الذى كان يتكون من ثلاثة آلايات (أفواج) هم: آلاى الخيالة الذى عينت فيه قائد فصيلة، وآلاى الدبابات، وآلاى السيارات. وفور التخرج كلفت مع وحدتى بالتمركز فى صحراء العامرية التى كانت صحراء تمامًا فى هذا الوقت بمهمة الدفاع ضد قوات المظلات الألمانية، واستمرت هذه المهمة عدة شهور، وانتهت مع نهاية التفوق الألمانى فى معارك شمال أفريقيا بهزيمتهم فى معركة العلمين.

ونظرًا لتميزى فى تمارين ومسابقات ركوب الخيل، فقد تم انتدابى من ألاى الخيالة إلى مركز تدريب الفرسان، حيث توليت قيادة جناح الخيالة، وبعد مضى ثمانى سنوات على تخرجى رقيت إلى رتبة اليوزباشى (النقيب) بعد أن تولى محمد حيدر باشا وزارة الحربية، وأفرج عن الترقيات التى كانت متوقفة لأكثر من ٦ سنوات.

ولقد كان تحولى من ضابط خيالة إلى ضابط دبابات نتيجة لقصة طريفة، بطلتها زوجتى العزيزة التى أتمنى لها الصحة والعافية وطول العمر، فقد كان فى زيارتى بالمنزل صديقى وزميلى عبد الرحمن فهمى، الذى كان قد دخل الكلية الحربية بعدى بعام، وتخرج فى عام ١٩٤٢ وعين فى ألاى السيارات، ولاحظت زوجتى أن الحديث بينى وبين عبد الرحمن فهمى قد تطرق إلى معلومات كثيرة عن العربات والدبابات، وكان عبد الرحمن فهمى يجيب على أسئلتى، ويفيض فى شرح خصائصها وإمكانياتها، وأنا أستمع إليه باهتمام شديد، وبعد انتهاء الزيارة سألتنى زوجتى عمن سيكون القائد إذا أدت ظروف العمل إلى أن أكون مع عبد الرحمن فهمى فى وحدة واحدة؟ وأجبتها بأننى سأكون القائد بالطبع، واستفسرت منها عن سبب سؤالها، فأجابت بأنها لاحظت أننى كنت طوال الزيارة أسأل وعبد الرحمن فهمى يجيب، فكيف يمكن أن أكون قائدًا له، فى الوقت الذى تفوق معلوماته معلوماتى ؟!

وفهمت وجهة نظرها وغيرتها على مستوى كفاءتى فى عملى، ولم أنم ليلتها، وفى صباح اليوم التالى توجهت إلى الأميرلاى (العميد) سعد الدين صبور مدير سلاح الفرسان آنذاك، والذى كان يعرفنى جيدًا، وقصصت عليه ما حدث، وطلبت منه الانتقال من الخيالة، فوافق على الفور، وأرسلنى إلى مدرسة الدبابات حيث التحقت بدورة دراسية عن الدبابات، كانت معقودة لبعض الطلبة العرب، وفى عام ١٩٤٨ حصلنا على دورة تدريبية أخرى على الدبابة سنتوريان، التى كانت مصر على وشك شرائها من إنجلترا، وكانت الدورة التدريبية منعقدة فى الألاى الرابع دبابات الإنجليزى بقاعدة قناة السويس.

وفى عام ١٩٥٠ تقدمت إلى بعثة إلى إنجلترا للتخصص فى صيانة وسواقة الدبابة سنتوريان، ونجحت فيها بتفوق، وبعد عودتى من البعثة توليت قيادة جناح الصيانة والسواقة بمدرسة الدبابات، ثم انتقلت إلى جناح التكتيك بالمدرسة، وفى عام ١٩٥٢ حصلت على بعثة قيادة كتيبة دبابات فى الولايات المتحدة الأمريكية، وشملت الدراسة صيانة وسواقة الدبابات، بالإضافة إلى التكتيك والمدفعية والتدريب والشئون الإدارية، وبعد عودتى من البعثة عينت قائداً لجناح التكتيك بمدرسة المدرعات.

ثم بدأت رحلتى الطويلة مع قيادة الوحدات المدرعة، عندما عينت قائداً للأورطة (كتيبة) الثانية دبابات فى الألاى التاسع دبابات سنتوريان، وبذلت جهداً كبيراً لتدريب ضباطها وجنودها على ما تعلمته فى البعثات التى حصلت عليها، وفى هذه الكتيبة رقيت إلى رتبة البكباشى (المقدم) وكنا فى منطقة الجفجافة بوسط سيناء، وفى ٢٣ مارس ١٩٥٦ توليت قيادة الألاى التاسع سنتوريان الذى كان يقوده قائمقام (عقيد) قبل ذلك، و كان الألاى فى منطقة «أبو عجيلة» ثم أعيد تمركزنا فى منطقة القناة فى ٣٠ يونيو من العام نفسه، ومع بداية العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ كلفنا بمهمة الدفاع عن القاهرة.

وفى عام ١٩٥٨ أرسلت فى بعثة قادة ألوية وأركان حرب لمدة عامين فى الاتحاد السوفييتى، وعندما عدت منها بتقدير امتياز، عينت فى يوليو ١٩٦١ قائدا للواء ١١ مدرع ثقيل، وكان مسلحا بالدبابة الروسية الثقيلة من طراز G S (وهى اختصار لاسم جوزيف ستالين أحد القادة البارزين للثورة الشيوعية فى روسيا، ورئيس الاتحاد السوفييتى فيما بعد) واستمرت قيادتى لهذا اللواء حتى يناير ١٩٦٥ .

وفى ١٤ يناير ١٩٦٥ توليت قيادة اللواء ١٤ مدرع مستقل المسلح بالدبابة المتوسطة الروسية الصنع ت ٥٤، وكان لى شرف قيادة هذا اللواء فى حرب يونيو ١٩٦٧، حيث تمكن اللواء بقيادتى من إنزال خسائر كبيرة بالقوات الإسرائيلية فى إحدى المعارك القليلة الناجحة للوحدات المصرية فى هذه الحرب، رغم الظروف التى أحاطت بها، والتى سنأتى إليها تفصيلاً فيما بعد.

وفى ٥ أغسطس ١٩٦٧ عينت قائدًا للفرقة الرابعة المدرعة، حيث توليت قيادتها لمدة عامين تقريبًا، ثم حصلت على دورة كلية الحرب العليا بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وبعد انتهاء الدورة عينت فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ رئيسًا لأركان حرب الجيش الثالث الميدانى.

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، أى بعد نحو ٣٠ سنة من تخرجى من الكلية الحربية، توليت قيادة الجيش الثالث الميدانى، الذى حصلت معه على شرف الاشتراك فى حرب أكتوبر المجيدة التى انتهت بتحرير سيناء بعد أكثر من ٦ سنوات من الاحتلال الإسرائيلى.

وبعد نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣، عينت فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ مساعدًا لوزير الدفاع ورئيسًا لهيئة تفتيش القوات المسلحة حتى أول أبريل عام ١٩٧٤، حيث أنهيت خدمتى بالقوات المسلحة بعد حوالى ٣٤ سنة فى الحياة العسكرية.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الوظائف المدنية، حيث عينت محافظًا لمحافظة لسوهاج ثم محافظًا لمحافظة الشرقية، وفى عام ١٩٨٢ منحنى الرئيسَ حسنى مبارك رتبة الفريق الفخرية، ثم فى ٢٥ ديسمبر ١٩٨٦ منحتنى جامعة المنوفية درجة الدكتوراه الفخرية.

وخلال تلك الرحلة الطويلة التى بدأت بالاشتراك فى الحرب العالمية الثانية كقائد لفصيلة خيالة، وانتهت بنصر أكتوبر ١٩٧٣ المجيد كقائد للجيش الثالث الميدانى، حصلت على العديد من الأوسمة والنياشين، أبرزها ميدالية الخدمة الطويلة وميدالية الخدمة الممتازة، ثم وسام الجمهورية، **ولكن أبرز هذه الأوسمة والنياشين على الإطلاق هو وسام نجمة الشرف العسكرية الذى منحته الدولة لى تقديراً لقيادتى للجيش الثالث الميدانى فى حرب أكتوبر المجيدة.**

ولا شك فى أن الله - سبحانه وتعالى - هو صاحب الفضل الأعظم علىّ فيما حققته طوال حياتى وهو الذى جعل لكل شىء سببًا، ولذلك فليسمح لى القارئ أن أقول:

إذا كان اللواء إبراهيم خيرى الذى وافق على التحاقى بالكلية الحربية عام ١٩٣٩ هو السبب فى أن أتجه إلى السلك العسكرى، والأمير إسماعيل داوود مدير سلاح الفرسان الملكى هو السبب فى تخرجى كضابط فى سلاح الفرسان الملكى، والأميرألاى سعد الدين صبور، هو الذى شجعنى وساعدنى على الانتقال من الخيالة إلى المدرعات، وإذا كان الفضل فى هذا التحول الحاسم فى حياتى من ضابط خيالة إلى ضابط دبابات يعود بالقطع إلى زوجتى العزيزة، بعد تلك المناقشة التى سبق أن ذكرتها فى البداية، إلا أن الفضل فيما حققته من نجاح طوال مدة خدمتى بالقوات المسلحة، ثم الوظائف المدنية فيما بعد يعود بالقطع إلى ما ورثته وتعلمته من والدى - رحمه الله - من الجدية والانضباط والحسم المختلط بحنان الأب وحكمة القائد، تلك الصفات التى كان لها أعظم الأثر فى أن أكون طوال فترة خدمتى بالقوات المسلحة ملتحمًا بضباطى وجنودى، رغم حدتى وقسوتى فى بعض الأحيان، الأمر الذى كان دافعًا أساسيًا لهم للتفانى فى أداء مهامهم على أفضل وجه فى إطار الظروف المحيطة مهما كانت صعوبتها وقسوتها.

* * *

الباب الأول

الصراع العربى الإسرائيلى

الفصل الأول : نشأة الصراع العربى الإسرائيلى

الفصل الثانى : مسرح الحروب العربية الإسرائيلية

الفصل الأول

نشأة الصراع العربى الإسرائيلى

نشبت حرب ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل بعد أن أعلنت إسرائيل قيام الدولة صباح يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وكانت إنجلترا قد أعلنت فى اليوم السابق إنهاء انتدابها على فلسطين بدعوى أنها تطمئن لوجود حكومة قادرة على إدارة البلاد - وهى تقصد بالطبع الحكومة الإسرائيلية - حيث لم يتوفر للعرب فى فلسطين حكومة محددة الشكل، وهو ما يفسر كون القرارات العربية والمصرية كانت تستخدم تعبير عرب فلسطين، بدلا من الفلسطينيين أو دولة فلسطين.

وفى هذا الوقت كنت ضابطًا بسلاح الفرسان الملكى، وكنت أعمل قائداً لجناح الخيالة بمركز تدريب الفرسان، ومن موقعى ومثل كل شباب مصر كنت أتابع أخبار الاضطرابات والثورات والصدامات التى تحدث فى فلسطين بين الشعب الفلسطينى من ناحية، وبين سلطات الاحتلال البريطانى والمهاجرين اليهود من ناحية أخرى.

والحقيقة أن المتابع للكتابات المتعددة فى موضوع الصراع العربى الإسرائيلى يمر كثيراً بالعديد من التعبيرات المتداخلة والمتشابكة التى طالما استخدمها الكتاب فى عرضهم للمراحل المتعددة لهذا الصراع الممتد، فتارة نقرأ عن اليهودية والمنظمات اليهودية، وتارة أخرى نقرأ عن الصهيونية والحركة والمنظمات الصهيونية، وفى موضع ثالث نجد الحديث عن إسرائيل كدولة وشعب وحكومة؛ لذلك فسوف أجتهد فى توضيح كل تسمية مما سبق ذكرها من خلال ربطها بمرحلة نشأتها وأهدافها أو أهداف من قام بها.

وبداية، فاليهودية هى ديانة سيدنا موسى نبى الله (عليه السلام)، ويمكن اعتبارها أقدم الأديان السماوية الثلاثة، وإن لم تكن أولى الرسالات الإلهية إلى البشر على الإطلاق.

ودون الخوض فى تاريخ الديانة اليهودية ونشأتها وتطورها، وهو ما ليس مجالنا فى هذا الكتاب، إلا أنه لا يمكن إغفال عنصر مهم وأساسى، وهو طبيعة الشعب اليهودى التى نشأت من اعتقادهم الراسخ بأنهم شعب الله المختار، ولقد كانوا كذلك لفترة معينة، إلا أنهم بطبيعتهم المتعالية قد أساؤا استخدام هذا التميز أكثر من مرة، فحكم الله عليهم بالشتات، ومع كون اليهود أقلية فى معظم المجتمعات إلا أن استمرارهم فى الاحتفاظ بتلك الطبيعة المتعالية وانعكاسها على علاقتهم بالشعوب والفئات الأخرى كان سبباً أدى إلى اضطهادهم فى بعض الأحيان.

ولاشك أن قوة الروابط الروحية والعاطفية بين اليهود رغم الاختلافات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بينهم، بالإضافة إلى ما تعرضوا له من الاضطهاد على مر تاريخهم، بصرف النظر عن الأسباب، كان لها أثرها الكبير فى إصرارهم على الاحتفاظ بهويتهم واستمرارهم فى المحافظة على الاتصال العلنى أحياناً والسرى أحيانا أخرى بين الكيانات اليهودية فى مختلف أنحاء العالم.

ومن العرض السابق، يتضح أن اليهودية هى الدين، واليهود هم من اعتنقوا الدين اليهودى، وبصرف النظر عن مدى التزامهم بتعاليم اليهودية كدين إلهى يدعو إلى صفات العدل والرحمة، وفى إطار الإحساس الذاتى بالتميز ورفض المجتمع الخارجى لمظاهر التعالى، تطورت ردود أفعال الفئات الأخرى من مجرد النفور والتجنب حتى وصلت إلى حد الكره والاضطهاد.

أما الحركة الصهيونية، فقد بدأت نشأتها كصياغة سياسية لمشكلة اليهود تحاول أن تقدم الحل للمشكلة اليهودية، اعتماداً على الإمكانيات اليهودية المنتشرة فى أرجاء العالم، والتى تعددت أشكالها من أموال ونفوذ وقدرات علمية، رغم مشاعر النفور والتحفز التى تحيط بها.

ومع كون تيودور هرتزل والمؤتمر الصهيونى الأول فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧

هما الأكثر شهرة فى التاريخ المعروف لدينا عن الحركة الصهيونية العالمية، إلا أن البداية الحقيقية كانت فى عام ١٨٨٢ على يد لبيون بنسكو، رئيس حركة حب صهيون وصاحب كتاب التحرر الذاتى الذى دعا إلى إنشاء قومية يهودية حيه، ونادى بالسعى إلى إيجاد وطن خاص باليهود، فكانت بداية موجة الهجرة الأولى إلى فلسطين التى بدأت بإنشاء المستعمرات الزراعية فى فلسطين، توطئة لبلورة مفهوم الفكرة الصهيونية السياسية فى شكل دولة يهودية على أرض فلسطين، وبنهاية هذه المرحلة وفى عام ١٩١٧ كان قد تم إنشاء ٤٤ مستعمرة زراعية فى فلسطين يقطنها حوالى ١٢ ألف يهودى، فى ظل عدم وجود حكومة محددة بعد انتهاء سيطرة الدولة العثمانية على المنطقة بهزيمتها فى الحرب العالمية الأولى.

وكما هو معروف، فقد عقد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧، وفى هذا المؤتمر دعا تيودور هرتزل إلى « خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام »، وهو يعنى بذلك دولة يهودية، ثم توالت محاولاته للحصول على دعم أو امتياز من الدولة العثمانية أو ألمانيا إلا أنه فشل فى ذلك، فكان عليه أن يواصل العمل بمختلف الوسائل؛ لتحقيق الهدف، وهو السيادة اليهودية على فلسطين، فتوالت المؤتمرات، واستجدت حركات ومنظمات يهودية جديدة، وبدأت الهجرة إلى فلسطين تصبح أكثر انتظامًا وتدفقًا، حتى وصلت إلى مرحلة استعمار الأرض فى فلسطين لصالح المهاجرين اليهود.

وبوصول حاييم وايزمان فى عام ١٩٠٤ إلى رئاسة التنظيم الصهيونى عقب وفاة تيودور هرتزل، نشط فى اتصالاته وضغوطه على الكيانات السياسية الكبرى فى هذا الوقت، وهى إنجلترا وأمريكا، ونجح فى إنشاء نوع من الصلة بين بريطانيا والمنظمة الصهيونية من خلال إنشاء الفيلق اليهودى الذى عمل تحت قيادة الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى التى بدأت عام ١٩١٤ وانتهت فى عام ١٩١٨، ومع تطور الحرب العالمية الأولى وحرج موقف بريطانيا بعد خروج روسيا من الحرب، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية كانت الفرصة الذهبية لاستغلال مراكز الضغط الصهيونية فى أمريكا وإنجلترا، ونجح الكيميائى اللامع حاييم وايزمان الذى كثيرًا ما أفاد الجيش البريطانى بأبحاثه، فى دفع بريطانيا إلى إصدار وعد بلفور فى عام

١٩١٧ بمعاونة اليهود فى إنشاء وطن قومى لهم على أرض فلسطين.

وعلى الرغم من المعاهدات والاتفاقات العربية - البريطانية لدعم إنجلترا فى الحرب ضد الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا - تلك التعهدات والاتفاقيات التى نفذها العرب وكان لها تأثير كبير على نجاح جيوش بريطانيا فى القضاء على جيوش الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى - إلا أن وعد بلفور كان له قوة السحر فى نسيان تلك التعهدات والاتفاقات المكتوبة والاتجاه قلبًا وقالبًا إلى نصرة اليهود فى إنشاء وطن قومى لهم فى أرض فلسطين.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى بهزيمة الدولة العثمانية وتوزيع ممتلكاتها ومناطق نفوذها على الدول المنتصرة، نجحت الصهيونية العالمية مرة أخرى فى جعل إنجلترا هى الدولة المنتدبة على فلسطين، وتوالت التعهدات للعرب بالاحتفاظ بحقهم ووضعهم وتوالت أيضًا الإجراءات التنفيذية والهجرات والإمداد بالسلاح والأموال للمتطوعين اليهود فى فلسطين.

واندلعت الثورات والاضطرابات وأعمال العنف فى فلسطين، وكثرت اللجان والقرارات الدولية، وكثرت أيضًا الهجرات اليهودية والدعم بالسلاح والأموال للعصابات اليهودية ومن ثم تعددت الغارات على القرى الفلسطينية، ونجحت الأموال اليهودية والإرهاب الصهيونى فى إجبار العديد من الفلسطينيين على بيع منازلهم وأراضيهم والهجرة خارج أرض فلسطين، وفى عام ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وهو ما رفضه العرب والفلسطينيون، وفى عام ١٩٤٨ أنهت بريطانيا الانتداب على فلسطين مساء يوم ١٤ مايو، وأعلن اليهود فى فلسطين قيام دولة إسرائيل صباح يوم ١٥ مايو، عام ١٩٤٨، فأصبح هذا التاريخ هو البداية الرسمية للصراع العربى الإسرائيلى.

ومن العرض الموجز السابق، يتضح أن الصهيونية هى الصيغة السياسية للقومية اليهودية، وهى التى كانت وراء إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين.

وقد نشأت دولة إسرائيل، وهى تجمع العديد من أسباب القوة الداخلية والخارجية

التى نادراً ما تتوفر لدولة فى بداية نشأتها، فلديها أموال يهود العالم وضغوطهم على سياسات الدول الكبرى، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية فى عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولديها المؤسسة العسكرية العامرة بالخبراء فى فنون القتال المختلفة ممن سبق اشتراكهم مع الحلفاء فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وعلاوة على من هاجر إليها من الكفاءات العلمية والكوادر التنظيمية والسياسية من دول العالم، خاصة دول أوروبا الشرقية، فقد أجادت إسرائيل استغلال مذابح النازية ضد اليهود؛ للحصول على التأييد والتعاطف على المستوى العالمى.

وفى الوقت نفسه كانت الدول العربية جميعًا فى أضعف عصورها وأكثرها انحطاطًا وتمزقًا وانهزامًا، فالجميع إما محتل أو تحت الانتداب أو تحت الوصاية أو يرأسه ملك أو أمير ضعيف أو عميل، وكان أخطر ما اتصف به العرب طوال الفترة من ١٨٨٢ وحتى ١٩٤٨ هو الغفلة وانعدام الوعى، والتوقع لما يتم تخطيطه وتنفيذه على أرض فلسطين، وبالتالى افتقد العرب للموقف الموحد، واقتصرت المواجهة على الفلسطينيين الأضعف من أن يواجهوا إصرار العالم الغربى على اغتصاب فلسطين ومنحها لليهود، لإقامة الوطن القومى لهم تحت قوة المال والسلاح.

وبإعلان قيام دولة إسرائيل أصبحت هى الكيان القومى الرسمى لليهود فى العصر الحديث، وأصبح لها جيش وحكومة، وإن قامت على أرض فلسطين فى غفلة من العرب وبمباركة الغرب.

واضطرت الدول العربية، التى سبق أن تحدثنا عن ضعفها ووقوع معظمها تحت السيادة الأجنبية لمواجهة الموقف، وتحركت جيوش ٧ دول عربية لتحرير فلسطين، ولا يجب أن تقودنا كلمة الجيوش إلى تصور الجيش الذى نراه اليوم أو من عشرين أو أربعين عامًا، وبالقطع لايجب أن تقودنا إلى تصور جيوش عمرو بن العاص، أو خالد بن الوليد، أو صلاح الدين الأيوبى، فالحقيقة أن الجيوش العربية السبعة مجتمعة كانت عبارة عن قوات تبلغ عدة عشرات من الآلاف، ضعيفة التدريب، قليلة السلاح والذخيرة، منعدمة التنسيق فيما بينها، بل إن بعضها كان تحت قيادة ضباط أجانب.

ومع ذلك فقد كانت النتائج الأولية للمعارك فى فلسطين مبشره بنجاح تلك الجيوش فى هزيمة الجيش الإسرائيلى وتحرير أرض فلسطين، ولكن الدول الغربية تدخلت مرة أخرى بضغط النفوذ الصهيونى؛ لتفرض الهدنة بين الجانبين، واستغلت هذه الهدنة؛ لتتدفق الأسلحة والمتطوعين على الجيش الإسرائيلى، وتم بالطبع منع السلاح عن الجيوش العربية بل تم إمدادها بأسلحة وذخيرة بعضها فاسد، من مخلفات الحرب العالمية الثانية، ومن مصانع غير موثوق بها عبر صفقات مشبوهة من نهازى الفرص من تجار السلاح، تحت ستار نجدة الحكومة وخدمة الجيش، وسواءً كان ذلك بحسن النية أو كان بسوء النية فإن اللجان التى دفعت للتفتيش على هذه الصفقات قد شاب عملها بعض القصور، أو قوبلت تقاريرها عن سوء الذخيرة والسلاح بدون اكتراث.

وعندما بدأ القتال مرة أخرى على أرض فلسطين بعد انتهاء الهدنة، وضح أثر التدخل السرى فى فترة الهدنة، وتمكنت القوات الإسرائيلية من هزيمة الجيوش العربية السبعة، والاستيلاء على معظم فلسطين تحت الانتداب.

إن السرد السابق لأحداث نشأة إسرائيل كدولة، وعلاقتها بالصهيونية العالمية كإطار سياسى يستتر بالدين اليهودى وجمع الشتات كهدف أسمى معلن، سيقودنا حتمًا إلى تساؤل مهم :

هل كان هناك ارتباط بين انتصارات جيوش مصر فى عهد محمد على، والنهضة المصرية فى المجالات الزراعية والصناعية المختلفة، ثم وقوف أوروبا متحدة فى مواجهة مصر؛ لإجبارها على سحب جيوشها من جنوب تركيا من ناحية، وبين الغزو البريطانى لمصر واحتلالها فى عام ١٨٨٢ من ناحية أخرى، وبين البداية التنفيذية لفكرة الدولة اليهودية فى فلسطين ككيان صهيونى سياسى على الأرض العربية فى سنة ١٨٨٢ وما بعدها من ناحية ثالثة ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل - على الأرجح - ستكون بنعم. ومن المؤكد أن هذا الارتباط قد هدف إلى زرع هذه الدولة اليهودية التى سميت فيما بعد بإسرائيل داخل الوطن العربى؛ للحيلولة دون قيام دولة عربية موحدة فى هذه المنطقة الغنية

بمقومات الوحدة من الدين واللغة والحضارة، علاوة على المقومات الاقتصادية العديدة.

وبنشأة إسرائيل الحاملة للواء الحضارة الغربية، أصبح أمام العرب أحد خيارين، فإما القبول بالقيادة السياسية والاقتصادية الإسرائيلية، أو إغراق المنطقة العربية فى سلسلة من الحروب والصراعات التى من شأنها أن تفتت وحدتها وتستنفذ قدراتها الاقتصادية والبشرية، وهو ما أصبح عليه الحال فى المنطقة منذ نشأة دولة إسرائيل وحتى وقتنا هذا.

* * *

الفصل الثانى

مسرح الحروب العربية الإسرائيلية

دار القتال فى حرب ١٩٤٨ داخل أرض فلسطين وعلى الحدود الشرقية لمصر حتى منطقة أبو عجيلة فى الجزء الشمالى من شبه جزيرة سيناء، أما فى الحروب التالية فقد دار القتال خارج أرض فلسطين، فكانت سيناء مسرح العمليات فى حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، و فى حرب يونيو ١٩٦٧ دار القتال على الجبهة المصرية على أرض سيناء، وعلى الجبهة السورية فى هضبة الجولان، كما شمل القتال الضفة الغربية لنهر الأردن التى كانت تحت السيطرة الأردنية رغم كونها أراضى فلسطينية، كما شمل القتال فى حرب يونيو ١٩٦٧ أيضًا قطاع غزة الذى كان خاضعًا للسيطرة المصرية، رغم أنه أيضًا أراضى فلسطينية، أما فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقد دار القتال على الجبهة السورية فى هضبة الجولان، بينما كانت سيناء هى مسرح عمليات الجيش المصرى فى هذه الحرب، الذى امتد القتال خلالها فى مرحلته الأخيرة إلى غرب قناة السويس، وحتى جنوب مدينة السويس على شاطئ البحر الحمر.

وحتى يمكن للقارئ تتبع وتصور التحركات وأعمال القتال والمعارك التى دارت بين القوات العربية والقوات الإسرائيلية على مدار الحروب الأربع الرئيسية التى دارت، سأبدأ بوصف موجز لمسرح العمليات أو ميدان المعارك للتعرف بخصائصه الجغرافية وتأثيرها على طبيعة العمليات العسكرية.

أولاً : مسرح عمليات فلسطين (الخريطة رقم ١) :

تتنوع طبيعة الأرض فى فلسطين من السهول إلى المناطق الصحراوية والجبلية

حيث تمتد منطقة السهل الساحلي بحذاء ساحل البحر المتوسط بعرض يتراوح من ١٦ إلى ٢٥ كم، وتخترقها العديد من الطرق المرصوفة والمحاور الطولية والعرضية وتعتبر في معظمها صالحة للعمليات الحربية، وتمتد في فلسطين عدة سلاسل جبلية تتخللها عدة طرق تمر بالمدن الرئيسية، وتعتبر المناطق الجبلية مناطق صعبة لتنفيذ العمليات الحربية خاصة للقوات المهاجمة، أما وادى الأردن الذى يتميز بشدة الانحدار، فكانت تنعدم به المواصلات فى هذا الوقت.

وتمثل المنطقة الصحراوية فى النقب، وهى المواجهة للحدود مع مصر، حوالى نصف مساحة فلسطين، وكانت تخلو تقريبًا من الطرق المرصوفة، بينما كان يتخللها عدة وديان تعتبر مداخل جيدة للمنطقة التى تتميز بصلاحيتها للعمليات العسكرية.

ومن تلك الخواص والتقسيمات الجغرافية والطبيعية يمكن تقسيم فلسطين من الناحية العسكرية إلى عدة اتجاهات رئيسية واتجاه ثانوى كالآتى :

* اتجاه رئيسى، يمتد من يافا إلى القدس، ثم شرقًا إلى أريحا حتى البحر الميت ثم عمان بالأردن.

* اتجاه رئيسى، يمتد بين حيفا وجنوب بحيرة طبرية مارًا بالعفوله، ثم مدينة إربد عبر وادى الأردن.

* اتجاه رئيسى، يمتد من الجليل الأسفل إلى هضبة الجولان عند جسر بنات يعقوب، ثم يمتد شرق جبل الشيخ فى اتجاه الشمال الشرقى حتى يصل إلى القنيطرة ودمشق بسوريا.

* اتجاه رئيسى، يمتد من الجليل الأسفل، ويتجه شمالاً مارًا بالوادى بين جبل الشيخ وجبل لبنان.

* اتجاه ثانوى، يمتد بمحاذاة ساحل البحر من عكا إلى صيدا، ثم بيروت بلبنان.

* الاتجاه الرئيسى من مصر إلى شمال صحراء النقب، ويشتمل على اتجاهين فرعيين :

* الاتجاه الفرعى الأول الذى يعبر الحدود المصرية من غرب منطقة العوجة فى اتجاه بير سبع ثم القدس.

* والاتجاه الفرعى الثانى الذى يعبر الحدود المصرية من رفح إلى غزة، ثم المجدل فأسدود، ثم يافا حتى تل أبيب.

* وهذا الاتجاه كما نرى يحقق الوصول إلى الاتجاهات السابقة كلها، وبالتالى يحقق قدراً كبيراً من التعاون معها.

وفى حرب ١٩٤٨، وهى الحرب الوحيدة التى دار فيها القتال على أرض فلسطين، أملت الطبيعة الطبوغرافية لمسرح العمليات ضرورة تحديد مناطق عمل للجيوش العربية التى اشتركت فى تلك الحرب، ضماناً لتنسيق الجهود وإحراز التفوق المطلوب على العدو كالآتى :

* المنطقة الشمالية التى تقع محاذية لسوريا ولبنان، وكانت من مسئولية الجيشين السورى واللبنانى وجيش الإنقاذ.

* المنطقة الوسطى التى تمتد شمالاً فيما بين طبرية وسمخ حتى الخليل جنوباً وكانت من مسئولية جيشى العراق والأردن.

* المنطقة الجنوبية التى تمتد من الخليل جنوباً إلى ساحل البحر المتوسط غرباً وكانت من مسئولية الجيش المصرى.

ثانياً : شبه جزيرة سيناء (الخريطة رقم ٢) :

شبه جزيرة سيناء هى ذلك الجزء من مصر الذى يقع فى قارة آسيا التى تفصلها قناة السويس عن قارة أفريقيا، وهى شريحة من الأرض مثلثة الشكل تقريبا، قاعدة هذا المثلث فى الشمال، وتمتد على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط من رفح شرقاً إلى بور فؤاد غرباً، أما قمة المثلث فهى منطقة رأس محمد فى الجنوب على البحر الأحمر، ويمر الضلع الشرقى للمثلث بالحدود بين مصر وفلسطين من رفح شمالاً إلى رأس النقب جنوباً على خليج العقبة، ثم يمتد على الساحل الغربى لخليج العقبة

حتى رأس محمد، بينما يمتد الضلع الغربى للمثلث بامتداد قناة السويس من بور فؤاد شمالاً إلى بور توفيق جنوبًا، ثم يمتد على الساحل الشرقى لخليج السويس حتى رأس محمد. والأرض فى سيناء، بصفة عامة، تتدرج فى الانخفاض من الجنوب إلى الشمال، ويمكن تقسيم سيناء من وجهة النظر الطبوغرافية إلى ثلاثة أقسام رئيسية، تختلف اختلافًا بينًا فى الارتفاع وطبيعة الأرض ودرجة صلابة التربة كالآتى :

*** الكتلة الجبلية :**

وتمثل النصف الجنوبى تقريبًا لشبه جزيرة سيناء، وتتكون من مجموعة من الجبال شديدة الارتفاع، وتتخللها بعض الوديان والمسارب الضيقة التى تكونت على مر العصور بفعل انحدار مياه الأمطار المتجمعة فى المناطق المرتفعة، ثم اندفاعها إلى أسفل فى شكل السيول التى كونت الوديان الرئيسية وروافدها، وأهمها وادى العريش الذى يعبر سيناء من الجنوب إلى الشمال، ويصب فى البحر المتوسط عند منطقة العريش، ويمكن اعتبار الوديان فى منطقة وسط سيناء روافد لوادى العريش تختلف فى الاتساع والطول حسب طبيعة التربة والتضاريس المحيطة بها.

*** الهضبة الوسطى :**

وتمثل معظم النصف الشمالى من شبه جزيرة سيناء، وتتكون من مجموعة من السلاسل الجبلية التى تمتد من الجنوب إلى الشمال، ويبرز منها سلسلتان جبليتان رئيسيتان: الأولى فى الشرق وتمر بمنطقة الحدود المصرية-الإسرائيلية، ويطلق عليها الحائط الجبلى الشرقى، وتتخللها مجموعة من الوديان والمسارب الضيقة. بينما تمتد السلسلة الجبلية الثانية فى الغرب وعلى مسافة تتراوح بين ٣٠ و٥٠ كم شرق قناة السويس حيث تشكل ما يسمى بالحائط الجبلى الغربى الذى تخترقه عدة طرق تمر داخل ممرات جبلية ضيقة، يصل طولها فى بعض الأحيان إلى أكثر من ٣٠ كم، وهو ما أكسب هذا الحائط الجبلى وما به من ممرات أهمية استراتيجية كبيرة نظراً لتحكمه فى طرق الاقتراب من وإلى قناة السويس.

كما يوجد بالهضبة الوسطى مجموعة من السلاسل الجبلية التى تمتد من الشرق إلى الغرب، وتكون فيما بينها مجموعة من المضايق المتسعة التى تنتشر فيها الطرق الرئيسية التى تؤدى إلى الممرات فى الحائط الجبلى الغربى كما فى الجزء الجنوبى من الهضبة، أو تتجنبه كما فى الجزء الشمالى منها، وتمثل تقاطعات الطرق خاصة فى القسم الشمالى من الهضبة أهدافًا مهمة، نظرًا لصعوبة التحرك خارج الطرق؛ لانتشار الكثبان الرملية بين السلاسل الجبلية العرضية، بينما تقل الكثبان الرملية وتزداد صلابة التربة فى الجزء الجنوبى من الهضبة.

*** السهل الساحلى :**

وهو الجزء الشمالى من شبه جزيرة سيناء الذى يلى ساحل البحر المتوسط، ويتكون بصفة عامه من سلاسل متتالية من السبخات والكثبان الرملية الناعمة، مما جعل التحرك خارج الطريق المار من رفح إلى العريش والممتد غربًا إلى سهل الطينة شرق بور فؤاد محدودًا فى عدة مئات، وأحيانًا عشرات من الأمتار.

أما من وجهة النظر العسكرية التى تبحث فى محاور التقدم وخطوط الدفاع والمناطق الحيوية والمؤثرة فى سير المعارك الحربية، فإن شبه جزيرة سيناء تمثل مسرحًا مثاليًا للعمليات الحربية بكافة أنواعها، وتنقسم بصفة عامة إلى عدة اتجاهات رئيسية كالآتى :

*** الاتجاه الساحلى :**

ويمتد على طول السهل الساحلى من رفح إلى العريش بمحاذاة ساحل البحر المتوسط وبحيرة البردويل حتى يصل إلى منطقة سهل الطينة شرق بورفؤاد، حيث يتجه فى اتجاه الجنوب الغربى ليصل إلى القناة عند منطقة القنطرة، ويعتبر هذا الاتجاه محور عمليات محدود السعة، نظرًا لصعوبة التحرك خارج الطريق المحاط بالسبخات والكثبان الرملية الناعمة، وتعتبر أهم المناطق على هذا الاتجاه منطقة رفح؛ لكونها المدخل الشرقى لمصر ومنطقة العريش حيث يتفرع الطريق؛ ليتجه جنوبًا ليتصل بالاتجاه الرئيسى الأوسط، كما أن منطقة العريش نفسها تتمتع بتربة

ذات درجة صلابة مناسبة، علاوة على أهمية مدينة العريش السياسية كعاصمة لسيناء الشمالية، وتعتبر منطقة بير لحفن أهم المناطق على الطريق المتجه للجنوب فى اتجاه «أبو عجيلة»؛ لإحاطاتها بالمناطق الرملية صعبة الاجتياز من الشرق والغرب، بينما يعتبر تقاطع الطريق القادم من العريش فى اتجاه الحسنة جنوبًا مع الطريق الأوسط، الذى يسمى بتقاطع كم ١٦١، من أهم المناطق لنفس السبب.

*** الاتجاه الأوسط :**

يعتبر الاتجاه الأوسط أهم الاتجاهات فى سيناء؛ لما يوفره من سرعة الوصول من قناة السويس إلى الحدود المصرية الشرقية وبالعكس، علاوة على اتساعه وطبيعة أرضه الصلبة فى معظمها، بالإضافة إلى أنه يتجنب الممرات الجبلية الضيقة، كما تتوفر به العديد من الهيئات الأرضية والمحاور الطولية والعرضية التى تمكن من التقدم والفتح والقتال من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق بمختلف أنواع القوات؛ ولذلك كان هذا الاتجاه مسرحًا للعمليات الرئيسية فى مختلف الحروب التى دارت على أرض سيناء.

ويبدأ الاتجاه الأوسط من الشرق فى شكل محور واحد يعبر الحدود الشرقية لمصر من اتجاه العوجة إلى الغرب، حيث يعبر بين المرتفعات الشمالية للحائط الجبلى الشرقى المتمثلة فى تباب أم بسيس وأم قطف، وبين منطقة مكسر الفناجيل شمالهما وهى منطقة كثبان رملية ناعمة، تعتبر صعبة الاجتياز إلا من خلال وديان ودروب معينة وبتجهيزات ومركبات خاصة.

ويصل المحور إلى منطقة «أبو عجيلة»، وهى منطقة تقاطع طرق حيوية محاطة بالهيئات قليلة الارتفاع التى تمكن من تنظيم دفاع جيد عن تلك المنطقة التى تسيطر على طريق التحرك إلى العريش شمالاً والقصيمة جنوبًا والإسماعيلية غربًا.

وترتكز منطقة أبو عجيلة بجانبها الجنوبى على جبل ضلفه، وبجانبها الشمالى على منطقة الكثبان الرملية بمكسر الفناجيل وامتدادها غربًا، ويتم الوصول إليها من اتجاه العريش عبر طريق بير لحفن من الشمال، أما من الجنوب، فيتم الوصول إلى

منطقة«أبو عجيلة»من اتجاهين: الأول على الطريق القادم من القصيمة مرورًا بمرتفعات أم قطف المسيطرة عليه، والثانى من غرب جبل ضلفه عبر مضيق الضيقة الواقع بين جبل ضلفه وجبل الحلال، ويتميز هذا الطريق بأنه يؤدى مباشرة إلى خلف منطقة «أبو عجيلة»، وإن كان يمكن إغلاقه بنسف أجناب مضيق الضيقة فى عدة أماكن.

ويمكن الوصول أيضًا إلى منطقة «أبو عجيلة» عن طريق الوديان والدروب فى منطقة مكسر الفناجيل التى تعترضها عدة مناطق مسيطرة مثل الباطور وتبة أولاد على وسد الروافعه.

ويمتد المحور غربًا؛ ليعبر المنطقة بين جبل الحلال فى الجنوب وجبل لبنى فى الشمال، ويسيطر عليه فى هذا الفاصل الارتفاع التدريجى للأرض الواصلة بين الجبلين وبعض الهيئات المتناثرة، ويسير الطريق الأسفلتى على سفوح جبل لبنى غربًا إلى منطقة السر وتقاطع كم ١٦١ ،التى تعتبر فاصلاً بين مجموعة جبال ضلفه و الحلال ولبنى فى الشرق، وبين مجموعة جبال المغارة و يعلق فى الغرب، ويتجه الطريق فى هذه المنطقة شمالاً إلى العريش أو جنوبًا إلى الحسنة، أو غربًا فى اتجاه الإسماعيلية، حيث ينقسم الطريق الأسفلتى المتجه إلى الإسماعيلية فى هذه المنطقة إلى طريقتين يمر الشمالى منهما جنوب مجموعة جبال المغارة، بينما يمر الطريق الجنوبى على السفوح الشمالية لمجموعة جبل يعلق، ونظرا لانتشار المناطق الرملية والهيئات متوسطة الارتفاع بين الطريقين فقد تكونت عدة مضايق أهمها مضيق حمة الرمل على الطريق الشمالى ومضيق منيدرة الإثيلى على الطريق الجنوبى فى المدخل الشرقى لهذه الشريحة، وفى الثلث الثانى من هذه الشريحة يقترب الطريقان من بعضهما، ويسيطر عليها مضيق الختمية الذى يرتكز على جبل الختمية المتوسط الارتفاع.

ومع امتداد الطريقين إلى الغرب تعود المسافة بينهما إلى الاتساع وتفصلهما منطقة الجفجافة حيث يعبران وادى المليز، وتعترضهما مرتفعات أم مرجم فى الشمال وامتداد جبل سحابة فى الجنوب، ويستمر الطريق الشمالى منهما فى الاتجاه للغرب عبر مناطق من الكثبان الرملية حتى يصل إلى منطقة الطاسه، ثم

يواصل الامتداد غربًا عبر مجموعة من التلال والكثبان الرملية المتفاوتة الارتفاع والصلابة ويصل الطريق فى النهاية إلى قناة السويس عند مدينة الإسماعيلية، أما الطريق الجنوبى فيتجه مع الميول الشمالية لجبل سحابة عبر مجموعة من الكثبان الرملية حتى يصل إلى القناة عند منطقة الدفرسوار تقريبًا.

ورغم توفر السلاسل المتتالية من الهيئات المرتكزة على موانع طبيعية كالجبال والمناطق الرملية الصعبة الاجتياز، وهو ما يوفر للقوات المدافعة فرصة ممتازة لتنظيم دفاع متتال ضد القوات المهاجمة خاصة من الشرق إلى الغرب، إلا أن هذا المحور كان الاتجاه الرئيسى لتقدم القوات الإسرائيلية فى جميع الحروب التى تمت مع اختلاف عمق وسرعة تحقيق الأهداف، وذلك لابتعاده عن الممرات والمضايق الجبلية الضيقة وتوفر الطرق العرضية والمساحات المتسعة للمناورة بالقوات بين طريق وآخر، مما يتيح التغلب على الدفاعات بتركيز أكثر للنيران، ومن خلال خطط تتصف بسرعة الاختراق وأعمال الخداع والتثبيت.

وبالطبع كانت منطقة أبو عجيلة ورفح هى صاحبة النصيب الأكبر فى المعارك التى تمت فى عمليات ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧، وهى الحروب التى قامت فيها إسرائيل بالهجوم من أراضيها بهدف الوصول إلى قناة السويس، أما المناطق من الطاسه وغربًا حتى القناة، فكان لها النصيب الأكبر فى عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣.

*** الاتجاه الجنوبى :**

هو الشريحة التى يحدها شمالاً جبل الصبحة مرورًا بمنطقة القصيمة وجنوب جبال ضلفة والحلال ويعلق، ثم مرورًا بجبل سحابة حتى قناة السويس عند الطرف الجنوبى للبحيرة المرة الكبرى، ويحد هذه الشريحة جنوبًا المناطق الجبلية الممتدة من رأس النقب على خليج العقبة، فالميول الشمالية للكتلة الجبلية لجنوب سيناء وامتدادها حتى مدينة السويس على الطرف الشمالى لخليج السويس.

ورغم ما تتصف به هذه الشريحة من اتساع كبير وتنوع فى طبيعة الأرض، وتعدد محاور وطرق التحرك الطولية والعرضية بها، وتناثر العديد من الهيئات الجبلية متوسطة الارتفاع بها مكونة ساحات كبيرة مستديرة أو مربعة الشكل تصلح لجميع أنواع العمليات إلا أن جميع المحاور الممتدة فى هذه المنطقة تمر من خلال الحائط الجبلى الغربى لسيناء من خلال ممرات جبلية ضيقة وطويلة، يسهل الدفاع عنها بأقل قوات ممكنة، وهو ما جعل هذا الاتجاه غير ملائم لتنفيذ الخطط التى تعتمد على القوات المدرعة والميكانيكية التى تنفذ اختراقات مفاجئة سريعة وعميقة للوصول إلى أهدافها. ومع ذلك فقد استخدم هذا الاتجاه لتنفيذ خطط معاونة للخطة الرئيسية التى عادة ما كانت تتم على الاتجاه الأوسط.

وتخترق هذا الاتجاه عدة محاور اقتراب من الشرق إلى الغرب، تبدأ من الشرق من خلال عدة وديان رئيسية تخترق الحائط الجبلى الشرقى، وتصل إلى الأرض المفتوحة فتواصل الامتداد، وتتحول إلى طرق أسفلتية تتجه إلى الممرات الجبلية فى الحائط الجبلى الغربى.

ويعتبر محور الصبحة - القصيمة - الحسنة - ممر الجدى ذا أهمية خاصة؛ لقربه من الاتجاه الأوسط واتصاله به عبر الطرق العرضية، مما سهل استخدامه لتهديد المحور الأوسط وتنفيذ الخطط المعاونة للتقدم عليه، ويبدأ هذا المحور من الشرق من خلال واديين يعبران خط الحدود الدولية، ويمران من شمال وجنوب جبل الصبحة إلى الغرب، حيث يصلان إلى تقاطع القصيمة، ثم يمتد الطريق الأسفلتى بعد ذلك ويتفرع من منطقة القصيمة؛ ليتجه شمالاً إلى منطقة «أبو عجيلة»، وجنوبا إلى منطقة الكونتلا بينما يمتد غربًا؛ ليصل إلى منطقة الحسنة مروراً بمجموعه من الجبال متوسطة الارتفاع التى تسيطر على الطريق جنوب جبل الحلال، وتمثل منطقة تقاطع الحسنة أهمية كبيرة على هذا المحور، حيث تتفرع منها الطرق التى تتجه إلى العريش شمالاً أو تماده غربًا أو التمد ونخل وصدر الحيطان جنوبًا.

ويستمر المحور فى الامتداد غربًا حتى يصل لمنطقة بير تماده، ثم يخترق الحائط الجبلى الغربى لسيناء عبر ممر الجدى بين جبلى سحابة فى الشمال والجدى فى الجنوب، ويواصل الطريق امتداده بعد ممر الجدى حتى يصل إلى قناة السويس عند منطقة جنوب البحيرات عبر عدة سلاسل من الكثبان الرملية المسيطرة على تقاطعات الطرق.

وعلاوة على الطريق الرئيسى، تخترق الحدود الدولية فى الجزء الأوسط من هذا المحور عدة مسارب ووديان، توصل كلها إما إلى الحسنة أو إلى التمد و نخل فى الجنوب عبر مجموعة من الجبال المتناثرة، أهمها جبل طلعة البدن وجبل الخرم وجبل المطلة.

وفى النهاية الجنوبية للهضبة الشمالية فى سيناء نجد محوراً مهمًا يمتد من الكونتلا على الحدود أو رأس النقب على خليج العقبة إلى التمد، ثم نخل حتى يصل إلى منطقة صدر الحيطان على المدخل الشرقى لممر متلا، وهناك إما أن يتجه الطريق غربًا فيخترق الممر ويصل إلى منطقة الشط شمال السويس، أو يتجه جنوبًا عبر ممر سدر الجبلى حتى يصل إلى رأس سدر على الساحل الشرقى لخليج السويس، ورغم وعورة هذا المحور واختراقه لممر متلا إلا أنه ذو أهمية خاصة فى تنفيذ عمليات التطويق والالتفاف وعمليات الجذب والخداع، وتعتبر نخل والتمد أهم التقاطعات على هذا المحور.

*** اتجاه جنوب سيناء الساحلى :**

هو الطريق الساحلى الضيق الذى يمتد من رأس النقب جنوبًا، حيث يسير محاذيًا للشاطئ الغربى لخليج العقبة حتى منطقة رأس محمد، ثم يعود للامتداد شمالاً على الشاطئ الشرقى لخليج السويس حتى يصل إلى السويس. ويعتبر هذا المحور ثانويًا لطوله وصعوبة وضيق العديد من المناطق الجبلية التى يعبرها، كما تخترق الكتلة الجبلية عدة وديان ومحاور أهمها وادى فيران إلا أنها لا يمكن اعتبارها محاور عمليات رئيسية؛ لضيقها وسهوله السيطرة عليها.

وتعتبر المضايق البحرية فى سيناء فى منطقة ثيران وصنافير على خليج العقبة من المناطق الاستراتيجية المهمة؛ لسيطرتها على طرق الملاحة إلى ميناء إيلات الإسرائيلى.

وخلاصة القول إن سيناء التى تشكل مسرح العمليات الرئيسى لمصر تتعدد بها المحاور والتقاطعات، وإن كانت تميل فى الأهمية إلى الشمال حيث أقصر الطرق من الحدود الشرقية لمصر إلى قناة السويس عبر الطريق الأوسط الممتد من العوجة إلى الإسماعيلية والطريق التالى المساعد له وهو الطريق الممتد من العوجة إلى القصيمة ثم الحسنة ثم إلى القناة عبر ممرات الجدى ومتلا، بينما تعتبر المحاور الجنوبية ذات أهمية خاصة لوصولها إلى مناطق الثروات البترولية على الساحل الشرقى لخليج السويس، وتشتيت الاحتياطيات وتوزيع القوات على مواجهة واسعة مما يصعب من تحقيق التعاون بينها.

ثالثا : طبيعة الأرض غرب القناة (الخريطة رقم ٣) :

تعتبر شريحة الأرض غرب قناة السويس بصفة عامة امتدادًا للصحراء الشرقية لمصر التى تنحصر بين الساحل الغربى للبحر الأحمر شرقًا ووادى النيل والدلتا غربًا، وهى بذلك تتصف بنفس الصفات العامة للطبيعة الطبوغرافية لأرض مصر حيث تنحدر فى اتجاه ساحل البحر المتوسط شمالاً، بينما تتكاثر الهيئات الجبلية وتزداد ارتفاعًا كلما اتجهنا جنوبًا، حيث نصل إلى جبل عتاقة الذى يعتبر الحد الشمالى لسلسلة جبال البحر الأحمر التى تمتد من الحدود الدولية الجنوبية لمصر، ولاشك أن إنشاء قناة السويس فى القرن التاسع عشر كان له أثر كبير فى تحول المنطقة غرب القناة من الصفة الصحراوية الجبلية إلى أن تكون شريحة مأهولة بالسكان تكثر بها المناطق الزراعية، خاصة فى الشمال جنوب مدينة بورسعيد وحول مدن الإسماعيلية والسويس، وعلى امتداد الشريط الموازى لترعة الإسماعيلية التى تستمد مياهها من نهر النيل.

وتكثر بهذه المنطقة الطرق الطولية والعرضية التى تربط مدن منطقة القناة ببعضها

كما تربط هذه المدن بمحافظات الدلتا والقاهرة فى الغرب، ويبرز فى هذه الشريحة الطرق الآتية :

* **طريق القناة أو الطريق الساحلى،** وهو الطريق الذى يمر على الضفة الغربية لقناة السويس مباشرة من بورسعيد فى الشمال إلى السويس فى الجنوب مرورًا بمدينة الإسماعيلية، ويربط بين المدن والقرى فى منطقة القناة وتمر إلى الغرب منه بمسافات متفاوتة ترعة الإسماعيلية التى تمد قرى ومدن منطقة القناة بالمياه العذبة .

* **طريق المعاهدة،** وهو الطريق الذى يربط بين مدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس، ويمر على مسافة تتراوح بين ٢ كم إلى عدة كيلومترات غرب قناة السويس، ويعبر المنطقة الصحراوية غرب المناطق المزروعة، وتمتد غرب الطريق سلسلة جبلية قليلة الارتفاع تخترقها عدة وديان ومدقات قادمة من اتجاه الغرب .

* **طريق القاهرة ـ الإسماعيلية،** وهو الطريق الرئيسى الذى يربط مدينة الإسماعيلية بمدينة القاهرة، وتتفرع منه عدة طرق رئيسية تؤدى إلى محافظات الدلتا، كما تتفرع منه عدة محاور غير رئيسية تؤدى إلى طريق السويس والمدقات المارة فى المنطقة الصحراوية الجبلية بين طريقى القاهرة السويس والقاهرة الإسماعيلية .

* **طريق القاهرة ـ السويس،** وهو الطريق الرئيسى الذى يصل بين مدينتى السويس والقاهرة، وتتفرع منه عدة طرق فرعية تصل الجنوبية منها إلى منطقة خليج السويس عبر الكتلة الجبلية لجبل عتاقة، بينما الطرق الشمالية تصل أيضًا إلى المنطقة الصحراوية الجبلية فى اتجاه طريق الإسماعيلية القاهرة، ثم محافظات شرق الدلتا .

* كما يخترق المنطقة الصحراوية الجبلية بين طريقى القاهرة ـ الإسماعيلية والقاهرة ـ السويس عدة مدقات تتفاوت فى درجة صلاحيتها للتحركات، وأهم هذه المدقات طريق ١٢ الذى يبدأ من طريق القاهرة الإسماعيلية عند علامة كم ٤٢ تقريبًا، ويمتد فى اتجاه الشرق حتى يصل إلى جبل جنيفه، وحتى طريق المعاهدة الواصل بين الإسماعيلية والسويس، كما يمر شمال هذا الطريق مدقان آخران هما مدق ١٣، ومدق ١٤ اللذان يصلان إلى الهيئات الجبلية غرب البحيرات المرة .

* و يعتبر طريق وصلة «فايد أبو سلطان» من أهم المحاور التى تخترق المنطقة الصحراوية، وهى تتفرع من طريق الإسماعيلية، وتتجه مباشرة إلى منطقة فايد ومنطقة «أبو سلطان» على ساحل البحيرة المرة الكبرى، متجنبة عبور المناطق الزراعية حول وجنوب مدينة الإسماعيلية.

أما عن طبيعة الأرض غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث الممتد من فايد حتى جنوب السويس :

فكما ذكرنا، الأرض غرب قناة السويس ذات طبيعة صحراوية جبلية فى معظمها خاصة غرب طريق المعاهدة، وتتدرج الأرض فى الارتفاع كلما اتجهنا جنوبًا وغربًا، ويحدها من الشرق خليج السويس فقناة السويس ثم البحيرة المرة الكبرى، ومن الجنوب سلسلة جبل عتاقة وجبل «أبو طريفية» ومن الشمال سلسلة جبال جنيفه، الجوزه الحمراء، شبراويت، الشهابى أم كثيب، الجربة ومن اتجاه الغرب وادى الجفرا، بسطة الروبيكى.

وتكون سلسة جبال جنيفه، الجوزه الحمراء، شبراويت، الشهابى، أم كثيب، الجربه فى الشمال مع سلسلة جبل عتاقة، جبل « أبو طرفية» ، جبل عويبد فى الجنوب مسرح عمليات له طبيعة خاصة حيث تكون مع بعضها سلسلة شبه متصلة من الأرض المرتفعة التى يؤدى الاستيلاء عليها إلى السيطرة الكاملة على مجموعة الطرق والوديان التى تتخللها وأهمها وادى «أبو طلح» ووادى سد الجاموس ومدق الجربة - محجر فايد- وادى الأبيض، كما تمهد للاستيلاء على سلسلة جبال غره - الطبقة الزلطيه- مشاش وبسطة البحارة.

ونظرا لأن هذه المنطقة سبق تجهيزها هندسيًا بواسطة قواتنا واحتلالها كمنطقة ابتدائية للهجوم، فإنه يتوفر بها عدد كبير من التجهيزات الهندسية الجيدة من دشم وقواعد صواريخ مما يعتبر مزية للقوات التى تحتلها.

أما سلسلة الهيئات: جبل غره، الطبقة الزلطيه، مشاش وبسطة البحارة،

فتسيطر كلٌّ منها على التى تليها، بحيث تمكن المهاجم من الاستيلاء عليها بالتتالى مع توفير السيطرة على محور طر ١٢ من كلٍّ من جبل غرة والطبقة الزلطيه وعلى محورى جسر سكة حديد السويس وطريق السويس من كل من الطبقة الزلطية ومشاش البحارة والميول الشمالية لجبل عتاقة، وفى الوقت نفسه تصلح ميولها الغربية لتنظيم خط دفاعى يتحكم فى طريق الاقتراب إلى قناة السويس مع تكوين مناطق قتل بين هذه الهيئات.

وبعد عبور خط الهيئات التى ذكرناها سواءً فى اتجاه الشمال أو فى اتجاه الغرب نصل إلى الأرض المفتوحة حتى قناة السويس، ومن السهل على أى قوات تتمكن من كسر الدفاعات الموجودة على هذه السلسلة الاختراق السريع فى اتجاه القناة حيث تصل إلى الشريط الزراعى بمحاذاة القناة، وهو عبارة عن شريط ضيق من الأرض تكثر به الأشجار والمزروعات الكثيفة، وكذلك يتواجد بها عدد من القرى والمنازل الصغيرة بعضها عبارة عن أكشاك من الصفيح. وهذه المنشآت بالإضافة إلى المزروعات تساعد على إخفاء تحركات القوات ليلاً، وخاصة إذا كانت بأعداد صغيرة.

رابعًا ـ خصائص قناة السويس كمانع مائى :

تعتبر قناة السويس التى يبلغ طولها حوالى ١٦٠ كم من السويس جنوبًا إلى بورسعيد شمالاً، مانعًا مائيًا فريدًا فى نوعه، حيث تختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى التى سبق للجيوش اجتيازها على مر التاريخ للأسباب التالية :

* يتميز شاطئ القناة بشدة الانحدار، وهو مغطى بالحجارة والأسمنت، ومدعم بستائر صلب راسية تحت الماء، وهذه النوعية من التجهيزات لا يمكن اجتيازها إلا بعد تجهيزات هندسية خاصة.

* نظرًا لاتصال القناة بالبحرين الأحمر فى الجنوب والمتوسط فى الشمال، فهى تتعرض لظاهرتى المد والجذر عدة مرات فى اليوم، ويختلف الفرق بين منسوب

المياه فى حالتى الجذر والمد فى الجنوب عن الشمال، فيصل فى الجزء الجنوبى من القناة إلى حوالى المترين، بينما لا يتجاوز ٦٠ سنتيمتر فى معظم الجزء الشمالى منها.

* وتختلف سرعة التيار أيضًا فى الجنوب عنها فى الشمال، فهى تصل فى الجنوب إلى ٩٠ مترًا فى الدقيقة، بالإضافة إلى أن اتجاه التيار يتغير دوريًا كل ٦ ساعات من الشمال إلى الجنوب وبالعكس.

* وإضافة إلى ما سبق، فيتراوح عمق القناة بين ١٦ إلى ١٨ مترًا ويتراوح عرضها بين ١٨٠ إلى ٢٢٠ مترًا، وينخفض سطح الماء عن الشاطئ بحوالى «٢» مترين.

ومما سبق يتضح مدى صعوبة قناة السويس كمانع مائى، يقدم العديد من المشاكل المطلوب حلها؛ لتنفيذ عملية العبور، فانخفاض سطح الماء عن حافة الشاطئ بالإضافة إلى عمقها يمنع عبورها سباحة أو خوضًا أو سيرًا على القاع، وسرعة التيار وتغير اتجاهه يسببان الكثير من المشاكل للعبور بالقوارب الخفيفة، خاصة مشكلة المحافظة على الاتجاه ونقط الوصول، وظاهرة المد والجذر تسبب مشاكل أخرى لعمليات إنشاء الكبارى والمعديات.

كما أضاف العدو الإسرائيلى خلال فترة احتلال سيناء بعد حرب ١٩٦٧، إلى الخصائص الطبيعية والصناعية للقناة، صعوبات أخرى حيث قام بتجهيز «خط بارليف» بما يشمله من نقط حصينة على امتداد القناة، وقام بتعلية الساتر الترابى وزحزحته إلى حافة المياه فى معظم المناطق حتى وصل ارتفاع الساتر الترابى إلى حوالى ٢٠ مترًا، وأكثر من ذلك أنه قام برص حقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد حول النقاط القوية، كما قام بتجهيز خزانات المواد المشتعلة (النابالم) لإطلاقها إلى سطح الماء فى القناة، مما زاد من صعوبة قناة السويس كمانع مائى مجهز ومحتل بقوات معادية، وهو ما يوضح الحجم الحقيقى لنجاح القوات المصرية فى اقتحام قناة السويس فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

الباب الثانى

حرب فلسطين ١٩٤٨

الفصل الأول : الموقف السياسى والعسكرى فى مصر والدول العربية

الفصل الثانى : أحداث حرب فلسطين ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩

الفصل الأول

الموقف السياسى والعسكرى فى مصر والدول العربية

نشبت حرب ١٩٤٨ بين العصابات الإسرائيلية، كما كان القادة العرب يعتقدون أو جيش الدفاع الإسرائيلى كما أسماه الإسرائيليون بعد إعلان دولة إسرائيل، فى ظروف قلما تتوفر لقيام دولة على أرض دولة أخرى، فالدول العربية واقعة تحت الاحتلال الأجنبى بمسميات مختلفة منذ العشرينيات من القرن العشرين، فمنها ما كان تحت الوصاية، ومنها ما كان تحت الانتداب، ومنها ما كان تحت الحماية، والباقى كان محتلاً احتلالاً صريحًا، وبقيت بعض دول الجزيرة العربية مستقلة اسمًا، وإن كانت فى الحقيقة خاضعة تمامًا للنفوذ الغربى بواسطة شركات البترول الإنجليزية والأمريكية التى كانت تعتبر بمثابة السلطة الاستعمارية المقنعة والمغلفة فى إطار المحافظة على مصالح الشركات التى حصلت على امتيازات ضخمة للتنقيب عن البترول فى المنطقة العربية، ومن ثم أصبح لديها القناعة أنها صاحبة الفضل على هذه الدول المتخلفة؛ لنقلها من عصر الفقر والحياة الرعوية الصعبة إلى عصر الثروة الضخمة والرفاهية غير المسبوقة، وكان على هذه الدول أن تدفع ثمن التطور من استقلالية قرارها رغم استقلالها النظرى.

الموقف السياسى الداخلى فى مصر:

كان الموقف السياسى الداخلى فى مصر مشتتا بين مواجهة الإنجليز المتمركزين فى منطقة القناة بعد معاهدة ١٩٣٦، وبين مواجهة المسئولية العربية المشتركة تجاه فلسطين، وبعد مناقشات سياسية عديدة استقر الرأى على تركيز الجهود المصرية ضد التهديد البريطانى وعدم القتال خارج الحدود، على أن يتم دعم الفلسطينيين عن

طريق المال والسلاح، واقتصر الموقف المصرى على استنكار قرار التقسيم الدولى الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وكان هذا الموقف هو نفس موقف باقى الدول العربية حتى ١٠ مايو ١٩٤٨ الذى تصاعدت فيه المظاهرات والمطالبة الشعبية بضرورة الاشتراك فى حرب فلسطين.

وربما وجدت الحكومة المصرية برئاسة النقراشى باشا وبمباركة مجلس الشيوخ برئاسة محمد حسين هيكل باشا، فى تلبية هذا المطلب مخرجًا مناسبًا من قضايا البناء الداخلى والمطالب الاقتصادية والوطنية للشعب، فكان قرارها بدخول حرب تحرير فلسطين رغم معارضة إسماعيل باشا صدقى رئيس الوزراء الأسبق، ورغم علم الحكومة بسوء حالة الجيش من الناحية العددية والتسليح ومستوى التدريب اعتقادًا منها بعدم قدرة القوات الإسرائيلية على الصمود أمام الجيوش العربية المجتمعة، وعلى أمل أن تعترض قوات سلطات الانتداب البريطانية المتمركزة فى رفح طريق القوات المصرية وتمنعها من المرور إلى فلسطين، وبذلك تتجنب الحكومة المصرية الحرج مع باقى الدول العربية.

الموقف السياسى الخارجى:

بصفة عامة، تجمعت عدة ظروف لخدمة الصهيونية، كان أهمها اعتلاء الولايات المتحدة الأمريكية لمنصة القيادة للغرب المؤيد لقيام دولة إسرائيل، واستمرار بريطانيا فى دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ لتمكين اليهود من إنشاء الوطن القومى الذى يعنى أن تكون أغلبية سكانه من اليهود، وتفصيلاً كان الموقف السياسى المحلى والدولى كالآتى:

* بصدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، بتقسيم فلسطين، امتلك اليهود الأحقية القانونية لإقامة الدولة على ٥٦٪ من أرض فلسطين طبقًا لقرار التقسيم الدولى الذى صدر بمباركة الغرب، وقاموا مبكرًا بالإعداد لذلك فى حماية بريطانيا المنتدبة على فلسطين، وبالتالى سيطر اليهود على القدرات الاقتصادية والمناطق الحيوية بفلسطين، وتمكنوا من توفير الأجهزة الإدارية التى يمكنها القيام بأعمال الحكومة فى شتى المجالات، وهو ما افتقده الفلسطينيون.

* ثم تزايدت سيطرة اليهود على فلسطين من خلال أعمال الإرهاب الذى لم يصمد الكثير من الفلسطينيين أمامه، فهاجر الكثير منهم إلى الدول العربية المجاورة التى لم تواجه الموقف من خلال استراتيجية عربية موحدة، واقتصر تدخلها على الإمداد بالمتطوعين والمال والسلاح.

* كما نجحت الصهيونية فى كسب عطف وتأييد العالم من خلال التركيز على جرائم النازية ضد اليهود، باستغلال تفوق أجهزة الإعلام لديهم فى الوقت الذى غاب فيه الإعلام العربى عن الساحة.

الموقف العسكرى قبل بدء الحرب:

لاشك أن المؤامرة الصهيونية / البريطانية - إن لم تكن العالمية - لاغتصاب فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل عليها كانت محبوكة الأطراف بدرجة يصعب على الدول العربية مواجهتها فى الوقت المناسب، ولعل أهم عناصر هذه المؤامرة هو بقاء فلسطين تحت الانتداب البريطانى، ثم قرار بريطانيا بإنهاء انتدابها فجأة، وقبل الموعد المحدد بعدة شهور وليلة إعلان قيام دولة إسرائيل، فهى بذلك قد حرمت الجيوش العربية النظامية من دخول فلسطين طالما كانت تحت الانتداب، ثم أنهته فى التوقيت الذى استعدت فيه القوات الإسرائيلية، وهو نفس التوقيت الذى لم تكن فيه الجيوش العربية قد استعدت بعد، وبالتالى بدأت المعركة فى التوقيت المناسب للإسرائيليين والغير مناسب للعرب، الذين كانوا يشكون فى إمكان اشتراك قوات يهودية كبيرة لقتال الجيوش النظامية المحملة بالسلاح والمعدات الحربية، ومن الواضح أنهم كانوا على خطأ فالموقف العسكرى تفصيلاً كان كالآتى :

* تواجد حوالى ٦٠ ألف مقاتل من السكان اليهود فى فلسطين على درجة مناسبة من التدريب والاستعداد ومنظمين فى تنظيمات عسكرية قوية ومسلحة تسليحًا جيدًا ، وتوفر لهم كوادر قيادية يهودية على درجة عالية من الخبرة والكفاءة، بالإضافة إلى وجود حوالى ٣٥ ألف يهودى فى الدول الأوروبية ممن اشتركوا فى

الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء، وهؤلاء كان ينتظر تدخلهم فى القتال بعد بدايته، وفى المقابل برز ضعف التنظيمات شبه العسكرية العربية، كذلك ضعف الكفاءة القتالية للجيوش النظامية للدول العربية، وعدم خضوعها لقيادة موحدة.

* ولم يكن بإمكان الجيش المصرى أقوى الجيوش العربية توفير أكثر من لواء مشاة مدعم ببعض الوحدات الفرعية المدرعة، ولم يسبق لهذه القوات الاشتراك فى عمليات أو إجراء مناورات على هذا المستوى، علاوة على سوء حالة الحملة ونقص الذخيرة، كما لم تكن حالة القوات الجوية أو البحرية المصرية بأحسن حال من القوات البرية، وكانت أقصى إمكانياتها هو تقديم المعاونة لمجموعة اللواء المشاة وحماية الجانب الأيسر للقوات البرية من ناحية البحر.

أهداف الحرب للجانبين المتحاربين:

* كان الهدف الإسرائيلي نابعًا من الهدف الصهيونى، وهو الاستيلاء على كل أرض فلسطين لإقامة الوطن القومى لليهود، وقد خططت الصهيونية لهذا الهدف قبل إعلان الدولة بخمسين عامًا على الأقل، نجحت خلالها فى أن تعد العدة جيدًا لما أسموه فيما بعد بحرب التحرير.

* وكان الهدف العربى الذى أعلنته الجامعة العربية عقب الاجتماعات المنفصلة للقادة العرب فى الفترة بين الاجتماع الثامن لمجلس الجامعة الذى تم فى فبراير ١٩٤٨ وحتى قرار الدول العربية بدخول الحرب فى فلسطين، هو الدفاع عن مصالح عرب فلسطين، وأضافت مصر إليه أنها تدخل هذه الحرب؛ لإعادة احترام المبادئ الأخلاقية العامة والمبادئ التى أقرتها الأمم المتحدة، وهى كلها - كما نرى - أهداف غامضة وفضفاضة لا يمكن أن تتجمع حولها الدول العربية، ومع ذلك فقد كان الدافع القومى والدينى هو المحرك الأساسى لدخول الدول العربية الحرب وهو دافع يعتبر كافيًا للحرب ومحركًا لهمم الرجال؛ لإحراز النصر وهزيمة العدو لولا وقوع معظم الدول تحت الاحتلال، أو الوصاية، أو الانتداب، أو الحكم العميل، أو الفاسد، أو الضعيف.

موقف القوات المسلحة العربية والإسرائيلية:

فى الوقت الذى امتلكت فيه الكوادر العسكرية الإسرائيلية خبرة الحرب والقتال التى اكتسبتها فى مسارح الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت الجيوش العربية تفتقر إلى الكوادر ذات الخبرة والتجربة الميدانية. وفى الوقت الذى امتلكت فيه القوات الإسرائيلية الأسلحة الحديثة والذخيرة كانت الجيوش العربية تفتقر إلى السلاح الحديث والذخيرة الصالحة، وزاد الطين بلة انعزال رجال الحرب عن رجال السياسة، وانعدام الثقة بينهما مما أضعف كفاءة الجيوش بصورة كبيرة.

وعلى الجانب الآخر نجح الإسرائيليون فى إقناع المهاجرين اليهود بأنهم يدافعون عن الوطن المنشود، بينما فشل العرب فى تهيئة جيوشهم معنويًا؛ لدخول الحرب ورغم الشعور الوطنى الفردى للجنود والضباط الذي كان حافزهم الأساسى لما أدوه من بطولات فى هذه الحرب، إلا أن الموقف الشامل لم يكن بأى حال فى صالح القوات العربية كما سنرى فى السطور التالية :

قوة وكفاءة الجيوش العربية:

أولاً - قوات شبه نظامية :

* الهيئة العربية العليا : وقوامها حوالى ١٥ ألف مجاهد.

* جيش الجهاد المقدس : ويتكون من حوالى ٤٠ ألف متطوع عربى مسلحين ببعض الأسلحة الصغيرة والرشاشات وينقصها الذخيرة.

* جيش الإنقاذ : ويتكون من قوات شبة نظامية من الدول العربية قوتها ٧٧٠٠ فرد مشكلة فى حوالى ٨ كتائب، بكل كتيبة ٢٥٠ بندقية أى أن الإجمالى حوالى ٢٠٠٠ بندقية.

* القوة الخفيفة المصرية : وكانت تتكون من المتطوعين المصريين بقيادة الشهيد البطل المقدم أحمد عبد العزيز، وكانت مسلحة بالبنادق والرشاشات وبعض مدافع الهاون والهاوتزر والمدافع المضادة للدبابات.

* كتيبة البعث العربى : أرسلها حزب البعث العربى السورى إلى فلسطين .

ورغم كثرة عدد هذه القوات ، إلا أن ضعف تسليحها وقلة ذخيرتها قد قلل إلى حد كبير من كفاءتها القتالية وقدرتها على القتال المؤثر .

ثانيًا ـ القوات النظامية :

* الجيش المصرى : مجموعة لواء مشاة وكتيبة دبابات وفوج مدفعية بإجمالى ٥٠٠٠ فرد، ومعه قوة سودانية تحت قيادة الكتائب النظامية ، بالإضافة إلى ٦ طائرات مقاتلة و٥ طائرات نقل وطائرة استطلاع ، علاوة على كاسحتى ألغام وخمسة زوارق إنزال ، تستطيع إنزال حتى سرية مشاة .

* جيش شرق الأردن : حوالى ٤٥٥٠ مقاتل يقودهم الفريق جون جلوب ، وهو إنجليزى الجنسية .

* جيش العراق : وقد بلغت قوته ٢٥٠٠ مقاتل ، بالإضافة إلى قوة جوية من سرب قاذفات ورف مقاتلات .

* جيش سوريا : بلغ عدده حوالى ١٨٧٦ مقاتل ، عبارة عن كتيبتين من المشاة وكتيبة مدفعية عيار ٧٥ مم .

*جيش لبنان : وقد بلغ تعداده حوالى ١٠٠٠ مقاتل ، عبارة عن كتيبة من المشاة وكتيبة مدفعية عيار ٧٥ مم .

ومما سبق يتضح أن سبع دول عربية (باشتراك قوات من السودان تحت قيادة القوات المصرية) لم تستطع أن تحشد وتدفع إلى المعركة أكثر من ١٥ ألف مقاتل مشكلين فى حوالى ١٤ كتيبة مشاة ودبابات ومدفعية ، وقد زاد الجيش المصرى من حجم قواته إلى ١٥ ألف مقاتل ، نتيجة تركيز عمليات العدو ضده بشكل عام ، وبذلك أصبحت قوة الجيش المصرى فى هذه الحرب حوالى ٣ لواءات مشاة .

أما من ناحية الكيف ، فلا شك أن سيطرة الدول الاستعمارية على الدول العربية فى الفترة السابقة للحرب وتدخلها فى تسيير دفة الحكم فيها كان له أثر كبير فى

ضعف حالة تلك الجيوش من ناحية التسليح والحملة والتدريب، بالإضافة إلى افتقارهم للقيادات الخبيرة، واعتمادهم على الدول المستعمرة للإمداد بالسلاح والذخيرة.

ومع كل هذا فقد كانت الروح المعنوية مرتفعة فى بداية المعركة نتيجة للدوافع القومية والدينية.

أما قوة وكفاءة القوات الإسرائيلية فكانت كالآتى:

* عشرة ألوية من الهاجاناه والبالماخ قوتها ٤٠ ألف فرد.
* جيشًا ميدانيًا ذا قدرة كبيرة على الحركة قوته ١٦ ألف فرد.
* قوة ضاربه خفيفة الحركة من البالماخ قوتها ٦ آلاف فرد.
* قوة من عصابات الأرجون والشتيرن قوتها ٥آلاف فرد.
* بالإضافة إلى حرس المستعمرات الذى يقدر بحوالى ١١ لواءً بمعدل فصيلة مشاة لكل مستعمرة من عدد ٢٩٧ مستعمرة كانت موجودة ليلة إعلان دولة إسرائيل.

وعلاوة على ذلك كان لدى إسرائيل حوالى ١٩ طائرة، وعدد من زوارق الطوربيد، كما قامت إسرائيل بعمل تعديلات فى بعض الطائرات المدنية والسفن المدنية؛ لاستخدامها فى العمليات الحربية، وقد تمكن الإسرائيليون من الحصول على أسلحة جديدة من أمريكا والاتحاد السوفييتى، ومع ذلك قاموا بتصنيع بعض الأسلحة، وجهزوا بعض المصفحات المجهزة محليًا، وكما سبق الحديث فقد كانت القوات الإسرائيلية جيدة التدريب، ولها قيادة ذات خبرة، بالإضافة إلى تمتعها بوحدة الهدف الذى تقاتل من أجله ووضوح هذا الهدف، وهو تحرير أرض الوطن المنشود.

أهداف ومهام الجيوش العربية (الخريطة رقم ٤):

حُدِّدَ لكل جيش عربى هدف يصل إليه فى وقت معين على أن تصدر بعد ذلك

أوامر أخرى حسب الموقف مما يتضح معه عدم وجود خطة شاملة منسقة تحت قيادة واحدة أو موحدة.

وكان نصيب الجيش المصرى هو : تحرير القطاع جنوب غرب فلسطين الذى يمتد من رفح والعوجة إلى غزة وبيرسبع، ثم إلى يافا والرمله والتقدم نحو تل أبيب، على أن تقوم القوة الجوية المصرية بتقديم المعاونة للجيش أثناء تقدمه، وتشترك مع القوات البحرية المصرية لحماية الجانب الأيسر للجيش ومراقبة السواحل الفلسطينية وفرض الحصار عليها.

وقد حددت القيادة المصرية أهداف الجيش المصرى فى الآتى:

* الاستيلاء على المستعمرات التى تهدد الطريق الساحلى كمستعمرتى دير سيند ونتسانيم.

* عزل باقى المستعمرات الموجودة فى جنوب فلسطين ومنعها من التدخل فى المعركة.

* الاستيلاء على المدن المهمة مثل بيرسبع والمجدل ويافا والرملة.

* حصار تل أبيب من اتجاه الغرب.

أهداف ومهام الجيش الإسرائيلى:

كان الهدف الاستراتيجى للجيش الإسرائيلى واضحًا ومحددًا، وهو الاستيلاء على كل ما يمكن من أرض فلسطين، ووضع العرب والعالم أمام الأمر الواقع، وذلك من خلال عدة مراحل، لكل مرحلة هدف وطبيعة، مع إتاحة حرية التصرف للقادة فى إطار الهدف الشامل، وهو الاستيلاء على كل ما يمكن من أرض فلسطين، واشتمل التخطيط الإسرائيلى على ثلاث خطط رئيسية كالآتى :

الإرهاب:

اتخذت إسرائيل من الإرهاب وسيلة أساسية؛ لإشاعة الذعر بين الفلسطينيين

وإجبارهم على بيع أراضيهم أو تركها والنزوح إلى خارج فلسطين، وذلك من خلال المذابح الجماعية والغارات على القرى والتجمعات الصغيرة بدعوى تحقيق النقاء العنصرى لليهود على أرض الوطن.

الدفاع:

ويمثل المرحلة الثانية وكان الهدف منها هو صد هجوم الجيوش العربية وإنهاكها فى معارك متتالية واستنفاذ قوتها من خلال خطوط دفاعية متتالية ترتكز على المستعمرات المسلحة جيداً والمنسقة فى خطة دفاعية شاملة تهدف إلى انتزاع المبادأة من العرب.

الهجوم:

وهو المرحلة الثالثة التى خططت لها القيادة الإسرائيلية على أساس الاستيلاء على الأهداف الرئيسية والحيوية داخل فلسطين ثم التحول إلى الهجوم العام؛ لتدمير الجيوش العربية واحداً بعد الآخر، ونقل المعركة خارج فلسطين .

وقد نفذت إسرائيل خطتها الشاملة من خلال تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق:

المنطقة الشمالية فى مواجهة القوات السورية واللبنانية، والمنطقة الوسطى فى مواجهة القوات الأردنية والعراقية والفلسطينية، والمنطقة الجنوبية فى مواجهة القوات المصرية، وذلك بهدف توزيع وتنسيق جهود قواتها؛ لإغلاق محاور التقدم للجيوش العربية وصد هجومها على كل اتجاه كمرحلة أولى، ومن خلال المحافظة على حرية الحركة من الخطوط الداخلية، يتم التحول للهجوم على كل اتجاه حسب موقف القوات العربية عليه، و بعد النجاح فى الهجوم وتأمين الخطوط المستولى عليها يتم نقل المعركة إلى الاتجاهات الأخرى بالتتالى.

أما المستعمرات فكان دورها الرئيسى فى نجاح هذه الخطة هو استنزاف القوات العربية المهاجمة، وتهديد خطوط مواصلاتها إذا تجنبتها.

الفصل الثانى

أحداث حرب فلسطين ١٩٤٨ـ ١٩٤٩

دارت حرب ١٩٤٨ المعروفة بحرب فلسطين على الجانب العربى وبحرب التحرير على الجانب الإسرائيلى فى الفترة من يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى يوم ٧ يناير ١٩٤٩، وانقسمت فعليًا إلى أربع فترات قتال وأربع فترات هدنة، فرضها مجلس الأمن على القوات المتحاربة.

• المرحلة الأولى للحرب (من ١٥ مايو ١٩٤٨ إلى ١١ يونيو ١٩٤٨):

وقد دارت خلال هذه المرحلة ١٩ معركة، منها: ٤ معارك على الجبهة المصرية فى جنوب فلسطين، و ٨ معارك على الجبهة الأردنية فى وسط فلسطين، و ٤ معارك على الجبهة العراقية، و٣ معارك على الجبهتين السورية واللبنانية فى شمال فلسطين وقد وقعت هذه المعارك كلها دون تنسيق أو تعاون متبادل داخل الجبهة الواحدة أو بين كل الجبهات العربية، وسنخص بالذكر هنا ما دار على الجبهة المصرية.

صباح يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ اندفعت القوات المصرية، وعبرت الحدود، وبدأت بمهاجمة المستعمرات المتقدمة فى مواجهة رفح، ولم تنجح فى الاستيلاء عليها فحاصرتها، وتقدمت يوم ١٦ مايو إلى غزة، وتمكنت من الاستيلاء على المستعمرات على هذا المحور، ثم تمكنت يوم ٢١ مايو من الاستيلاء على المجدل.

وفى الوقت نفسه تمكنت القوة الخفيفة التى كان يقودها المقدم أحمد عبد العزيز من الوصول إلى الخليل، ثم وصلت إلى بيت لحم يوم ٢٤ مايو، وتمكنت من الاتصال بالقوات الأردنية.

وبناء على طلب القيادة الأردنية استولت القوات المصرية على أسدود؛ لتخفيف الضغط الواقع على القوات الأردنية فى باب الواد، واحتفظت بطريق رفح - المجدل كمحور إمداد رئيسى كما تمكنت من قطع الطريقين الرئيسيين الموصلين بين النقب وشمال فلسطين؛ باستيلائها على بير سبع والعسلوج، وفى ٢ يونيو احتلت القوات المصرية خطين دفاعيين الأول يمتد من المجدل حتى بيت جبرين مروراً بالفالوجا، والثانى يمتد من أسدود حتى نتسانيم، بهدف عزل مستعمرات النقب وإجبارها على التسليم قبل يوم ٣ يونيو، ودارت آخر المعارك يوم ٧ يونيو، وتم فيها الاستيلاء على نتسانيم، وبذلك تم تأمين منطقة أسدود وخطوط مواصلات ومؤخرة القوات المصرية.

فى يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ كان الموقف العام فى فلسطين مبشراً بانتصار الجيوش العربية، حيث وصل الجيش العراقى إلى مسافة ١٦ كم شرق تل أبيب، والجيش المصرى إلى مسافة ٣٠ كم جنوبها، فى الوقت الذى كانت فيه القوة العسكرية الإسرائيلية على وشك الانهيار، ولم ينقذها سوى الهدنة التى فرضها مجلس الأمن فى الساعة الثامنة من صباح يوم ١١ يونيو ١٩٤٨.

ولاشك أن المشاركة الفعالة للقوات الجوية المصرية فى القتال واحتفاظها بالتفوق الجوى خلال تلك المرحلة، رغم النقص فى عدد الطيارين والطائرات والذخيرة والمعدات الفنية كان له أكبر الأثر فى نجاح القوات المصرية فى تحقيق أهداف العمليات الهجومية التى نفذتها، حيث قامت القوات الجوية المصرية بجميع المهمة المعاونة من الاستطلاع حتى ضرب تل أبيب وحيفا والمدن والمستعمرات المهمة.

أما القوات البحرية المصرية فقد نفذت العديد من أعمال القتال البحرية التى بدأت بأعمال الحراسة وتأمين الشواطئ، ووصلت إلى ضرب ميناء قيصرية يوم ٢ يونيو، ومحاولة قفل ميناء تل أبيب يوم ٤ يونيو.

وبصفة عامة كان النجاح هو حليف القوات العربية والجيش المصرى فى هذه المرحلة، رغم العديد من نقاط الضعف فى التنظيم والتخطيط للعمليات، ورغم الضعف الواضح للجيوش العربية، ويمكن القول إن نجاح الجيوش العربية فى هذه المرحلة كان سببه الشعور الوطنى والدينى والمبادأة التى امتلكتها الجيوش العربية فى

بداية الحرب ومواصلة القتال على كل الجبهات فى وقت واحد مما أجبر الإسرائيليين على توزيع جهودهم على كل الجبهات.

ومع ذلك فقد تمكن الإسرائيليون من تحقيق هدفهم من هذه المرحلة، وهو إنهاك واستنزاف القوات العربية وإجبارها على اتخاذ أوضاع دفاعية متباعدة وهشه لا يتوفر لها احتياطيات قوية، وكان للمستعمرات النصيب الأكبر فى تحقيق هذا الهدف، كما تمكنت المستعمرات التى لم تسقط من إجبار العرب على ترك قوات لحصارها مما أضعف القوة الضاربة للجيوش العربية، بالإضافة إلى ضعف تأمين خطوط ومحاور الإمداد للقوات العربية نتيجة لوجود مستعمرات لم تحاصر، وإنما تم تجنبها فقط.

ورغم ذلك فقد كان الوضع العام خطيراً فالإسرائيليون على وشك الهزيمة والهدف على وشك الضياع، وكان لابد للدول الاستعمارية والصهيونية العالمية أن تتحرك، فكانت الهدنة الأولى التى فرضها مجلس الأمن يوم ١١ يونيو الساعة ٨ صباحًا.

• الهدنة الأولى من ١١ يونيو إلى ٨ يوليو ١٩٤٨ (الخريطة رقم ٥) :

تعتبر الهدنة الأولى التى استمرت حوالى ٤ أسابيع هى نقطة التحول الرئيسية فى حرب فلسطين ١٩٤٨، حيث استغلت الصهيونية العالمية والغرب الفرصة المتاحة لنجدة الجيش الإسرائيلى فى فلسطين بدعمه بالسلاح والذخيرة والمتطوعين حتى وصلت قوة الجيش إلى نحو ١٠٦ ألف مقاتل كما عززت القوات البحرية الإسرائيلية، وفى الوقت نفسه أعادت القيادة الإسرائيلية تنظيم الجيش وتعديل أوضاع القوات أمام القوات العربية، وخاصة الجيش المصرى (رغم مخالفة ذلك للهدنة) باحتلال نقط وثوب وهيئات حاكمة تحقق لها السيطرة على مناطق العمليات المقبلة، بالإضافة إلى ذلك غيرت القيادة الإسرائيلية من عقيدتها القتالية وقررت انتزاع المبادأة من الجيوش العربية والتحول إلى العمليات الهجومية لتدميرها.

وعلى الناحية العربية لم تستغل فترة الهدنة لدعم الجيوش العربية بالسلاح

والذخيرة والمعدات واقتصر الدعم على القوة البشرية فقط وأصبح الوضع فى المناطق الدفاعية العربية والمصرية سيئًا، فالقوات تفتقر إلى السلاح والذخيرة والمعدات. ولكن من أين تأتى هذه المطالب فالدول تحت السيطرة البريطانية والفرنسية، والجيوش منقسمة إلى جزأين: جزء أكبر يحمى الحكام الموالين لبريطانيا وفرنسا وجزء أصغر فى فلسطين تم إنهاكه واستنفاده.

ولاشك أن أساليب القتال العربية التى خبرها الإسرائيليون فى المرحلة الأولى للقتال كان قد تم تحليلها جيداً بواسطة القيادات المحنكة التى انضمت إلى الجيش الإسرائيلى فى فترة ما قبل الحرب وأثناء الهدنة، وبالتالى وضعت الخطط العسكرية لاستئناف القتال فى شكل عمليات هجومية سريعة، تعتمد على دروس الحرب العالمية الثانية من عمليات الالتفاف والتطويق والتخطى والوصول إلى عمق الدفاعات وقطع خطوط الإمداد اعتماداً على مواجهة الجبهات واحدة تلو الأخرى.

• المرحلة الثانية من الحرب (من ٨ يوليو ١٩٤٨ إلى ١٢ مارس ١٩٤٩):

*** الفترة من ٨ يوليو حتى ١٩ يوليو ١٩٤٨ :**

كان الموقع فى اللد والرملة محتلاً بواسطة قوات الأردن، وتحت قيادتها عدد من المتطوعين، وفى ١٠ / ٧ / ١٩٤٨ قامت الطائرات الإسرائيلية بإلقاء القنابل على المدينتين ثم تقدمت بعض القوات فى اتجاهها يوم ١١ / ٧ فانسحبت القوات العربية الأردنية من اللد والرملة، وكما قال الجنرال جلوب باشا قائد الجيش الأردنى: فقد كان الانسحاب بغرض تركيز الدفاع عن المدينة القديمة (القدس) ورفض الجنرال جلوب باشا أى محاولة لاستعادة المدينتين فيما بعد إلا إذا تدخل الجيش العراقى وحلّ بقواته محل ٣ كتائب للجيش الأردنى، وهو ما رفضه الجيش العراقى بدعوى ضعف القوات المتيسرة، وكان هذا الاختلاف فى مثل هذا الوقت هو السبب الرئيسى فى حصار قوات اللواء الرابع المشاة المصرى فى الفالوجا.

بدأت القوات الإسرائيلية يوم ١٤ يوليو ١٩٤٨ بهجوم لاستعادة المواقع التى استولى عليها الجيش المصرى ولفك الحصار عن مستعمرات النقب إلا أن الهجوم فشل تمامًا فى إحراز أى نجاح.

وفى يوم ١٧ يوليو كانت القوات الإسرائيلية قد حققت نجاحًا ضد الجبهة الأردنية، فأعادت حشد قواتها أمام الجبهة المصرية، وقامت بالهجوم على القوات المصرية؛ لاستعادة المواقع الإسرائيلية التى استولت عليها القوات المصرية شمال طريق المجدل - بيت جبرين، ثم تنفيذ اختراق عميق عند منطقة كراتيا؛ لفتح الطريق إلى مستعمرات النقب المحاصرة منذ ٣ يونيو ١٩٤٨، والتى أوشكت على الاستسلام وذلك قبل أن يحل موعد الهدنة الثانية، وتتوقف الأعمال القتالية.

وببدء الهجوم الإسرائيلى ليلة ١٧/ ١٨ يوليو نجحت القوات الإسرائيلية فى استعادة بعض المواقع، خاصة المشرفة على الطريق الرئيسى المار بين المجدل والخليل بالقرب من الفالوجا، وتمكنت من صد الهجمات المضادة المصرية، ثم بدأت الهدنة الثانية الساعة ١٧٠٠ يوم ١٨ يوليو.

ولكن العقيد سيد طه قائد اللواء الرابع المشاة المصرى والذى اشتهر باسم الضبع الأسود، أمر بإعادة احتلال سلسلة الهيئات المشرفة على المواقع الإسرائيلية، وأخذ فى تمهيد طريق تبادلى بقواته؛ ليصل المجدل بالفالوجا بعد أن سيطرت القوات الإسرائيلية على الطريق المرصوف. وعلاوة على ذلك، فقد نجحت قوات اللواء الرابع المشاة فى إغلاق الثغرة التى فتحتها الهجمات الإسرائيلية؛ لتموين مستعمرات النقب، وبدأت فى تجهيز الخط الدفاعى على أوضاعه الجديدة.

- **وبدأت الهدنة الثانية فعليًا صباح يوم ١٩ يوليو ١٩٤٨، واستمرت حتى ١٤ أكتوبر ١٩٤٨.**

*** الفترة النهائية للحرب ١٥ أكتوبر إلى ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ (الخريطة رقم ٦) :**

بحلول يوم ١٥ أكتوبر كانت القوات العربية على الجبهات الأخرى قد تم تحييدها تمامًا إما بالهزيمة أو الاتفاقات السرية، وبالتالى وجهت القيادة الإسرائيلية كل جهودها إلى الجيش المصرى؛ لتدميره بصفة نهائية.

ولأول مرة خلال هذه الحرب بدأت القوات الإسرائيلية الهجوم بتوجيه ضربة جوية مركزة صباح يوم ١٦ أكتوبر على مطار العريش ومناطق غزة والمجدل ودير

سنيد والفالوجا وأسدود، وبتدمير مطار العريش انتقلت السيادة الجوية لصالح إسرائيل.

واندفعت القوات الإسرائيلية مستغلة المفاجأة التى أحدثتها الضربة الجوية لمهاجمة المواقع المصرية فى قطاع النقب المحاصر إلى ساحل البحر؛ لتقطع طريق انسحاب القوات المصرية.

ونتيجة للنجاح المتتالى للقوات الإسرائيلية حوصرت القوات المصرية فى الفالوجا، وبصباح ١٩ أكتوبر نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على بير سبع ونتيجة تدهور الموقف تم إخلاء أسدود والمجدل من القوات المصرية فى الفترة من ٢٧ أكتوبر إلى ٥ نوفمبر.

وبذلك انتهت حلقة الحصار على مستعمرات النقب، وأصبح الطريق مفتوحًا إلى الحدود المصرية مع استمرار القوات الإسرائيلية فى حصار اللواء الرابع المشاة المصرى فى الفالوجا.

وفى ذات الوقت الذى سيطرت فيه القوات الجوية الإسرائيلية على سماء المعركة، نجحت القطع البحرية الإسرائيلية فى السيطرة على الساحل الشمالى لمنطقة القتال، بل إنها أغرقت السفينة فاروقًا أكبر قطعة بحرية فى الأسطول المصرى شمال غزة يوم ٢٢ أكتوبر.

واعتباراً من ٣١ أكتوبر ١٩٤٨ سادت الهدنة الثالثة التى قررها مجلس الأمن الساعه ١٤٠٠ يوم ٢١ أكتوبر، أى قبل إغراق السفينة فاروق.

وأصبح موقف القوات المصرية فى مسرح العمليات سيئًا للغاية، فاللواء الرابع المشاة محاصر فى الفالوجا، ويعانى من الخسائر فى الأفراد والنقص فى السلاح والذخيرة والإمدادات الإدارية، وباقى القوات المصرية المبعثرة تعانى أيضًا من الخسائر ونقص الأسلحة والذخائر، وعدم وجود المعاونة الجوية أو البحرية، والعجز الشديد فى قطع المدفعية والدبابات والأسلحة المضادة للدبابات، وازدادت الأحوال سوءًا بوجود بعض الذخائر الفاسدة والأسلحة الغير صالحة التى وصلت كإمدادات للقوات.

وفى ٧ نوفمبر ١٩٤٨ بدأ انسحاب القوات المصرية المقاتلة فى فلسطين إلى خط العوجة ـ غزة ، بعد أن رفض الملك فاروق مبدأ سحب القوات المصرية من فلسطين .

*** الهجوم الإسرائيلى على مصر ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ ـ ٧ يناير ١٩٤٩ (الخريطة رقم٧) :**

على الرغم من صعوبة موقف القوات المصرية إلا أن الحكومة المصرية رفضت إجراء مفاوضات حول الهدنة الدائمة ما لم تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خطوط الهدنة المؤقتة التى كانت قائمة قبل ١٥ أكتوبر ١٩٤٨ .

ولإجبار مصر على قبول الهدنة الدائمة قررت القيادة الإسرائيلية القيام بعملية هجومية ؛ لتصفية الموقف على الجبهة الجنوبية وطرد الجيش المصرى نهائيًا من فلسطين ، ولاشك أن الموقف السياسى والعسكرى فى المنطقة كان متاحًا لذلك فالجيوش العربية قد تمت هزيمتها بالتتالى ، وتوقفت عن القتال ، والجيش المصرى يعانى من سوء حالة المعدات والأسلحة والذخائر ونقص الأفراد والانخفاض الحاد فى الروح المعنوية .

وبعد هجوم جوى مركز ، وقصف بحرى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ بدأ الإسرائيليون بتنفيذ هجوم خداعى على محور غزة ـ رفح فى قطاع دير البلح وخان يونس ، ولمدة ثلاثة أيام متتالية نجح الإسرائيليون خلالها فى جذب الجهود المصرية إلى هذا الاتجاه .

ثم بدأ الهجوم الرئيسى ليلة ٢٥/ ٢٦ ديسمبر على محور العسلوج – العوجة وفى البداية تكبدت القوات المهاجمة خسائر كبيرة ، وفشل الهجوم مما اضطر القوات إلى إعادة الهجوم من الجنوب يوم ٢٧ ديسمبر بعد قطع طريق رفح – العوجة لمنع وصول الإمدادات من القوات التى تم جذبها إلى اتجاه الهجوم الخداعى الأول .

وفى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على منطقة أبو عجيلة داخل الأراضى المصرية ، واندفعت فى اتجاه العريش إلا أنها قوبلت بمقاومة باسلة فى منطقة بيرلحفن من كتيبة مشاة ، فاضطرت إلى الانسحاب مرة أخرى إلى «أبو عجيلة» ثم بير سبع تحت ضغط الهجمات الجوية المصرية العنيفة .

وفى الوقت نفسه فشلت الهجمات الإسرائيلية على رفح طوال الفترة ١ – ٧ يناير ١٩٤٩ .

وتحت تأثير الهجمات المتتالية للقوات الجوية المصرية ، وبفضل صمود القوات المصرية فى العريش ورفح ، ونتيجة لوساطة بعض الدول الكبرى وقرار مجلس الأمن بوقف القتال فقد توقف القتال ، وانسحبت القوات الإسرائيلية إلى الحدود المصرية الفلسطينية تقريبًا باستثناء قطاع غزة الذى ظل تحت السيطرة المصرية ، وبقى جيب الفالوجا المحاصر .

وبداية من ١٣ يناير ١٩٤٩ دخلت مصر وإسرائيل فى مفاوضات الهدنة فى جزيرة رودس إلى أن تم توقيع اتفاق الهدنة بين الطرفين فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، وبمقتضاها انتهى حصار قوات الفالوجا التى وصلت طلائعها إلى الحدود المصرية يوم ٢٦ فبراير ١٩٤٩.

الخاتمة :

من المنطقى أن يتم تحليل المعارك التى دارت والقرارات التى اتخذت ونتائجها والخروج بالدروس المستفادة فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ، ولكننى أرى أن فى هذا مضيعة للوقت ، فكيف يمكن تحليل أعمال جيوش دول تحت الاحتلال الأجنبى الذى بارك وتبنى قيام الدولة المعادية ، وبالتالى داوم على إعدادها للحرب طوال السنوات السابقة لهذه الحرب ، وفى الوقت نفسه حرص على إبقاء جيوش الدول التى يحتلها دون مستوى الأداء العسكرى الذى يمكن تقييمه ، ومع ذلك يمكن الخروج بهذه المجموعة من الدروس المستفادة :

* أظهرت حرب ١٩٤٨ أن قوة الجيوش لا تقاس بعددها وحماسها فقط ، وأن الحروب الحديثة تحتاج إلى تنظيم وتخطيط وتعاون وقادة على المستوى العلمى والخبرة المناسبة ، كما تحتاج القوات إلى التسليح الحديث والذخيرة الكافية ، والتدريب ، ناهيك عن وسائل النقل والاتصال .

* أظهرت تلك الحرب أهمية نشاط المخابرات فى الحصول على المعلومات عن

أوضاع وتسليح وقوة العدو وحالة قواته ونوايا قادته، وذلك لتوفير المعلومات الكافية لتخطيط العمليات الناجحة لهزيمة العدو.

*** من أهم ما أظهرته أحداث حرب ١٩٤٨ ، مبدأ مهم أن القائد فى ميدان المعركة هو الأقدر على تقدير موقفه وعلى القيادة العليا العسكرية والسياسية تقدير واحترام هذا المبدأ، وبذل الجهد لمعاونته على تنفيذ قراره.**

*** من أهم الدروس التى أبرزتها الحرب أن الهدنة أو قرار وقف إطلاق النار هو عمل سياسى بالدرجة الأولى، وبالتالى فهو يتصف بما تتصف به السياسة بصفة عامة من التفاوض والمراوغة والخداع واختلاق الأسباب والأعذار للتنصل من المسئوليات لكسب الوقت لتغيير ميزان القوى، وعلى القيادة السياسية أن تكون مستعدة لاستمرار القوات فى القتال لعدة ساعات أو أيام تحت أى أسباب؛ لتحقيق أوضاع عسكرية أفضل أو لاستكمال مهمة ناجحة، دون التورط فى إغضاب المجتمع الدولى ودفعه إلى توقيع العقاب أو التدخل فى الحرب إلى جانب العدو.**

* أوضحت هذه الحرب مدى قصور الرؤية بعيدة المدى للقيادة السياسية والعسكرية فى وضع التصور الصحيح؛ لتطور الحرب وعوامل التأثير المحتملة فيها، وبالتالى اتخاذ التدابير والخطط البديلة لمواجهة التغييرات المتوقعة.

إن الانتصارات التى أحرزتها القوات العربية خاصة المصرية فى بعض مراحل هذه الحرب ترجع بالدرجة الأولى إلى مجموعة الضباط والأفراد الوطنيين المتمسكين بوطنيتهم ودينهم، والذين كانوا يمثلون النواة الحقيقية لثورة يوليو ١٩٥٢ التى كانت هزيمة حرب فلسطين أكبر محرك لها.

ولاشك أن الحديث عن حرب فلسطين ١٩٤٨ التى استمرت أكثر من ٧ شهور تخللتها فترات قتال وفترات هدنة، وحفلت بالعديد من مراحل النصر والانكسار وتدخلت فيها السياسة مرات ومرات، تتطلب كتبًا كثيرة وليس بابًا من كتاب، فهى ذاخرة بالأحداث على المستوى العربى والمصرى والدولى فى واحد من أضعف عصور العرب على مر التاريخ.

الباب الثالث

حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦

الفصل الأول

التحول الثورى بقيادة جمال عبد الناصر

فى مكتبات العالم عشرات الكتب التى تحدثت عن جمال عبد الناصر، وبين الصفحات الطويلة مئات المقالات التى تناولت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وعبر العالم كله ساهمت عشرات الأقلام فى تقييم ما قدمه عبد الناصر لمصر وللعرب وللعالم.

واليوم وبعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على استشهاد الزعيم، ماذا يمكن أن يقال؟، وما هى قيمة الكلمة المطروحة ؟ فبالتأكيد ليست هى إبراز منجزاته، فالعالم كله يعرفها، وبالقطع ليست هى سيرته الذاتية، فالملايين تعلم تفاصيلها، وفوق ذلك، ليست هى تاريخ الثورة، فهذه مهمة قام ويقوم بها أكثر من مؤرخ. إذن ماذا يبقى ؟ وما هو المضمون الأساسى الذى يمكن أن نطرحه فى هذه الصفحات ؟

إن الحركة الطبيعية للتاريخ تطرح علينا قضية لها أهميتها وأولويتها وهى أن نضع أمامنا وباستمرار فلسفة هذا الرجل طوال السنوات التى قاد فيها مسيرة النضال المصرى عبر دروب مليئة بالأعداء والمصاعب.

إن دراسة فلسفة عبد الناصر التى عبر عنها خلال الأحداث الكثيرة التى تضمنها الكفاح المصرى لثورة ٢٣ يوليو، ستقودنا حتمًا إلى إدراك أن القضية كانت ويجب أن تكون دائمًا هى الإيمان بهذا الشعب وقدراته، مهما كانت الصعاب، ومهما كانت درجة الصراع.

ولذلك سأتوقف قليلاً أمام سؤال رئيسى، أين تقف فلسفة وأفكار جمال عبد الناصر، وما هى أبعادها، وهل كانت مجرد انفعالات تنتهى بانتهاء الحدث ؟ ولعل أبرز إجابة على هذا التساؤل، هوما قاله الرئيس الراحل أنور السادات فى إحدى

كتاباته عن جمال عبد الناصر، وهو الذى عاش معه فكرًا ونضالاً منذ نبتت فى ذهن الرجلين بذور الثورة، فيقول السادات: « إن عبد الناصر ليس بالرجل الذى تلهيه الأحلام عن الواقع، فلقد كان يهدف إلى القيام بثورة جذرية، ولم يكن يهدف إلى حركة عصيان ».

وهذا الذى تحدث عنه الرئيس السادات كان ظاهرة ملازمه لعبد الناصر منذ فجر تاريخه، فلقد كان وهومازال فى ريعان الشباب يفكر فى هدف أساسى، وهوتحرير مصر من الإنجليز، ولم يكن عبد الناصر من نفس النسيج الذى شهدته تلك الأيام، من الشباب الذين كانوا ينشدون الجلاء، فقد كان عبد الناصر نوعًا آخر، فبينما اكتفى الآخرون بترديد الشعارات وقذف قوات الاحتلال بالأحجار، كان جمال يدرك أن الضجيج والعنف لا يكفيان، من هنا عكف عبد الناصر يبحث مع نفسه عن الحل، بحيث أصبح بمرور الزمن وبإرادته المطلقة ذلك الشيء النادر الذى يمكن أن نسميه (الوطن المجهول)، وهكذا، برزت فلسفة عبد الناصر منذ تلك الحقبة، ففى الوقت الذى تصور فيه شباب مصر أن بريطانيا هى العدوالوحيد، كان عبد الناصر يدور مع صورة معقدة، خيوطها ليست هى فقط القوات البريطانية التى تحتل البلاد، ولكنها تتشابك أيضًا مع كثير من الغزاة الذين يطمعون فى أرض مصر عبر سنين قادمة، وتبرز هذه الفلسفة فى بداية حياة عبد الناصر العملية، ويؤكدها الرئيس الراحل السادات عندما ينقل حديثًا دار بينهما فى عام ١٩٣٨ قال فيه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر:

«يجب أن نحارب الاستعمار والنظام الملكى والإقطاع؛ لأننا خصوم الظلم والطغيان والعبودية، فكل وطنى يبغى إقامة دولة ديموقراطية قوية، وسيتم تحقيق هذه الغاية بقوة السلاح إذا لزم الأمر، وإن المهمة عاجلة وملحة؛ لأن البلاد انحدرت إلى الفوضى، إن الحرية هى حقنا الطبيعى والطريق مفتوح أمامنا، إنه طريق الثورة».

هنا نضع أيدينا على أكثر من خط فى فلسفة هذا الزعيم منذ عام ١٩٣٨ هذه الخطوط التى نتحدث عنها فى كلمات بسيطة توضح فلسفته فى عدة اتجاهات.

أولا: إيمانه المطلق بالقضاء ليس على الاستعمار فقط، ولكن على ركائزه أيضًا، المتمثلة فى الملكية، والإقطاع.

ثانيًا: قناعته الشخصية بأن الهدف ليس مجرد القضاء على الاستعمار، ولكن الهدف الأصيل هو إقامة دولة ديموقراطية قوية.

ثالثًا: إدراكه أن الحرية هى دعامة التقدم الوطنى، وأنها ضوء مهم على طريق الثورة.

هذه الأفكار لم تنبت لدى عبد الناصر من فراغ، ولكنها كانت وليدة حصيلة تأمل واسع فى تاريخ مصر، فقوة منطق عبد الناصر كانت تكمن دائمًا فى اهتمامه بالتاريخ، فقد كان يتابع تاريخ أمته بكل ما تعرضت له من فواجع منذ أيام الفراعنة، ومن أعقبهم من بطالمة ورومان وأتراك ومماليك وملوك أسرة محمد على ثم البريطانيين، لقد كانت الظروف فى كل هذه المراحل متشابهة، ما كان يتغير فقط هواسم الطاغية، وهذا ما عبر عنه عبد الناصر عندما تحدث عن عصر المماليك بقوله:

«أصبح الطغيان والظلم والخراب طابعَ الحكم فى مصر على عهدهم الذى عاشت مصر فى مجاهله قرونًا طويلة».

فى تلك الفترة تحول وطننا إلى غابة تحكمها وحوش ضارية، كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة، وكان الصراع الرهيب بينهم هو على نصيب كل منهم فى الغنيمة، وكانت أرواحنا وثرواتنا وأراضينا هى الغنيمة .

وعندما أتى يوم الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢، وانطلق صوت أنور السادات من إذاعة القاهرة يعلن قيام ثورة مصر الكبرى، كانت أول أعمال هذه الثورة، ما عبر عنه عبد الناصر قبل أربعة عشر عامًا من هذه الثورة، القضاء على الملكية والاستعمار والإقطاع؛ لتمضى فلسفة عبد الناصر تستقى مقوماتها من طبيعة الظروف الموضوعة على أرض مصر وأرض العرب وأرض العالم من حولنا ولتتجمع كلها حول بؤرة واحدة، وهى تحقيق الدور الطبيعى لشعب عانى من الظلم طويلاً.

ونجح نهج عبد الناصر عبر طرقات مختلفة، فسقطت الإمبريالية فى أكثر من

مكان، وكسرت مصر حصار السلاح، وتحققت بفضل فلسفة عبد الناصر أحلام القومية العربية والوحدة، وعندما تكالب الأعداء على هذه الوحدة جاء رفيق نضال عبد الناصر؛ ليؤكد أن فلسفة النضال واحدة، وأن الوحدة أمر قد حتمه التاريخ على الأرض العربية، فكانت دولة الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا دولة الوحدة من القاهرة إلى طرابلس.

إن الناظر عبر تاريخ الثورة المصرية يضع أمامنا عشرات من الأعمال الكبيرة التى انعكست عليها فلسفة عبد الناصر، هذه الأعمال أصبحت ملامح رئيسية فى تاريخ مصر الحديث :

* الثورة الاجتماعية والاقتصادية التى انتهت بانتهاج مصر طريق الاشتراكية العربية النابعة من ظروفنا وطبيعة مجتمعنا وإيماننا المطلق بالقيم الدينية والأخلاقية.

* تحقيق أمل مصر فى بناء السد العالى الذى يعتبر من أكبر السدود فى العالم.

* بناء مجتمع ديموقراطى مبنى على إرادة الجماهير.

* ثم إقامة جيش مصر القوى.

وهنا نحتاج إلى وقفة قصيرة، لن نتطرق فيها إلى التفاصيل، ولكنها وقفة واجبة لنطرح فيها سؤالاً مهمًا : ما هى فلسفة عبد الناصر العسكرية ؟

لاشك أن عبد الناصر كانت تخالجه منذ الصغر فكرة الانتماء إلى السلك العسكرى، وكان عبد الناصر يرى أن هذا هو الموقع الذى يمكن فيه أن يلعب دوراً يساهم به فى القضية الوطنية.

ودخل عبد الناصر إلى معترك الحياة العسكرية، شاهد الجيش المصرى فى فلسطين بطلاً، رغم ما تعرض له من أزمات، وصفقات وعاد الجيش من فلسطين مهزومًا ليكون كما كان قبل الحرب، مجرد قوات استعراض فى خدمة الملك وأتباعه.

شاهد عبد الناصر هذه الصورة، ووقف يتساءل : هل يمكن لمثل هذا الجيش أن يكون درعًا لهذه الأمة ؟ ومن هذا التساؤل بدأت أفكار عبد الناصر تتتابع ؛ لتصنع

فى النهاية فلسفة عسكرية متكاملة، وهذه الفلسفة قامت على أساس واحد هو أنه لابد لمصر من جيش قوى يحمى مكاسبها، ويدافع عنها ضد الطغاة والطامعين، جيش من أبناء هذه الأمة التى صنعت مصيرها بأيديها.

ورفض من يبيعون السلاح هذا المنطق، فكسر عبد الناصر حصار السلاح وأقام لمصر جيشها الحديث فى أصعب الظروف وأشد الأزمات، ولم تكن القوى الاستعمارية لتترك عبد الناصر يقيم مصر الحديثة هكذا؛ ليهدد مصالحها الاستعمارية فى المنطقة، فتكالبت عليه القوى مستخدمة السياسة أحيانًا والقوة العسكرية أحيانًا أخرى والحصار الاقتصادى أحيانًا ثالثة، والدسائس والفتن فى أحيان أخرى، وفى النهاية وبعد مسيرة طويلة من الصراع فى سبيل إقامة مصر الحرة القويةّ، استشهد جمال عبد الناصر فى معركته المفضلة، وهى الحفاظ على وحدة الصف العربي والدفاع عن شعب فلسطين، فكانت وفاته بعد أن ودع الملوك والرؤساء العرب عشية مؤتمر القمة العربى الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٧٠ لوقف الصراع القائم بين الأردن والفصائل الفلسطينية.

إن مسيرة جمال عبد الناصر تجسد وتوجز قضيتنا كعرب وكمصريين فى كلمات قليلة، أثبتت السنوات صعوبة تحقيقها فى الوقت الذى أثبتت فيه ضرورة تحقيقها وهى:

«الحرية، الديموقراطية، الوحدة، القوة».

* * *

الفصل الثانى

الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

كانت الفترة من توقيع اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل فى جزيرة رودس باليونان فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩، وحتى بداية حرب العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حافلة بالأحداث السياسية والتحولات الجذرية فى مواقف الأطراف بل إنها حفلت أيضًا بالأحداث العسكرية على خطوط الهدنة وداخل الأراضى الفلسطينية المحتلة.

وكما سنرى فى هذه المقدمة - الطويلة بعض الشىء - أن تلك الفترة التى تزيد عن سبع سنوات ونصف، لم تكن فترة سكون وهدوء على الحدود المصرية - الإسرائيلية ولم تكن فترة تركيز على الموقف الداخلى أوالوضع السياسى الخارجى لمصر فقط وإنما حفلت بالعديد من المعارك والصراعات والأزمات، سواء على الصعيد السياسى الخارجى أوالداخلى أوعلى الصعيد العسكرى أوعلى الصعيد الاجتماعى لمصر، وكان لهذه الفترة تداعياتها الخطيرة والمؤثرة على مسيرة مصر فى عصر ما بعد الملكية حتى يومنا هذا.

ولنبدأ من حيث انتهت حرب فلسطين ١٩٤٨، حيث كانت مصر هى أول الدول التى وقعت اتفاقية الهدنة الدائمة مع إسرائيل فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩.

فجريًا على الاستراتيجية الإسرائيلية فى عدم احترام القرارات والمعاهدات الدولية واعتبارها مجرد إطار عام يمكن دائمًا من خلاله تنفيذ الأمر الواقع بالقوة، واستنادًا إلى ما تتمتع به من حماية الدول الغربية، وفى ظل اتفاقية الهدنة السارية بين مصر وإسرائيل تقدمت القوات الإسرائيلية إلى قرية أم الرشراش الأردنية، واستولت عليها فى ١٠ مارس ١٩٤٩، ثم حولتها فيما بعد إلى ميناء إيلات.

وفى عام ١٩٥٠ قامت إسرائيل بطرد ٣٥٠٠ بدوى من منطقة العوجة المنزوعة السلاح طبقًا لاتفاقية الهدنة مع مصر، وفى سبتمبر من العام نفسه قامت قوة إسرائيلية بإنشاء مستعمرة فى نفس المكان، وعلى تل منخفض يسيطر على الطريق ثم أحكمت إسرائيل قبضتها على العوجة من خلال مناورات سياسية وعسكرية استمرت حتى ١٩٥٤ ، مستغلة الحالة السيئة للجيش المصرى بعد حرب ١٩٤٨، ثم أحداث ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ وعدم استعداد مصر للدخول فى الصراع العسكرى فى هذه الفترة، وفى ٢٨ أغسطس ١٩٥٣ أغارت قوة إسرائيلية على معسكر للاجئين الفلسطينيين فى منطقة البريج فى قطاع غزة مخلفة وراءها ٢٠ قتيلاً وأكثر من ٦٠ جريحًا معظمهم من النساء والأطفال.

ثم كان اعتزال بن جوريون رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك للحياة السياسية لمدة ١٤ شهرًا، فشهدت المنطقة هدوءًا نسبيًا على خطوط الهدنة، خاصة مع مصر فيما عدا بعض حوادث إطلاق النار بين الدوريات المصرية والإسرائيلية، بينما أغارت القوات الإسرائيلية على قرية قبية الأردنية فى ليلة ١٤/ ١٥ أكتوبر ١٩٥٣ ، وقتلت ستة وستين أردنيًا ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال، وكانت هذه الإغارة هى آخر ما أمر به بن جوريون قبل اعتزاله، وفى المقابل قام البدوبنصب كمين لأوتوبيس إسرائيلى فى النقب يوم ١٧ مارس ١٩٥٤ راح ضحيته تسعة رجال وامرأتين، وكان الرد الإسرائيلى بعد الحادث بأحد عشر يومًا فى شكل هجوم ضد قرية نحالية الأردنية حيث قتل ثمانية رجال وامرأة.

إن أعمال الاستفزاز المستمرة على الحدود المصرية وما قابلها من ردود أفعال هادئة من حكومة الثورة فى مصر - التى كانت قد دخلت فى مفاوضات الجلاء مع بريطانيا - قد شجعت إسرائيل على المزيد من أعمال جس النبض والجاسوسية، ولكنها قوبلت بمواقف حاسمة، فتم القبض على السفينة الإسرائيلية «بات جاليم» عندما حاولت عبور قناة السويس، وتم إعدام الجواسيس الذين تم القبض عليهم فى مصر، لقد كانت حكومة الثورة تسعى جاهدة إلى إنهاء الاحتلال البريطانى لمنطقة القناة، وفى سبيل ذلك مارس الضباط الذين تجرعوا مرارة الهزيمة فى فلسطين أثناء الحرب قدرًا هائلاً من ضبط النفس إزاء تلك الممارسات الإسرائيلية المستفزة على الحدود.

وعلى الجانب الآخر حاولت إسرائيل جاهدةً أن تفشل مفاوضات الجلاء، فدفعت بعدد من العملاء الذين قاموا بوضع عدد من القنابل الحارقة فى دور السينما البريطانية ومكاتب الاستعلامات الأمريكية فى القاهرة والإسكندرية، بغرض إقناع بريطانيا وأمريكا بعدم استقرار مصر وعدائها للغرب، ولكن حدث أن اشتعلت إحدى تلك القنابل فى أحد العملاء فتم القبض عليه وأرشد عن باقى العملاء الإسرائيليين فتم القبض عليهم فيما عرف فيما بعد بفضيحة " لافون " الذى استقال من وزارة الدفاع الإسرائيلية فى ٢ فبراير ١٩٥٥.

وعلى صعيد آخر داخل النسيج الاجتماعى والسياسى لمصر كانت حركة الإخوان المسلمين التى تعارض اتفاقية الجلاء، وما اشتملت عليه من تنازلات من أجل الجلاء فى مواجهه مريرة مع حكومة الثورة بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لجمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٤، مما أدى إلى إعدام عدد من زعماء الحركة فى إطار حملة واسعة تم خلالها القبض على قادتها وأعضاء جناحها العسكرى السرى.

وعلى الرغم من مقاومة إسرائيل وعدم رضا أمريكا، حاولت بريطانيا إنشاء حلف بغداد وقامت بدعم حاكمها نورى السعيد، بل إنها حاولت أن تدخل مصر فى هذا الحلف إلا أن جمال عبد الناصر رفض ذلك تمامًا، وبذلك تكون الحلف من بريطانيا وتركيا والعراق، وازداد السخط البريطانى على مصر، نتيجة فشلها فى إيقاف الحملة الدعائية المصرية على حلف بغداد، وفشل محاولات نورى السعيد لتزعم الوطن العربى.

وفى أكتوبر ١٩٥٤ رفعت القوى الوطنية فى الجزائر لواء الثورة ضد الحكم الفرنسى وأعلن جمال عبد الناصر دعم مصر للثورة الجزائرية، وفى الحقيقة إنه كان قد أمر بإرسال شحنات من الأسلحة للقوات الوطنية حتى قبل أن ترفع لواء الثورة، ثم تلا ذلك بقبول القادة الجزائريين الوطنيين كلاجئين فى القاهرة، وبالطبع كان لهذا الموقف أثره فى أن أصبحت مصر فى موقف معاد لفرنسا التى تحارب الثورة فى الجزائر.

وخلاصة القول إن السنوات التالية لحرب ١٩٤٨ وما تلاها من الهدنة قد أدت إلى تطور وتبلور الموقف الخارجى والداخلى؛ ليصبح كالآتى :

* استمرار العداء بين مصر وإسرائيل رغم دعاوى الرغبة فى السلام التى أطلقتها الحكومة الإسرائيلية أوالقيادة المصرية فى فترات مختلفة ولأسباب مختلفة.

* تعاظم حالة العداء والكراهية بين مصر من جانب وبين بريطانيا وفرنسا من جانب آخر، خاصة بعد الموقف المصرى المناصر لحركات التحرير فى المنطقة خاصة ثورة الجزائر، مما جعل شبح انهيار الهيمنة الاستعمارية للدولتين العظميين يتراءى أمام أعين قادتهما، مؤكداً قرب النهاية التى بدأت بشائرها أثناء الحرب العالمية الثانية، لولا التدخل الأمريكى فى أوروبا، والتهور الزائد للقيادة الألمانية فى التورط فى الجبهة الروسية.

* رغبة حكومة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر فى الاتجاه إلى البناء الداخلى وإصلاح الموقف الاقتصادى السيئ فى مصر مع المضى بمعدل بطىء بعض الشىء فى إعادة بناء الجيش مستغلة الهدوء النسبى على خطوط الهدنة، خاصة بعد موقفها من جماعة الإخوان المسلمين بعد حادث ميدان المنشية الشهير، ومن المعروف أن هذه الجماعة كانت تحظى بتأييد شعبى كبير؛ لكونها المناضل الأول للاحتلال البريطانى والملك، ولموقفها المساند للثورة فى بدايتها.

الظروف السياسية التى أدت إلى حرب العدوان الثلاثى على مصر:

من الشائع أن تأميم قناة السويس غداة رفض البنك الدولى تمويل مشروع السد العالى الذى كانت حكومة الثورة تبنى عليه آمالاً كبيرة فى النهضة الاقتصادية لمصر كان هوالمحرك الأساسى للحرب، ولكن الحقيقة أن الأسباب قد تراكمت قبل ذلك بكثير، ففى يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ قامت فصيلتان من جنود المظلات الإسرائيليين بشن غارة ليلية على معسكر مصرى فى قطاع غزة، ونصبت الكمائن للتعزيزات التى دفعت لنجدة المعسكر، ونجحت القوة الإسرائيلية التى دفعت بتخطيط من بن جوريون - الذى كان قد عاد من العزلة السياسية التى اختارها - نجحت القوة فى إحداث خسائر جسيمة بالمعسكر المصرى، وتركت خلفها ٣٧ فرداً بين قتيل وجريح كما دمرت عربة كانت تحمل جنوداً مصريين قادمين من دير البلح لنجدة المعسكر

المصرى، وقتلت ٢٢ جنديًا، وجرحت ١١ آخرين. وعادت القوة المعتدية عبر خطوط الهدنة تحمل قتلاها الذين بلغوا ثمانية وجرحاها الذين بلغوا ثلاثة عشر جريحًا.

لقد كانت الإغارة الإسرائيلية على غزة نقطة تحول فى توجهات القيادة المصرية وبالتالى فى ردود أفعال إسرائيل والدول الغربية وسياساتها التالية، وأصبح جمال عبد الناصر فى مأزق حرج بعد هذه الغارة، وأصبح من المستحيل أن يقنع زملاءه فى مجلس قيادة الثورة بأى تأجيل؛ لتطوير الجيش المصرى وتقويته؛ لإتاحة الفرصة للبناء الاقتصادى والاجتماعى الذى كان ينشده، خاصة أن بناء جيش وطنى قوى هو أحد مبادئ الثورة الستة التى قامت من أجلها، وأن النوايا العدوانية لإسرائيل أصبحت واضحة للعيان، وأصبح الاحتمال قائمًا فى قيام إسرائيل بهجوم شامل دون استعداد الجيش المصرى.

وفى رد فعل سريع أمرت القيادة فى مصر قواتها على الحدود بسرعة الرد بالنيران فى المواجهات التى تتم بينهما وبين الدوريات الإسرائيلية، وكان هذا القرار ضروريًا للحفاظ على الروح المعنوية للقوات بعد حادثة غزة، ولكنها لم تسع إلى هجوم انتقامى من أى مستوى حتى لا تعطى إسرائيل الفرصة للقيام بهجوم شامل ضد مصر، وهو ما وضح فى تصريحات قادة إسرائيل، وما كتب على صفحات الصحف عن لسانهم، وبدلاً من ذلك قرر جمال عبد الناصر إحياء جماعات الفدائيين وتقويتها عددًا وتسليحًا، واستخدامها للرد على الغارات الإسرائيلية بدلاً من القوات النظامية غير المستعدة بعد.

ثم بدأت القيادة المصرية فى عرض مطالب الأسلحة على الولايات المتحدة بشكل أكثر جدية وتحديدًا من المطالب العامة السابقة التى قوبلت بالرفض، بناءً على الضغط البريطانى على أمريكا، وكانت المطالب مقبولة ويتضح أن الغرض منها هو تقوية القدرات الدفاعية للجيش المصرى، ووافق الأمريكيون فى البداية، ثم عادوا ووضعوا الشروط القاسية للدفع، والتى لم يكن فى طاقة الخزينة المصرية فى هذا الوقت الوفاء بها، وفى الوقت نفسه بدأت تتكشف صفقات الأسلحة الفرنسية لإسرائيل، وإزاء هذا الوضع لم يكن أمام القيادة المصرية سوى التوجه إلى الاتحاد السوڤييتى، وفى ١٨ مايو ١٩٥٥ طلب عبد الناصر من السفير السوڤييتى الإجابة

على طلب الإمداد بالأسلحة، وجاء الرد سريعًا، ففى يوم ٢١ مايو١٩٥٥ أجاب السفير السوفييتى فى القاهرة أن القادة فى موسكوقد أعربواعن استعدادهم لإمداد مصر بالسلاح.

واستمرت القيادة المصرية فى محاولة شراء السلاح من أمريكا لمدة شهرين بعد حصولها على موافقة السوفييت، وكان سبب ذلك أن السلاح الغربى كان هوالأساس فى تسليح الجيش المصرى، ولم تكن مصر على دراية بالأسلحة الشرقية حتى ذلك الوقت، وهوأمر يضع القوات فى ظروف حرجة أثناء المرحلة الانتقالية من التسليح الغربى، وما يتبعه من عقائد قتالية إلى التسليح الشرقى، وما يتبعه من عقائد قتالية مختلفة، هذا بالإضافة إلى محاولة عبد الناصر عدم إثارة الغرب خاصة أمريكا مع بدايات الحرب الباردة والمحاولات المستمرة للاتحاد السوفييتى؛ للحصول على نصيب من السيطرة على المنطقة فى إطار السباق بينه وبين أمريكا على اجتذاب الدول إلى كلا المعسكرين.

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ أعلن رسميًّا عن اتفاق شراء السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا التى رشحتها روسيا؛ لتنفيذ الإمداد بالسلاح لأسباب سياسية وجاء الرد الإسرائيلى أثناء مفاوضات التسليح بين مصر وروسيا فى شكل زيادة وتحسين لمستوى صفقات التسليح من فرنسا، ومع ذلك حاولت مصر الإبقاء على الهدوء النسبى على خطوط الهدنة.

وفى ٢٢ أغسطس اقتحمت دورية إسرائيلية موقعًا مصريًا فى قطاع غزة واحتلته وكان الرد المصرى هوإيقاف المفاوضات بشأن الحدود مع إسرائيل، وإطلاق يد الفدائيين داخل الأرض المحتلة، وفى غضون أسبوع كانت الحصيلة خمسة قتلى عسكريين إسرائيليين وعشرة من المدنيين، وإصابة ٩ بجراح، بل إنها وصلت فى يومى ٢٩ و٣٠ أغسطس إلى ذروتها، حيث توغلت مجموعة فدائية مصرية لمسافة ٢٧ كم داخل إسرائيل، وقتلت سبعة إسرائيليين، ونسفت هوائى إرسال أحد محطات اللاسلكى، وبالطبع انتقمت إسرائيل بالإغارة ليلاً على نقطة البوليس المصرية بمنطقة خان يونس، ونسفت الحصن الذى كانوا يقيمون فيه مخلفين وراءهم

٣٩ قتيلاً من الجنود وأفراد البوليس والحرس الفلسطينى، وفى الصباح أسقطت الطائرات الإسرائيلية طائرتين مصريتين شمال غزة.

وعلى جانب آخر، وفى إطار الرد على الحملة الدعائية المصرية ضد فرنسا فى أعقاب المذبحة التى قامت بها ضد المجاهدين فى المغرب والجزائر قامت فرنسا بإيقاف تسليم ١٠٠ دبابة مزودة بمدفع ٧٥ مم إلى مصر، وضمتها إلى شحنة مماثلة كانت فى طريقها إلى إسرائيل.

إن صفقة الأسلحة الروسية الصنع التشيكية الشكل كانت البداية لسباق التسلح بين مصر وإسرائيل، والذى قررت إسرائيل خلاله أن يكون لها التفوق العسكرى على العرب إلى الأبد من خلال شراء الأسلحة المتطورة، وتطوير قدرات الصناعة الحربية فى إسرائيل.

وبالطبع استمرت إسرائيل فى سرعة استغلال الموقف قبل وصول الأسلحة الجديدة، فاستولت على بعض المرتفعات فى منطقة العوجة المسيطرة على مدخل الطريق الأوسط إلى سيناء فى ظل اتفاقية الهدنة التى جعلت هذه المنطقة منزوعة السلاح، واستمرت إسرائيل فى تعدياتها إلى أن استولت عليها كاملة، ورفضت الجلاء عنها.

وخلاصة الحديث عن التسليح والموقف على الحدود أن الموقف كان مليئًا بالأحداث الدموية والتسابق إلى شراء المزيد من الأسلحة، ومع استمرار مصر على سياستها المناهضة للاستعمار والمؤيدة لحركات التحرير، وبعد صفقة الأسلحة الروسية بدأ الشعور بضرورة إزاحة جمال عبد الناصر عن الساحة وعودة السيطرة الغربية على مصر ينمو، وفى الوقت نفسه واصل جمال العمل من أجل المستقبل الاقتصادى والاجتماعى لمصر من خلال مشروع السد العالى، ووقف البنك الدولى وأمريكا وبريطانيا وفرنسا فى وجه مصر، وانتهت المفاوضات بسحب كلّ من أمريكا وبريطانيا وفرنسا لعروضها؛ للإسهام فى تمويل مشروع السد العالى، وبالتالى رفض البنك الدولى تمويل المشروع، فكان الرد التاريخى لمصر على لسان جمال عبد الناصر الذى أعلن تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦؛ لاستخدام إيراداتها فى تمويل مشروع بناء السد العالى.

وتلاحقت الأحداث بعد ذلك، وتحولت الأفكار واللقاءات بين القادة إلى خطة منسقة لغزو مصر بواسطة بريطانيا وفرنسا على أن تقوم إسرائيل فى بداية الغزو بإثارة الاشتباك العسكرى فى سيناء وتهديد الملاحة فى قناة السويس، مما يصلح أن تتخذه الدولتان العظميان كذريعة للتدخل واحتلال منطقة القناة؛ لتأمين الملاحة فى قناة السويس، وخلال الأشهر التالية توالت اللقاءات والتنسيق والاستعداد والحشد للأساطيل البحرية وأسراب الطائرات الحربية والقوات البرية استعداداً للحملة التى ستستعيد بها إنجلترا وفرنسا هيبتهما المفقودتين فى المنطقة، وتحقق بها إسرائيل نصف حلمها فى الوصول إلى النيل.

الموقف العسكرى:

على الحدود بين مصر وإسرائيل تصاعدت الاشتباكات والأعمال الفدائية والغارات الانتقامية، ووصلت فى بعض الأحيان إلى حد الاشتباك بالمدفعية والدبابات، ثم كان إنشاء القيادة المشتركة للقوات المسلحة المصرية والسورية، والتى انضمت إليها الأردن فى أكتوبر ١٩٥٦، وهوما اعتبرته إسرائيل تطوراً خطيراً يعكس ملامح الاستعداد للهجوم عليها.

وعلى الجانب البريطانى ـ الفرنسى فقد أعلنت بريطانيا التعبئة فى الأسبوع الأول من أغسطس ١٩٥٦ بحجم وصل ١٢٥ ألف جندى من قوات الاحتياط، وقامت فرنسا بالتعبئة الجزئية، واستدعت ٥٠ ألف جندى من قوات الاحتياط.

وتم حشد القوات البريطانية ـ الفرنسية فى القواعد الجوية بقبرص ومالطة وإسرائيل أيضًا، كما قامت فرنسا بإمداد إسرائيل بالطائرات والطيارين مما أتاح لها تعبئة قواتها سراً، اعتباراً من ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦.

أما على الجانب المصرى الذى ظل يراقب ويحلل تحركات الأساطيل والأسراب فقد قررت القيادة المصرية أن التهديد الأكبر لمصر يتمثل فى العدوان المرتقب البريطانى ـ الفرنسى لذلك أمرت بتخفيض القوات من سيناء، وتركيز الجهود للدفاع عن منطقة القناة والدلتا مع تعزيزها بالمقاومة الشعبية، وأولت اهتماما خاصًا بالقوات الجوية، وقامت بتوزيعها على أكبر عدد ممكن من القواعد والمطارات الجوية.

كان الهدف العام للحملة البريطانية ـ الفرنسية ـ الإسرائيلية هوالقضاء على نظام الحكم فى مصر، وتحطيم الإرادة المصرية، وإخماد الحركات التحررية فى الوطن العربى، واستعادة السيطرة السياسية والاقتصادية عليه، ولتحقيق هذا الهدف خططت الحملة على أساس تنفيذ عمليتين هجوميتين كالآتى :

الخطة الهجومية الثانوية، وتقوم بتنفيذها إسرائيل وتهدف إلى الآتى :

* شن هجوم عسكرى فى سيناء؛ لخلق تهديد عسكرى للقناة باحتلال أهداف مجاورة لها، ومشرفة عليها.

* احتلال مضيق ثيران المسيطر على خليج العقبة والذى يهدد الملاحة إلى ميناء إيلات.

* إحداث الارتباك فى تشكيل القوات المصرية فى سيناء، وسحبها إلى عمق سيناء؛ لإضعاف الموقف الدفاعى لمصر فى منطقة القناة.

أما الخطة الهجومية الرئيسية التى تقوم بتنفيذها بريطانيا وفرنسا، فكانت تهدف إلى الآتى :

* تدمير الجيش المصرى فى سيناء والاستيلاء على منطقة القناة والقاهرة حسب الموقف

وعلى الجانب المصرى، كانت الأهداف الاستراتيجية المصرية فى بداية الحرب موجهة ضد إسرائيل، وتتلخص فى تدمير القوات الإسرائيلية فى سيناء، والقيام بأعمال تعرضيه فى اتجاه فلسطين، وقد تطورت الأهداف بعد ظهور التواطؤ الثلاثى لتكون كما يلى :

* سحب القوات المصرية سليمة من سيناء، والدفاع عن قناة السويس، ومنع العدومن الاستيلاء على مدن القناة، أوالتقدم إلى القاهرة.

* الدفاع عن الدلتا بقوات جيش التحرير الوطنى.

* الدفاع عن القاهرة.

الفصل الثالث

أحداث حرب العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦

أهداف العدوان الثلاثى على مصر وخطة الغزو:

تلاقت أهداف الدولتين العظميين إنجلترا وفرنسا مع أهداف إسرائيل فى معاداتها لنظام الحكم فى مصر، وخاصة جمال عبد الناصر، ويذهب بعض المحليين إلى الاعتقاد أن نشوب حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، كان وراءه الكره الشخصى لجمال عبد الناصر من كلّ من أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وجى موليه رئيس وزراء فرنسا وبن جوريون رئيس وزراء إسرائيل، وإن كان هذا الرأى مبالغًا فيه، إلا أنه لا يمكن نفى أن شعور الكره والرغبة فى إسقاط النظام فى مصر وإقصاء جمال عبد الناصر عن السلطة كان حقيقة لا تقبل الشك.

وفى الوقت الذى كان الهدف البريطانى الفرنسى هو القضاء على نظام الحكم فى مصر وإخضاعها مرة أخرى للسيطرة السياسية والاقتصادية للغرب، وبالتالى إخماد حركات التحرر فى الوطن العربى التى اتخذت من مصر مثالا يعتدى به وعونا دائما بالسلاح والرجال والمال والدعم السياسى والإعلامى، فقد كان لإسرائيل هدف آخر علاوة على ما كلفت به لخلق تهديد عسكرى على قناة السويس من خلال الهجوم على سيناء وجذب الجيش المصرى إليها بعيداً من القناة والدلتا والقاهرة، لقد هدفت إسرائيل من اشتراكها فى حرب العدوان الثلاثى على مصر إلى تحقيق السيطرة على مضيق ثيران المتحكم فى الطريق البحرى إلى إيلات عبر خليج العقبة من ناحية، ومن ناحية أخرى كان اشتراكها فى تدمير الجيش المصرى فى سيناء يحقق لها جزءاً كبيراً من حلمها بالوصول إلى قناة السويس، واقترابها من النيل الأمر الذى سيحقق لها السيطرة المعنوية والعسكرية على كل المنطقة.

خطة الغزو (الخريطة رقم ٨) :

وضعت خطة الغزو على أساس تنفيذ عمليتين هجوميتين متتاليتين، العملية الهجومية الأولى، وتمثل المجهود الثانوى للحرب تقوم بها إسرائيل، والعملية الهجومية الثانية، وتمثل المجهود الرئيسى للحرب تقوم بها بريطانيا وفرنسا. وتفصيلاً يمكن تلخيص خطط الهجوم كالآتى :

الهجوم الثانوى : تقوم به القوات الإسرائيلية بالهجوم على سيناء على ثلاثة محاور رئيسية :

* **المحور الأول :** محور متلا، ويبدأ الهجوم عليه بإسقاط كتيبة مظلات على المدخل الشرقى للممر، ثم يلحق بها باقى لواء المظلات المتقدم من اتجاه النقب والكونتلا، حيث يستولى على التمد ثم نخل، ثم تتقدم القوات الإسرائيلية عبر ممر متلا تحت ستر كتيبة المظلات التى تم إسقاطها بهدف الوصول إلى الهيئات المشرفة على القناة أمام منطقة السويس، وإلى مناطق الطور ثم شرم الشيخ.

* **المحور الثانى :** محور القصيمة - أبوعجيلة حيث تهاجم القوات الإسرائيلية الميكانيكية والمدرعة؛ للاستيلاء على منطقة القصيمة ثم تقاطع «أبوعجيلة» بالهجوم من الجنوب والشرق ثم تتابع التقدم فى اتجاه الإسماعيلية.

* **المحور الثالث :** وهو محور رفح - العريش حيث تهاجم القوات الإسرائيلية وتستولى على مدينة رفح، وتتابع التقدم للاستيلاء على العريش، والتعاون مع قوات محور «أبوعجيلة» بالهجوم من الشمال للجنوب، ثم تتابع التقدم إلى القناة.

الهجوم الرئيسى :

وهو الذى تنفذه القوات البريطانية والفرنسية بالغزو البحرى لمنطقة بورسعيد تحت مبرر تأمين الملاحة فى قناة السويس، وباستغلال الأساطيل البحرية وقوات المظلات والقوات الجوية كالآتى :

* بنجاح إسرائيل فى الهجوم على سيناء وتهديد الملاحة فى قناة السويس، وبعد

إنذار لمصر وإسرائيل بسحب قواتهما بعيداً عن القناة وإيقاف القتال، وهوما سيرفضه الطرفان كما هومتوقع، تقوم القوات الجوية البريطانية والفرنسية بالإغارة على المطارات والقواعد الجوية المصرية لتدمير الطائرات والمطارات كما تغير على بعض الأهداف الاقتصادية لزعزعة نظام الحكم.

* تبدأ الأساطيل البحرية بقصف بورسعيد، ثم يتم إسقاط عدة ألويه من قوات المظلات للاستيلاء على المدينة أوتأمين رأس شاطئ.

* يتم الإنزال البحرى على شواطئ بور سعيد، ويتم استكمال الاستيلاء على المدينة والتقدم جنوبًا؛ لاستكمال الاستيلاء على منطقة القناة.

* التعاون مع القوات الإسرائيلية ومعاونتها فى تدمير الجيش المصرى فى مسرح شبه جزيرة سيناء.

* التقدم فى اتجاه القاهرة طبقًا للموقف.

* تقديم المعاونة الجوية لإسرائيل فى سيناء بواسطة الطيران الفرنسى.

ولتحقيق هذه الخطط، فقد حشدت قوات العدوان الثلاثى من القوات ما يفوق حجم وتسليح القوات المصرية بمراحل، فحققت تفوقا فى القوات الجوية وصل فى المقاتلات إلى أربعة أضعاف، وفى المقاتلات القاذفة إلى ٢٥ ضعفًا، وفى القاذفات إلى أكثر من ١١ ضعفًا ما لدى القوات المصرية، أما فى القوات البحرية، فقد حققت بريطانيا وفرنسا تفوقًا ساحقًا، ففى المدمرات وصل التفوق إلى ١٠ أضعاف ما لدى القوات المصرية التى لم تكن تمتلك من البوارج والطرادات والغواصات أى قطعة ناهيك عن حاملات الطائرات.

وفى القوات البرية حققت القوات المهاجمة تفوقًا وصل إلى أكثر من ٣ أضعاف القوات المصرية فى المشاة والدبابات والمدفعية.

الأهداف المصرية والخطط الدفاعية:

كان الهدف الأساسى لمصر فى بداية الحرب هوصد القوات الإسرائيلية المهاجمة وتدميرها والتحول طبقًا للموقف إلى تنفيذ أعمال تعرضية فى اتجاه فلسطين، وتغير هذا الهدف مع اكتشاف المؤامرة بعد صدور الإنذار البريطانى - الفرنسى وأصبح الهدف هو:

* سحب الجيش المصرى من سيناء سليمًا، وتركيز الدفاع عن منطقة القناة.

* الدفاع عن الدلتا بجيش الدفاع الوطنى.

* تنظيم الدفاع عن القاهرة.

* إدارة القتال التعطيلى فى سيناء؛ لكسب الوقت لإعادة تنظيم الدفاع عن منطقة القناة من خلال مناطق دفاعية قوية ذات اكتفاء ذاتى وإدارى لإدارة الدفاع لأطول مدة ممكنة مع المحافظة على حرية التحرك بين المواقع الدفاعية.

* الدفاع عن الموانئ الرئيسية والقواعد الجوية والمطارات؛ لإتاحة الحرية لاستخدام القوات البحرية والجوية؛ لتنفيذ معاونة القوات فى سيناء، والاستعداد لتنفيذ أعمال تعرضيه ضد القوات الإسرائيلية فى سيناء طبقًا للموقف.

* الدفاع عن مدخل خليج العقبة.

لقد دفعت القوات المصرية دفعًا لدخول هذه الحرب غير المتكافئة كمًا وكيفًا من كافة النواحى، ومع ذلك فقد كانت روح ثورة ٢٣ يوليو وحماس جمال عبد الناصر فى رفض الاستسلام والإصرار على القتال دفاعًا عن مصر ومكاسب الثورة، هذا الحماس الذى انتقل عبر المؤسسات الدينية والاجتماعية والعسكرية إلى الشعب والجيش، كان كل ذلك سببًا فى تقليل حجم الهزيمة العسكرية وتحويلها إلى نصر سياسى تاريخى من خلال عدة معارك بطولية اشترك فيها الجيش والشعب فى تلاحم ناد،ر هو أحد الخصائص التاريخية للشعب المصرى العريق.

سير عمليات حرب ١٩٥٦ :

لا شك أن تخطيط الغزو البريطانى الفرنسى الإسرائيلى لمصر كان خطة عسكرية متكاملة ومنسقة جيدًا؛ لتنفيذ أهداف محددة لكل طرف فى حدود الهدف العام للغزو، ولا شك أيضًا أن القوة العسكرية الشاملة التى دفعت بها دول الغزو كانت على أعلى مستوى عددًا وعدةً وخبرةً، فإنجلترا وفرنسا اللتان انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصارهما قبل أحد عشر عامًا من الغزو قد أعادتا بناء وتحديث جيوشهما وأساطيلهما، وأصبحت لديهما خبرة العمليات الطويلة المدى المتعددة الأطراف المتسعة الأرجاء التى تستخدم فيها كافة الأسلحة والقوات.

أما إسرائيل التى خرجت منتصرة على الجيوش العربية فى حرب فلسطين قبل ثمانى سنوات من الغزو، فكانت قد طورت من تسليحها وتنظيماتها العسكرية وتطورت لديها خبرة القتال ضد الجيوش النظامية العربية فى مختلف الجبهات خاصة الجبهة المصرية.

وفى الوقت نفسه كان الجيش المصرى فى بداية إعادة تسليحه بالأسلحة الشرقية والتدريب عليها، وهوما كان قد بدأ منذ عام واحد قبل الحرب، ولم يكن الجيش المصرى قد أتم التحول من عقائد القتال الغربية إلى عقائد القتال الشرقية.

والخلاصة أن قادة الدول المعتدية قد ظنوا أن الجيش المصرى كان جاهزًا للذبح بواسطة قوات الغزو وخطتها الشاملة وعدتها القوية الحديثة واستخدامها لأحدث أساليب القتال المستنبطة والمجربة فى مسارح الحرب العالمية الثانية.

إلا أن الحملة الاستعمارية على مصر عام ١٩٥٦ لم تضع فى حساباتها الروح الوطنية والقتالية للشعب والجندى المصرى خاصة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وأغفلت أن الضباط والجنود المصريين الذين اشتركوا فى حرب ١٩٤٨، وذاقوا مرارة الحصار فى الفالوجا، قد عادوا منها ومرارة الهزيمة تملأ حلوقهم، تلك الهزيمة التى رسمت خطوطها فى لندن وباريس وواشنطن، وأعد لنجاحها فى القاهرة وعمان وبغداد، ونفذت على أرض فلسطين، كما أوردنا سابقًا.

ومن ثم لقد تحول الغزو البريطانى - الفرنسى - الإسرائيلى لمصر إلى مجموعة من المعارك المنفصلة فى صدر الحيطان والقصيمة وأبوعجيلة ورفح وبور سعيد، ولم ترقَ الحرب أبدًا إلى شكل الغزو الذى خططت له هذه الدول، وأعدت وحشدت له الأساطيل البحرية والأسراب الجوية والفرق والألوية المدرعة والميكانيكية والمظلية.

ثم كانت النهاية المهينة لهذا الغزو بانسحاب القوات الغازية من بور سعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، ومن سيناء فى مارس ١٩٥٧، وأصبح المكسب الوحيد لهذه الحرب من نصيب إسرائيل، حيث تم وضع قوات دولية فى شرم الشيخ، وأصبح مضيق ثيران مفتوحًا للسفن الإسرائيلية إلى ميناء إيلات، وظلت القناة محرمة عليها، نظرًا لاستمرار حالة الحرب مع مصر أما إنجلترا وفرنسا فقد سطرت تلك الحرب نهاية عصرهما كدولتين استعماريتين، وانتهى الأمر باستقالة رئيسى الوزراء فى كلتا الدولتين.

تطور الخطة الدفاعية المصرية عن سيناء :

الخطة الدفاعية قبل التوتر والحشد :

ارتكزت الخطة الدفاعية المصرية قبل وضوح نية الغزو البريطانى الفرنسى على أساس تركيز الدفاع على الاتجاه الشمالى (رفح - العريش) والاتجاه الأوسط (العوجة - الإسماعيلية) بالقوات المناسبة مع تخصيص الاحتياطيات القوية، وتوفير الاكتفاء الذاتى الإدارى للقوات ؛ لتمكينها من إدارة معارك دفاعية ناجحة .

أما الاتجاه الجنوبى فقد خطط الدفاع عنه بقوات محدودة ؛ لتنفيذ أعمال المراقبة والإنذار والقتال التعطيلى، واستغلال طبيعة الأرض فى منع القوات المهاجمة من التقدم عبر ممر متلا، أوفى اتجاه الحسنة بأقل حجم من القوات المشاة والدبابات وبالاعتماد على عناصر حرس الحدود والعناصر الخفيفة .

الخطة الدفاعية بعد كشف نوايا الغزو:

بعد اكتشاف نية القوات البريطانية - الفرنسية لغزو مصر من اتجاه ساحل البحر المتوسط تم تخفيف القوات من سيناء، وتركيز الدفاع عن القناة وتوفير احتياطيات قوية للدفاع عن القاهرة .

أما فى سيناء فقد تم تركيز الدفاع عن الاتجاه الأوسط مع تنظيم نطاق أمن قوى وتم تنظيم الدفاع عن الاتجاه الشمالى بأقل القوات مع الاستفادة من حقل الألغام التكتيكى، وعلى الاتجاه الجنوبى استمر الدفاع فى الاعتماد على المراقبة والإنذار وإدارة أعمال القتال التعطيلى مع التمسك بممر متلا لأطول فترة ممكنة .

أوضاع القوات المصرية فى سيناء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ :

الفرقة الثالثة المشاة تدافع عن الاتجاهين الشمالى والأوسط أى من رفح إلى القصيمة وبعمق حتى العريش - الحسنة، وهى كما نرى شريحة كبيرة على هذه القوات، وقد اتخذت الفرقة أوضاعها الدفاعية كالآتى :

* مجموعة اللواء السادس المشاة فى منطقة القصيمة و«أبوعجيلة» .

* مجموعة اللواء الخامس المشاة فى منطقة رفح.

* مجموعة اللواء الرابع المشاة، وتتمركز فى منطقة العريش مع تخصيص قوة للدفاع عن مدينة العريش.

وكلف الألاى (الفوج) الثانى سيارات حدود بتأمين منطقة الكونتلا، وتعطيل العدو أثناء تقدمه غربًا.

الخطة الهجومية الإسرائيلية العامة:

يمكن تقسيم الخطة الهجومية الإسرائيلية إلى قسمين رئيسيين؛ طبقًا لهدف الهجوم:

* الخطة الهجومية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمبرر الغزو الإنجليزى الفرنسى، وتهدف إلى توفير ذريعة التدخل لبريطانيا وفرنسا؛ لتأمين قناة السويس، وتتلخص هذه الخطة فى سرعة الوصول إلى قناة السويس عن طريق ممر متلا، وبواسطة اللواء ٢٠٢ مظلات استغلالاً لضعف تركيز الدفاع المصرى عن هذا الاتجاه.

* الخطة الهجومية التى ترتبط بالهدف الإسرائيلى، والتى تسعى إلى تدمير الجيش المصرى فى سيناء، وتتلخص فى توجيه ضربة قوية تبدأ من القصيمة فى اتجاه «أبوعجيلة» شمالاً للاستيلاء عليها، وحصر القوات المصرية فى اتجاه البحر، ثم تفتيتها بالهجوم من اتجاه رفح فى مرحلة تالية، واستكمال تدميرها بالتعاون مع القوات البحرية والجوية، وبالتالى الاستيلاء على مدينة العريش، وفتح الطريق للتقدم إلى القناة.

* استغلال نجاح القوات فى الوصول إلى شرم الشيخ بجنوب سيناء واحتلالها وفتح مضيق ثيران.

يوميات الحرب:

يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ :

* فى تمام الساعة الخامسة مساء يوم ٢٩ أكتوبر تم إسقاط كتيبة مظلات إسرائيلية فى منطقة صدر الحيطان على المدخل الشرقى لممر متلا (بطريق الخطأ)، حيث كان

المفروض أن يتم إسقاطها على المخرج الغربى للممر لسرعة الوصول إلى القناة وتهديداً الملاحة بها كما هى الخطة، إلا أن إسقاط الكتيبة شرق ممر متلا وبعيداً عن المدخل الشرقى للممر بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية فى هذا الوقت قد أدى إلى تشتتها فى الصحراء، مما أعطى الفرصة للقوات المصرية لدفع كتيبة مشاة عبرت القناة وتمكنت من الوصول إلى المخرج الشرقى للممر والدفاع عنه ببسالة، ولم تتمكن القوات الإسرائيلية من اقتحام الممر حتى نهاية اليوم التالى ٣٠ أكتوبر.

* وحاولت قيادة القوات المسلحة إقناع جمال عبد الناصر بعبور باقى اللواء خلال الليل للانضمام إلى القوات المدافعة عن ممر متلا، إلا أنه رفض ذلك؛ لما كان سيترتب عليه من إيقاف الملاحة فى القناة، وبالتالى إعطاء الذريعة لبريطانيا وفرنسا للتدخل العسكرى فى منطقة القناة، ولوكان عبد الناصر على يقين من نية الغزو لعرف أن التدخل آت لا محالة.

يوم ٣٠ أكتوبر:

* خلال ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر عبر اللواء ٢٠٢ مظلات الإسرائيلى الحدود المصرية، وتقدم فى اتجاه ممر متلا عبر مناطق التمد ونخل، حيث واجهته عناصر الألاى الثانى سيارات حدود، وأحدثت به بعض الخسائر، وعطلته عن اللحاق بالكتيبة فى الوقت المناسب التى تم إسقاطها مما أدى إلى سوء حالة هذه الكتيبة، وتمكنت القوات المصرية من تنظيم الدفاع عن ممر متلا بالكتيبة المتقدمة من اللواء، الذى تأخر عبوره إلى الصباح، حيث أصبح لقمة سائغة للطيران الفرنسى الذى كان يعمل تحت العلم الإسرائيلى، وتوالت الهجمات الجوية على اللواء فى المنطقة المفتوحة غرب الممر، فلقى خسائر كبيرة أثرت على كفاءته القتالية.

* وفى مساء هذا اليوم نجح اللواء ٢٠٢ مظلات الإسرائيلى فى الوصول إلى ممر متلا ومهاجمته بعد تزايد الخسائر، ونقص الذخيرة فى القوات المدافعة عن الممر، وبعد قتال عنيف نجح اللواء فى اختراق الدفاعات والتقدم عبر الممر مع نهاية يوم ٣٠ أكتوبر.

*** وفى تمام الساعة السادسة مساء يوم ٣٠ أكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا إنذاراً حاسماً لمصر وإسرائيل يتضمن ما يلى:**

* الوقف الفورى لكافة الأعمال الحربية البرية والجوية والبحرية .

* انسحاب القوات المصرية إلى الضفة الغربية لقناة السويس والقوات الإسرائيلية (التى لم تكن قد وصلت بعد إلى القناة) إلى مسافة ١٠ أميال شرق القناة .

* تقبل مصر الاحتلال المؤقت لبورسعيد والإسماعيلية والسويس من جانب القوات البريطانية ـ الفرنسية المشتركة ، حتى يمكن الفصل بين القوات المتحاربة ، وحماية حرية الملاحة لجميع السفن فى قناة السويس .

* منحت الدولتان مهله ١٢ ساعة فقط لقبول شروطهما ، وفى حالة عدم استجابة الحكومتين المصرية والإسرائيلية لهذه المطالب قبل انتهاء المهلة ، فسيكون للقوات المشتركة البريطانية ـ الفرنسية الحق فى القيام بأى أعمال ضرورية ؛ لتنفيذ هذه المطالب .

لقد كانت العمليات العسكرية حتى لحظة صدور الإنذار البريطانى ـ الفرنسى تدور فى إطار المعركة بين لواء مظلى إسرائيلى تسانده طائرات فرنسية تحت العلم الإسرائيلى ، وبين القوات المصرية المدافعة عن المحور الجنوبى لسيناء ، مع ثبات الدفاع على المحور الشمالى ، وحذر القيادة المصرية من تدخل الحشود البريطانية الفرنسية .

ولكن الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر ، وما اشتمل عليه من لهجة استفزازية فجة قد حول الأمر كله إلى معركة مصير ، وعاد الجميع بالذاكرة إلى أيام الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وفضائح القصر والمندوب السامى والفساد . . . . إلخ .

إن الغطرسة الاستعمارية التى أبدتها إنجلترا وفرنسا بتوجيه الإنذار لمصر وإسرائيل ، والحقيقة أنه لمصر فقط ، كانت المفجر لطاقات الشعب المصرى بأكمله ، حكومةً وشعبًا وجيشًا ، رغم التفوق المعادى والظروف السياسية والاقتصادية الحرجة .

واعتلى جمال عبد الناصر منبر الأزهر الشريف ، وأعلن رفضه للإنذار واستعداده للقتال للدفاع عن مصر حتى آخر طلقة وآخر رجل ، وانطلقت الحناجر تؤيد الزعيم ، واهتزت مصر كلها تحت هدير الجماهير ، وهى تهتف : « سنحارب ، سنحارب » .

معركة «أبوعجيلة» (الخريطة رقم ٩) :

على الاتجاه الأوسط بسيناء كانت القوات الإسرائيلية قد نجحت فى صباح ٣٠ أكتوبر فى الاستيلاء على منطقة القصيمة التى كانت تدافع عنها كتيبة من الحرس الوطنى وسرية حرس حدود، وبعد قتال عنيف ارتدت على أثره القوات المصرية فى اتجاه الغرب، وبنجاح القوات الإسرائيلية بدأت تطور هجومها فى اتجاه «أبوعجيلة» وتصدت لها عناصر اللواء السادس المشاة التى كانت تحتل منطقة أم قطف، وأحدثت بها خسائر كبيرة أجبرتها على إيقاف الهجوم والارتداد؛ لإعادة تنظيم أوضاعها والاستعداد للهجوم مرة أخرى، واستغل اللواء السادس الفرصة، وأعاد تنظيم دفاعاته وتقويتها من هذا الاتجاه، ومرة أخرى حاول العدوالهجوم على «أبوعجيلة» عبر مضيق الضيقة، ومرة ثانية تنجح القوات المصرية فى إيقاف تقدم العدووإجباره على الانسحاب نتيجة الخسائر الكبيرة، وقررت القيادة الإسرائيلية دفع اللواء العاشر المشاة؛ لمهاجمة «أبوعجيلة» من الأمام من اتجاه الشرق، وعبر فعلاً خط الحدود ليلة ٣٠ / ٣١ أكتوبر، حيث تصدت له القوات الساترة فى منطقة طارة أم بسيس على طريق العوجه - «أبوعجيلة» وأحدثت به بعض الخسائر، ونجحت فى تعطيله لفترة، ثم انسحبت عبر مكسر الفناجيل إلى مواقعها الرئيسية فى سد الرافعة ومنطقة بير أولاد على.

واستمرت قوات اللواء السادس المشاة على نجاحها الدفاعى والتمسك بمنطقة أم قطف و«أبوعجيلة» طوال يوم ٣٠ أكتوبر، وذلك على الرغم من نجاح عناصر اللواء السابع المدرع الإسرائيلى فى عبور مضيق الضيقة الذى كان قد تم نسفه إلا أن النسف لم يكن كاملاً مما مكن القوات الإسرائيلية من تمهيد الطريق وعبور المضيق خلال الليل، والسيطرة على مدخله الشمالى بصباح يوم ٣١ أكتوبر.

يوم ٣١ أكتوبر:

بدأت القوات الإسرائيلية بصباح يوم ٣١ أكتوبر فى الهجوم على «أبوعجيلة» من اتجاه الشرق باللواء العاشر المشاة، ومن الغرب باللواء السابع المدرع، ومرة أخرى تصمد قوات «أبوعجيلة» فى مواقعها الدفاعية، وتقاتل بمعاونة المدفعية منزلة خسائر كبيرة بقوات الهجوم الذى فشل فى تحقيق نجاح يذكر، وتوقف اللواء المدرع أمام

منطقة «أبوعجيلة» تحت نيران القوات المصرية، وبدأت خسائره فى التزايد مما أدى إلى قيام القيادة الإسرائيلية بتركيز الهجمات الجوية ضد قوات «أبوعجيلة» حتى تمكن اللواء من إعادة تجميع عناصره واحتلال تقاطع الطرق، وارتدت بعض القوات المصرية إلى منطقة سد الروافعة شمال غرب تقاطع «أبوعجيلة».

ثم قامت القيادة الإسرائيلية بدعم اللواء السابع المدرع بكتيبة من اللواء الرابع المشاة الذى نجح فى احتلال القصيمة، وتقدم اللواء تحت ستر المدفعية وبمعاونة هجمات القوات الجوية على الاحتياطيات المصرية المتقدمة من العريش؛ لدعم قوات «أبوعجيلة»، وعند وصول اللواء إلى قرب المواقع المصرية فتحت عليه النيران الكثيفة من منطقة سد الروافعه محدثة به خسائر كبيرة أدت إلى فشل الهجوم، وارتد اللواء غربًا.

ومرة أخرى حاول اللواء الهجوم على الدفاعات المصرية إلا أنها واجهته بنيران أمامية كثيفة أحدثت به خسائر كبيرةً، ومع محاولته التقدم تم تدمير معظم الدبابات الإسرائيلية، ونفدت الذخيرة مما تبقى، واضطرت الأطقم إلى القتال بالأسلحة الشخصية والقنابل اليدوية.

وفى الوقت نفسه كانت ذخيرة القوات المدافعة قد أشرفت على النفاذ، وتم للعدواحتلال منطقة سد الروافعة، ونفذت التعزيزات المصرية القادمة من العريش هجومًا مضادًا؛ لاستعادة الموقع إلا أنه جاء متأخرًا بعد أن استعوضت الدبابات الإسرائيلية، الوقود والذخيرة، ففشل الهجوم المضاد، وارتدت القوات المصرية مرة أخرى إلى العريش.

ومع استمرار ثبات قوات أم قطف قررت القيادة الإسرائيلية مهاجمتها باللواء السابع المدرع واللواء ٣٧ المدرع الإسرائيلى احتياطى المنطقة الجنوبية، وخطط الهجوم ليكون بتنفيذ ضربات متلاقية من ستة اتجاهات فى وقت واحد، ومرة أخرى تصمد قوات اللواء السادس المشاة، وتنجح فى صد الهجمات واحدة تلوالأخرى بل وتنفذ الهجمات المضادة لاستعادة المواقع التى يتم اختراقها أثناء الصد ومنيت القوات الإسرائيلية بخسائر فادحة، وقتل قائد اللواء ٣٧ المدرع الإسرائيلى فى هذا الهجوم على منطقة أم قطف، وانسحبت القوات الإسرائيلية مرة أخرى.

وفى تمام الساعة السابعة من مساء يوم ٣١ أكتوبر بدأ الطيران البريطانى الفرنسى فى قصف القواعد الجوية والمطارات الحربية، وحتى مطار القاهرة، وواصل قصفها طوال الليل مع إسقاط نسبة من القنابل الزمنية؛ لمنع إصلاح الممرات حتى الصباح حيث كرر الضربات الجوية لتدمير الطائرات والمنشآت وممرات الهبوط والإقلاع .

يوم ١ نوفمبر:

كان الموقف فى منطقة أم قطف سيئًا من الناحية الإدارية والقوات الإسرائيلية تحيط بالموقع من كل جانب، والقوات الجوية تواصل قصفها بعنف لتلك القوات الصامدة التى تتمسك بالموقع الدفاعى طوال الفترة الماضية .

وبصدور الأوامر بانسحاب القوات من أم قطف بعد أن نفذت مهمتها فى ستر انسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى منطقة القناة، قامت القوات بتدمير وإتلاف الأسلحة الثقيلة، وانسحبت فى اتجاه العريش التى كانت قد سقطت فى اليوم السابق فواصلت القوات الانسحاب غربًا سيرًا على الأقدام، حتى وصلت القناة بعد ١٥ يومًا .

وفى الوقت نفسه كانت إسرائيل قد أتمت الإعداد للهجوم الأخير على أم قطف بعد تمهيد نيرانى عنيف بالمدفعية والطيران الإسرائيلى، ودخلت المدرعات الإسرائيلية الموقع المنيع أخيرًا، فلم تجد فيه سوى بعض الجرحى والأسرى، وكان ذلك الساعة ١٢٠٠ يوم ٢ نوفمبر .

إن معركة «أبوعجيلة» التى تعتبر علامة من علامات حرب ١٩٥٦ ، والتى دارت بين حوالى لواء مشاة وأورطه دبابات وبطارية أواثنين مدفعية وبين حوالى ٤ لواءات مدرعة ومشاة إسرائيلية، تدعمها أعداد كبيرة من المدفعية والطائرات، والتى تمكنت فيها القوة المصرية من الصمود ٨٤ ساعة كاملة، نجح خلالها الجيش المصرى فى سحب معظم قواته من الاتجاه الشمالى إلى منطقة القناة، قد عكست الروح الوطنية والقتالية المصرية التى ميزت حرب ١٩٥٦ .

وقد شهد العدو قبل الصديق بأداء قوات «أبوعجيلة» فيقول موشى ديان فى كتابه يوميات معركة سيناء : « إن موقع أم كتاف (أم قطف) وأم شيحان، أوكما يطلق

عليها المصريون خط «أبوعجيلة» هما المنطقة التى حاربت فيهما القوات المصرية بحالة جيدةً جداً، وحاربت فيهما قواتنا بحاله رديئةً جداً».

معركة رفح :

دارت معركة رفح على الاتجاه الشمالى لسيناء فى المدة ٣١ أكتوبر - ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، وقد دفعت إسرائيل للهجوم على رفح قوة تقدر بلواء مشاة ولواء مدرع مدعمة بالمدفعية مع تواجد احتياطيات على مستويات مختلفة تقدر بأربعة ألويه مشاة، وكانت القوات المصرية تتكون من اللواء الخامس مشاة، ومعه كتيبة دبابات وكتيبة من حرس حدود فلسطين وحوالى لواء مدفعية ميدان وبعض العناصر الأخرى المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، وعناصر حرس الحدود والمهندسين العسكريين.

وتلخصت خطة الدفاع عن رفح فى الآتى :

* تنظيم نطاق إنذار على الحدود الدولية بالاستفادة من حقل الألغام التكتيكى لمراقبة العدووالإنذار بتقدمه، وإدارة القتال التعطيلى لأطوال فترة ممكنة.

* ينظم الدفاع الرئيسى عن منطقة رفح للتمسك بها، ومنع العدومن الاستيلاء عليها سواء من الشرق أوالجنوب.

* الاحتفاظ باحتياطى خفيف الحركة غرب رفح؛ لتنفيذ الهجوم المضاد المحلى والقضاء على أى قوات تتقدم على طريق العوجة - رفح وتدمير القوات المسقطة جواً أوالمتسللة بحراً.

وتعتبر خطة الدفاع عن العريش استكمالاً لخطة الدفاع عن المحور الشمالى وتتلخص فى الآتى :

تعمل مجموعة اللواء الرابع المشاة المدعمة كاحتياطى للفرقة الثالثة المشاة المكلفة بالدفاع عن المحور الشمالى والأوسط؛ لتنفيذ المهام الآتية :

* شن الهجمات المضادة لاستعادة منطقة رفح أوشن الهجمات على قواعد العدوالتى يهاجم منها رفح؛ لتخفيف الضغط على قوات رفح .

* منع تقدم العدوفى اتجاه العريش من الشرق أوالجنوب، والقضاء على قوات الإبرار الجوى والبحرى .

* الدفاع عن منطقة العريش وتأمين منطقة الشيخ زويد بقوة كتيبة مشاة مدعمة على الأقل .

وعلى الجانب الإسرائيلى تلخصت الخطة الهجومية فى الآتى :

* تنفيذ هجوم صامت من جنوب رفح لاختراق حقل الألغام التكتيكى والوصول إلى طريق العوجة - رفح، وفتح الطريق أمام القوات المدرعة للوصول إلى تقاطع الطرق غرب رفح لخلخلة الدفاعات، ومنع الاحتياطيات من التدخل فى معركة رفح الرئيسية .

* مهاجمة دفاعات رفح الرئيسية من اتجاه الشرق والاستيلاء عليها، والوصول إلى تقاطع الطرق التى تمر بها للتقابل مع القوات المدرعة القادمة من اتجاه العوجة .

* الانطلاق إلى العريش ومهاجمتها من الشرق والاستيلاء عليها بالتعاون مع القوات القادمة من اتجاه «أبوعجيلة» التى تهاجم العريش من اتجاه الجنوب .

* تكون القوات الإسرائيلية المدرعة مستعدة للدفع فى أكثر الطرق نجاحًا .

سير القتال فى معركة رفح :

* بعد آخر ضوء يوم ٣١ أكتوبر بدأت القوات الإسرائيلية المكلفة بالهجوم الصامت فى التقدم، ووصلت إلى حقل الألغام، وبدأت عناصر المهندسين فى فتح الثغرات، إلا أن عناصر نطاق الإنذار اكتشفتها وفاجأتها بنيران كثيفة محدثة فيها خسائر كبيرة، مما اضطر العدوإلى إيقاف الهجوم مؤقتًا وتأجيله؛ لكى يتم فى توقيت الهجوم الرئيسى على رفح حتى يتم تخفيف الضغط على القوات المهاجمة من الجنوب .

* قرر قائد المجموعة ٧٧ عمليات الإسرائيلية تغيير خطة الهجوم بناءً على فشل الهجوم الصامت، فقام بتدعيم قوات الهجوم على رفح بلواء مدرع عدا كتيبة مما أحدث تفوقًا ساحقًا على القوات المدافعة عن رفح والتى كانت مشكلة من كتيبة مشاة مدعمة تدافع على مواجهة تبلغ ٧ كيلومتر للدفاع عن رفح من اتجاه الشرق والجنوب الشرقى.

* وبدأ الهجوم الرئيسى على رفح فى الساعة الثامنة من مساء ٣١ أكتوبر، وهو الوقت الذى بدأت فيه الضربات الجوية الإنجليزية - الفرنسية ضد القواعد الجوية والمطارات المصرية. وفى العاشرة مساءً صدر قرار القيادة العامة للقوات المسلحة بتوحيد الجبهة وانسحاب القوات من سيناء؛ لتنظيم الدفاع عن قناة السويس، وبلغت هذه الأوامر لقوات رفح والعريش التى كانت مشتبكة فعلاً مع العدو، فطلبت قادتها التصديق بتأجيل الانسحاب، ووافقت القيادة فى القاهرة على ذلك.

* وبدأت القوات الإسرائيلية هجومها على رفح بتمهيد نيرانى مركز بواسطة المدفعية والقوات البحرية والجوية، وبدأ الهجوم الرئيسى على قوات رفح التى كانت قد أعادت تنظيم دفاعاتها بالقوات المحدودة المتيسرة مما ترتب عليه تخفيف القوات فى الجنوب، وبالتالى تمكنت القوات الإسرائيلية التى فشلت فى الهجوم الصامت من فتح الثغرات، واندفعت إلى داخل حقل الألغام، ونجحت فى الوصول إلى تقاطع الطرق جنوب غرب رفح، واستولت عليه فى صباح يوم ١ نوفمبر.

* ومع بدء الهجوم الرئيسى، ووضوح عدم قدرة القوات المصرية المدافعة على التمسك بمواقعها صدر أمر الانسحاب إلى العريش، وبدأت القوات فى التجمع للانسحاب تحت ستر كتيبة من حرس حدود فلسطين التى نجحت فى التمسك بمواقعها، وفى الوقت نفسه نجحت القوات فى صد الهجوم لفترة، وأحدثت خسائر كبيرة فى القوات المهاجمة، ثم تخلصت من المعركة، وبدأت الانسحاب إلى العريش تحت نيران القوات الجوية والمدفعية الإسرائيلية، ووصلت طلائع هذه القوات إلى العريش الساعه ٩٣٠ يوم ١ نوفمبر.

* إن معركة رفح من المعارك التى أبلت فيها القوات المصرية المحدودة بلاءً حسنًا فى مواجهة قوة متفوقة من المشاة والمدرعات التى تعاونها المدفعية والقوات البحرية

والقوات الجوية، ولولا قرار الانسحاب من سيناء لتجنب الفخ الاستعماري، لكان لهذه القوات وباقى اللواء الخامس المشاة والفرقة الثالثة المشاة فى العريش كلمتها الحاسمة فى المعركة، مستمدة قوتها من إيمانها الوطنى والدينى وروح التحدى والصمود التى ميزت القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى فى هذه الحرب .

معركة بورسعيد :

إن معركة بور سعيد هى فى الحقيقة ملحمة وطنية امتزجت فيها كل القوى على أرض مدينة بورسعيد من شعب وشرطة وجيش، واشترك النساء والرجال والأطفال فى المقاومة والقتال دفاعًا عن حريتهم وكرامتهم ووطنهم، ولا يتسع المجال هنا لذكر ما تم من بطولات وتضحيات فى هذه الملحمة، ولكننا سنلخصها من وجهة نظر الأحداث فيما يلى :

* اعتبارا من يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وبعد عدة أيام من القصف الجوى والبحرى على المدينة تم إسقاط قوات المظلات البريطانية فى مطار الجميل، وقوات المظلات الفرنسية فى منطقة بور فؤاد شرق بورسعيد ومنطقة الرسوة جنوب بور سعيد للاستيلاء على محطة المياه العذبة للمدينة .

* وتبع ذلك الإنزال البحرى على بورسعيد وبور فؤاد؛ لتكوين رأس شاطئ قوى تنطلق منه قوات المظلات إلى اتجاه القنطرة شرق القناة والإسماعيلية غرب القناة، ثم تواصل الانطلاق إلى السويس؛ لاستكمال السيطرة على القناة .

* ولكن المهمة لم تكن سهلة سواءً داخل المدينة أوخارج المدينة؛ فقد تلاحمت القوات المسلحة مع أفراد الشعب فى إنزال الخسائر تلوالأخرى بالقوات الغازية، كما صمدت القوات جنوب بورسعيد، وكان أقصى ما استطاعت أن تصل إلية قوات بريطانيا العظمى هومنطقة الكاب جنوب بورسعيد وشمال القنطرة بنحو ٣٠ كيلومتر .

* ورغم استيلاء قوات الغزوعلى بورسعيد وبورفؤاد إلا أن المقاومة الشعبية ظلت تقاتل فى مواجهة قوات الاحتلال حتى انسحبت فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .

وفى سيناء : توقف القتال فى منتصف ليله ٧ نوفمبر، وكانت إسرائيل قد احتلت كل شبه جزيرة سيناء، ولم تنسحب منها إلا فى مارس ١٩٥٧، وحلت قوات الطوارئ الدولية محلها فى شرم الشيخ وعلى طول الحدود الدولية حتى رفح وفى قطاع غزة.

ولاشك أن الموقف الأمريكى والإنذار السوفييتى لقوات الغزوبالتوقف عن القتال كان له أثر كبير فى إيقاف هذه الحملة الاستعمارية الحاقدة، والتى كانت آخر الحملات الاستعمارية التى قامت بها بريطانيا أوفرنسا فى التاريخ.

الخلاصة :

لقد أبرزت حرب العدوان الثلاثى على مصر عدة مسائل مهمة نلخصها فيما يلى :

* فشلت بريطانيا وفرنسا فى تحقيق أهدافهما من الغزو؛ لسببين أساسيين : الأول كان عدم التقدير الجيد لروح المقاتل المصرى قيادةً وشعبًا وجيشًا، والسبب الثانى هوعدم التنسيق المسبق مع أمريكا التى أعلنت غضبها من الحملة وأنذرت الدولتين وهوما فعلته روسيا أيضًا، واضطرت الدولتان إلى الانسحاب من بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦.

* فشلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى تدمير الجيش المصرى الذى استطاعت القيادة المصرية إنقاذه من الفخ بقرار تخفيف القوات فى سيناء، ثم بقرار الانسحاب منها تحت ستر قوات قاتلت كأفضل ما يقاتل المحترفون دفاعًا وهجومًا ثم انسحابًا بعد تنفيذ المهام، لقد كان قرار الانسحاب من سيناء عبقريًا فى ظل الظروف التى أحاطت بالجيش فى تلك الحرب غير المتكافئة.

* نجحت إسرائيل فى تأمين حرية الملاحة فى خليج العقبة عبر مضيق ثيران إلى ميناء إيلات الإسرائيلى، وذلك بعد أن تمركزت قوات طوارئ دولية فى شرم الشيخ.

* كان لحرب ١٩٥٦ أثر كبير فى ارتباط الجيش والشعب المصريين بالقيادة السياسية والعسكرية التى قادت تلك الحرب التى خرجت منها مصر منتصرة سياسيًا رغم الهزيمة المحدودة عسكريًا، وصفة المحدودة هنا؛ لكون التخلى عن الأرض قد تم فى مقابل المحافظة على قوة الجيش ومنع تدميره، وهوقرار مشروع سياسيًا وعسكريًا على المستويات المختلفة.

* خرجت مصر وقيادتها من حرب ١٩٥٦ أقوى مما دخلتها، وزاد الارتباط بينها وبين الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية ـ آنذاك ـ فى التسليح والتدريب، بل تخطى ذلك إلى القناعة السياسية بالأسلوب الاشتراكى كنظام اقتصادى.

* وفى رأيى الشخصى أن المعارك التى تمت فى حرب ١٩٥٦ كانت هى المرة الأخيرة التى تستخدم فيها أساليب القتال الغربية بمسمياتها المعروفة كالقوة الساترة وتغيير مواجهة الدفاع، ومهاجمة قواعد الهجوم، والقتال التعطيلى لفترة محددة والارتداد والتخلى عن الأرض فى مقابل المحافظة على القوات أوكسب الوقت.. الخ، تلك الأساليب التى عندما امتزجت مع الروح الوطنية والدينية والقتالية للجندى المصرى الذى أمسك فى يده بعض الأسلحة الحديثة من الشحنات الأولى من صفقة الأسلحة التشيكية، كانت نتائج القتال كما شاهدناها فى صدر الحيطان، و«أبوعجيلة» ورفح، وبورسعيد.

*** أبرزت تلك الحرب مرة أخرى تأثير القرار السياسى على القرار العسكرى حيث كان تأخير عبور اللواء الثانى المشاة إلى شرق القناة؛ لعدم تعطيل الملاحة أثناء الليل سببًا فى تعرضه لغارات الطيران الفرنسى المعاون للقوات الإسرائيلية، وبالتالى فشل اللواء فى استغلال نجاح إحدى كتائبه فى صد العدو فى صدر الحيطان مساء اليوم السابق.**

واعتبارًا من عام ١٩٥٩ وبعد بدء عودة المبعوثين إلى الاتحاد السوفييتى وترجمة المراجع والعقائد الشرقية، بدأ كل ذلك فى التغير، وبدأ الطريق إلى الجولة التالية.

* * *

الباب الرابع

حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

الفصل الأول

الموقف السياسى والعسكرى قبل نشوب الحرب

إن الحديث عن الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة فى صيف ١٩٦٧ ، أو ما أسميناه فى وقتها بالنكسة يستدعى إلىّ نفس الإحساس بالمرارة والغضب مما حدث فى تلك الأيام السوداء فى تاريخ مصر بصفة عامة وتاريخها العسكرى على وجه الخصوص، ويود الإنسان لو يستطيع أن ينسى تلك الأيام، ولكن هيهات أن ننسى أقسى تجربة مر بها الجيش والشعب المصرى، ومع ذلك ورغم المرارة التى أشعر بها وأنا أكتب عن أحداث هذه الفترة إلا أننى كمن يعطى دواءً مرًا للعلاج أو الوقاية من مرض خطير، فتجربة يونيو ١٩٦٧ يجب أن تكون ماثلة أمامنا جميعًا على الدوام، فهى تعطى المثال الصريح عما يمكن أن يحدثه الإهمال والتخبط والقرارات العشوائية.

إن الهزيمة التى تلقتها الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨ كان لها ما يبررها كما قلت، واحتلال إسرائيل لسيناء فى حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كان فى الحقيقة قرارًا سياسيًا وعسكريًا حكيمًا، تنازلت فيه القيادة عن الأرض فى المعركة ضد إسرائيل، فى سبيل المحافظة على الجيش والسيادة على قناة السويس وربما استقلال مصر فى مواجهة جيوش وأساطيل دولتين عظميين، هما إنجلترا وفرنسا، وكانت بداية العمل السياسى الناجح الذى تمكنت به القيادة السياسية من تحويل الهزيمة العسكرية إلى نصر سياسى.

أما هزيمة ١٩٦٧ فقد جاءت بلا مبرر، وعلى عكس آمال الشعب المصرى والشعوب العربية، ففى عام ١٩٦٧ كانت القيادة وطنية، والجيش كبير العدد جيد التسليح، وهو ما افتقدناه فى حربى ١٩٤٨ و١٩٥٦ ، إذن ما الذى حدث، وأدى إلى هذه البقعة السوداء فى التاريخ العسكرى للجيش المصرى ؟

هذا ما سوف أحاول أن أصل إليه فى الصفحات التالية التى تتحدث عن حرب ١٩٦٧ بحلوها ومرها، بما يعرفه الجميع، وما كتب فى الصحف والكتب، وما لا يعرفه أحد، ولم يناقش، أو يكتب عنه، أو يأخذ حقه من التوضيح فى وسط سحابات الدخان وأصوات الغضب التى لم تر إلا النهاية الحزينة للجيش المصرى الذى استغرق إعداد وتدريبه أحد عشر عامًا متصلة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧.

التطورات والأحداث فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧:

مما لاشك فيه أن حكومة الثورة بقيادة جمال عبد الناصر قد أدارت أزمة السويس (حرب العدوان الثلاثى) منذ بداية ظهور بوادرها، وحتى نهاية جميع آثارها بتوفيق كبير يصل إلى حد المعجزة فى ظل حداثة عهد جمال عبد الناصر ورفاقه فى الحكومة بإدارة العمل السياسى والعسكرى على هذا المستوى.

ومما لاشك فيه أيضًا أن النجاح الذى أحرزته حكومة الثورة فى إدارة الأزمة فى عام ١٩٥٦ قد وضع مصر وعبد الناصر فى موقف القائد والبطل القومى، وهو ما أحسن عبد الناصر استغلاله، ودعم موقفه عربيًا وعالميًا خاصة فى مجموعة دول عدم الانحياز، وفى العلاقة مع الكتلة الشرقية (فى ذلك الوقت). ورغم محاولاته الإبقاء على علاقات جيدة مع الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الاتجاه المصرى إلى الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية لتدبير السلاح والتدريب كان عائقًا لنجاح الجهود التى بذلت فى هذا الشان.

وجاءت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ تتويجًا للنجاح المصرى فى العمل القومى العربى، وأصبحت مصر قائدة الأمة العربية، وأصبح جمال عبد الناصر هو بطل الأمة العربية وقائدها، بل إنه أصبح واحدًا من أبرز زعماء حركة عدم الانحياز مع الرئيس الهندى نهرو والرئيس اليوغسلافى تيتو، وأصبحت مصر رائدة من رواد الدعوة إلى عدم الانحياز والتحرر من التبعية، واستقلال الشعوب وسيادتها على أراضيها ومصائرها.

ولم تكن الأجواء العربية مؤهلة جميعها لاستيعاب هذه التوجهات خاصة النظم الملكية التى كانت ترى فى جمال عبد الناصر وآرائه التحررية الاشتراكية رسالة

خطيرة موجهة إلى شعوبها، ومن ثم تعاملت تلك النظم بحذر مع التوجهات المصرية بزعامة جمال عبد الناصر، كما أن النظم التى تعتمد فى قيامها واقتصادها على المعونة الأجنبية أو الدعم والحماية الغربية لم تستطع أيضًا أن تستوعب بسهولة نفس التوجهات.

وتطلع العالم الغربى إلى مصر والوطن العربى بقلق طوال الفترة من نهاية حرب ١٩٥٦، وحتى الانفصال مع سوريا فى ١٩٦١، ولم تنحسر نظرة القلق إلا مع بداية تورط مصر فى اليمن فى ١٩٦٢ لدعم الثورة اليمنية، وتدهور العلاقات مع العديد من النظم العربية، خاصة النظم الملكية كما فى السعودية والأردن، والنظم الحزبية كما فى العراق وسوريا، والنظم ذات الميول الغربية، كما كان فى لبنان إلى الشكوى للجامعة العربية وحتى لمجلس الأمن ممَّا أسموه بالتدخل المصرى فى الشئون الداخلية للبلاد من خلال دعمها للجماعات الناصرية أو المتشبعة بالفكر الناصرى، بل إن الأمر قد تعدى ذلك إلى طلب الحماية من الدول الغربية، فنزلت القوات البريطانية؛ لحماية الملك حسين فى الأردن، ونزلت القوات الأمريكية لحماية الرئيس كميل شمعون فى لبنان.

وحتى سوريا قدمت شكوى لجامعة الدول العربية من تدخل مصر فى شئونها الداخلية، وعلى صعيد الجزيرة العربية تفاقمت الخلافات مع السعودية حتى وصلت إلى ذروتها بالتدخل العسكرى المصرى فى اليمن؛ لحماية ودعم الثورة اليمنية على نظام الإمامة، وهو ما اعتبرته السعودية موجهًا ضدها، ومن ثم احتضنت ودعمت جيش الإمام ضد جيش الثورة المدعم بالجيش المصرى.

وخلاصة القول إن تلك الفترة قد شهدت نزاعًا على الزعامة بين مصر والأنظمة العربية ذات القوة كالسعودية والعراق وسوريا مما أحدث شروخًا فى النسيج السياسى للوطن العربى، زادها عمقًا التوجهات الشخصية والحزبية والمصالح المشتركة أو المتعارضة .

ولم يكن من السهل علي جمال عبد الناصر الذى ذاق طعم النجاح والزعامة فى نهاية الخمسينيات أن يتقبل انكسار الانفصال مع سوريا ووقوف الأردن ولبنان وسوريا ضد الفكر الناصرى، فبدأت الحروب الإعلامية التى زادت الشروخ اتساعًا.

وكان للتورط المصرى فى اليمن أثر كبير على كفاءة الجيش المصرى، وكما شاهدت بنفسى فى زيارة لليمن لمدة ١٠ أيام، فقد أثرت طبيعة الحرب فى المناطق الجبلية ضد مجموعات صغيرة من المنشقين (الملكيين)على تدريب الجيش وتجهيزه لإدارة العمليات الكبيرة على مسارح العمليات الواسعة، كما عودت الوحدات والقادة على عمليات دفاعية طويلة فى انتظار إغارة أو هجوم مفاجىء بمجموعات غير تقليدية عبر الجبال أو عمليات هجومية متفوقة يتم فيها اكتساح القرى المسئولة عن الغارات أو مواقع القوات الملكية الضعيفة، مما أعطى انتصارات زائفة لفرق القوة والتسليح ،وبالتالى استهلكت العمليات فى اليمن جزءاً كبيراً من الميزانية التى كانت مخصصة للجيش بدلاً من أن توجه إلى رفع مستوى التسليح والتدريب وتجهيز مسرح الحرب الحقيقية فى سيناء للجولات القادمة مع العدو التقليدى فى ذلك الوقت: إسرائيل.

وعلى الجانب الآخر فى إسرائيل:

فإنها لم تقنع بما خرجت به من مكاسب فى حرب ١٩٥٦ فإذا كان تمركز قوات الطوارئ الدولية فى شرم الشيخ قد ضمن للسفن الإسرائيلية الملاحة الحرة عبر مضيق ثيران على مدخل خليج العقبة إلى ميناء إيلات، وهو الميناء الإسرائيلى الوحيد على البحر الأحمر، إلا أن الملاحة عبر قناة السويس كانت لاتزال فى حكم المستحيل، كما كان الموقف العربى حولها مازال يضمر لها العداء، وفى الوقت الذى بدأ الجيش المصرى فى تطوير قوته وقدرته برزت الخلافات العربية وتعمقت، وانتهزت إسرائيل الفرصة وبدأت فى مشروع تحويل نهر الأردن، وبالطبع اجتمع القادة العرب وقرروا تحويل اثنين من روافد نهر الأردن إلى نهر الليطانى ونهر اليرموك، كما قرروا وضع قوات عربية تحت ما سمى بالقيادة العربية الموحدة.

إلا أن إسرائيل استمرت فى مشروعها واجتمع القادة العرب مرة أخرى لاتخاذ قرارات بسرعة تنفيذ قرار التحويل السابق، ولكن نظراً للتناقضات والخلافات العربية لم يكن لهذه القرارات التأثير المطلوب كما لم يتم التنفيذ بالمعدل المناسب.

وكان من أهم الدروس المستفادة التى خرجت بها إسرائيل من حرب ١٩٥٦ أنها

يجب أن تعتمد على قوتها فى شن الحرب على الدول العربية، ولا يجب أن تتحالف مع الدول الكبرى فى العمليات العسكرية حتى لا تظهر فى صورة الذيل، وفى الوقت نفسه لا تضطر إلى الالتزام بما تلتزم به الدول الكبرى من قرارات المجتمع الدولى.

ولم تمر الشهور التى أمضتها القوات الإسرائيلية فى سيناء عشية حرب ١٩٥٦ وحتى الانسحاب منها فى مارس ١٩٥٧ هباءً، بل إنها استغلتها لإجراء العديد من الدراسات والاستطلاعات الجادة لمسرح العمليات، ووصلت إلى نتائج عديدة قامت بدمجها مع خبرتها فى الحرب ضد القوات المصرية، فأصبح لديها أسلوب ومفاهيم قتال واضحة وعملية عن كيفية هزيمة الجيش المصرى فى سيناء.

وبالتالى انصبت الجهود الإسرائيلية فى الفترة نفسها على تقوية الجيش الإسرائيلى كمًا ونوعًا وتحويله إلى جيش متحرك أساسه القوات المدرعة والميكانيكية، كما وجهت اهتمامًا خاصًا إلى قواتها الجوية فدعمتها بالطائرات الحديثة ذات المدى البعيد والحمولة الكبيرة من التسليح.

وازدادت العلاقات الإسرائيلية الأمريكية قوةً ورسوخًا، وأصبحت أمريكا بمثابة الحليف الدائم لإسرائيل، والمورد الأكبر لأسلحة القوات البرية والطائرات الحربية.

وخلال تلك الفترة لم تتوقف المصادمات عبر الحدود والإغارات الفدائية من جماعة فتح الفلسطينية، والإغارات الانتقامية من الجانب الإسرائيلى ضد الأردن وسوريا ولبنان الذين لم يجدوا بدًا من مطاردة الفدائيين والقبض عليهم؛ ليتجنبوا الاعتداءات الإسرائيلية.

وكان من أشهر غارات إسرائيل تلك الغارة التى نفذتها على قرية السموع الأردنية فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٦، وفى ٧ أبريل ١٩٦٧ قامت الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على ضواحى دمشق ردًا على فتح المدفعية السورية النيران على سكان المستعمرات أثناء قيامهم بجنى المحصول.

وكانت الإغارة على ضواحى دمشق، ثم المعركة الجوية مع الطائرات السورية

ليلاً بداية لمرحلة التوتر التى انتهت بحرب ١٩٦٧ ، ويعتقد البعض أن يوم ٧ أبريل كان اختباراً إسرائيليّاً لقوة الدفاعات الجوية والطيران السورى الذى فقد ٦ طائرات فى المعركة، ورسب فى الاختبار، وبالتالى بدأت إسرائيل فى تصعيد التوتر، وبحلول شهر مايو ١٩٦٧ تصاعدت التهديدات الإسرائيلية لسوريا حتى وصلت إلى حد التهديد باحتلال دمشق نفسها.

وأبلغ الاتحاد السوفيتى كلاً من مصر وسوريا بأن إسرائيل تنوى توجيه هجوم خاطف إلى سوريا، وربما كان يحاول دفع مصر إلى إعلان استعدادها للحرب الأمر الذى قد يردع إسرائيل عن نيتها عندما أعلن عن وجود حشود إسرائيلية فى مواجهة سوريا.

ودون تدقيق لمسالة وجود حشود إسرائيلية أمام الحدود السورية، تم رفع درجة استعداد القوات المسلحة المصرية إلى الحالة الكاملة، وأعلنت التعبئة.

تطورات الأحداث من ١٤ مايو إلى ٤ يونيو ١٩٦٧:

فى صباح يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ صدرت التعليمات من القيادة العامة للقوات المسلحة برفع درجة استعداد القوات وإعلان التعبئة، وحددت التعليمات يوم ١٧ مايو؛ لإتمام احتلال وتمركز التشكيلات والوحدات فى أوضاعها بسيناء ومنطقة القناة طبقا للخطة الدفاعية (قاهر)، وكانت توجيهات المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة قد حملت فى طياتها بداية الخروج عن الخطة الدفاعية الموضوعة التى تدربت القوات عليها، حيث نصت على استعداد القوات فى سيناء لتنفيذ عمليات هجومية محدودة فى اتجاه رفح والعوجة، كما نصت على نقل المجهود الرئيسى للقوات البحرية إلى البحر الأحمر بدلاً من البحر المتوسط واستعداد القوات البحرية أيضًا لتنفيذ عمليات هجومية بواسطة لنشات الصواريخ، ومع ذلك فقد خفضت القوات المخصصة للخطة الدفاعية بحوالى لواء مشاه.

وبدأت القوات فى الفتح والتحرك إلى مواقعها، وسرعان ما بدأت تظهر مشاكل ضعف الحالة الفنية للعربات والمركبات، وضعف كفاءة عناصر السيطرة على الطرق ومحاور التحركات.

وفى الوقت نفسه بدأت التعديلات فى أوضاع القوات فى الخطة الدفاعية تتوالى وبالتالى كانت التحركات تتم فى وضح النهار، وتحت أنظار عناصر استطلاع العدو وجواسيسه.

وفى الوقت الذى كان الجيش المصرى مستمرًا فى الفتح الاستراتيجى والتعبوى على جبهة سيناء، أثبتت زيارة الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى سوريا وتقارير المخابرات والصور الجوية السورية عدم وجود حشود أمام الجبهة السورية، ورغم ذلك أصمت القيادة العامة آذانها، واستمرت فى أعمال الفتح والتغيير فى الخطة، وبالتالى التغيير فى أوضاع القوات، كما قامت بإنشاء وحدات جديدة، وحولت وحدات عاملة إلى وحدات احتياطية، ودفعت بها إلى سيناء.

وبعد صدور قرار الأمم المتحدة بسحب القوات الدولية يوم ١٦ مايو الساعة ٢٢٠٠ بناءً على طلب مصر وإحلال القوات المصرية بدلاً منها سواء على نقط الحدود أو فى شرم الشيخ على خليج العقبة، وما أعقبه من إغلاق خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، أصبح الموقف متفجرًا بصورة خطيرة، حيث أعلنت القيادة الإسرائيلية أن إغلاق خليج العقبة يعتبر إعلانًا للحرب على إسرائيل، وبذلك أصبح لدى إسرائيل المبرر لشن العدوان، وكان يوم ٢٣ مايو الذى أعلن فيه هذا القرار هو اليوم نفسه الذى اتخذت حكومة إسرائيل فيه قرار الحرب.

وبدأت الحشود الإسرائيلية فى الظهور على الجبهة المصرية والسورية، وأبلغت عناصر المخابرات فى تقاريرها أن الحشود الإسرائيلية أمام مصر تتمركز فى الشمال أمام رفح والعوجة، وتابعت هذه التقارير بدقة تزايد عدد اللواءات أمام الجبهة المصرية عنها أمام الجبهة السورية، كما تابعت أيضًا تحول هذه الألوية من الأغلبية المشاة إلى الأغلبية المدرعة كما رصدت، وأبلغت عن تحرك أسراب الطائرات وتمركزها فى المطارات الأمامية بصحراء النقب، بل إن عناصر المخابرات أبلغت أيضًا عن أعمال تشوين الذخائر فى المواقع الدفاعية أمام مصر وزيادة نشاط الاستطلاع الجوى والبحرى.

وفى الوقت المناسب أبلغت المخابرات عن بدء إسرائيل فى تعبئة لاحتياطى الخط الثانى، والذى يبلغ أربعة ألوية من المشاة.

ثم قامت القيادة العامة للقوات المسلحة بعمل عدة تغييرات فى قيادات التشكيلات المقاتلة اتسمت بالعشوائية والمجاملة لبعض الضباط وثيقى الصلة بالمشير عبد الحكيم عامر وشمس بدران وزير الحربية فى ذلك الوقت، وكان للتغيير فى القيادات - فى ذلك الوقت الحرج - أثر بالغ السوء على كفاءة القيادة لهذه التشكيلات أثناء الحرب.

وكان لوجود قيادة للجبهة ثم قيادة للمنطقة العسكرية الشرقية ثم قيادة الجيش وعدم وجود حدود واضحة أو تنسيق محدد للمهام والدور الذى تقوم به كل قيادة أثره الكبير فى زيادة مستوى التخبط الجارى فعلاً، وكان من المفروض أن تكون هذه القيادات هى صاحبة الحق فى وضع القرار طبقًا لتوجيهات القيادة العليا إلا أن هيئة عمليات القوات المسلحة تولت القسم الأكبر من مسئوليه وضع القرار دون استشارة أو وضع اعتبار لأى من هذه القيادات، ولسبب غير معروف سيطر على فكر القيادة العامة وهيئة العمليات اعتقاد أن الهجوم البرى الإسرائيلى سيكون من الاتجاه الجنوبى أى من اتجاه النقب والكونتلا وواديا لصان والمعين جنوب القصيمة، رغم تقارير المخابرات التى أفادت بأن الحشود الإسرائيلية تتركز فى الشمال، وكانت القيادة العامة على يقين من أن إسرائيل ستحول قواتها إلى الجنوب ليلة الهجوم كما حدث فى حرب ١٩٥٦، حيث تمركز أحد الألوية الإسرائيلية أمام الأردن وخلال ليلة ٢٩ / ٣٠ تحرك إلى اتجاه الجبهة المصرية من الجنوب؛ ليلحق بكتيبة المظلات التى تم إسقاطها قبل آخر ضوء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

وانطلاقًا من فكرة أن إسرائيل تنوى الهجوم من الجنوب مالت الخطة إلى تركيز الجهود فى اتجاه إغلاق الطرق أمام القوات المتقدمة من الاتجاه جنوب القصيمة، وتم تخطيط ما سمى بالستارة المضادة للدبابات على الخط جبل الخرم - المطلة - بير المالح، بل وخطط للفرقة الرابعة المدرعة أن تعمل فى هذا الاتجاه.

وتوالى وضع الخطط الهجومية المحدودة، ثم إلغاؤها ثم تخطيط غيرها، ومع كل تخطيط تتحرك القوات، ويزداد الإرهاق، وتزداد الأعطال، وتقل الكفاءة الفنية.

وبدأت تقارير المخابرات تشير إلى زيادة نشاط القوات الإسرائيلية فى اتجاه الجنوب مما زاد من قوة مبررات القيادة العامة فى اعتقادها أن الهجوم الإسرائيلى سيكون من اتجاه الجنوب.

وبعد كل هذه التقارير المتضاربة والتحركات المستمرة والتغيير المستمر بين خطط دفاعية وخطط هجومية، كان لابد لقائد المنطقة الشرقية الفريق عبد المحسن كامل مرتجى أن يعيد تفهم المهمة، فتوجه إلى الفريق أنور القاضى، رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة واستفسر منه عن مهمة المنطقة بأوضاعها وشكلها الجديد، وما طرأ على الخطة الدفاعية (قاهر) من تغييرات، والعلاقات بين العمليات الهجومية المخططة وبعضها البعض، وبين تلك العمليات والعمليات الدفاعية، ولكنه لم يحظ بجواب شاف من رئيس هيئة العمليات، فعاد إلى مركز قيادته؛ ليتلقى الأوامر وينفذها أو فى الحقيقة يبلغها إلى من سينفذها، وفى بعض الأوقات كان يعلم بالتنفيذ بعد أن يتم من قادة الوحدات المكلفة مباشرة من هيئة العمليات بالمهام.

وبعد أن أعلن عن تشكيل وزارة حرب فى إسرائيل يوم ١ يونيو صدرت تعليمات القيادة العامة المصرية للمنطقة الشرقية باتخاذ أوضاع الدفاع على أساس أن الهجوم الإسرائيلى سيكون مركزاً فى اتجاه الجنوب، وبذلك تكون القيادة قد ابتلعت الطعم الذى شاركت منذ البداية فى إعداده، فقد بدأت القيادة العامة باقتناع بأن الهجوم الإسرائيلى سيكون من الجنوب، وذلك على الرغم من تقارير المخابرات التى أفادت مراراً أن الحشود الإسرائيلية تتركز فى الشمال، وعندما بدأت إسرائيل فى تحركاتها الخداعية فى اتجاه الجنوب، كانت القيادة العسكرية على أتم الاستعداد لتأكيد اقتناعها السابق وتحويله إلى اليقين، ومن ثم التخطيط على أساسه.

وفى مساء ٢ يونيو اجتمع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بقادة القوات المسلحة، وعرض عليهم خلاصة الموقف السياسى، وأعلن أن مصر لن تبدأ الحرب، كما أعلن بوضوح أنه من المحتمل أن تقوم إسرائيل بالحرب الوقائية خلال ٢ - ٣ أيام وأكد على ضرورة الاستعداد لتلقى الضربة الجوية الأولى وامتصاصها، والرد بضربة مضادة.

وبناء على ذلك اتخذت القوات الجوية بعض الإجراءات؛ لإعادة تمركز بعض الطائرات من مطارات سيناء إلى مطارات القناة وهو ما يوضح أن القيادة العسكرية لم تكن على يقين بإمكان وصول الطائرات الإسرائيلية إلى المطارات الخلفية فى القناة والقاهرة.

أما القوات البرية التى تم إبلاغها باحتمال نشوب الحرب خلال ٢ ـ ٣ أيام فلم تتخذ إجراءات خاصة لمقابلة هذا التحذير الواضح من رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وربما لم يكن هناك ما تفعله سوى تنفيذ أوامر هيئة العمليات فى القاهرة.

وجاء تقرير المخابرات الذى يستبعد قيام إسرائيل بالهجوم فى الوقت الراهن وأنها تحسب حساب العواقب المترتبة على ذلك فى ظل الصلابة العربية الراهنة، والتى تمثلت فى دعم عسكرى عربى لكل من سوريا ومصر والأردن بعدة وحدات عسكرية من جيوش العراق والجزائر والكويت والمغرب والسودان.

وعلى الرغم من أن تقارير المخابرات قد أبرزت دفع الدبابات إلى خط الدفاع الأول فى الشمال، وأكدت الصور الجوية لمنطقة إيلات أن الموجود بها هو لواء مشاة إلا أن القيادة العامة استمرت فى تركيز جهودها على الاتجاه الجنوبى، واستعدت خططيًا لنصب مصيدة ضخمة للمدرعات الإسرائيلية المتقدمة على هذا الاتجاه، تمهيداً لتدميرها بالضربات المضادة بالوحدات والتشكيلات المدرعة المصرية فيما سمى آنذاك بالستارة المضادة للدبابات.

وتم تعيين قائد للستارة المضادة للدبابات، ووصل فعلاً يوم ٤ يونيو إلى قيادة المنطقة الشرقية وتفهم مهامه، وعند مروره على قوات الستارة فوجئ بانخفاض مستوى الكفاءة القتالية والتدريب وسوء موقف الإعاشة للأفراد الذين كان معظمهم من الاحتياطى المستدعى بالتعبئة.

واستكمالاً لسلسلة التقديرات الخاطئة والقرارات الغير مدروسة والاستخفاف الواضح بتحذير رئيس الجمهورية وتقارير المخابرات الحربية قرر المشير عبد الحكيم عامر زيارة قوات الستارة؛ لحضور تنظيم التعاون بين عناصرها، ثم التوجه بعد ذلك إلى قيادة الجبهة، وفى قرار يعكس مدى الخطأ فى قراءة وفهم الموقف السياسى والعسكرى ـ وربما عدم قراءته على الإطلاق ـ تقرر أن يصل المشير عبد الحكيم عامر إلى مطار تمادا الساعة ٩٠٠ يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، وكان على قائد الجبهة وقائد المنطقة الشرقية ورئيس أركانه أن يكونوا فى استقباله.

وانشغلت قيادة الجبهة وقيادة المنطقة الشرقية بالإعداد للزيارة المهمة خاصة

استقبال المشير فى مطار تمادا، والذى حضره نحو ٢٨ قائداً وضابطاً من رتبة العميد إلى رتبة الفريق أول.

وهكذا انتهى يوم ٤ يونيو ١٩٦٧، وقد أتمت إسرائيل إعداد واستعداد قواتها لتنفيذ العملية الهجومية «ضربة صهيون» بينما كانت القوات المصرية على الجانب الآخر قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من الإجهاد وانخفاض الكفاءة القتالية والفنية، والأخطر من ذلك أن الخطة الدفاعية «قاهر» كانت قد تشوهت وتعددت المهام، وتغيرت التمركزات، وأصبح هناك قادة جدد لم يمض عليهم فى تشكيلاتهم ووحداتهم أكثر من أيام، وتعددت اللواءات المشكلة من قوات الاحتياط الذى لم يتدرب بل لم يستكمل تسليحه أو صرف مهماته العسكرية.

وأصبح الشغل الشاغل لقيادة المنطقة الشرقية هو زيارة المشير عبد الحكيم عامر - نائب القائد الأعلى - للجبهة والإعداد الجيد للاستقبال فى مطار تمادا صباح ٥ يونيو.

ونام الجميع هذه الليلة بعد أن اطمأنوا إلى الاستعداد لزيارة المشير، وهم لا يعلمون أن القوات المسلحة المصرية قد أصبحت وليمة على طبق من الفضة، جاهزة للالتهام فى الصباح الباكر، مسجلة أسوأ هزيمة عسكرية فى تاريخ الجيش المصرى على مر العصور.

أوضاع القوات المصرية فى سيناء صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧:

نطاق الأمن:

ويتشكل على طول الحدود بين مصر وإسرائيل، من رأس النقب جنوباً إلى رفح شمالاً، ويتكون من عناصر حرس الحدود والاستطلاع والقوات الخفيفة، ومهمته هى الاستطلاع والإنذار والقتال التعطيلى.

النطاق الدفاعى الرئيسى، ويتكون من نطاقين دفاعيين:

النطاق الدفاعى الأول: وهو المكلف بصد الهجوم الإسرائيلى ومنعه من الاختراق واحتوائه فى العمق وتجهيز الموقف؛ لتدمير القوات المخترقة بالضربات المضادة التى توجهها قوات النطاق الدفاعى الثانى، وكانت أوضاع القوات عليه كالآتى:

* قطاع الكونتلا - جبل الأحيجبة (جنوب القصيمة) :

وتحتله فرقة مشاة ولواء مدرع .

* قطاع القصيمة - أم قطف .

وتحتله فرقة مشاة عدا حوالى لواء مشاة وحوالى لواء مدرع .

* قطاع رفح :

وتحتله فرقة مشاة عدا لواء ومعها كتيبة دبابات .

النطاق الدفاعى الثانى : وهو المكلف إما بتوجيه الضربات المضادة لتدمير القوات التى اخترقت النطاق الدفاعى الأول ، والتى أمكن إيقاف تقدمها فى عمقه ، أو التعاون مع قوات النطاق الدفاعى الأول ؛ لإيقاف القوات التى تمكنت من الاختراق وتجهيز الموقف لتدميرها بواسطة الاحتياطيات الميكانيكية والمدرعة المتمركزة فى العمق .

وكانت أوضاع القوات على النطاق الدفاعى الثانى كالآتى:

* من التمد حتى مدخل وادى عقابة .

يحتله لواء مشاة وفوج سيارات حرس حدود .

* من جبل المطلة إلى جبل الخرم (الستارة المضادة للدبابات) :

يحتلها لواء مشاة عدا كتيبة ولواء مشاة احتياط ، عدا كتيبة وعدد ٢ كتيبة دبابات ووحدات مدفعية مضادة للدبابات .

* من جبل الخرم إلى جبل الأبيرق (جنوب جبل الحلال) :

لواءان من المشاة ولواء مدرع .

* جبل الحلال - جبل لبنى :

قيادة فرقة مشاة ومعها لواء مشاة .

* بير لحفن - العريش :

يحتله لواء مشاة احتياط وكتيبة مشاة ولواء حرس وطنى ، عدا كتيبة .

العمق الدفاعى التعبوى : ويتكون أيضا من نطاقين تعبويين .

* **النطاق التعبوى الأول :** ويمر بالمداخل الشرقية للمضايق الجبلية .

ويحتل بواسطة لواء مشاه احتياط وكتيبة مشاة احتياط .

* **النطاق التعبوى الثانى :** ويمر بالمداخل الغربية للمضايق الجبلية .

ولم يجهز هندسيًا ، ولم تخصص له قوات .

ومن الواضح أن مهمة هذين النطاقين فى العمق التعبوى كانت التمسك والدفاع عن المضايق الجبلية للمحافظة على حرية الحركة بين المنطقة شرق الحائط الجبلى وغرب الحائط الجبلى .

الاحتياطيات التعبوية :

وكانت تتكون من ٢ احتياطى تعبوى تتركز مهمتهم فى توجيه الضربات المضادة لتدمير العدو المخترق والمتوقف فى عمق النطاق الدفاعى الأول أو الثانى ؛ لاستعادة الأوضاع الدفاعية كالآتى :

* **الاحتياطى التعبوى رقم ١ :**

ويتكون من اللواء ١٤ المدرع المستقل ، ويتمركز جنوب الحسنة (وقد كنت قائد هذا اللواء أثناء العمليات) .

* **الاحتياطى التعبوى رقم ٢ :**

ويتكون من اللواء ١١٢ المشاة ، ويتمركز شمال الحسنة (وكان فى وقت من فترة ماقبل الحرب جزءًا من الاحتياط التعبوى رقم ١) .

احتياطى القيادة العامة :

وكان عبارة عن الفرقة الرابعة المدرع ، وكانت تتمركز شمال بير تمادا ، وكان عليها أن توجه الضربة المضادة لاستعادة الموقف على النطاق الدفاعى الثانى أو الأول أو

تكلف بمهام تعرضيه (هجومية) لاستغلال نجاح الضربات المضادة بالاحتياطيات التعبوية.

الخطة الهجومية الإسرائيلية (الخريطة رقم ١٠):

بنيت الخطة الهجومية الإسرائيلية على سيناء على أساس نجاح خطة الخداع الإسرائيلية فى جذب معظم القوات المصرية إلى الاتجاه الجنوبى من سيناء الذى يمكن إغلاقه من الغرب باحتلال المضايق الجبلية، كما بنيت هذه الخطة على أساس نجاح الضربة الجوية الإسرائيلية فى إقصاء القوات الجوية المصرية عن المعركة، وبالتالى الانفراد بالقوات البرية فى سيناء، وتصفيتها بالتعاون مع القوات المدرعة والميكانيكية وقوات المظلات، وبالتالى الاستيلاء على سيناء وتأمين الملاحة فى خليج العقبة كهدف أساسى للخطة.

وقد خططت القيادة الإسرائيلية لتنفيذ خطتها فى مراحل ثلاث كالآتى:

*** المرحلة الأولى:**

ويتم خلالها الاختراق السريع للدفاعات المصرية فى الاتجاه الشمالى والأوسط بالتركيز على النقاط الضعيفة وتجنب التورط فى قتال طويل مع استخدام قوات المظلات؛ للاستيلاء على التقاطعات المهمة وتدمير مواقع المدفعية المؤثرة، وتهدف هذه المرحلة إلى سرعة الوصول إلى الخط العام: العريش - بير لحفن - شرق الحسنة، وفى الوقت نفسه تقوم القوات أمام الاتجاه الجنوبى بأعمال تظاهرية بغرض إيهام القوات المصرية بأهمية هذا الاتجاه، وبالتالى يتم تثبيت القوات المصرية فى النسق الأول فى المحور الشمالى والأوسط، نتيجة ارتباك القيادات لوصول القوات إلى مؤخرتها، ويتم تثبيت القوات فى الاتجاه الجنوبى نتيجة استمرارها فى الاستعداد لمواجهة الهجوم الرئيسى المحتمل من هذا الاتجاه.

*** المرحلة الثانية:**

ويتم فيها الانطلاق إلى مؤخرة الدفاعات المصرية باستغلال ضعف القوات على النطاق الدفاعى الثانى، وتشتت وضعف الاحتياطيات، ثم الاستيلاء على المداخل

الشرقية للمضايق، وحجز القوات المصرية شرق المضايق، وفى الوقت نفسه يتم نقل الجهود الرئيسية فى اتجاه الجنوب؛ لتدمير القوات المصرية أمام خط المضايق.

*** المرحلة الثالثة:**

ويتم خلالها تدمير القوات المصرية المجمعة أمام المضايق بالقوات الجوية أساسًا وبالقوات المدرعة فى معارك محدودة؛ لإتمام هزيمة الجيش المصرى.

أما الوصول إلى قناة السويس واحتلال الضفة الشرقية للقناة فقد أضيفت إلى أهداف الهجوم بعد انسحاب القوات المصرية من سيناء والذى بدأ اعتبارًا من اليوم الثانى للعمليات.

وقد بدأت حرب ١٩٦٧ بتوجيه إسرائيل ضربة جوية مركزة إلى القوات الجوية المصرية والدفاع الجوى ومراكز القيادة، والاتصال، ونجحت هذه الضربة فى تدمير معظم الطائرات المصرية، وتعطيل معظم القواعد الجوية والمطارات، ورغم البطولات التى أبداها الطيارون فى محاولة التصدى للهجوم الجوى الإسرائيلى إلا أن الدقائق الأولى للضربة الجوية كانت حاسمة، ومع توالى الموجات من الطائرات المهاجمة **انتهى تقريبا دور القوات الجوية المصرية فى هذه الحرب إلا من بعض الطلعات التى قام بها الطيارون الشجعان لمعاونة بعض التشكيلات البرية وحمايتها، أو لنقل الطائرات إلى أماكن تمركز بعيدة لإنقاذها من التدمير، كما فعل الرئيس محمد حسنى مبارك، حيث كان آنذاك قائدًا لسرب من القاذفات الثقيلة، الثمينة،** ومع ظهور بوادر نجاح الضربة الجوية انطلقت القوات البرية الإسرائيلية إلى أهدافها لتنفيذ الخطة الموضوعة للاختراق والتوغل إلى سيناء، ولم تكن المهمة سهلة، رغم كل ما ذكرناه عن الاستعداد والتصميم الإسرائيلى والتخبط والتشتت المصرى فى مرحلة ما قبل الحرب، فقد قاتلت ببسالة قوات رفح ضد قوات تفوقها عددًا وعدة وتتمتع بالمعاونة الجوية، وقاتلت أيضا قوات «أبو عجيلة» ببسالة، وكذلك فعلت قوات القصيمة والكونتلا.

وتمكنت القوات من صد الهجوم الأول للقوات الإسرائيلية، وارتدت على أثره تلك القوات، وتدخلت القوات الجوية الإسرائيلية، المنفردة بالسيطرة على سماء المعركة؛ لتنزل الخسائر بوحدات المدفعية والدبابات ومراكز القيادة، وتمهد للهجوم

الثانى للقوات الإسرائيلية، وعلى الرغم من النجاحات التى أحرزتها القوات الإسرائيلية فى اليوم الأول للقتال واليوم الثانى للقتال، إلا أنها كانت مكلفة، فقد خسرت العديد من الأفراد والأسلحة والمعدات، وكانت العملية لا تزال فى نطاق المرحلة الأولى، وكان الطريق مازال طويلاً أمام القوات الإسرائيلية رغم نجاحها فى الاختراق.

ثم جاء أمر القيادة العامة المصرية بانسحاب القوات من سيناء يوم ٦ يونيه الساعة ٢٠٠٠ ؛ ليفتح الطريق على مصراعيه أمام القوات الإسرائيلية ؛ لاستكمال تنفيذ الخطة الهجومية وتطويرها إلى الوصول إلى الضفة الشرقية لقناة السويس.

وفى الصفحات التالية سنعرض تفصيلاً لسير عمليات ٥ يونيو ١٩٦٧ ؛ لنتعرف من خلالها على أعمال قتال القوات المصرية فى تلك الحرب، وأترك للقارئ أن يجيب على هذا السؤال التاريخى:

هل كان من الضرورى إصدار الأمر بانسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القناة ؟

ثم سأعرض بعد ذلك تفصيلاً لتحركات وأعمال قتال اللواء ١٤ المدرع المستقل، الذى كنت أتشرف بقيادته فى هذه الحرب، كمثال عما قامت به بعض وحدات الجيش المصرى فى هذه الحرب اعتباراً من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وحتى صدور وتنفيذ القرار المشئوم بانسحاب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القناة.

* * *

الفصل الثانى

أحداث حرب ٥ يونيو ١٩٦٧

فى تمام الساعة ٨٤٥ من صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأت القوات الجوية الإسرائيلية فى توجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة إلى القواعد الجوية والمطارات المصرية ومحطات الرادار. **وفى خلال ١٥٠ دقيقة نجحت الطائرات الإسرائيلية فى تدمير معظم القوات الجوية المصرية، وأخرجتها تقريبًا من المعركة تاركة القوات البرية المصرية فى سيناء تحت رحمة الطيران الإسرائيلى مبكرًا.**

وبظهور بوادر نجاح الضربة الجوية، وفى الساعة ٠٩١٥ بدأ التمهيد النيرانى من الطيران والمدفعية على مواقع الماسورة وكرم بنى مصلح وأم قطف والقصيمة والكونتلا، ثم انتقل ضرب المدفعية الإسرائيلية إلى مواقع المدفعية المصرية فى النطاق الدفاعى الأول، ثم تقدمت ثلاث مجموعات عمليات إسرائيلية تحت ستر التمهيد النيرانى، على المحورين الشمالى والأوسط فى سيناء، فى الوقت الذى كانت القوات الإسرائيلية تقوم بالهجوم التثبيتى على الدفاعات المصرية فى المحور الجنوبى فى اتجاه الكونتلا.

وبعد نحو أربع وعشرين ساعة من بدء الهجوم، نجحت القوات الإسرائيلية المدرعة تحت ستر ومعاونة السيادة الجوية الكاملة على سماء المعركة فى اختراق النطاق الدفاعى الأول على المحورين الشمالى والأوسط.

فى الساعة ١٧٠٠ يوم ٦ يونيو ١٩٦٧، أصدر المشير عبد الحكيم عامر، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، أمرًا إلى قائد المنطقة العسكرية الشرقية الفريق عبد المحسن كامل مرتجى، بانسحاب كافة القوات خلال نفس ليلة ٦/٧ يونيو إلى غرب القناة، مما كان له أثر كبير فى تسهيل مهمة القوات الإسرائيلية؛ لتنفيذ خطتها الطموحة

فى سرعة الاستيلاء على مضايق متلا والجدى وحصر القوات المنسحبة أمام مداخلها الشرقية وتدميرها بالطيران والمدرعات والوصول إلى قناة السويس يوم ٩ يونيو .

وقد سارت العمليات خلال حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ فى مرحلتين رئيسيتين :

* **المرحلة الأولى ،** وتم خلالها اختراق الدفاعات المصرية فى النطاق الدفاعى الأول وفى منطقة العريش وبَدْء القتال على النطاق الدفاعى الثانى ، واستغرقت يومى ٥ ، ٦ يونيو .

* **المرحلة الثانية ،** وتم خلالها التقدم والاستيلاء على المضايق ثم الوصول إلى الضفة الشرقية للقناة ، واستغرقت أيام ٧ ، ٨ ، ٩ يونيو .

ومع اتساع جبهة سيناء سأتحدث عن سير العمليات خلال المرحلتين السابقتين بالمحاور الرئيسية فى سيناء ، حتى يمكننا متابعة أعمال قتال القوات المصرية خلال تلك الحرب .

المرحلة الأولى :

محور رفح - العريش :

خططت القيادة الإسرائيلية للهجوم على رفح ، متبعة أسلوب الاقتراب غير مباشر من الأجناب إلى مؤخرة الدفاعات مع شغل المواجهة وتثبيتها ، فتمثلت الخطة الإسرائيلية فى القيام بهجوم تثبيتى بالمواجهة مع الالتفاف على الجانب الأيمن لموقع اللواء ١١ المشاة والجانب الأيسر للواء ١٦ المشاة من جهة البحر المتوسط مركزاً مجهوده الرئيسى على الجانب الأيسر .

وفى الساعة ٩٤٥ صباح يوم ٥ يونيو ، وبمعاونة القوات الجوية ، بدأت مجموعة العمليات الإسرائيلية الشمالية الهجوم على مواقع الفرقة ٧ المشاة فى منطقة رفح ، وفشل العدو فى اختراق الجانب الأيمن للفرقة بينما تمكن من اختراق مواقع اللواء ١٦ المشاة حوالى الساعة ١٤٣٠ وتابع تقدمه فى اتجاه الشيخ زويد ، وبذلك أصبح الجانب الأيسر للواء ١١ المشاة مكشوفاً .

وفى حوالى الساعة ١٦٠٠ تمكن العدو من الالتفاف حول الجانب الأيمن للفرقة وقام بقصف مرابض نيران المدفعية من الخلف ، وبعد قتال عنيف ، تمكنت القوات

الإسرائيلية من الاستيلاء على المنطقة فى الساعة ١٨٤٠ من اليوم نفسه، وارتدت وحدات الفرقة السابعة المشاة على المحور الساحلى، وقامت القوة الإسرائيلية بدفع حوالى سريتى دبابات من المنطقة غرب الشيخ زويد على الساحل وصلت إلى مشارف العريش فى الساعة ١٨٥٠ يونيو، متجنبة المواقع الدفاعية المصرية.

الساعة ٠٩١٥ تقدم لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى من اتجاه المحور الأوسط فى اتجاه منطقة بير لحفن عبر وادى حريضين والأزارق فى منطقة مكسر الفناجيل الذى كان يعتبر مانعًا طبيعيًا يصعب عبوره بالدبابات والمعدات الثقيلة، غير أن القيادة الإسرائيلية كانت قد أجرت دراساتها على هذه الوديان أثناء احتلالها لسيناء إبان حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦، وتبين لها أنه من الممكن اجتيازها بالتحرك البطىء وبنوعيات خفيفة من العربات والمجنزرات . وحوالى الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٥ يونيو كان اللواء المدرع الإسرائيلى قد استطاع أن يجتاز الوادى، ثم تقدم إلى طريق العريش - بير لحفن المؤدى إلى «أبو عجيله» والحسنة واعتبارا من الساعة ٢٠٠٠ كان اللواء المدرع الإسرائيلى قد أعد كمينًا للقوات المصرية التى تتحرك فى اتجاه مدينة العريش.

أمر قائد المنطقة العسكرية الشرقية بتقدم اللواء ١٤١ المدرع واللواء ١١٢ المشاة بقيادة اللواء عثمان نصار إلى العريش؛ لتوجيه هجوم مضاد إلى القوات الإسرائيلية التى نجحت فى الوصول إلى مشارف المدينة، إلا أن اللواء المدرع الإسرائيلى تصدى فى الساعة ٠٤٠٠ يوم ٦ يونيو للقوة المصرية فى المنطقة جنوب بير لحفن، ومنعها من التقدم إلى العريش، وتمكن من إيقافها على المحور الضيق الذى تحيط به الرمال من الجانبين وفور انبلاج صباح يوم ٦ يونيو ظهرت الطائرات الإسرائيلية، وتعرضت القوة المصرية للقصف المركز بالطيران الإسرائيلى، وانسحب اللواءان المصريان الساعة ٠٩٠٠ يوم ٦ يونيو فى اتجاه جبل لبنى بعد إصابتهما بخسائر كبيرة، مما سهل مهمة مجموعة العمليات الشمالية الإسرائيلية لاقتحام مدينة العريش، والاستيلاء على مطار العريش، وتجهيزه للاستخدام بواسطة الطيران الإسرائيلى.

الهجوم على العريش (من اتجاه النطاق الدفاعى الثانى) :

فى الساعة ٠١٠٠ يوم ٦ يونيو اخترقت قوات المشاة والمدرعات الإسرائيلية

المواقع الدفاعية للكتيبة ٣٦ المشاة فى الهيئة ٣٨ فى بير الجرادى وحوالى الساعة ٠٥٠٠ نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على مواقع قوات اللواء ١٢١ المشاة، الذى كانت تدافع عن العريش، ودخلت القوات الإسرائيلية إلى مدينة العريش، حيث بدأت قتالاً عنيفًا فى شوارع المدينة ضد قوات المقاومة والعناصر المرتدة من الفرقة ٧ المشاة.

دفع العدو لواءً مدرعًا فى اتجاه الجنوب، واستولى على بير لحفن بعد اشتباك مع المدرعات المصرية، واتصل باللواء المدرع الإسرائيلى من مجموعة العمليات الوسطى واتجه اللواءان إلى جبل لبنى، حيث النطاق الثانى التكتيكى للقوات المصرية المدافعة فى سيناء.

وفى الوقت نفسه دفعت مجموعة العمليات الشمالية قوة من المظلات والمدرعات على الطريق الساحلى؛ للاستيلاء على مضيق المزار على المحور الساحلى ثم التقدم نحو القنطرة.

واعتباراً من الساعة ١٢٠٠ يوم ٦ يونيو بدأت إسرائيل فى نقل الجهد الرئيسى للهجوم إلى المحور الأوسط، واشتركت كل من المجموعة الشمالية والوسطى فى القتال على هذا المحور.

الهجوم على «أبو عجيلة» والقصيمة:

فى الساعة ٠٩١٥ يوم ٥ يونيو تقدمت مجموعة العمليات الجنوبية على طريق العوجة فى اتجاه أم قطف مع قيامها بعزل دفاعات القصيمة، ثم مهاجمتها فيها بعد من الخلف.

اندفع اللواء المدرع الإسرائيلى على طريق العوجة - «أبو عجيلة» بينما تقدمت كتيبة الدبابات المستقلة عبر وادى الجميل الذى يخترق مكسر الفناجيل، وكان اللواء المشاة فى النسق الثانى لمجموعة العمليات.

فشل الهجوم الأول لكتيبة الدبابات المستقلة، ونجحت القوات المصرية فى الباطور فى صده ثم نجح الهجوم الثانى بمعاونة القوات الجوية الإسرائيلية فى

الاستيلاء على موقع الباطور حوالى الساعة ١٦٠٠، فى الوقت نفسه قامت قوة من اللواء المدرع الإسرائيلى بقطع طريق أم قطف - القصيمة، وفى الساعة ٢٠٣٠ تم إبرار كتيبة مظلات إسرائيلية شمال تقاطع «أبو عجيلة» قامت بالهجوم على مجموعة المدفعية المصرية التى تعاون قوات أم قطف، وتمكنت من إسكاتها.

حوالى الساعة ٢٣٠٠ وبعد إسكات المدفعية المصرية قامت كتيبة الدبابات المستقلة بالهجوم على مواقع الكتيبة ٣٥٢ المشاة فى منطقة سد الروافعه، فى الوقت الذى بدأ اللواء المشاة الإسرائيلى فى الهجوم على مواقع أم قطف من الشمال.

باستغلال نجاح كتيبة الدبابات المستقل واللواء المشاة فى اقتحام مواقع سد الروافعه وأم قطف؛ لتفوق القوات الإسرائيلية على المصرية فى القتال الليلى، قام اللواء المدرع الإسرائيلى بالاختراق الرئيسى للدفاعات، وتمكن بعد قتال عنيف من الاستيلاء على منطقة «أبو عجيلة» بالكامل فى الساعة ١٠٢٠ يوم ٦ يونيو، وقامت المجموعة بتأمين دفع لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى فى اتجاه جبل لبنى.

الهجوم على القصيمة:

حوالى الساعة ١٣٣٥ يوم ٥ يونيو، بدأت القوات الإسرائيلية الهجوم على القصيمة لتثبيت دفاعاتها، ومنعها من التدخل فى المعركة أثناء الهجوم الرئيسى فى أم قطف، وفى صباح ٦ يونيو وبظهور بوادر نجاح الهجوم الإسرائيلى على أم قطف و«أبو عجيلة» بدأ هجوم المدرعات والمشاة الميكانيكية الإسرائيلية، وصمدت القوات المصرية فى موقع مطامر، وتمكنت من صد الهجوم الإسرائيلى مرتين.

وقد انسحبت قوات القصيمة فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ٦ يونيو بناء على قرار قائد المنطقة العسكرية الشرقية بالانسحاب.

الهجوم على الكونتلا:

كانت مهمة القوات المصرية وهى الفرقة ٦ المشاة عدا اللواء ٣ المشاة ومعها اللواء

١ المدرع المستقل واللواء ١١٣ المشاة المستقل هى تأمين المحور الجنوبى، وقد خصصت للواء ١ المشاة عدا كتيبة من الفرقة ٦ المشاة واللواء ١١٣ المشاة المستقل واللواء ١ المدرع المستقل مهمة التمسك بمنطقة الكونتلا، وتدمير العدو ومنعه من الاختراق.

فى الساعة ١٢٠٠ يوم ٥ يونيو شنت كتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة دبابات من قوات التثبيت الإسرائيلية هجومًا جنوب جبل الكونتلا، وتمكن اللواء ١١٣ المشاة بمعاونة مجموعة مدفعية الفرقة ٦ المشاة من صد الهجوم، وعند ارتداد القوات الإسرائيلية شرقًا قام اللواء ١ المدرع المستقل بقيادة العقيد لطيف بمطاردة القوات الإسرائيلية المرتدة لمسافة ١٥ كيلومتر فى اتجاه جبل هوجن داخل إسرائيل، إلا أنه توقف وارتد داخل الدفاعات بناءً على أوامر قائد الفرقة ٦ المشاة.

وفى الساعة ١١٠٠ يوم ٦ يونيو حرك العدو بعض دباباته على طول المواجهة أمام مواقع اللواء ١١٣ المشاة المستقل بهدف الأشغال، فأجبرتها نيران وحدات المدفعية وكتيبة دبابات اللواء على الارتداد شرقًا.

ورغم استقرار الأوضاع الدفاعية فى قطاع الكونتلا، إلا أن قائد الفرقة ٦ المشاة أصدر أوامره إلى قائد اللواء ١١٣ المشاة المستقل فى الساعة ١٥٠٠ يوم ٦ يونيو بإخلاء منطقة الكونتلا اعتبارًا من الساعة ٢٠٠٠ يوم ٧ يونيو، والارتداد إلى منطقة التمد، كما أصدر أوامره إلى قائد اللواء ١ المدرع المستقل بتأمين ارتداد وحدات الفرقة السادسة المشاة إلى التمد ليلة ٦/ ٧ يونيو، وفى الساعة ١٩٠٠ أمر قائد المنطقة العسكرية الشرقية، بتحرك اللواء ١ المدرع المستقل إلى نخل، وفى الساعة ١٩٣٠ يوم ٦ يونيو ارتدت قيادة الفرقة ٦ المشاة من منطقة الكونتلا، وأعقبها ارتداد اللواء ١ المدرع المستقل فى الساعة ٢٠٤٠ ليلة ٦/ ٧ يونيو.

القتال على النطاق الدفاعى الثانى:

فى الساعة ١١٣٠ يوم ٦ يونيو أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارًا بالتمسك بالنطاق الدفاعى الثانى، وتجميع القوات المرتدة من النطاق الدفاعى الأول لتدعيم النطاق الثانى.

فى الساعة ١٢٠٠ يوم ٦ يونيو تقدم لواء مدرع إسرائيلى من كل من مجموعتى العمليات الشمالية والوسطى فى اتجاه جبل لبنى للهجوم على دفاعات الفرقة الثالثة

المشاة، وفى الساعة ١٦٠٠ يوم ٦ يونيو بدأت معركة جبل لبنى بالالتفاف حول دفاعاتها من اتجاهين، وتمكنت القوات المصرية من صد الهجوم فى البداية إلا أن صدور أمر الانسحاب فى الساعة ١٧٠٠ من اليوم نفسه، أدى إلى اهتزاز الدفاع لارتداد بعض القوات، وقد حاولت المدرعات الإسرائيلية حصار القوات المصرية وقطع طرق ارتدادها، فتقدم لواء مدرع إسرائيلى فى اتجاه تقاطع كم ١٦١، واشتبك معه اللواء ١٤ المدرع المستقل فى معركة عنيفة، وكبده خسائر فادحة، واضطره إلى الارتداد، وهو ما سيأتى ذكره بالتفصيل فى القسم الثالث من هذا الباب، ثم قام طيران العدو بالهجوم على اللواء ١٤ المدرع المستقل أثناء انسحابه تنفيذاً لأمر الانسحاب، وأحدث به خسائر كبيرة فى الدبابات والعربات، ونجح اللواء فى الارتداد غرباً على الطريق الأوسط فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ٦ يونيو، وفى الوقت نفسه تمكن العدو من الاستيلاء على جبل لبنى وعلى المطار القريب منه، وأخذت القوات المصرية الموجودة على النطاق الدفاعى الثانى فى الانسحاب غرباً دون أى نظام.

أعمال قتال الفرقة ٤ المدرعة:

فى الساعة ١١٣٠ يوم ٥ يونيو تلقى قائد الفرقة ٤ المدرعة اللواء صدقى الغول أمراً من مركز القيادة الرئيسى بالاستعداد للقيام بالضربة المضادة فى اتجاه المطلة أو اتجاه القصيمة - نخل، ونظراً لسيطرة الطيران الإسرائيلى على سماء المعركة فقد تحرك اللواء ٢ المدرع من الفرقة الساعة ٢٠٠٠ يوم ٥ يونيو لتأمين دفع الفرقة ٤ المدرعة جنوب المطلة، وكان الوقت قد أصبح متأخراً جداً بعد اختراق النطاق الدفاعى الأول مما دعا القيادة العليا للقوات المسلحة إلى إلغاء هذه المهمة، وحوالى الساعة ٠٩٠٠ يوم ٦ يونيو أصدر قائد الفرقة ٤ المدرعة أوامره بعودة اللواء ٢ المدرع إلى بير تمادة، وقد تعرض اللواء أثناء التحرك للقصف الجوى المعادى من الساعة ١٢٢٠ حتى الساعة ٢٠٠٠، حتى وصلت خسائر اللواء إلى حوالى ٤٠ ٪ من المعدات بنهاية اليوم.

وبناء على قرار القيادة العليا للقوات المسلحة أمر قائد المنطقة الشرقية الفرقة ٤ المدرعة باحتلال منطقة دفاعية فى المضايق صدر الحيطان - الجدى - المليز - الختمية،

وأصدر أوامره إلى قائد الفرقة شخصيًا بتنفيذ المهمة ليلة ٦/ ٧ يونيو، و فى الساعة ٢٠٣٠ أصدر قائد المنطقة الشرقية أمرًا إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة باحتلال المداخل الشرقية للمضايق حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو لستر انسحاب القوات، وأنه سيتم تدبير مظلة جوية لستر ارتداد الفرقة بناءً على أوامر المشير عبد الحكيم عامر.

فى الساعة ٠١٠٠ يوم ٧ يونيو تم انتقال مركز القيادة المتقدم للمنطقة الشرقية من جبل الميثان إلى المركز التبادلى فى جبل أم خشيب .

المرحلة الثانية (٧، ٨، ٩ يونيو):

التقدم للاستيلاء على المضايق وحجز القوات المنسحبة شرقها:

فى أول ضوء يوم ٧ يونيو تمكن اللواء ٢ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة من احتلال مواقعه على طريق الجدى؛ لستر انسحاب القوات، فى الوقت الذى ارتد فيه كل من اللواء ٣ المدرع واللواء ٦ المشاة الميكانيكى إلى القناة الساعة ٠٩٠٠ حيث اتضح فيما بعد أن أوامر قائد الفرقة ٤ المدرعة كانت الدفاع التعطيلى فقط، وليس التمسك بالمضايق كما كانت أوامر القيادة العامة تقضى لستر انسحاب القوات .

مع الساعات الأولى من يوم ٧ يونيو تقدم لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى إسرائيليان من مجموعة العمليات الشمالية فى اتجاه بئر الجفجافة؛ لقطع طريق انسحاب القوات المصرية فى اتجاه الإسماعيلية، بينما تقدم لواء مدرع من مجموعة العمليات الوسطى فى اتجاه ممر متلا؛ لقطع طريق انسحاب القوات المصرية فى اتجاه السويس، وفى الوقت نفسه تقدمت مجموعة العمليات الجنوبية من القصيمة، وبدأت فى مطاردة القوات المنسحبة.

تمكن اللواء المدرع الإسرائيلى من الاستيلاء على منطقة بئر الحمة عند الفجر واستمرت مجموعة العمليات الشمالية فى الهجوم فى اتجاه بير جفجافة، حيث اصطدمت باللواء ٣ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة الذى كان يدافع فى منطقة مضيق جبل الختمية على الطريق الأوسط، وبعد قتال عنيف للتمسك بتقاطع الطرق فى منطقة الجفجافة تمكنت القوات الإسرائيلية من الاستيلاء عليه بعد انسحاب اللواء ٣ المدرع، وبذلك تم قطع طريق انسحاب القوات المصرية، كما أدى انسحاب اللواء ٦

المشاة الميكانيكى الذى كان مكلفًا بالدفاع عن مضيق الجدى وصدر الحيطان وممر متلا إلى تسهيل مهمة مجموعتى العمليات الوسطى والجنوبية فى الاستيلاء عليها وقطع طرق انسحاب القوات المصرية على محورى الجدى و متلا .

فى الساعة ٠٦٣٠ يوم ٧ يونيو نجحت المفرزة الإسرائيلية المتقدمة على المحور الساحلى فى الاستيلاء على مضيق مزار ، بينما نجح اللواء المدرع الإسرائيلى لمجموعة العمليات الوسطى فى قفل ممر متلا فى آخر ضوء يوم ٧ يونيو بعد معركة قصيرة مع القوات المصرية المنسحبة بدون نظام أو سيطرة وبلا حماية جوية .

باستيلاء مجموعة العمليات الجنوبية على منطقة نخل مساء ٧ يونيو قامت بعمل كمين لقوات الفرقة ٦ المشاة واللواء ١ المدرع المستقل المرتدة غربًا ، فكبدتها خسائر فادحه ، وبانتهاء مساء يوم ٧ يونيو كانت إسرائيل قد استولت على شرم الشيخ وبذلك تم فتح مضيق ثيران للملاحة الإسرائيلية .

فى الساعة ١٧٥٠ يوم ٦ يونيو تلقت قوات شرم الشيخ الأمر بالانسحاب إلى غرب القناة ، وقد انسحبت قوات شرم الشيخ فى ليلتين على مرحلتين ؛ إذ تم الانسحاب إلى الطور فى المرحلة الأولى ثم إلى السويس فى المرحلة الثانية ، ووصلت القوات السويس ليلة ٧/ ٨ يونيو ، حيث كلفت بالدفاع عنها .

أعمال الفرقة ٤ المدرعة:

بصدور الأوامر بقيام الفرقة ٤ المدرعة باحتلال المضايق لستر انسحاب القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة السويس ، بذلت قيادة المنطقة الشرقية جهوداً مضنية لتوصيل هذه الأوامر إلى قائد الفرقة الذى كان قد عبر القناة ، ووصل إلى قيادة المنطقة فى الإسماعيلية ، وأبلغ عن عودة الفرقة إلى الغرب ، فأمره قائد المنطقة الشرقية بإعادة القوات إلى الشرق ؛ لاحتلال المضايق .

فى الساعة ٠٨٠٠ يوم ٨ يونيو أبلغت قيادة الفرقة ٤ المدرعة أن وحدات الفرقة قد احتلت مواقعها فيما عدا اللواء ٢ المدرع الذى كان فى طريقة للاحتلال .

فى الساعة ٠٨٥٥ بدأت مدرعات العدو فى الاشتباك مع وحدات الفرقة لمدة ساعتين ثم انسحب العدو للخلف وبدأ هجوم العدو الجوى على دبابات الفرقة مع

التركيز على اللواء ٢ المدرع واللواء ٦ المشاة الميكانيكى، حيث تكبدا خسائر جسيمة فأصدر قائد الفرقة أمره بالانسحاب إلى غرب القناة فيما بين الساعة ١١٣٠ والساعة ١٢٠٠، ثم تحرك قائد الفرقة بعد ذلك إلى معبر جنوب البحيرات ثم الإسماعيلية.

خصصت قيادة المنطقة العسكرية الشرقية قوة من المشاة والصاعقة والدبابات والمدفعية احتلت مواقع دفاعية فى منطقة جلبانة؛ لإيقاف تقدم العدو الذى اخترق منطقة مزار على المحور الشمالى، وتمكنت القوة من إيقاف تقدم العدو من الساعة ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ يوم ٨ يونيو، ثم ارتدت القوة إلى غرب القناة قبل أول ضوء يوم ٩ يونيو، و تمكن العدو من الاستيلاء على القنطرة شرق حوالى الساعة ١٧٠٠ يوم ٨ يونيو، وواصل تقدمه حتى وصل إلى الضفة الشرقية للقناة مساء اليوم نفسه.

يوم ٨ يونيو تمكنت القوات الإسرائيلية من الاستيلاء على المداخل الشرقية لممرى الجدى ومتلا، وبالتالى تم حجز قسم كبير من القوات المنسحبة شرق الحائط الجبلى حيث تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من إحداث خسائر ضخمة بها بالتعاون مع القوات المدرعة والميكانيكية.

فى الساعة ١٧٠٠ يوم ٨ يونيو أصدر قائد المنطقة العسكرية الشرقية تعليمات بالدفاع بالقوات المرتدة على الضفة الغربية لقناة السويس.

وبانتهاء يوم ٨ يونيو كانت مقدمات القوات الإسرائيلية قد وصلت إلى الضفة الشرقية للقناة، وفى الساعة ٠٣٠٠ بعد منتصف ليلة ٨/ ٩ يونيو كانت تلك القوات تحتل تقريبًا كل الضفة الشرقية لقناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس، فى الوقت الذى كانت احتياطيات القوات الإسرائيلية تقوم خلال نهار ٩ يونيو بتدمير وأسر الآلاف من القوات المصرية المنسحبة تحت السيادة الجوية للقوات الجوية الإسرائيلية.

واستغلت القوات الإسرائيلية خروج الجيش المصرى عمليًا من الحرب، وقامت بالهجوم على سوريا، واحتلت هضبة الجولان، ثم احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس وهى الأراضى الفلسطينية التى كانت تحت السيطرة الأردنية، وأعلنت إسرائيل أنها قد حصلت لأول مرة على حدود آمنة.

* * *

الفصل الثالث

معركة اللواء ١٤ مدرع مستقل

فى تمام الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ تسلمت الإشارة برفع درجات استعداد اللواء ١٤ مدرع مستقل إلى الحالة الكاملة ضمن جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة، وكنت فى هذا الوقت قائداً لهذا اللواء المدرع المستقل (أى الذى لا يتبع فرقة مدرعة أو مشاة) وكان اللواء قد أتم تقريبا الاستعداد للتحرك إلى اليمن؛ لغيار اللواء ١٥ المدرع الذى كانت مقدمته قد وصلت إلى الهايكستب حيث كنا نتمركز اعتبارا من شهر نوفمبر ١٩٦٦ بعد عامين قضاهما اللواء فى منطقة بئر تمادا بسيناء.

وكانت مقدمه اللواء ١٤ مدرع مستعدة للتحرك إلى اليمن بحراً، وقد حدد يوم ١٧ مايو ١٩٦٧ لهذا التحرك الذى لم يتم لحسن الحظ، وفور وصول الإشارة بدأت إجراءات رفع درجات الاستعداد تتوالى طبقا للخطة الموضوعة التى كنا قد تدربنا عليها جيداً، ولا شك أن استعداد اللواء للتحرك إلى اليمن كان له أثر كبير فى ارتفاع الحالة الفنية والتدريبية للواء، وخلال ساعات كان قد تم استدعاء الضباط والجنود من الأجازات وتم تنفيذ جميع الإجراءات والأعمال، وأصبح اللواء جاهزاً للتحرك.

وفى صباح اليوم التالى حضر مدير المدرعات اللواء طلعت حسن على إلى معسكر اللواء بالهايكستب وأصدر تعليماته بالتحرك ليلة نفس اليوم (١٥/ ١٦ مايو) إلى منطقة جنيفه والاستعداد للعمل تحت قيادة المنطقة العسكرية الشرقية.

تحركات ومهام اللواء ١٤ مدرع مستقل قبل بدء الحرب (الخريطة رقم ١١):

التحرك الأول:

تم تحرك اللواء من الهايكستب بواسطة السكة الحديد والعربات ليلة ١٥ / ١٦

مايو وطوال يوم ١٦ مايو الذى بنهايته كان اللواء قد أعاد تمركزه شرق جبل جنيفه (فى قطاع الجيش الثالث الميدانى حاليًا)، بعد رحلة عبر خلالها طريق الإسماعيلية ثم وصلة «أبو سلطان» فايد وطريق المعاهدة.

التحرك الثانى:

بناءً على تعليمات قيادة المنطقة العسكرية الشرقية التى حملها العميد مختار الدسوقى، وبعد عدة ساعات فقط من وصول اللواء إلى منطقة تمركزه شرق جبل جنيفه، بدأ التحرك الثانى للواء إلى منطقة جبل لبنى على الطريق الأوسط فى سيناء، وهذه المرة كان التحرك على الجنزير، وعبر اللواءُ القناةَ من جنوب البحيرات خلال ليلة ١٦/ ١٧ مايو، واتجه شمالاً حتى الطريق الأوسط، ثم اتجه شرقًا على الطريق الأوسط، وقبل منتصف ليلة ١٧/ ١٨ مايو كان اللواء بكامل معداته فى منطقة التمركز الذى تم اختيارها (فى قطاع الفرقة ٢ مشاه) وبدأنا فى احتلالها قبل آخر ضوء يوم ١٧ مايو.

وبوصول اللواء إلى منطقة جبل لبنى، وضع اللواء تحت قيادة الفرقة ٣ المشاة التى لم تكن قد وصلت بعد، حيث وصلت يوم ٢٠ مايو، واحتلت النطاق الدفاعى الثانى، وكانت مهمة اللواء ١٤ مدرع مستقل هى تنفيذ الهجمات المضادة فى قطاع الفرقة ٣ المشاة وبالتعاون مع وحداتها، وتم فعلا استطلاع اتجاهات الهجمات المضادة ووضع القرارات المناسبة لها، وأتاح الوقت الذى أمضاه اللواء فى هذه المنطقة الفرصة الكافية؛ لإتمام إجراءات تنظيم المعركة كاملة لكل المستويات ولعدد ١٢ هجمة مضادة.

وارتفعت معنوياتنا كثيرًا عندما وصلتنا التعليمات باستكمال اللواء إلى ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة، وتم تشكيل مجموعة من الضباط الفنيين وأفراد الاحتياط لاستلام الدبابات من المخازن والعودة بها إلى اللواء.

التحرك الثالث ومهمة أخرى:

فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم ٢٦ مايو تلقيت تعليمات قيادة المنطقة

الشرقية بالتحرك إلى منطقة الشيخ زويد علي طريق العريش رفح، والانضمام إلى الفرقة ٧ المشاة المكلفة بالدفاع على الاتجاه الشمالي بقيادة اللواء عبد العزيز سليمان، واعتباراً من صباح يوم ٢٧ مايو بدأ اللواء ١٤ مدرع مستقل التحرك على الجنزير، وقبل أخر ضوء من نفس اليوم أتم اللواء تمركزه حول أتله أبى العقيق، وتلخصت المهمة المكلفة بها الفرقة ٧ المشاة ومعها اللواء ١٤ مدرع مستقل فى تأمين منطقة رفح بقوة اللواء ١٦ المشاة، والاستعداد بباقى القوات لتنفيذ عملية هجومية محدودة على المستعمرات الإسرائيلية فى مواجهة رفح وجنوبها وفى العمق طبقًا لمدى نجاح الهجوم الأولى.

وارتفعت معنويات الضباط والأفراد إلى السماء، وانهمك الجميع فى التجهيز للمهمة الهجومية بجدية ونشاط، وتم تنفيذ إجراءات التنظيم للمعركة، وتم استطلاع أهداف المهمة الأولية.

ولكن فى الساعة ٢٠٠ يوم ٢٩ مايو ألغيت المهمة الهجومية، وتحولت مهمة الفرقة ٧ المشاة إلى الدفاع عن منطقة رفح، وكان على اللواء ١٤ مدرع مستقل القيام بالهجمات المضادة فى قطاعها؛ لتدمير العدو الذى ينجح فى اختراق الدفاعات.

ومرة أخرى قامت هيئة قيادة اللواء والقادة على جميع المستويات باستطلاع اتجاهات الهجمات المضادة، وإعداد القرارات اللازمة لها، واستكمال تنظيم المعركة حتى مستوى قادة الدبابات والسائقين، وبنهاية يوم ٣١ مايو كان اللواء مستعداً لتنفيذ المهام الجديدة في قطاع الفرقة ٧ المشاة، ونجحت مع هيئة القيادة في استعادة الروح المعنوية التى أصابها الإحباط من التحول من المهام الهجومية البراقة والملهمة لفكر قائد المدرعات إلى المهام الدفاعية التي تحدها الخطوط والشروط والتداخلات ولو كانت ذات طبيعة هجومية، كالهجوم المضاد الذى يعنى أن الدفاعات الأمامية قد اخترقت وعلينا استعادتها، وهو أمر محبط منذ البداية.

التحرك الرابع ومهمة جديدة:

لم يكد اللواء ١٤ مدرع مستقل يتم تنظيم المعركة لمهامه فى قطاع الفرقة ٧ المشاة المكلفة بالدفاع عن الاتجاه الشمالى حتى صدرت تعليمات جديدة يوم ١ يونيو

بالتحرك إلى منطقة الحسنة على الاتجاه الأوسط، والعمل ضمن قوات النطاق الدفاعى الثانى.

وبعد الخبرة السابقة فى التحركات المفاجئة على الجنزير لم يجد اللواء عناءً كبيراً فى أن يعيد تمركزه فى منطقة الحسنة، ولكن هذه المرة أصبح لدينا ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة، وبنهاية يوم ٢ يونيه كان اللواء بمنطقة تمركزه الجديدة مكلفًا بالعمل كاحتياطى تعبوى بالتعاون مع اللواء ١١٢ المشاة المستقل؛ لتنفيذ عدة ضربات مضادة بالإضافة إلى الاستعداد للدفاع عن منطقة الحسنة والقضاء على قوات الإبرار الجوى فى المنطقة، ومرة أخرى أتم اللواء استطلاع اتجاهات الضربات وإعداد القرارات المناسبة لها، وأتم تنظيم المعركة، وأصبح اللواء مستعداً لتنفيذ مهامه الجديدة من مكانه الجديد.

كلمة حق:

والحق يقال إن قادة وضباط اللواء ١٤ مدرع مستقل كانوا على أعلى مستوى من الكفاءة والرجولة والانضباط، وعلى مدى سنوات خدمتى كقائد لهذا اللواء نشأت بينى وبينهم علاقة حميمة كانت تربطنا جميعًا، رغم قسوتى عليهم فى العديد من المواقف، والطريف أن أكثرهم تعرضا لقسوتى كان ابنى النقيب طارق واصل (فى ذلك الوقت) وكان قائدًا لأحد سرايا الدبابات، وربما كان السبب فى نشأة علاقة الأسرة بينى وبين ضباط اللواء والتى امتدت إلى ضباط الصف والجنود، ربما كان السبب فى هذه العلاقة هو اقتناع الضباط بمنطق القسوة والحدة فى المحاسبة التى لم يكن لها غرض شخصى، وإنما هو الحفاظ على قوة اللواء كوحدة مقاتلة ترتكز على عنصرى الكفاءة الفنية والكفاءة التدريبية، وهما العنصران اللذان لم أكن لأقبل عذرًا فى أى إخلال بهما، وقد دعم اقتناع الضباط بهذا المنطق أن ابنى طارقًا كان أول من يطبق عليه أى أمر أو توجيه، ولم يكن فى أى لحظة مفضلاً عن أى فرد فى اللواء، وكان هو نفسه على قناعة تامة بهذا الموقف، وكان قدوة لزملائه بل إنه قد أنقذنى فى وسط المعركة بشجاعته وكفاءته، وهو ما سنعرضه فيما بعد، ولا يخفى على القارئ العزيز ما تعرضت له من ضغوط عائلية من جراء هذه السياسة التى أدت إلى تميز اللواء ١٤ مدرع مستقل فى تلك الفترة، الأمر الذى نتج عنه أن يكون اللواء هو أفضل وحدات القوات المسلحة فى عمليات ١٩٦٧، وأكثرها نجاحًا وأقلها خسائر وأكثرها إحداثا للخسائر فى القوات الإسرائيلية.

بدء الحرب وسير أعمال القتال:

بعد ظهر يوم ٤ يونيو تلقيت إشارة بضرورة تواجدى كقائد للواء ١٤ مدرع اعتباراً من صباح يوم ٥ يونيه فى مطار تماده؛ لاستقبال المشير عبد الحكيم عامر، ولقد شعرت بالضيق من هذه الإشارة، حيث كنت مشغولاً مع قادة وضباط اللواء فى استطلاع خطوط الضربات المضادة المكلف بها اللواء مع اللواء ١١٢ مشاة المستقل، واستكمال الخطوط النهائية للقرارات على هذه الخطوط، ولكن لم يكن هناك بد من طاعة الأوامر فأنا - قائد اللواء ١٤ مدرع مستقل - هو قائد الاحتياط التعبوى رقم ٢، وبالتالى لابد أن أكون فى استقبال نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة أسوة بقادة الفرق وقادة المنطقة الشرقية . . . إلخ، وهو بروتوكول متعارف عليه، ولكن هل كان من الضرورى الالتزام به فى هذه الظروف.

وتركت المهمة لرئيس أركان اللواء العقيد على عرفة لقيادة استطلاع أحد خطوط الضربات المضادة، وتوجهت صباح يوم ٥ يونيو إلى مطار تماده.

وفى تمام الساعة ٠٨٤٥ صباح يوم ٥ يونيو، ونحن فى انتظار طائرة المشير عبد الحكيم عامر، ظهرت الطائرات الإسرائيلية وقامت ٣ طائرات بالهجوم على مطار تماده، وألقت قنابل الدخان لتعليم حدود المطار، ثم هجمت طائرات أخرى ونجحت فى تدمير جميع الطائرات، وهى مصطفة على أرض المطار.

وكتبت فى نوتة سرية كانت معى « قامت الحرب وخسرنا الحرب ».

وعدت إلى اللواء على وجه السرعة والطائرات الإسرائيلية تعبر فوقى، الموجة تلو الأخرى، متجهة غربًا إلى القواعد الجوية والمطارات المصرية، وفى خلال أقل من ٣ ساعات كانت قواتنا الجوية قد خرجت من المعركة، وأصبحت القوات البرية فى سيناء والقوات البحرية فى البحرين الأحمر والمتوسط، بدون غطاء جوى، ويالها من بداية للحرب.

وعندما وصلت إلى اللواء وجدت القوات فى أوضاعها، وقد قام اللواء تحت قيادة العقيد على عرفة رئيس أركان اللواء بتنفيذ خطط الوقاية والإخفاء والتمويه بعد أن عرف بنشوب الحرب من رئيس أركان الفرقة ٣ المشاة، فقمت باحتلال مركز القيادة وبدأت فى متابعة التقارير والبلاغات عن أعمال قتال الأنساق الأولى.

وبعد اختراق العدو لدفاعات الفرقة ٧ المشاة التى قاتلت ببسالة فى منطقة رفح تحت السيادة الجوية الإسرائيلية على سماء المعركة، وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٥ يونيو أبلغنى قائد اللواء ١١٢ مشاة بأنه قد خرج من تجميع الاحتياطى التعبوى رقم ٢ وكلف بمهمة هجوم مضاد بالتعاون مع اللواء ١٤١ مدرع؛ لاسترداد مدينة العريش التى كانت قد سقطت، وبذلك أصبح اللواء ١٤ مدرع مستقل هو الاحتياطى التعبوى رقم ٢ منفردا، ويدعم عند دفعه ببعض وحدات المدفعية،ويؤمن عند دفعه بعدد آخر من وحدات المدفعية، وكما ورد بنص تعليمات المنطقة، الشرقية العسكرية «يؤمن دفع اللواء ١٤ مدرع مستقل بما لا يقل عن عدد (كذا كتيبة)» ويتراوح الرقم طبقا لخط الضربة المضادة .

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٥ يونيو كلف اللواء باحتلال خط صد دبابات العدو ضمن قوة الستارة المضادة للدبابات، والتى كانت مجهزة لإغلاق محاور التحرك القادمة من جنوب القصيمة. وبعد استطلاع المنطقة وتخصيص المهام بدأت كتائب الدبابات رقم ٢٠٠ ورقم ٢٠١ فى الوصول إلى الخط والاحتلال الذى تم فعلا بعد منتصف الليل بساعتين، وكانت الكتيبة ٢٠٣ دبابات على وشك الاحتلال عندما وصلت إشارة جديدة من قيادة المنطقة الشرقية بتكليف اللواء بالتحرك فوراً لتوجيه ضربة مضادة لاستعادة الموقف فى خط أم قطف ـ «أبو عجيلة» تحت ستر مظلة جوية، وكلفت الكتيبة ٢٠٣ دبابات بتغيير اتجاهها والعمل كقوة متقدمة للواء ودعمتها بكتيبة مدفعية، وبدأت الكتيبة تحركها فى تمام الساعة الرابعة من فجر يوم ٦ يونيو فى اتجاهها إلى الحسنة، ثم فى اتجاه «أبو عجيلة» .

وفى الوقت نفسه بدأت باقى كتائب اللواء فى الخروج من مواقعها فى خط الصد والتجمع وفى وادى العريش فى قولات والتحرك فى اتجاه «أبو عجيلة» .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٦ يونيو وصلت القوة الرئيسية للواء إلى تقاطع الحسنة، وهناك تعرض لأول هجوم جوى بالطائرات الإسرائيلية التى كانت تقصف مركز القيادة المتقدم للمنطقة الشرقية العسكرية فى الحسنة .

وبسرعة قمت بإصدار الأوامر بالتحرك خارج الطريق، ومع تنفيذ اللواء لهذا الأمر تكونت سحب كثيفة من الغبار مما أدى إلى عدم فاعلية الهجوم الجوى وأصيبت دبابة واحدة أثناء توقفها لإصلاح عطل فنى بها .

وفى الوقت نفسه أصدرت أوامرى للرتل الإدارى للواء بعدم التحرك من التجهيزات الهندسية فى منطقة الحسنة حتى لا يتعرض للطيران الإسرائيلى المسيطر على سماء المعركة.

المهمة الأخيرة (الخريطة رقم ١٢):

أثناء تقدم اللواء وصل الساعة ٠٧٠٠ ضابط اتصال من قيادة الفرقة ٣ مشاة وأبلغنى بسقوط «أبو عجيلة» وصدور الأوامر باحتلال النطاق الدفاعى الثانى على الخط العام العريش - جبل لبنى - الحسنة، كما أبلغنى أن مهمة اللواء ١٤ مدرع هى التمركز خلف النطاق الدفاعى الثانى للقيام بالضربات المضادة فى اتجاه شمال أو جنوب جبل لبنى، ومرة أخرى أصدرت أوامرى باحتلال منطقة التمركز المحددة وكانت من حسن الحظ هى نفسها أول منطقة احتلها اللواء يوم دخوله إلى سيناء يوم ١٧ مايو أى قبل حوالى ٣ أسابيع.

وقامت الكتائب باحتلال المنطقة، ودخلت الدبابات إلى حفرها القديمة، وتم إجراء الإخفاء والتمويه تحت هجوم جوى مستمر للطيران الإسرائيلى لم يسفر عن خسائر مؤثرة.

وكانت مهمة اللواء الساعة ١١٠٠ يوم ٦ يونيو هى الاستعداد لتوجيه الهجمات المضادة لتدمير العدو الذى يمكن إيقافه أمام قوات النطاق الدفاعى الثانى شمال جبل لبنى أو الاحتلال؛ لتكثيف الدفاع عن النطاق الدفاعى الثانى.

الموقف العام فى أرض المعركة:

الساعة ١١٠٠ صباح يوم ٦ يونيه كانت الدبابات قد قطعت أكثر من ٩٠٠ كم على الجنزير، وأصبحت فى حاجة ماسة إلى صيانة وقائية بالإضافة إلى أن الدبابات التى تم استكمال اللواء بها إلى ٩٤ دبابة بدلاً من ٦٧ دبابة كانت تعانى من بعض المشاكل الفنية، علاوة على عدم تدريب أطقمها المشكلة من الاحتياطى المستدعى على هذا النوع، أما الاحتياجات الإدارية للواء فكانت لاتزال فى الحفر فى الحسنة ولا يمكن تحركها قبل دخول الليل حتى لا تدمرها الهجمات الجوية الإسرائيلية، وكان الجميع فى حالة إرهاق شديدة وانخفاض حاد فى الروح المعنوية.

وكان كل ما تيسر من معلومات عن العدو أنه قد احتل منطقة «أبو عجيلة» ويتقدم على الطريق الأوسط كما أنه قد نجح فى صد وتدمير الهجوم المضاد الذى قام به اللواءان ١١٢ المشاة و ١٤١ المدرع فى منطقة بير لحفن، وعدا ذلك فلا معلومات عن قوة العدو أو اتجاهاته أو أعماله المحتلة.

وفى الأمام كان اللواء ١١٤ مشاة يحتل مواقع دفاعية من جبل الحلال حتى جبل لبنى، ولا يوجد اتصال معه أما باقى النطاق الدفاعى الثانى فكان غير محتل.

وكان الموقف غاية فى الخطورة، فالعدو ناجح ويتقدم، والمعلومات عنه لا تكفى لاتخاذ القرارات، والوقت المتبقى على المعركة لا يزيد عن بضع ساعات، وكان لعملنا الجاد فى اتخاذ القرارات للمهام السابقة الفضل فى سرعة وضع القرار المناسب وتخصيص مهام أولية للوحدات، وقمت بدفع «٢» دوريتى استطلاع واحدة على جبل لبنى والأخرى فى منطقة مطار السر بالقرب من طريق العريش الحسنة.

ولم يمض وقت طويل حتى أبلغت دورية استطلاع جبل لبنى الساعة ١٥٤٠ عن مشاهدتها لأعداد كبيرة من الدبابات الإسرائيلية تقوم بالالتفاف من شمال جبل لبنى واتخذت قرارى بقيام الكتيبة ٢٠٣ دبابات باحتلال قاعدة نيران؛ لصد العدو، ثم توجيه ضربة بالقوة الرئيسية للواء من كلا الجانبين؛ لتدمير قوة العدو المتقدمة.

وبالفعل تم احتلال قاعدة النيران تحت أشراف رئيس أركان اللواء الساعة ١٦١٥ وبدأ العدو فى فتح نيران مدفعياته على قاعدة النيران اعتباراً من الساعة ١٦٣٥ وحتى الساعة ١٦٤٥.

ومع بدء العدو فى الفتح إلى تشكيل المعركة بدأ تدخل مدفعيه اللواء بالضرب على أرتاله لمدة ١٥ دقيقة بدءاً من الساعة ١٦٤٥، وبدأ العدو فى فتح نيران دباباته أثناء التحرك، ولكنها لم تكن بالدقة الكافية، فلم تؤثر فى الدبابات المتقدمة للواء، وفى الوقت نفسه تمت السيطرة على نيران الدبابات وبدخول دبابات العدو فى المرمى المؤثر، وكان عددها ٣٥ بدأنا فى فتح النيران فجأة على العدو وفى دقائق كان العدو قد خسر ١٦ دبابة، وأثناء محاولته للمناورة على جانب اللواء أصيبت له ١١ دبابة أخرى، وتوقف العدو بعد أن أصاب لنا دبابتين وبدأ فى قصف مواقعنا بالمدفعية، وقام بعمل ستارة دخان؛ لستر ارتداد دباباته خارج المدى المؤثر لدباباتنا.

وفى هذه الأثناء أصيب، كما أصيب قائد كتيبة قاعدة النيران المقدم خورشيد وأخلى للخلف، وبمبادرة من أحد قادة السرايا فى الكتيبة ٢٠٣ دبابات قام بمطاردة العدو أثناء ارتداده، ومع إبلاغ القيادة بالموقف أمر قائد المنطقة الشرقية بتعيين رئيس الأركان قائداً للواء وعدم التورط فى المطاردة، وبالتالى أصدرت الأوامر بعودة السرية التى كانت تطارد العدو، وبدأ الطيران الإسرائيلى فى قصف مواقعنا فأصابوا لنا دبابة واحدة فقط بفضل التجهيز الهندسى الجيد لحفر الدبابات، وكفاءة وشجاعة رجال الدفاع الجوى باللواء.

وبالتالى ركز العدو هجومه الجوى على كتيبة الدفاع الجوى للواء، وأمكنه أن يسكتها بعد أن نفدت ذخيرتها، وقام بضربها بقنابل النابالم، واستشهد العديد من ضباط وجنود الكتيبة محترقين داخل مدافعهم ذاتية الحركة.

ومرة أخرى حاول العدو فتح الطريق الأوسط حيث قام بالالتفاف على الجانب الأيمن للواء، فتصدت له الكتيبة ٢٠١ دبابات، ودمرت له ٩ دبابات، فأضطر إلى تغيير اتجاه تحركه فى اتجاه الحسنة، وانتشر داخل معسكر قديم خارج مدى دباباتنا، ومرة ثالثة حاول العدو اختراق تشكيل اللواء، ونجحت الساعة ١٨٥٠ مجموعة صغيرة من الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات فى التسلل فى الفاصل بين الكتيبة ٢٠١ دبابات والكتيبة ٢٠٣ بب، ووصلت فعلا إلى مشارف مركز قيادة اللواء واشتبكت معها دبابة قائد اللواء وسرية الرشاشات المضادة للطائرات بالضرب الأرضى، وتمكنوا من أصابة دبابة معادية، بينما تمكنت دبابات العدو من تدمير سرية الرشاشات ونجحت سرية دبابات من الكتيبة ٢٠٠ دبابات التى تعمل احتياطى للواء فى إنقاذ قيادة اللواء وتدمير باقى الدبابات المهاجمة وعربتين صواريخ مضادة للدبابات.

وفى الساعة ١٩١٥ تم اكتشاف أعداد كبيرة من الدبابات متجهة من الشمال إلى الجنوب غرب جبل لبنى، وبدأت فى الانتشار فى المنطقة، ولم يمر وقت طويل حتى بدأت سرية دبابات فى الالتفاف حول الجانب الأيسر للواء فى محاولة لفتح طريق التحرك إلى محور وادى المساجد شمال مجموعة جبال المغارة، بدلا من الطريق الأوسط ولكن نيران المدفعية بالضرب المباشر ونيران الكتيبة ٢٠٠ دبابات تمكنت من

تدمير ٤ دبابات للعدو الذى اضطر للانسحاب شرقًا تحت ستر المدفعية، وبعد أن تمكن من إصابة ٥ دبابات بالصواريخ المضادة للدبابات.

وفى هذه الأثناء أصيبت دبابة قائد اللواء بصواريخ مضادة للدبابات، واحترقت وفى الساعة ٢٢٤٥ تمكن رئيس شئون إدارية اللواء من الاتصال باللواء، وأبلغ أن قيادة المنطقة الشرقية قد انسحبت إلى الإسماعيلية اعتبارًا من الساعة ١٨٣٠ ، وأن هناك أمرًا عامًا بالانسحاب، فقمت بجمع القادة، ونظمت عملية الانسحاب على أساس التمسك بمضيق الختمية كما كانت تقضى الخطة الدفاعية الأصلية، ولم نتمكن بالطبع من إبلاغ هذا القرار إلى القيادة لانقطاع الاتصال.

وبدأ اللواء فى الانسحاب اعتبارا من الساعة ٠١٣٠ يوم ٧ يونيو (ليلة ٦/ ٧ يونيه) وعندما وصلت طلائع اللواء إلى منطقة الجفجافة قابلت سرية دبابات من الفرقة ٤ المدرعة، وعلمنا أن الفرقة قد بدأت انسحابها إلى غرب القناة اعتبارًا من مساء يوم ٦ يونيو.

وواصل اللواء تقدمه على الطريق الأوسط تحت ستر نيران المدفعية التى كانت تعاون كتيبة المؤخرة التى كان العدو يضغط عليها بينما يواصل اللواء تقدمه.

واعتبارًا من صباح يوم ٧ يونيو بدأ الطيران الإسرائيلى فى مهاجمة رتل اللواء بكثافة شديدة وتمكن من تدمير ٣٤ دبابة وعربة قيادة بالإضافة إلى كتيبة المدفعية وعدد كبير من العربات القتالية والإدارية.

ووصل اللواء فى النهاية إلى القناة، وتمكن من العبور إلى الغرب بما تبقى من دباباته وعرباته بعد أن ترك العشرات منها محترقة ومدمرة على طريق الانسحاب .

الفرصة والنتيجة:

لقد أتاحت الظروف للواء ١٤ مدرع مستقل أن يقاتل، وأن ينفذ ما تعلمه ضباطه وجنوده من فنون القتال بمفرداتها المتعددة، ولذلك نجح اللواء فى تنفيذ ما كلف به من مهام حتى المعركة الأخيرة التى دخلها اللواء تحت ظروف السيادة الجوية للجانب

المعادى، وكانت خسائر اللواء فى معركته ضد العدو القادم من الطريق الأوسط أو من اتجاه العريش طفيفة، ولا تقارن بما أحدثه من خسائر فى العدو، رغم تفوق العدو فى نوعية الدبابات خاصة التى كانت تهاجم من اتجاه الشمال، وتفوقه أيضا فى عنصر الصواريخ المضادة للدبابات التى كان لها الفضل فى تدمير عدد من الدبابات فى تلك المرحلة منها دبابتى فى قيادة اللواء .

ورغم وصول اللواء بمعظم قوته إلى غرب القناة إلا أن خسائره أثناء الانسحاب لم تكن من القتال مع دبابات العدو، وإنما كانت كلها من الهجمات الجوية التى تابعت اللواء أثناء عملية الانسحاب .

والسؤال الذى يبرز هنا والذى سأترك للقارئ الإجابة عليه :

ما الذى كان يمكن أن تكون عليه نتيجة حرب ١٩٦٧ لو لم يصدر قرار الانسحاب، وتمسكت التشكيلات والوحدات المشاة والدبابات والمدفعية بمواقعها وقام القادة بمهامهم فى قيادة القوات فى المعركة ؟

هل كانت النتيجة ستكون هى ما سجله التاريخ على الجيش المصرى ؟

أم كانت النتيجة ستكون مثل ما سجله التاريخ للواء ١٤ مدرع مستقل ؟

* * *

الباب الخامس

حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول: الطريق من الهزيمة إلى النصر

الفصل الثاني: العبور العظيم

الفصل الثالث: الضربة المضادة الإسرائيلية

الفصل الرابع: القتال ضد العدو غرب القناة

الفصل الأول

الطريق من الهزيمة إلى النصر

القسم الأول: النهوض من الكبوة

القسم الثانى: مرحلة الصمود

القسم الثالث: مرحلة الدفاع النشط

القسم الرابع: مرحلة الإعداد للتحول للعمليات الهجومية

القسم الأول
النهوض من الكبوة

لقد اعتدت فى الأبواب السابقة أن أستهل الحديث عن كل مرحلة من مراحل الصراع بعرض تحليلى للظروف السياسية والعسكرية التى سبقت تلك المرحلة، كما اعتدت أيضًا أن أعرض تطور الموقف السياسى والعسكرى لمصر وتأثيره على طبيعة الحرب أو مرحلة الصراع، وعندما بدأت الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كمرحلة تاريخية من مراحل الصراع العربى الإسرائيلي وجدت صعوبة فى اتباع نفس الأسلوب للسببين الآتيين:

السبب الأول: إن حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى رأيى هى استكمال لعمليات حرب يونيو ١٩٦٧ التى - كما رأينا - لم يأخذ الجيش المصرى فرصته العادلة فيها لأسباب عديدة ذكرناها فى الباب السابق، ولذلك فقد تواصلت الأحداث دون توقف بعد الحرب كما سنرى فيما بعد.

السبب الثانى: هو حماسى الشخصى؛ لكى أسرد عليكم ما تم فى هذه الحرب التى سطرت فى التاريخ استعادة كرامة الجيش المصرى وثقته فى نفسه وثقة الشعب فيه، بنفس القدر الذى كشفت فيه النقاب عن زيف الدعاية الإسرائيلية عن جيشها الذى لا يقهر.

ومع ذلك فسأسرد فى عجالة تلك الأحداث المتلاحقة التى تلت الهزيمة فى ٥ - ٦ يونيو ١٩٦٧ لأهميتها فى رسم الصورة الصحيحة لتلك الفترة عالميًا وعربيًا وداخليًا على مختلف الأصعدة، ثم سأركز على أعمال القوات المسلحة فى الفترة نفسها وفى نهاية هذا القسم سأعرض كيف تم الإعداد لنصر أكتوبر العظيم.

تطور الأحداث عقب الهزيمة:

على الرغم من الظلام الدامس الذى ساد رؤية القادة والضباط والجنود أثناء عمليات يونيو ١٩٦٧، فقد شهدت سيناء بطولات خارقة من بعض الأفراد والوحدات إلا أن هذه البطولات رغم روعتها تاهت فى الظلام الذى أسدلته الهزيمة على أى صورة مشرقة، لقد أصبحت القوات المسلحة بعد الحرب فى موقف شديد الصعوبة، فقد تم تدمير القوات الجوية على الأرض، تبعها تدمير وحدات الرادار والوحدات المضادة للطائرات، ثم كان الأمر بالانسحاب بعد يوم واحد من القتال، وفقدت قواتنا حوالى ٨٠٪ من معداتها وأسلحتها، وتبعثرت القوات على الشاطئ الغربى لقناة السويس وفى معسكرات القناة دون مهام أو أوامر واضحة، وشهدت معسكرات الهايكستب ودهشور فى القاهرة وحبيب الله والشلوفة فى منطقة القناة تجمع الآلاف من الجنود والضباط بعد الانسحاب، وقد بليت ملابسهم وأحذيتهم وانتفخت أرجلهم، واحترقت وجوههم من رحلة الانسحاب الشاقة عبر دروب ووديان سيناء، كما امتلأت قلوبهم بالحزن ونفوسهم بالمرارة مما شاهدوه من آثار الهزيمة على طول طريق الانسحاب من معدات محترقة وجثث متفحمة، وما عانوه من القوات الإسرائيلية التى سيطرت على طرق الانسحاب والمعابر على القناة والتى راهنت خطأ على أن هذه القوات العائدة ستقوم بالإطاحة بنظام جمال عبد الناصر ولم تكن تتصور أن أولئك الجنود والضباط هم أنفسهم الذين سيذيقونها ذل الهزيمة ومرارة الخسارة بعد أقل من ست سنوات ونصف وبالتحديد فى أكتوبر ١٩٧٣.

وبعد توقف القتال، أخذت آلية الإعلان الغربى بالتحالف مع أبواق الدعاية الإسرائيلية تعلن أن هذه الحرب هى آخر الحروب، وأن العرب لن تقوم لهم قائمة عسكرية قبل خمسين عامًا على الأقل، وأن إسرائيل قد حصلت لأول مرة على حدود آمنة باستيلائها على أراض عربية تعادل من ٣ إلى ٤ مرات أضعاف مساحتها، فقد استولت إسرائيل فى ستة أيام على هضبة الجولان فى سوريا، والضفة الغربية لنهر الأردن كما استولت على القدس الشرقية وقطاع غزة، وسيناء حتى قناة السويس فيما عدا الجزء جنوب شرق بورفؤاد، وبالتالى أطلقت على جيشها الجيش الذى لا يقهر وعلى طيرانها «السلاح ذو اليد الطولى».

وكان الرئيس الأمريكى ليندون جونسون أبرز من جسد هذا المعنى حين صرح

بعد الهزيمة فى شماتة واضحة أنه على العرب أن يبتلعوا ألسنتهم فى حلوقهم، ويقبلوا بالحياة فى هذه المنطقة تحت قيادة إسرائيل ورعاية أمريكا .

ولم تنته مهام اللواء ١٤ مدرع مستقل الذى كنت قائدًا له فى عمليات يونيو ١٩٦٧ بانسحاب اللواء إلى الضفة الغربية لقناة السويس، فبعد الانسحاب، وأثناء وجودى بالمستشفى يوم ٧ يونيو للعلاج من الإصابة التى لحقت بى يوم ٦ يونيو أثناء القتال عند جبل لبنى، حضر إلى فى المستشفى اللواء سعد عثمان قائد الفرقة التاسعة (المجموعة الخاصة) وطلب منى تشكيل سرية دبابات للقيام بهجوم مضاد على منطقة جلبانة شرق القناة؛ لنجدة كتيبة الصاعقة التى كانت لاتزال تدافع عن القنطرة شرق ضد هجوم إسرائيلى بقوة كتيبة دبابات، على أن تلحق باقى كتيبة الدبابات بهذه السرية .

وقمت بتشكيل السرية من ١٢ دبابة، وعينت ابنى النقيب طارق واصل لقيادتها وقامت السرية بعبور القناة، واشتركت مع عناصر الصاعقة فى قتال ضارى ضد الدبابات الإسرائيلية التى انسحبت بعد أن منيت بعدة خسائر، وفوراً ظهر الطيران الإسرائيلي المسيطر تمامًا على سماء المعركة، ووجه هجومًا مركزًا إلى سرية الدبابات وكتيبة الصاعقة، فدمر جميع الدبابات وشتت عناصر الصاعقة، ولم ينقذ هذه القوات إلا العقيد إبراهيم الرفاعى من الصاعقة الذى قام بتجميع ضباط و جنود سرية الدبابات، ونقلها إلى غرب القناة، أما عناصر الصاعقة فقد وصلت إلى منطقة رأس العش تحت ضغط ضرب الطيران الإسرائيلى، حيث احتلت موقعًا دفاعيًا جنوب شرق مدينة بورفؤاد .

وقد عاتبنى اللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش فى ذلك الوقت على تعريض ابنى للخطر فى تلك الظروف، وكان ردى عليه إن ابنى واحد من ١٤٩ ضابط فى اللواء وأى ضابط منهم كان سيتعرض لنفس الخطر، فلماذا لا يكون ابنى هو ذلك الضابط .

وبعد خروجى من المستشفى بعد أن رفضت إجراء استخراج الشظايا من جسمى، عدت لقيادة اللواء ١٤ المدرع، وأعيد تمركزنا فى معسكر الشلوفة شمال السويس، ثم صدرت لنا الأوامر بالتوجه إلى نفيشه على مشارف مدينة الإسماعيلية

حيث كلفنا بحماية الكوبرى العلوى المؤدى إلى القاهرة، وبعد إتمام تجهيزه واحتلاله صدرت لنا الأوامر بتسليمه للواء آخر، وأعيد تمركز اللواء فى القصاصين بمهمة القيام بضربة مضادة على منطقة نمرة ٦ شرق الإسماعيلية أو الدفرسوار جنوبها، وبعد أن قمنا بدراسة الخطوط والاتجاهات وأعددنا القرارات والخطط، صدرت لنا الأوامر يوم ٢٢ يونيو بتسليم المهمة إلى لواء آخر والتحرك باللواء إلى بورسعيد للدفاع عنها.

و تحركنا إلى بورسعيد حيث قابلنا شعبها مقابلة جيدة رفعت من معنويات الضباط والجنود، وقدموا لنا كل المساعدات، فدفعت سريتى دبابات إلى مدينة بور فؤاد على الضفة الشرقية للقناة بمساعدة معديات وأوناش هيئة قناة السويس، وتولى اللواء ١٤ المدرع تأمين المدينة، بالتعاون مع عناصر الصاعقة فى رأس العش.

وفى يوم ٩ يونيو فاجأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر شعب مصر والعالم العربى والعالم كله بخطاب التنحى الذى كشف فيه التواطؤ بين إسرائيل وأمريكا لهزيمة مصر، واعترف فيه بحجم الهزيمة ومسئوليته عنها، ثم أعلن عن تنحيه عن قيادة مصر، ودعا إلى تولى رئيس جديد للبلاد خلفًا له.

وعلى عكس التوقعات بعد تلك الهزيمة، خرج الشعب المصرى بكل فئاته وأعماره وعلى اختلاف اتجاهاته السياسية وانتماءاته العقائدية؛ ليعلن للعالم أجمع أنه لن يستسلم للهزيمة، وأنه يرفض تخلى القائد الذى قاد مسيرة الثورة عن موقعه فى ذلك الوقت العصيب، ولم يهنأ القادة فى إسرائيل كثيرًا باستماعهم إلى جمال وهو يعلن التنحى - أخيرًا - عن قيادة مصر، ولعلهم لم يكملوا احتساء أنخاب النصر، فقد اهتزت المدن والقرى المصرية بالجموع الحاشدة التى خرجت فور نهاية خطاب التنحى فى مظاهرات هادرة تعلن رفض التنحى، وتطلب من جمال عبد الناصر البقاء والاستمرار فى المعركة؛ لتعويض الهزيمة واستعادة الأرض السليبة وإزالة آثار العدوان، ولم تهدأ الجموع الحاشدة أو تعود إلى منازلها إلا بعد أن انصاع جمال لإرادة الشعب، وما كان له أن يرفض هذا التكليف الشعبى التاريخى، وكان ما أعلنه كهدف للمرحلة التالية بعد أن قبل الرجوع عن قرار التنحى، وبدأ فورًا فى العمل من أجله: إعادة بناء الجيش المصرى، والاستعداد لخوض المعركة التالية فى الحرب مع إسرائيل.

والجدير بالذكر هنا أنه عندما أعلن الشعب رفضه للهزيمة، وتمسكه بجمال عبد الناصر للاستمرار فى قيادة المعركة؛ لإزالة آثار العدوان وتحرير سيناء، كان فى الحقيقة يعبر عن إحساسه الفطرى بالثقة فى أن جمال عبد الناصر ليس هو المسئول عن الهزيمة العسكرية، فقد أعلن جمال التنحى عن القيادة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ وقامت المظاهرات الشعبية فى اليوم نفسه، وبعد دقائق من نهاية الخطاب، وربما قبل نهايته واستمرت لليوم التالى، ولم يكن قد أعلن بعد عن أى مسئوليات أو فساد أو إهمال، والحقيقة التى يجب أن نثبتها هنا هى أن جمال عبد الناصر لم يصدر أمر الانسحاب بل إنه طلب من المشير عبد الحكيم عامر إلغاء الأمر الذى أصدره وهو ما يفسر إعادة دفع بعض الوحداتِ للشرق بعد انسحابها، ولكن بعد فوات الأوان وإفلات الزمام وتملك القوات الإسرائيلية مقاليد السيطرة على الموقف.

وكانت فرنسا أقرب الدول الغربية للشعور بما حدث فى مصر وقد أرسل الرئيس الفرنسى الجنرال شارل ديجول إلى جمال عبد الناصر رسالة شخصية، تعبر عن شخصيته المناضلة كقائد للمقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، يقول فيها:

«إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم، وما يهم هو الإرادة، ففرنسا فى وقت من الأوقات كان نصفها تحت الاحتلال النازى، ونصفها الآخر خاضعًا لحكومة عميلة، ولكن فرنسا لم تفقد إرادتها ؛ إن الشجاعة الحقيقية هى مواجهة المحن، أما الأوقات السعيدة فإنها لا تستدعى هذه الشجاعة».

وفى مساء يوم ١٠ يونيو أصدر مجلس الأمن قرارًا بوقف إطلاق النار، دونما ذكر شيء عن ترتيبات عودة الوضع إلى ما كان عليه؛ ليتضح لنا أن العمل السياسى بمفرده لن يؤدى إلى استعادة الأرض، وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة، ووضح اتفاق أمريكا وروسيا على أن تعمل الولايات المتحدة على انسحاب إسرائيل من الأرض العربية، وأن يعمل الروس على إقناع العرب بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بها، أى أنهما كانا يهدفان إلى تسكين الأوضاع فى المنطقة، ومنذ ذلك الحين بدأ الدعم السوفييتى لمصر بالسلاح والخبراء.

ومع هذه الأحداث المتلاحقة أحس القادة العرب بخطورة الموقف فى مصر التى

هى السند الرئيسى للمنطقة العربية، فسارع وزراء الخارجية العرب بالحضور إلى مصر، وقدموا الكثير من الدعم حتى أن الجزائر أرسلت ٤٠ طائرة حربية لمصر، وأقر القادة العرب عدم ضخ البترول للدول التى تساعد إسرائيل، إلا أنه تم التنسيق بناء على طلب السيد محمود رياض وزير خارجية مصر حينذاك على أن يستمر الضخ مع تخصيص ١٠ ٪ من عائدات البترول لدعم المجهود الحربى لدول المواجهة، كما تم التنسيق بين الدول العربية فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ٦٧ على مساهمة الدول العربية فى المعركة بوحدات فرعية من الجزائر وليبيا والسودان وفلسطين والكويت.

وكان من الطبيعى أن يبدأ جمال عبد الناصر عملية إعادة بناء القوات المسلحة بتغيير القيادات التى فشلت فى إدارة المعركة وأدت إلى الهزيمة، فتم تنحية عدد كبير من المسئولين فى وزارة الحربية وقيادات القوات المسلحة من مناصبهم، وكان على رأسهم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة، وشمس بدران وزير الحربية. وفى ١١ يونيو قامت قوات حراسة المشير عامر فور تنحيته من القيادة بمظاهرة عسكرية إلى قيادة القوات المسلحة للمطالبة بعودة المشير إلى القيادة، وتم تفريق هذه المظاهرة، والقبض على عناصرها القيادية، وإعادة القوات إلى معسكرها.

وفى الوقت الذى كانت القيادة السياسية والقوات المسلحة مشغولة بمواجهة الاستفزازات الإسرائيلية ومحاولة إعادة تنظيم الدفاع عن القناة والقاهرة بما تبقى من القوات، بدأ تجمع عدد من المسئولين السابقين والضباط الذين تم إحالتهم للتقاعد، ومنهم من كان أداؤه فى الميدان سببًا مباشرا من أسباب الهزيمة، وفى منزل المشير عبد الحكيم عامر، وفى شهر أغسطس ١٩٦٧ بدأت تتجمع خيوط المؤامرة للاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة وإعادة تنصيب المشير عبد الحكيم عامر قائدًا لها.

وتلخصت خطة المؤامرة كما لخصها السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة ثورة يوليو ورئيس محكمة الثورة فى قيام المشير عبد الحكيم عامر بزيارة ودية للرئيس جمال عبد الناصر يتم خلالها بشكل ودى طلب العودة إلى قيادة القوات المسلحة، وفى حالة رفض جمال لهذا المطلب كما هو متوقع، يتم تحرك المشير بواسطة طائرة هليكوبتر إلى مركز القيادة فى منطقة القناة تحت حماية قوة من مدرسة

الصاعقة علاوة على قوة الحراسة الخاصة به، ومن هناك يعلنون تولى المشير قيادة القوات المسلحة، وبدأت الاتصالات بالقيادة ـ خاصة التى تم تنحيتها ـ لزيارة المشير فى منزله، وكان يلزم المتآمرين قوة كبيرة قادرة على مواجهة قوات الحرس الجمهورى للسيطرة على مقاليد الأمور سواء فى القاهرة أو القيادة فى منطقة القناة.

وكنت قد عينت قائداً للفرقة الرابعة المدرعة اعتباراً من ٥ أغسطس ١٩٦٧، وهى أقدم وأقوى التشكيلات المدرعة وتعتبر بحق مدرسة قادة المدرعات فى الجيش المصرى، وحاول بعض أعوان المشير عبد الحكيم عامر الاتصال بى، وكذلك فعل قائد سلاح حرس الحدود أيضًا، وزارنى فى المنزل بعض أعوان المشير عامر أثناء وجودى بالقاهرة؛ لإقناعى بزيارة المشير فى منزله بمنطقة الحرّانية بالجيزة بدعوى إظهار الولاء والتعاطف معه فى تلك الظروف الصعبة، وأحسست بسوء النية فى هذا المطلب الذى ليس له ما يبرره بعد مرور فترة طويلة على تنحيته عن قيادة القوات المسلحة، فرفضت هذا الطلب المشبوه متعللاً بعدم تعودى على زيارة الضباط الأقدم منى فى منزلهم، بالإضافة إلى أننى كنت مشغولاً بإعادة تنظيم وتسليح الفرقة الرابعة المدرعة التى تم تدمير معظمها فى الحرب.

وبعد أيام قلائل تم القبض على عناصر المؤامرة كاملة فى منزل المشير عبد الحكيم عامر، وانتهت المؤامرة الفاشلة بانتحار المشير فى منزله فى نهاية مأساوية لواحد من أبرز أعضاء مجلس قيادة الثورة وأقربهم إلى قلب الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، وفى يناير ١٩٦٨ بدأت محاكمة عناصر المؤامرة أمام محكمة الثورة واستدعيت للشهادة وعلى مدى يومين كاملين أدليت بشهادتى ومعلوماتى التفصيلية عن الموضوع أمام محكمة الثورة التى كان يرأسها السيد حسين الشافعى الذى كان من أهم ما أعلنه عن نتائج التحقيقات أن فكرة المؤامرة قد نبعت من نفس القادة الذين أخفقوا فى قيادة قواتهم فى الميدان، ومنهم من ترك قواته فى أحرج لحظات المعركة، وعاد إلى القاهرة مما أدى إلى فقد السيطرة على القوات وتعرضها للهزيمة الفادحة، وكان هؤلاء القادة هم الذين أقنعوا المشير عبد الحكيم عامر بخطة المؤامرة التى حاولوا تنفيذها للمحافظة على مناصبهم ونفوذهم تحت ستار إعادة تنصيب المشير عامر قائداً للقوات المسلحة.

وفى الشهر نفسه، يناير ١٩٦٨، كانت محاكمة قادة القوات الجوية قد انتهت

وصدرت ضدهم أحكام لم يرض عنها الشعب، واعتبرها متساهلة مقارنة بحجم النتيجة التى أدى إليها إهمالهم، وثارت المظاهرات مرة أخرى من طلبة الجامعات والعمال، واضطر وزير الحربية الفريق أول محمد فوزى إلى عدم التصديق على الأحكام وإعادة محاكمتهم مرة أخرى، حيث غلظت الأحكام ضدهم إلى السجن والأشغال الشاقة، وهدأت الجماهير الغاضبة الحزينة.

لقد كانت الضربة الجوية الإسرائيلية بمثابة الضربة القاضية التى أفقدت القوات المسلحة اتزانها لعدة أيام، عادت بعدها القوات إلى إصرارها وتمسكها بمواقعها واستبسالها فى القتال بما تبقى لها من سلاح ورجال، وهو ما استلهمه الرئيس جمال عند وضع تصوره لمهام ومسئوليات المرحلة التالية التى أعلنها يوم ١١ يونيو عندما اجتمع بالقيادة العسكرية الجديدة لوضع استراتيجية المرحلة المقبلة، والتى تلخصت فى: إعادة التنظيم، إعادة تقييم الموقف، إعادة البناء والتخطيط للمستقبل.

وقد أصدر الرئيس جمال توجيهاته إلى الفريق أول محمد فوزى بإعداد القوات المسلحة وتجهيزها لإزالة آثار العدوان بعد مرحلة تحضيرية قدرها الرئيس جمال عبد الناصر بفترة زمنية من ٣ إلى ٤ سنوات.

وبالتالى استهدف التخطيط الاستراتيجى للقيادة العامة للقوات المسلحة تحقيق الهدف الذى حددته القيادة السياسية، وهو «إزالة آثار العدوان» على ثلاث مراحل رئيسية كالآتى:

المرحلة الأولى: مرحلة الصمود لإعادة بناء القوات المسلحة وتحقيق القدرة الدفاعية.

المرحلة الثانية: مرحلة الدفاع النشط لإرهاق العدو وتوفير القدرة الهجومية.

المرحلة الثالثة: مرحلة التحول للعمليات الهجومية لتحرير الأرض المحتلة.

وفى تلك الفترة، حدثت عدة أحداث مهمة على مستوى القوات المسلحة المصرية كان لها من المعانى الكثير وكانت الأساس لعودة الروح إلى الجيش المصرى وعودة الأمل إلى الشعب المصرى والثقة إلى الشعب العربى، وهو ما سنعرضه فى الصفحات التالية.

* * *

القسم الثانى
مرحلة الصمود

عملت القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادات الأفرع الرئيسية فى خلال هذه المرحلة على سرعة بناء القدرة الدفاعية لتأمين الجبهة، التى أصبحت قناة السويس وخليج السويس، وتجهيز المواقع الدفاعية على الضفة الغربية للقناة والساحل الغربى لقناة السويس - وهو ما كانت القوات المنسحبة قد بدأت فيه بالفعل بعد الانسحاب فى مرحلة جمع الشتات، وإعادة تجميع الوحدات من الجنود والضباط المنسحبين - كما تم إنشاء التجهيزات الهندسية اللازمة لهذه المواقع، وكذلك المطارات والقواعد الجوية، وصدرت الأوامر بأن يتم الالتزام بسياسة ضبط النفس على الجبهة والاقتصار على الرد على العدوان، ومنع العدو من اكتساب أى أراض جديدة أو العبور غرب القناة، ولاشك أن المعاونة الجادة من الاتحاد السوفييتى الذى كثف من شحنات الأسلحة والذخائر؛ لتعويض الخسائر التى حدثت فى عمليات يونيو ١٩٦٧ كان لها أكبر الأثر فى سرعة استعادة القدرة الدفاعية للقوات المسلحة على الضفة الغربية لقناة السويس.

وفى أول يوليو ١٩٦٧ أى بعد عشرين يومًا فقط على وقف إطلاق النار قامت إسرائيل بماعرف عنها من الغدر وعدم الالتزام بقرارات المجتمع الدولى والسعى لفرض الأمر الواقع بالقوة، بالهجوم على منطقة رأس العش شرق مدينة بورفؤاد بكتيبة من المشاة الميكانيكية تدعمها الدبابات والصواريخ ضد عناصر من الصاعقة التى استبسلت فى الدفاع عن مواقعها، ومنى الهجوم بالفشل، وبناء على أوامر قائد قطاع بورسعيد العسكرى قمت بدفع سرية مشاة ميكانيكية من اللواء ١٤ مدرع مستقل؛ لمعاونة الصاعقة فى الدفاع عن المدينة، وقد تكرر الهجوم الإسرائيلى ثلاث مرات باءت جميعها بالفشل، ولم يُجْد الضرب الجوى المكثف على قواتنا فى كسر

روح الصمود والتحدى لديها، واضطرت القوة الإسرائيلية للانسحاب بعد أن منيت بخسائر مؤثرة، وبذلك أصبحت رأس العش هى الجزء الوحيد من سيناء الذى لم يقع فى يد القوات الإسرائيلية، و سجل التاريخ العسكرى معركة رأس العش كأول مظاهر عودة الروح للجيش المصرى وإعلانه عن رفع راية التحدى، رغم الجراح التى لم تلتئم والدماء التى لم تجف.

وفى يوم ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧ أى فى الشهر نفسه قامت قواتنا الجوية بالتصدى للطيران المعادى فوق منطقة القناة، فانسحبت طائرات استطلاعه، ودخل مع قواتنا فى معركة خسر خلالها العدو طائرتين، ولاذ الباقى بالفرار، وأكملت الطائرات المصرية مهمتها بالهجوم فى عنف على القوات الإسرائيلية فى سيناء، كأنما أراد الطيارون المصريون أن يعبروا عن قدرتهم الحقيقية التى كان يمكنهم إظهارها فى الحرب، لو توفر لهم القادة المخلصون الأكفاء، وشاهد الجنود المصريون من على الضفة الغربية للقناة الجنود الإسرائيليين على الضفة الشرقية، وهم يفرون مذعورين، وظهرت صورهم فى اليوم التالى على صفحات الجرائد تؤكد بدء الصحوة واستعادة الروح للقوات الجوية، رغم ما أصابها من خسائر فادحة.

وكان لابد من استغلال ارتفاع الروح المعنوية بين القوات نتيجة لهذه الأعمال المجيدة، فصدرت الأوامر فى أغسطس ٦٧ بإنشاء إدارة التوجيه المعنوى الذى لعبت دوراً فعالاً فى هذا المضمار، وأصبح قائد الوحدة أو التشكيل هو المسئول الأول عن رفع الروح المعنوية لقواته يعاونه ضابط متخصص، وازداد الاهتمام بالفرد من ناحية التغذية وحل مشاكله مما قلل الفجوة بين الضابط والجندى، فالجندى بلا روح جثة هامدة، كما كان للزيارات الميدانية التى قام بها كبار الزوار لمصر من العرب والأجانب وكبار رجال الدولة فى مصر أثر كبير فى رفع الروح المعنوية للقوات.

ولم يكن للقوات البحرية المصرية العريقة أن تتخلف كثيراً عن ركب استعادة الروح وفى يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ انتهزت القوات البحرية فرصة دخول المدمرة الإسرائيلية إيلات مياهنا الإقليمية أمام شاطئ بور سعيد، وبعد أن أبلغ عنها قبطان مصرى يقود سفينة تجارية كما رصدتها أجهزة استطلاع البحرية، تصدى لها زورقان من زوارق الصواريخ من قاعدة بور سعيد ودمراها بالصواريخ سطح - سطح، وغرقت المدمرة إيلات أكبر الوحدات البحرية الإسرائيلية بعد الغروب، وهرع إليها

الكثير من هليكوبترات العدو؛ لإنقاذ الغرقى الذين بلغ عددهم ٦٥ فردًا من طاقمها بالإضافة إلى من كان على متنها من طلبة الكلية البحرية الإسرائيلية، وقد كان لهذه العملية صدى عالمى كبير؛ إذ أنها قلبت موازين ونظريات الحروب البحرية، كما أدى ذلك إلى رفع روح القوات المصرية، وخاصة البحرية التى اتخذت من هذا اليوم عيدًا لها.

وقد أظهرت تلك العمليات البطولية فى هذا الوقت القصير بعد الهزيمة الكاسحة للجيش المصرى فى يونيو ١٩٦٧، أن إسرائيل قد حققت نصرًا سريعًا لا تستحقه وأننا خسرنا حربًا لم ندخلها، بل تركت لدى الجيش إيمانًا وتصميمًا على الأخذ بالثأر وتحرير الأرض السليبة، والأهم من ذلك أنها تركت لدى الشعب قناعةً بأن قراره برفض تنحى جمال عبد الناصر كان قرارًا صائبًا، ومن ثم بدأ الشعب فى تحمل أعباء الاستعداد للجولة التالية بصبر وتقدير ووعى.

أما على الجانب الإسرائيلى الذى كان لايزال يعيش أوهام النصر السريع الذى أحرزه، فقد ترددت أصوات الثأر ضد المصريين، وبدأت إسرائيل فى تصعيد العمليات العسكرية على جبهة قناة السويس، ففى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧، وردًا على إغراق المدمرة إيلات، قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف مدينة السويس والمنشآت البترولية فى الزيتية من مواقعها فى لسان بور توفيق وجبل المر وعيون موسى واشتعلت النيران فى المستودعات و المنشآت، وبذل المهندسون والعمال وأفراد شعب السويس الأبطال جهودًا خارقة لإطفاء النيران المشتعلة، ومن ثم تقرر تفكيك هذه المنشآت ونقلها إلى داخل البلاد. كما تم تهجير أهالى مدن القناة إلى محافظات الجمهورية، وبذلك فوتت القيادة المصرية على إسرائيل فرصه استخدام المنشآت البترولية ومستودعات البترول فى الزيتية كوسيلة ضغط على مصر؛ لإرغامها على قبول شروطها.

وفى نوفمبر ٦٧ تم دفع المدفعية المصرية للأمام قرب القناة، وبدأت الاشتباك مع العدو شرق القناة وأنزلت به خسائر فادحة فى تحصيناته ومعداته ومراكز قياداته وسيطرت على النطاق التكتيكى للعدو لمسافة حوالى ٢٠ كم شرق القناة مما أدى إلى رفع الروح المعنوية للقوات، وأكسبتهم الثقة فى قدراتهم وأسلحتهم، وأكدت روح الصمود والتحدى لديهم، وتحققت المقولة إن الجندى المدرب المطعم بروح معنوية عالية يمكنه التصدى لأقوى أنواع الدروع.

وفى يناير ١٩٦٨ أعلنت إسرائيل عن غرق الغواصة الإسرائيلية داكار فى البحر المتوسط فى مواجهة الإسكندرية، واستمر البحث فترة طويلة، ولم ينج أحد من طاقمها، والحقيقة أن هذه الغواصة قد أغرقتها كاسحة الألغام أسيوط إحدى الوحدات البحرية المصرية عند اكتشافها فى مهمة مراقبة أمام سواحل الإسكندرية.

ولسهولة السيطرة على القوات تم فى ١ يناير ١٩٦٨ تقسيم جبهة قناة السويس إلى جيشين ميدانيين، الجيش الثانى الميدانى، وقطاع مسئوليته يمتد من فايد حتى بور سعيد شمالاً، والجيش الثالث الميدانى الذى يمتد قطاع مسئوليته من غبة البوص على خليج السويس حتى كبريت شمالاً، كما تم تحويل قطاع البحر الأحمر إلى منطقة عسكرية؛ لتصبح مواجهة الجبهة أكثر من ٦٠٠ كم من ميناء سفاجا على البحر الأحمر جنوبًا إلى بور سعيد على البحر المتوسط شمالاً، واستحدثت محطات عسكرية تتبع للجيوش الميدانية لزيادة السيطرة على مناطق تمركز القوات والقرى والمدن التى تقع فى نطاقها، وتم انضمام الفرقة ٤ المدرعة التى كنت قد توليت قيادتها منذ أوائل شهر أغسطس ١٩٦٧ على الجيش الثالث الميدانى.

وكان من أهم الدروس المستفادة من أحداث حرب ١٩٦٧، ظهور أهمية قوة وحدات الدفاع الجوى وعناصر الرادار والإنذار، فتم تكوين قيادة الدفاع الجوى فى منتصف عام ٦٨، وتم فصلها عن القوات الجوية، وأصبحت القوة الرابعة للقوات المسلحة وبدء فى تطويرها تطويراً شاملاً؛ لتصبح قادرة على التصدى للقوات الجوية الإسرائيلية، كما تم زيادة عناصر الدفاع الجوى فى وحدات وتشكيلات المشاة والمدرعات، لتوفير الحماية المباشرة عن القوات المقاتلة ضد الطيران الإسرائيلى.

وتوالت الجهود؛ لإعادة تنظيم القوات المسلحة، فشكلت وحدات جديده من المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، كذا وحدات جوية جديده لزيادة القوة الدفاعية، كما تم تجنيد المؤهلات المتوسطة والعالية؛ لسهوله استيعاب المعدات الحديثة، وخلال هذه الفترات كانت هناك أعمال كثيرة لتجهيز مسرح العمليات، وكان كل ذلك يسير فى خطوط متوازية كما ساعد الدفاع الشعبى الذى أعيد تنظيمه فى سرايا و كتائب وألوية فى القيام بحراسة الأهداف الحيوية فى البلاد، وفى مرحلة تالية تم زيادة عدد الدبابات فى اللواء والفرقة المدرعة لمقابلة عدد الدبابات فى اللواء المدرع الإسرائيلى.

القسم الثالث
مرحلة الدفاع النشط

عندما اطمأنت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى تماسك الوضع الدفاعى على القناة بدأت فى التحول إلى المرحلة التالية، وهى مرحلة الدفاع النشط، وقد بدأت تلك المرحلة فى سبتمبر ١٩٦٨ كمرحلة انتقالية تتدرج فيها الأعمال القتالية؛ لتحقيق الأهداف الآتية:

* رفع الروح المعنوية لدى القوات المسلحة واستعادتها للثقة فى نفسها، وفى الوقت نفسه التأثير على الروح المعنوية للقوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة.

* رفع الروح المعنوية للشعب المصرى والعربى.

* المحافظة على بقاء مشكلة احتلال إسرائيل للأراضى العربية فى يونيو ١٩٦٧ ساخنة، لدفع الاتحاد السوفييتى إلى تزويد مصر بالسلاح المتطور، وإبقاء المشكلة فى دائرة الاهتمام الدولى.

* وضع القوات الإسرائيلية تحت الضغط المستمر، وإزعاجها وإرهاقها وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة؛ لخفض روحها المعنوية، وإفقادها الثقة بالنفس وإقناع القيادة الإسرائيلية بالثمن الباهظ التى تدفعه يوميًا للاستمرار فى الاحتلال.

* تهيئة الظروف الملائمة للتحول إلى مرحلة العمليات الهجومية.

و قد بدأت مرحلة الدفاع النشط بدفع عناصر الاستطلاع بالتدريج من ناحية الحجم والعمق ومدة الاستمرار إلى شرق القناة لجمع المعلومات عن العدو، ثم تطورت تلك العمليات إلى عمل الكمائن، ثم دوريات خلف خطوط العدو، لمعرفة

نظامه الدفاعي وتجمعات قواته ومراكز قيادته، ونجحت إحدى الوحدات من الصاعقة في تدمير مستودع ذخيرة تركته قواتنا أثناء حرب ١٩٦٧ في شرق القناة؛ لحرمان العدو من الاستفادة به. وخلال هذه المرحلة تطورت الخطط الدفاعية حسب تطور عملية إعادة التنظيم والتسليح والتدريب للقوات المسلحة حتى انتهت بالخطة الدفاعية ٢٠٠ التي تم بها بناء قاعدة دفاعية قوية للتحول إلى العمليات الهجومية .

مرحلة حرب الاستنزاف الحاسمة:

قال الجنرال عزرا وايزمان الذي كان وزير الدفاع الإسرائيلي ثم رئيسًا لدولة إسرائيل فيما بعد في كتابه النسور الزرقاء:

«إن حرب الاستنزاف التي سالت فيها دماء أفضل جنودنا، مكنت المصريين من اكتساب حريتهم على مدى ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر العظمى في عام ١٩٧٣، وعلى ذلك، فإنه سيكون من الغباء أن نزعم أننا قد كسبنا حرب الاستنزاف، وعلى العكس من ذلك فإن المصريين- بالرغم من خسائرهم- هم الذين حصلوا على أفضل ما في هذه الحرب، وفي الحساب الختامي، سوف تذكر حرب الاستنزاف على أنها أول حرب لم تكسبها إسرائيل، وهي الحقيقة التي مهدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم الغفران».

وتعتبر حرب الاستنزاف التي بدأت فعليًا في مارس ١٩٦٩ هي أول حرب تضطر فيها إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة عالية من القوات الاحتياطية بالتعبئة لمدة طويلة مما كان له أثر سلبي على معنويات الشعب الإسرائيلي والحياة الاقتصادية في إسرائيل، حيث تعتبر القوات الاحتياطية هي عماد الجيش الإسرائيلي، وهذه القوات في الحقيقة تكون في السلم عماد القوة العاملة في إسرائيل، وخلال تلك الفترة اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بحوالي ٢٠ لواءً في ذروة حرب الاستنزاف، وهو ما يعادل نصف وعاء التعبئة للقوات البرية وكل السلاح الجوي، وقد اضطرت إسرائيل إلى الدفع بقواتها الجوية إلى المعركة في محاولة للتأثير على إصرار القيادة المصرية على الاستمرار في هذه الحرب من خلال الغارات الجوية في العمق، ثم على أهداف مدنية، بينما يمكن القول بان غاراتها المكثفة على الجبهة لم تأت بثمارها المرجوة، وإن كانت السبب في تأخير استكمال بناء حائط الصواريخ على الضفة

الغربية لقناة السويس إلى ما بعد مبادرة روجرز فى ٨ أغسطس ١٩٧٠، التى ما إن تمت الموافقة عليها حتى أسرعت القيادة الإسرائيلية بتخفيض نسبة التعبئة إلى أقل من ١٥ ٪ بالنسبة للقوات البرية، وإلى أقل من ٣٠ ٪ للقوات الجوية.

وبدأت حرب الاستنزاف بصدور الأوامر بتدمير دفاعات وأسلحة العدو على الضفة الشرقية للقناة على طول المواجهة مع العدو، وفى ٨ مارس ١٩٦٩ تم تنفيذ قصفه المدفعية الشاملة على مواقع العدو، وكانت نتائجها مؤثرة على المواقع الإسرائيلية، وقد استشهد أثناءها الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى كان يراقب القصف من أحد المواقع على الضفة الغربية للقناة نتيجة للقصف المضاد من مدفعية العدو.

وليس أبلغ فى وصف هذه المعركة مما قاله العميد أشعيا ـ هو أحد القادة الإسرائيليين ـ: « لقد ارتعدت من شدة القصف وفاعليته، لقد استخدم المصريون حوالى ١٥٠ بطارية مدفعية وأعدادًا كبيرة من الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والرشاشات، وكانت معظم الطابات ذات صمام تأخير، لقد شن المصريون مفاجأة على طول جبهة القتال، فقتل من قتل وجرح الكثير من الهجوم، وتهدمت المخابئ كما لو كانت بيوتًا من ورق، ثم تبعه قصف آخر ووضح أن هناك ثمة تغيير فى أسلوب الدفاع ».

وبعد هذا القصف بدأت إسرائيل فى بناء خط بارليف، واستخدام الدفاع المتحرك بدلاً من الدفاع الثابت الذى لا تعتنقه إسرائيل.

وتعتبر هذه الفترة من أصعب وأدق المراحل، فالقتال فيها قد أخذ طابع الاستمرارية والعنف والجرأة مما أزال حاجز الخوف عن القوات المصرية، وكان لبناء حائط الصواريخ فى العمق وبالقرب من الجبهة أثر فعال فى تحطيم ذراع العدو الطويلة، فلجأت القوات الجوية الإسرائيلية للهجوم على الأهداف المدنية والمواقع المنعزلة، حرصًا على عدم زيادة خسائرها من الطائرات وفى الفترة نفسها قامت قواتنا البرية بالكثير من العمليات على الجبهة، كما قامت الضفادع البشرية من القوات البحرية بالإغارة على ميناء إيلات، كذا قامت المدفعية بأعمال مجيدة فى تدمير تحصينات خط بارليف وإحباط جهود إنشائه، كما تم تنفيذ عملية هجوم ليلى صامت على لسان بورتوفيق.

وقام الدفاع الجوى على الجبهة بالعديد من الكمائن أسقط منها العديد من طائرات العدو، وفى يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ أسقط أحد كمائن الدفاع الجوى طائرة هليكوبتر تحمل ١٣ خبيراً إسرائيلياً كانوا فى زيارة للجبهة، وأطلقت إسرائيل على هذا اليوم السبت الحزين كما أسقطت كمائن الدفاع الجوى ١٢ طائرة فانتوم للعدو فى أسبوع واحد، وأطلق على ذلك الأسبوع أسبوع تساقط الفانتوم، **هذا بخلاف الإغارات والكمائن بواسطة القوات الخاصة فى سيناء والتى تصاعدت حتى وصلت إلى الإغارة بحوالى كتيبة صاعقة فى منطقة البلاح، تم خلالها قتل العشرات من جنود وضباط العدو، وتدمير العشرات من دباباته ومركباته وعرباته، علاوة على أسر العديد من أفراده والحصول على وثائق وخرائط تحوى معلومات مهمة عن أوضاعه وخططه الدفاعية.**

أما القوات البحرية فقد كان لها نشاط كبير فى أثناء حرب الاستنزاف، حيث قامت الضفادع البشرية بالإغارة على ميناء إيلات الإسرائيلى، كما قامت بتدمير السفينة الإسرائيلية بيت شيفع، وفى عمل انتحارى تم تدمير سفينة أبحاث إسرائيلية فى بحيرة البردويل بشمال سيناء، وتم تنفيذ عدة إغارات على خزانات الوقود فى ميناء إيلات، وانطلاقاً من المهام الاستراتيجية التى تميز القوات البحرية عن باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، قامت القوات الخاصة البحرية بتدمير الحفار الإسرائيلى كينج الذى كانت إسرائيل تخطط لاستخدامه فى استخراج البترول من تحت مياه خليج السويس بالحفر المائل، وقد تم تدمير الحفار أثناء رسوه فى ميناء أبيدجان بساحل العاج.

والحقيقة أن إيقاع الخسائر بالعدو قد وصل إلى أقصى مدى فى ذروة حرب الاستنزاف، وأصبح هناك شبه منافسة بين الجيش الثالث والجيش الثانى فى تنفيذ العمليات التى تتم لتدمير مواقع العدو أو إيقاع قواته فى الكمائن أو الإغارة على مواقعه ومنشآته، والحصول على أسرى أو أسلحة أو وثائق وخرائط، ووصلت هذه العمليات إلى أكثر من ٤٥٠ عملية متنوعة.

حتى أن الجيش الثانى الذى كان تحت قيادة اللواء عبد المنعم خليل خلال حرب الاستنزاف، قام بالاستيلاء على موقع إسرائيلى شمال جزيرة البلاح، وقام برفع العلم المصرى عليه، واستمر احتلال الموقع طوال الليل، ولم تنسحب القوة المصرية

إلى الضفة الغربية للقناة إلا بعد صدور الأوامر بالانسحاب من الموقع من الفريق أول محمد فوزى وزير الدفاع آنذاك .

أهمية حرب الاستنزاف:

إن حرب الاستنزاف فى اعتبارى هى الأب الشرعى لنصر أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان لآثارها الإيجابية التى سأذكرها فى السطور التالية دور مهم للغاية فى تجهيز القوات المسلحة لحرب أكتوبر :

*** المحافظة على إرادة القتال والروح المعنوية للقوات والتطعيم للمعركة :**

لقد كانت معارك حرب الاستنزاف بمراحلها المتصاعدة حافلة بالكثير من التجارب والدروس التى استفاد منها المخطط المصرى فى التحضير والإعداد والتخطيط لحرب أكتوبر ، كما استفاد منها الضابط والجندى المصرى فيما نسميه بالتطعيم للمعركة ، فالقتال بكل أشكاله البدائية أو الحديثة هو فى البداية تهديد لحياة الفرد ، وهو ما يدفع إلى الخوف على النفس كشعور أولى ، والمقاتل الناجح هو من يعبر هذه المرحلة بأسرع ما يمكن ويحول الشعور بالخوف إلى الرغبة فى الدفاع عن النفس التى لا تتأتى إلا بالإصرار على قتل العدو ، فإذا اقترنت هذه العملية المتسلسلة بالتصميم والإرادة والتخطيط الجيد ، كان النصر على العدو ، وكان هذا تمامًا هو ما حدث فى حرب الاستنزاف ، فالقوات تعودت على التعرض لنيران العدو بكل أسلحته من طيران ومدفعية ودبابات ورشاشات ، وحتى مستوى القناصة الإسرائيليين من النقط القوية على الضفة الشرقية للقناة ، وتعلم الجنود والضباط كيف ينجون من هذه النيران ، ثم تعلموا كيف يردون عليها دفاعًا أو انتقامًا أو هجومًا مفاجئًا ، وكانت النتيجة أن حرب الاستنزاف قد حرمت إسرائيل مما سبق أن صورته لنا فى حرب ١٩٦٧ عن أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر ، وبالتالى أزالت حرب الاستنزاف أخطر العوائق التى تمنع بناء إرادة النصر فى المقاتل ألا هو الحاجز النفسى الذى تكون من هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

*** منع إسرائيل من استكمال بناء خط بارليف :**

كان لقصفات المدفعية المركزة على المواقع الإسرائيلية على طول الجبهة أثر كبير

فى عدم اكتمال بناء خط بارليف واستمرار القوات الإسرائيلية طوال الفترة من مارس ١٩٦٩ حتى أغسطس ١٩٧٠ معرضة للتدمير والقتل، وهو الأمر الذى عجل بقبول إسرائيل لمبادرة روجرز فى أغسطس ١٩٧٠، وقامت بعدها باستكمال بناء وتحصين خط بارليف.

*** رفع الروح المعنوية للشعب و تماسك الجبهة الداخلية والتفافها حول القيادة السياسية والجيش:**

كانت الأخبار المستمرة يوميًا عن الاشتباكات فى الجبهة، وأعمال قواتنا فى قصف مواقع العدو، وعمليات الإغارة والكمائن شرق القناة وإسقاط طائرات العدو ذات أثر كبير فى ارتفاع الروح المعنوية للشعب، وتحمله لأعباء مرحلة بناء القدرة الدفاعية والهجومية للقوات المسلحة، كما كان للغارات الإسرائيلية على الأهداف المدنية فى «أبو زعبل» ومدرسة بحر البقر الابتدائية أثر كبير فى إحساس الجبهة الشعبية بوجودها فى خندق واحد مع القوات المسلحة تحت نفس الخطر ونشأت روح التحدى للعدوان، فزادت من تماسك الجبهة الداخلية، وليس أدل على أثر الاشتباكات اليومية فى تماسك الجبهة الداخلية والتفافها حول القيادة السياسية والجيش من قيام المظاهرات والاضطرابات فى عام ١٩٧٢ بعد مبادرة روجرز وتوقف الاشتباكات واستعجال الشعب لمعركة الحسم.

ورغم ارتفاع مستوى أداء القوات المسلحة وتدريبها على العبور من خلال المشروعات والمناورات التى نفذتها على الرياح البحيرى بمنطقة برقاش، فقد كان من الضرورى بناء حائط الدفاع الجوى القوى على الجبهة؛ لتحقيق الحماية للقوات أثناء العبور، وكما كانت مبادرة روجرز فرصة لإسرائيل لاستكمال بناء خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة فإنها، أى المبادرة، كانت فرصتنا لبناء واستكمال بناء حائط الصواريخ المصرية على الضفة الغربية للقناة بعد أن بذل جهد كبير فى محاولات بنائه أثناء حرب الاستنزاف التى استشهد خلالها الآلاف من الضباط والجنود وأفراد الشعب العاملين فى شركات الإنشاء التى اشتركت فى بناء قواعد الصواريخ ومواقع الرادار التى تعرضت لأشد الغارات الجوية الإسرائيلية ضراوة أثناء إنشاء هذه المواقع.

* * *

القسم الرابع

مرحلة الإعداد للتحول للعمليات الهجومية

سنعرض فى هذا القسم مرحلة الإعداد لنصر أكتوبر ١٩٧٣ :

ويلاحظ القارئ أننى قلت الإعداد لنصر أكتوبر، وليس الإعداد لحرب أكتوبر، ولذلك أسباب منطقية وبسيطة فى ما سيأتى من الحديث عن الإعداد للحرب :

فى البداية فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ .

وقد كنا ومازلنا مؤمنين بديننا وعقيدتنا القتالية كما كنا مؤمنين بحقنا وعدالة قضيتنا فى استعادة أرضنا المغتصبة وبالتالى كنا ننتظر النصر إذا ما عملنا بقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

ولقد كنا نعد العدة بأقصى ما لدينا من قوة وعزم وتصميم، فكان علينا أن نثق فى النصر .

كما كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ درسًا قاسيًا تعلمنا منه الكثير وكانت الدروس المستفادة من تلك الحرب موضوعًا للبحوث والدراسات المكثفة والجادة والإجراءات التنفيذية التى تمت لإعادة بناء القوات المسلحة وتحديث قدرتها الدفاعية والهجومية .

وقد كانت مبادرة روجرز التى قبلتها كل من مصر وإسرائيل؛ لإيقاف القتال لمدة ٣ شهور بداية لما سمى وقتها بحالة اللاسلم واللاحرب، تلك الحالة التى نشأت من اتفاق أمريكا وروسيا على تسكين الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط، ورغم أن إسرائيل قد رفضت الموافقة على طلب مصر مد فترة وقف القتال لمدة عام، إلا أن الاشتباكات ظلت متوقفة على جبهة قناة السويس مما أعطى لقواتنا الفرصة للاستعداد للحرب، كما سيتضح فى السطور التالية .

و لقد تم التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ فى تكامل وتنسيق بين كافة أجهزة الدولة

وليس على مستوى القوات المسلحة فقط، فكان العمل السياسى المكثف لإعداد الرأى العام العالمى لتقبل الهجوم المصرى-السورى لتحرير الأرض من خلال الجهود التى بذلت لعزل إسرائيل وكشف تعنتها وغطرستها واستخفافها بالقرارات الدولية، ومن هذا المنطلق كان الدعم السوفييتى لمصر وسوريا بالسلاح-رغم أنه كان من النوعيات الدفاعية وليست الهجومية-والخبراء فى مختلف أسلحة ووحدات القوات المسلحة رغم ضعفهم العلمى والعملى، ثم كان العمل الاقتصادى لإعداد الدولة للحرب من خلال توفير احتياجات الشعب من المواد الغذائية، وتكديس الاحتياطيات والمخزون الاستراتيجى من المواد الأساسية، علاوة على توفير احتياجات القوات المسلحة من مختلف الاحتياجات اللازمة لإعاشة الجيش وتدريبه وإعداده، و كان لنشاط المخابرات والشرطة أهمية كبيرة فى القبض على العملاء والجواسيس؛ لحرمان العدو من اكتشاف نوايانا واستعدادنا للحرب، الأمر الذى أدى إلى عدم ثقة القيادة الإسرائيلية فى المعلومات التى تلقتها عن استعدادنا لشن الحرب، وبالتالى تأخرت القوات الإسرائيلية فى التعبئة ورفع درجات الاستعداد لمقابلة هجوم قواتنا.

أما على الجانب العسكرى فقد تم التخطيط لعمليات أكتوبر ١٩٧٣ بأسلوب علمى دقيق لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وقد تم بحثها وإعداد الحلول لها، وقد تم التخطيط للحرب من خلال دراسة المشاكل التى تقابل القوات المسلحة لتنفيذ عملية العبور والهجوم إلى سيناء.

وفى السطور التالية سأعرض عليكم بعض هذه المشاكل، وكيف تم التغلب عليها:

المشكلة الأولى: التى كانت تؤرقنا هى قوة سلاح الطيران الإسرائيلى المنتظر أن يتدخل فى القتال خلال دقائق من بدء المعركة، ولم تكن القوات الجوية المصرية على نفس الدرجة من القوة لسببين أساسيين:

* **السبب الأول:** هو الفارق التكنولوجى فى معدات الطيران بين التسليح الغربى الأمريكى والتسليح الشرقى الروسى، والذى هو بلا جدال فى صالح الجانب الغربى.

* **السبب الثانى:** فهو إحجام الاتحاد السوفييتى عن إمدادنا بالطائرات الحديثة

القادرة على تنفيذ المهام الهجومية فى عمق إسرائيل، وهو ما يعنى طول المدى والحمولة الكبيرة من الذخائر، ورغم الجهود المضنية التى بذلها الرئيس جمال عبد الناصر قبل وفاته فى سبتمبر ١٩٧٠ ثم الرئيس أنور السادات بعد ذلك، ورغم العديد من الزيارات لقادة القوات المسلحة المصرية والروسية، والتى اشتركت شخصيًا فيها مع وزير الحربية الفريق أول محمد صادق، إلا أن هذه الجهود كلها قد باءت بالفشل، وربما كان الاتحاد السوفييتى يخشى من هزيمة مصر مرة أخرى وهو ما كان سيسئ إلى سمعة السلاح الروسى الذى تشكل مبيعاته عنصراً مهمًا فى الاقتصاد والسياسة الروسية فى تلك الفترة، وكان من نتيجة الخلافات بين القيادة المصرية والقيادة السوفييتية حول هذا الموضوع أن اتخذ الرئيس السادات قراره فى عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن الخبراء الروس، الذين كنت على خلاف معهم فى معظم المشروعات والتدريبات التى تمت فى فترة وجودهم بمصر .

وقد تغلبنا على هذه المشكلة بتقوية عناصر الدفاع الجوى المصرية وإمدادها بأحدث أنواع الصواريخ المضادة للطائرات، ومنها الأنواع ذاتية الحركة والمحمولة على الكتف، وكان لكثافة دعم الوحدات والتشكيلات بالصواريخ المضادة للطائرات الفردية أثر كبير فى ارتفاع خسائر القوات الجوية الإسرائيلية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

المشكلة الثانية: كانت تفوق إسرائيل فى عنصر المدرعات والوحدات الميكانيكية واعتمادها على الدبابات الأمريكية ذات السرعة الكبيرة ودرجة دقة النيران العالية، ورغم نجاحنا من خلال الزيارات المتكررة للاتحاد السوفييتى فى الحصول على أحدث ما أنتجه من الدبابات، وهو الدبابة ت ٦٢ إلا أن عدد ما وافقت روسيا على إمداد مصر به كان ضئيلاً ، مقارنة بالمطلوب لمواجهة القوات الإسرائيلية فى عملية هجومية من المفروض أن يحقق المهاجم فيها نسبة تفوق على المدافع تصل إلى ٥,١ـ٢ : ١ على المستوى الاستراتيجى، وذلك حتى يمكن تحقيق نسبة تفوق على المستوى التكتيكى تصل إلى ٣ : ١ أو ٢ : ١، وهو الأمر الضرورى؛ لكى يمكن تحقيق الاختراق والتفوق المناسب ضد القوات المدافعة التى تتمتع بمزية التحصين فى الأرض وتنفيذ خطط النيران المجهزة مسبقًا، وكان كل ما تم إمداد مصر به من هذه الدبابة الحديثة هو لواءين مدرعين أى حوالى ١٩٠ دبابة .

وتم التغلب على هذه المشكلة بدعم الوحدات والتشكيلات المشاة والميكانيكية

والمدرعة بعناصر الصواريخ المضادة للدبابات، سواء المحمولة بواسطة الفرد أو المجهزة على العربات أو المركبات المدرعة، وكان لهذه الصواريخ أثرها الكبير فى فداحة خسائر إسرائيل من الدبابات، وكانت كثافة استخدامها هى إحدى مفاجآت حرب أكتوبر، كما عاونت أطقم اقتناص الدبابات التى تم تشكيلها وتسليحها بالقواذف الصاروخية المضادة للدبابات فى ارتفاع نسبة خسائر إسرائيل من الدبابات خاصة أثناء القتال القريب بين القوات.

المشكلة الثالثة: كانت تتمثل فى النقط الإسرائيلية الحصينة على الضفة الشرقية لقناة السويس، حيث تمكنت إسرائيل بعد توقف القتال فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ على أثر قبول الجانبين لمبادرة روجرز، من تعلية وتقوية وتحصين النقط القوية لخط بارليف فأصبحت النقط مسيطرة بالنيران والمراقبة على طرق الاقتراب الرئيسية إلى القناة وأصبح لديها القدرة على مراقبة التحركات على الضفة الغربية لقناة السويس، كما أصبح لديها القدرة على التدخل بالنيران فى أعمال قواتنا من ناحية، ومن ناحية أخرى أصبح لديها القدرة على الصمود لضربات المدفعية والطيران المصرى، وتحمل الحصار لمدة تصل إلى أسبوعين من خلال التكديسات المتنوعة المخزنة داخل النقطة القوية الحصينة.

وبالطبع كان علينا أيضًا أن نستغل فترة توقف القتال بعد مبادرة روجرز، فتم تعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية لقناة السويس كما تم إنشاء مصاطب للدبابات توفر القدرة على السيطرة بالنيران على الضفة الشرقية، ومعاونة القوات القائمة بالقتال عليها، وكان لهذه الإنشاءات أثر كبير فى إخفاء تحركات القوات ومعدات العبور فى الفترة الحاسمة للإعداد.

وقد كان القرار بتعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة وإنشاء مصاطب الدبابات نتيجة لموقف متفجر حدث فى عام ١٩٧٢ أثناء أحد اجتماعات الرئيس الراحل أنور السادات مع قيادة القوات المسلحة لمناقشة استعدادات القوات المسلحة للعبور، وفى هذا الوقت كان الفريق أول محمد صادق وزيراً للحربية، وكان دائم الشكوى من نوعية السلاح الروسى ذى الطبيعة الدفاعية خاصة فى المدفعية المجرورة والطيران قصير المدى قليل الحمولة من الذخائر، وكان من رأيه أنه يجب أولاً تحسين نوعية التسليح قبل القيام بالهجوم حتى يمكن لنا ضمان نجاح عملية العبور الصعبة فى مواجهة التفوق الإسرائيلى فى المدرعات والطيران، علاوة على تمسكها بالمواقع المسيطرة على القناة.

وأثناء المناقشة قال اللواء عبد القادر حسن، وكان مساعداً لوزير الحربية: سنحارب بما لدينا، ويجب أن يكون التخطيط بحيث لا نحتاج إلى دعم روسى فى وسط المعركة.

ولم يعجب هذا الرأى الرئيس السادات، حيث كان معناه أن التخطيط أولاً غير جاهز، وثانيًا أنه سيهدف إلى العبور بقوات صغيرة ولعمق قليل فى سيناء.

وتدخل اللواء محمود فهمى على، وكان قائداً للقوات البحرية، قائلاً: إن القادة لا يقصدون استحالة الهجوم حاليًا، ولكن سيتم وضع الخطة التى تحقق النجاح.

وقال الرئيس السادات: « دعونا نستمع إلى القادة الميدانيين ».

وقال اللواء سعد مأمون الذى كان قائداً للجيش الثانى: نحن جاهزون يافندم.

وجاء الدور علىّ للحديث، وكنت قائداً للجيش الثالث، وسألنى الرئيس السادات رحمه الله: « إيه رأيك يا عبد المنعم ؟ ».

فقلت: « يافندم نحن سنحارب بما فى أيدينا من سلاح، ولكن هناك بعض العوامل التى يجب وضعها فى الاعتبار، فقد رفعت إسرائيل الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة حتى أصبح ارتفاعه بين ٢٠ - ٢٥ مترًا حسب طبيعة الأرض، فى الوقت الذى لا يتعدى ارتفاع الساتر الترابى لقواتنا على الضفة الغربية للقناة ٦ أمتار، وبالإضافة إلى ذلك فإن القوات الإسرائيلية لديها نظارات مراقبة ليلية، وبذلك يمكن للقوات الإسرائيلية مراقبة تحركات قواتنا ليلاً ونهارًا، وعند احتلالنا لنقط للهجوم سنكون مكشوفين تمامًا للعدو، وبالتالى فعندما نقول: « بسم الله الرحمن الرحيم »، سيقوم العدو بتوجيه ضربة إحباط وسنقول: « صدق الله العظيم ».

ولم يعجب الكلام الرئيس السادات، فقال للفريق أول صادق: « ما الذى يمنعكم من تعلية الساتر الترابى ».

ورد الفريق صادق بأنه قد طلب من مجلس الوزراء مبلغ ١٦ مليون جنيه لهذا الغرض، ولم يخصص المبلغ فى الموازنة.

وفى هذه اللحظة قال مدير هيئة الإمداد والتموين للقوات المسلحة بدهشة: « هو احنا حنحارب يافندم ».

وغضب الرئيس السادات وقال: « ما هذا، مدير الإمداد والتموين لا يعرف أننا سنحارب». ثم انصرف غاضبًا، وفى غضون أيام صدرت قرارات بإجراء عدة تغييرات فى قيادات القوات المسلحة، وبات جليًا أن الرئيس السادات غير راض عن من أطلق عليهم فى هذا الوقت « رجالة الفريق صادق » الذى كنت - فى رأيه - واحدًا منهم، رغم ما كان يكنه لى من حب واحترام، وفى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ عين الفريق أول أحمد إسماعيل على وزيرًا للحربية بدلاً من الفريق أول محمد أحمد صادق.

وبعد هذا الموقف تم تخصيص الموازنة المالية، وبدأنا فى بناء الساتر الترابى ومصاطب الدبابات على الضفة الغربية لقناة السويس لستر أعمال وتحركات قواتنا، كما بدأنا اعتبارًا من شهر ديسمبر ١٩٧٢ فى تجهيز مرابض نيران المدفعية والمناطق الابتدائية للهجوم ومراكز القيادة وساحات إسقاط الكبارى والمعديات، وعلاوة على ذلك فقد تم تجهيز شبكات الطرق والمدقات الطولية والعرضية؛ لتسهيل تحركات القوات والمناورة بها من اتجاه إلى آخر، ولم نغفل تقوية الكبارى على ترعة الإسماعيلية؛ لتتحمل مرور الدبابات إلى القناة، كما تم تحسين التجهيزات الهندسية للمواقع الدفاعية غرب القناة.

المشكلة الرابعة: كانت تكمن فى كيفية التغلب على التجهيزات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة: حيث قامت إسرائيل بتعلية الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة حتى وصل إلى ارتفاع ٢٠ مترًا فى بعض الأماكن، وقامت بزحزحته إلى خط الماء تقريبًا، وأنشأت فتحات ومصاطب لاحتلال الدبابات عليه، مما يجعل العبور ينتهى بتكدس القوات على شريط ضيق للغاية يسهل من تدميرها بالمدفعية والدبابات، كما يجهزها لمذبحة حاسمة بالطيران.

وبعد العديد من التجارب لاختيار الأسلوب الأمثل لفتح الثغرات فى هذا الساتر الترابى، نجح أحد ضباط المهندسين العسكريين المصريين فى تطوير مضخة مياه لتكون ذات قدرة دفع هائلة للمياه حتى أطلق عليها مدافع المياه، وتم تجربتها فى أحد مناطق الاختبارات على ساتر ترابى تم بناؤه بنفس مواصفات الساتر الترابى الإسرائيلى، ونجحت المضخة المصرية فى تجريف الساتر الترابى وفتح ممر فيه فى خلال عدة ساعات.

ومن ناحية أخرى تم تصميم سلالم من الحبال وعصى وأدوات الحفر ؛ لكى يستخدمها أفراد المشاة فى الموجات الأولى للعبور ؛ لتسلق الساتر الترابى واحتلاله كما تم تصميم عربات يدوية لحمل الذخيرة وجرها لصعود الساتر الترابى، كما تم ابتكار جاكتة العبور التى تمكن الجندى من حمل كل احتياجاته بسهولة أثناء العبور والقتال.

المشكلة الخامسة: تمثلت فى قيام إسرائيل بتجهيز خزانات للنابالم على طول الجبهة، وخاصة فى القطاعات المحتملة للعبور، وهذه الخزانات كانت مملوءة بالنابالم وهو مادة سريعة الاشتعال ينتج عن اشتعالها حرارة شديدة للغاية يمكنها فى بعض الأنواع أن تسبب انصهار الحديد (وهو ما جربناه عمليًا فى عمليات يونيو ١٩٦٧ أثناء انسحاب اللواء ١٤ مدرع)، كما أن هذه المواد لايمكن إطفاؤها بالماء، حيث تطفو على سطحه، وكانت إسرائيل قد قامت فى سبتمبر عام ١٩٧١ بتجربة هذه الخزانات عمليًا على سطح مياه القناة، وارتفعت ألسنة النيران الشديدة على صفحة الماء معلنة عن مشكلة خطيرة تواجه القوات المصرية، وارتفعت فى اليوم التالى أصوات القادة الإسرائيليين تعلن فى غرور وثقة أنه على القوات المصرية أن تفكر ألف مرة قبل أن تحاول عبور القناة، حيث ستقوم النقط الحصينة بإشعال مياه القناة وحرق القوات المصرية فوق صفحة الماء قبل أن تصل إلى الضفة الشرقية للقناة.

وفى صمت تم دفع عناصر استطلاع المهندسين ؛ لاستطلاع الخزانات، وتم معرفة كل تفاصيل خزانات النابالم وأسلوب السيطرة عليها، وكانت المشكلة أنه يتم إطلاقها بوسائل تحكم حديثة من داخل النقط القوية، وجربنا فى أحد الأوقات أن تقوم القوات أثناء العبور بضرب المياه المشتعلة بسباطات البلح لتفريق وإضعاف كتل النابالم إلا أن هذه الطريقة لم تنجح، وأخيرًا تم حل المشكلة بواسطة عمل سدادة من الخشب توضع فى الماسورة الموصلة إلى سطح الماء على أن يتم سدها تمامًا بواسطة سلة من السلك المملوء بالأسمنت، علاوة على قطع الخراطيم المتصلة بالخزانات، وتم اختيار مجموعة من الأفراد والضباط الذين يجيدون السباحة ؛ لتنفيذ هذه العملية، وتم تدريبهم وإعدادهم جيدا لساعة التنفيذ.

المشكلة السادسة: كانت أعقد المشاكل جميعًا، وهى الخواص الطبيعية لقناة السويس كمانع مائى وتأثيرها على انتظام عملية عبور القوات ووصولها فى الوقت المحدد إلى أهدافها المحددة من ناحية، ومن ناحية أخرى تأثير هذه الخواص على

عمليات إنشاء الكبارى والمعديات؛ لنقل المعدات الثقيلة كالدبابات والمركبات والمدفعية والعربات التى تحمل احتياطيات الذخيرة والاحتياجات المختلفة.

ولم يكن من وسيلة للتحكم فى الظواهر الطبيعية التى تتحكم فى مياه القناة، وكان الحل يكمن فى الدراسات المكثفة والتخطيط الجيد والتجارب المستمرة والتدريب الجاد على تنظيم جداول العبور، بحيث يتم تقليل تأثير الخواص الطبيعية للقناة إلى أقل حد ممكن على انتظام عملية العبور، مع وضع الخطط البديلة لكل الاحتمالات وتدريب القوات عليها، ورغم ذلك فقد واجهتنا بعض المشاكل أثناء العبور، وهو ما سنأتى إليه فى حينه.

ولم يكن حل المشاكل فقط هو الشغل الشاغل للقوات المسلحة فى تلك الفترة، بل إن التدريب الجاد والشاق كان يسير جنبًا إلى جنب مع تلك الأبحاث والتجارب، والحقيقة التى يجب أن نذكرها هنا أن التدريب على العبور كان قد بدأ مع نهاية عام ١٩٦٧ وبداية عام ١٩٦٨، حيث بدأت الوحدات فى التدريب على عبور الموانع المائية فى منطقة القصاصين بالشرقية على ترعة صغيرة تسمى البعالوه، ثم تطور إلى التدريب على الرياح البحيرى بمنطقة برقاش على الحدود الغربية لمحافظة المنوفية، كما تم إجراء مناورات للتدريب بمستوى الفرقة الكاملة فى الصحراء الغربية، ومع اقتراب موعد الهجوم بدأ التدريب يتركز على المهام القتالية الفعلية فى صورة مشروعات لتدريب مراكز قيادة الوحدات والتشكيلات دون الإعلان عن الغرض من هذه المشروعات، والذى كان لتجهيز الخطط والقرارات للعمليات الفعلية، ووصل مستوى التدريب إلى إقامة مشروع مراكز قيادة على مستوى قيادة الجيش الثالث الميدانى، وكانت الجدية القصوى فى التدريب هى السمة الواضحة لتلك الفترة، وكثيراً ما حضر المناورات رئيس الجمهورية معبراً عن حرصه على متابعة إعداد أبنائه للمهمة المقدسة، **وأذكر أنه أثناء أحد المشروعات التكتيكية التى تتخللها رماية بالذخيرة الحية، سقطت إحدى قذائف المدفعية على مركز ملاحظة المدفعية وقتل أحد الضباط وجنديان، وكان وزير الحربية حاضراً لهذا المشروع، فأمر باستمرار المشروع دون توقف، ودخلت سيارة الإسعاف، وتم إخلاء المصابين والقتلى، وفى اليوم التالى صدر قرار وزير الحربية باعتبار شهداء التدريب شهداء حرب.**

المشكلة السابعة: كانت تتمثل فى أهم الموضوعات التى علينا أن نتقنها، وهى عملية اقتحام النقط الإسرائيلية الحصينة على الضفة الشرقية للقناة، وكان لابد من الحصول على المعلومات عن تنظيم وتحصين النقط القوية وخطط نيرانها ونظام الألغام التى تحيط بها، وتم تكليف القوات الجوية بمهمة تصوير ناجحة، وتم تحليل الصورة الجوية للنقط القوية، وأضيفت إليها معلومات عناصر الاستطلاع المختلفة، وقمنا بإنشاء نقطة قوية مماثلة للنقط القوية الإسرائيلية، فى ميدان التدريب التكتيكى للجيش الثالث على طريق القاهرة ـ السويس، وراعينا أن تشمل جميع مواصفات النقطة الإسرائيلية من التحصين وفتحات الأسلحة والساتر الترابى وحقول الألغام، وتم التدريب الواقعى على هذه النقطة بواسطة القوات المكلفة بالاستيلاء على النقط القوية الإسرائيلية .

أما المشكلة الثامنة: التى كانت تواجه القيادة العامة للقوات المسلحة، فكانت تتمثل فى توقيت الهجوم، وكيفية إخفاء نية الهجوم عن مخابرات إسرائيل المشهورة بالقدرة على معرفة ما يدور فى غرف النوم (كما كانوا يقولون)، ومن خلال اللقاءات المستمرة المعلنة والسرية بين القيادات والمخططين المصريين والسوريين تم الاتفاق على توقيت الهجوم المتزامن على الجبهة السورية والمصرية فى الوقت نفسه لما لذلك من أثر فى تشتيت جهود القوات الإسرائيلية ومنعها من التركيز على إحدى الجبهتين لإحباط الهجوم، ومن ثم تم اختيار توقيت الهجوم؛ ليكون الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من شهر أكتوبر ١٩٧٣ .

وبقيت المشكلة التاسعة: وهى إخفاء نوايا وخطط الهجوم عن أعين القوات والمخابرات ووسائل تحليل المعلومات واتخاذ القرار الإسرائيلية، وتم وضع خطة الخداع على مستوى الجيش الثالث فى إطار خطة خداع واسعة، على المستوى الإستراتيجى والتكتيكى، ووضعت مفصلة لكل مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة، وبذلت القيادة السياسية جهوداً كبيرة لعزل إسرائيل سياسيًا، وقد نجحت مصر فى التأثير على كثير من الدول؛ لقطع علاقتها مع إسرائيل، وقبل الحرب بعدة شهور جرى التركيز على سلاح البترول؛ لإيهام إسرائيل بأن مصر إذا لجأت إلى سلاح البترول فإنها ستترك جانبًا التفكير فى قيام الحرب، وقد ساعد أيضًا فى ذلك زيارة السكرتير العام للأمم المتحدة لسوريا؛ للتفاهم معها على كيفية تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يشمل الاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود كجزء من

عملية السلام وعودة القوات إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وهو الأمر الذى كانت تعارضه سوريا. كما كان لزيارة السكرتير العام للأمم المتحدة للقاهرة وتصريح مصر بأنها تؤمن بتحقيق تسوية عادلة فى الشرق الأوسط كأساس لإقرار السلام فى المنطقة دورٌ مهمٌ فى إعطاء الانطباع أن مصر لاتسعى إلى الحرب.

ثم تم ترويج إشاعات بأن الأسلحة الموجودة غير صالحة للحرب، وأن الاستغناء عن الخبراء الروس قد أثر على كفاءة شبكات الدفاع الجوى، وأن بطاريات الصواريخ قد أصبحت غير صالحة من الناحية الفنية، وأن الطيارين غير راضين عن الطائرات الروسية المتخلفة عن الطائرات الأمريكية التى زودت بها إسرائيل.

وعندما اقترب موعد الهجوم أكثرنا من الحديث عن مناورة الخريف التى كانت فى الحقيقة خطة العبور، وأطلق عليها الاسم الكودى تحرير ٤١، وبدأنا فعلاً فى تنفيذها كمشروع تدريبى مثل كل المشروعات التدريبية التى كنا ننفذها كل عام، وفى الوقت المخطط تحولت مناورة الخريف أو المشروع تحرير ٤١ إلى العملية الحقيقة لتحرير سيناء (جرانيت ٢ المعدلة).

وكانت كيفية إخفاء احتلال قواتنا للمنطقة الابتدائية للهجوم من المشاكل التى تغلبنا عليها باتخاذ جميع الإجراءات التى تخدع العدو عن استعداداتنا للعبور، فتم استمرار البلدوزرات فى العمل فى تعلية وإصلاح الساتر الترابى حتى يوم الهجوم، كما تكونت مجموعات من الجنود كانت تسير على الساتر الترابى فى تكاسل وبدون سلاح، وبعضهم يصيد السمك، والبعض الأخر يسبح فى القناة، كما كانت التحركات تجرى ليلاً بالإضاءة الكاملة حتى تعودت القوات الإسرائيلية على مشهد التحركات الليلية، وتم عمل ستائر معدنية لإخفاء التحركات على الطرق عن رادارات العدو، وإمعانًا فى خداع العدو، تركت الإجازات مفتوحة حتى يوم ٢٨ سبتمبر، حيث قيل إن هيئة التفتيش ستقوم بالتفتيش على الجيش، كما تم تسريح دفعة رديف (احتياط) طبقا لخطة القوات المسلحة قبل الحرب مباشرة.

ولاشك أن خطة الخداع قد أتت ثمارها كاملة، فلم تتأكد القيادة الإسرائيلية من نية القوات المصرية والسورية فى الهجوم إلا صباح يوم ٦ أكتوبر على الأرجح، وكان الوقت المتبقى قصيراً للغاية، ولا يسمح بتنفيذ أسلوب إسرائيل فى توجيه

ضربات الإحباط وشن الحرب الوقائية ؛ لسبق العرب بالهجوم خاصة أن يوم الهجوم قد تم اختياره؛ ليكون يوم السبت الموافق عيد الغفران، وهو عيد ديني يهودي كبير تعطل فيه المصالح، وتوقف فيه المواصلات، وتتعطل فيه الحياة في إسرائيل بشكل كبير، الأمر الذي ضاعف من تأثير المفاجأة على كفاءة نظام التعبئة الإسرائيلي.

وبنهاية تلك المراحل المتعددة والمتشابكة للاستعداد لمعركة تحرير الأرض، أصبحت القوات المسلحة على أهبة الاستعداد؛ لتنفيذ المهمة المقدسة، واستعادة سيناء بعد ست سنوات وأربعة شهور من الاحتلال الإسرائيلي.

وكجزء من القوات المسلحة، أصبح الجيش الثالث الميداني، الذي كنت قد توليت منصب رئيس أركان حربه في ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ثم أصبحت قائدًا له اعتبارا من يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، في أعلى درجات الاستعداد لتنفيذ ما تم تخطيطه والتدريب عليه، والإعداد له على مدى حوالي ٤ سنوات.

وكنا جميعا على ثقة في أن نصر الله قريب، فقد فعلنا كل ما يمكننا؛ لنستعد ليوم الثأر وتحرير الأرض:

لقد خططنا للهجوم على أعلى مستوى من الدقة، واستخدمنا الدراسات العلمية الدقيقة لحل كافة المشاكل التي ستقابلنا، كما أعددنا الحلول المناسبة لأي مشاكل من الممكن أن تقابلنا.

وقد تدرب كل منا على المهمة المكلف بها حتى وصلنا إلى مستوى الاحتراف المطلوب في مثل هذه العملية المعقدة، كما أعددنا القوات معنويًا وعقائديًا وبدنيًا لتنفيذ المهمة المقدسة، وأصبحت لديهم قناعة أنهم قادرون على تحقيقها ومستعدون للتضحية في سبيل إحراز النصر.

وكان للعوامل السابقة أثرها في أن يكون عبور الجيش المصري لقناة السويس من أنجح عمليات اقتحام الموانع المائية في التاريخ العسكري العالمي، كما كانت خسائرنا أثناء العبور مفاجأة لجميع المحللين العسكريين الذين توقعوا أن تصل الخسائر في هذه العملية إلى ٢٥ ٪ من القوات على الأقل، ولكنها لم تتجاوز ٢ ٪.

* * *

الفصل الثانى

العبور العظيم

القسم الأول : قـــرار العـــبـور

القسم الثانى: اقتحام القناة والاستيلاء على خط بارليف

القسم الثالث: السيطرة على خليج السويس

القسم الرابع : التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية

القسم الأول

قـــرار العبـــور

« قنبلة فى كلمتين، الحرب بكره »

فى مساء يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣ وأثناء إدارة المشروع الاستراتيجى التعبوى تحرير ٤١ ، طلبت هيئة عمليات القوات المسلحة إرسال ضابط برتبة كبيرة إلى القاهرة لاستلام تعليمات مهمة ، وعاد الضابط فى الساعة الثامنة مساء ، وسلمنى مظروفًا معنونًا باسمى ومختومًا بالشمع الأحمر ، وفتحته لأجد به قصاصة صغيرة من الورق تحمل توقيع اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة آنذاك ، وكانت الورقة تحتوى على كلمة التحول للعمليات الحقيقية وتوقيت بدء الهجوم .

وفى غضون دقائق تم عقد مؤتمر لقادة التشكيلات ورؤساء أفرع قيادة الجيش وأعلنت عليهم ساعة الصفر (ساعة س) لبدء القتال ؛ لتكون الساعة ١٤٢٠ يوم ٦ أكتوبر ، وأمرت بعدم إعلان هذا التوقيت على الوحدات إلا بعد الساعة ٦٠٠ صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تم إعلانها على قادة الكتائب الساعة السادسة من صباح يوم ٦ أكتوبر ، بينما تم إعلانها على الجنود الساعة العاشرة صباحًا .

وفور إعلانى لساعة الصفر تهلل العميد منير شاش الذى كان قائد مدفعية الجيش الثالث آنذاك وقال : « قنبلة فى كلمتين ، الحرب بكره » ، ثم انصرف القادة والرؤساء إلى مواقعهم ، حيث قاموا فوراً بتحويل جميع التوقيتات فى المشروع التعبوى تحرير ٤١ إلى التوقيتات الحقيقية .

وهكذا تحقق الحلم الذى دام ست سنوات وأربعة شهور منذ أن كتبت فى مفكرتى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ : « بدأت الحرب وخسرنا الحرب » ، حتى

أبلغت هيئة عمليات القوات المسلحة صباح يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ بتمام استعداد الجيش الثالث للقتال.

ثم كتبت كلمتى إلى رجال الجيش الثالث :

من اللواء عبد المنعم واصل :

أبنائى الشجعان، محاربى الجيش الثالث الميدانى.

أمامكم القناة، قناتكم، وهاأنتم تسمعون أمواجها، وهناك على الضفة الشرقية أرض سلبها عدوكم، والآن حان اليوم والوقت لاستعادتها وتطهيرها.

أيها الرجال : حانت ساعة الجهاد،

قال الله تعالى : ﴿ جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم. هو سماكم المسلمين﴾.

أبنائى الشجعان :

خذوا سلاحكم بقوة، اعتمدوا على الله وثقوا فى بركته، ولا تشعروا بالشفقة والرحمة تجاه أعدائكم، اثأروا لآلام شعبكم وعذابه، اثأروا للشهداء الأبرار.

قال الله فى كتابه العزيز :

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ﴾.

واليوم، علينا أن نقتحم القناة، نجاح العبور يتوقف على كل محارب حسب قدر إيمانه وتنظيمه وطاعته.

كونوا شجعانًا، واستخدموا حيلتكم، وتصرفوا كما ينبغى.

عليكم أن تنطلقوا بكل القوة و الشجاعة إلى سيناء المقدسة، وأنتم متمسكون بقول الله تعالى :

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وقبل أن نبدأ فى متابعة أحداث القتال فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ سوف أعرض فى البداية ملخصًا لمهمة الجيش الثالث وأوضاع قوات العدو وأعمالها المنتظرة، وماذا كان قرارى لتنفيذ العملية الهجومية جرانيت ٢ المعدلة :

مهمة الجيش الثالث الميدانى (الخريطة رقم ١٢) :

تتلخص المهمة فى قيام الجيش الثالث الميدانى بالتعاون مع الجيش الثانى الميدانى الذى كان يقوده اللواء سعد مأمون، وبمعاونة القوات الجوية التى كان يقودها اللواء محمد حسنى مبارك، والدفاع الجوى الذى كان يقوده اللواء محمد على فهمى بالاقتحام المدبر لقناة السويس قبل آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر؛ لتدمير قوات العدو على الضفة الشرقية للقناة، وصد وتدمير هجماته المضادة، والاستيلاء على رأس كوبرى الجيش من منطقة الشط حتى جنوب البحيرات، وأن يكون الجيش مستعداً لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق.

ومن دراستنا لأسلوب العدو الإسرائيلى فى الهجوم قررت أن يكون رأس كوبرى الجيش ممتداً من رأس مسلة على الساحل الشرقى لخليج السويس حتى كبريت على البحيرات المرة، وكان الغرض من ذلك هو زيادة المسافة التى يجب أن يقاتل فيها العدو أثناء الهجمات والضربات المضادة، بمسافة ١٧ كيلومتر فى الجنوب من رأس مسلة و ١٠ كيلومتر فى الشمال من كبريت، قبل أن يصل إلى قوات رأس الكوبرى المخطط للجيش، مما يعطى للجيش فرصة جيدة لتحريك الاحتياطيات والمناورة بنيران المدفعية؛ لمنع العدو من اختراق رأس الكوبرى، خاصة على الأجناب التى عادة ما تكون هدفًا للهجمات والضربات المضادة، كما كان الهدف من الوصول برأس الكوبرى إلى رأس مسلة هو تأمين دفع اللواء ١ مشاة ميكانيكى جنوبا، وصدقت القيادة العامة للقوات المسلحة على هذا القرار، ووضع فى التخطيط للعملية جرانيت ٢ المعدلة.

قوة وأوضاع العدو وأعماله المنتظرة فى مواجهة الجيش الثالث الميدانى :

قدرت قوة العدو أمام الجيش الثالث والمحتمل أن تتدخل فى المعركة فى نطاق الجيش بعدد ١٢ لواءً، منهم ٨ لواءات من المشاة والمظلات، و ٤ لواءات من المدرعات ويدعم هذه القوات ١٤ كتيبة مدفعية.

وكان تشكيل قتال العدو فى نسقين، واحتياطى وأوضاع قواته كما يلى :

النسق الأول :

■ لواء مشاة ميكانيكى يدافع غرب المضايق، ويدافع أمامه على الضفة الشرقية للقناة، وفى العمق وعلى الأجناب عدد ١٢ نقطة حصينة تتراوح قوتها بين فصيلة وسرية من المشاة المدعمة فى المناطق الآتية :

● **نقط حصينة على الضفة الشرقية للقناة فى قطاع العبور للجيش :**

* نقطة الجباسات (فى منطقة علامة كم ١٥٨ ترقيم قناة)

* نقط الشط (فى مناطق علامة كم ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ترقيم قناة)

* نقط جنوب البحيرات (الملاحظة والمسحورة)

● **نقط حصينة على الأجناب :**

* نقطة رأس مسلة

* نقطة لسان بور توفيق

* نقطة كبريت

● **نقط فى العمق :**

* نقطة عيون موسى

* نقطة جبل المر

* نقطة المجرونتين

● لواء مشاة ميكانيكى فى منطقة صدر الحيطان شرق ممر متلا .

● لواء مشاة ميكانيكى فى منطقة جبل الميثان .

● لواء مدرع فى منطقة قلعة الجندى .

● لواء مدرع فى منطقة بير تمادا .

■ الاحتياطى :

● لواء مشاة ميكانيكى فى منطقة جبل لبنى .

- لواء مدرع فى منطقة نخل.

■ القوات المخصصة لتوجيه ضربة إحباط للهجوم فى اتجاه جنوب البحيرات :

- ٣ لواءات من المشاة والمظلات.
- لواء مدرع.

كما كان من المنتظر أن يخصص العدو حوالى ٣٠٪ من قواته الجوية لمعاونة قواته فى اتجاه الجيش الثالث، بالإضافة إلى قوة بحرية فى البحر الأحمر قوامها ٢ زورق طوربيد، و٦ زوارق دورية.

وكان الأسلوب المحتمل لعمل القوات الإسرائيلية فى مواجهة الجيش الثالث كالآتى :

تقوم النقط الحصينة بالسيطرة على محاور الاقتراب الرئيسية إلى المضايق الجبلية، وباستغلال التحصين القوى للنقطة وإحاطتها بالألغام ووجود تكديسات من الذخيرة وإمكانيات الإعاشة الأخرى، يمكن لهذه القوات أن تقاتل حتى ١٥ يومًا، وبذلك تعمل هذه النقط على تعطيل القوات القائمة بالعبور وإحداث أكبر خسائر فيها، باستغلال خزانات النابالم؛ لإشعال مياه القناة كما تعمل كنقط ملاحظة للمدفعية والطيران ونقاط استناد للقوات التى ستقوم بالهجمات المضادة، كما تستنزف جزءًا من القوات المهاجمة فى حالة الاضطرار لحصارها.

تتمركز خلف النقط الحصينة للعدو احتياطيات قريبة من الدبابات بحجم يتراوح بين فصيلة وسرية دبابات تكون جاهزة للاندفاع واحتلال الساتر الترابى على أجناب النقط الحصينة، لدعم قدرتها الدفاعية، أو نجدتها فى حالة تعرضها لهجمات بقوات محدودة.

على عمق أكبر تتمركز احتياطيات مدرعة بحجم كتيبة دبابات مدعمة، مهمتها توجيه الهجمات المضادة؛ لاستعادة النقط القوية فى حالة سقوطها كما يمكنها احتلال خط السواتر الترابية فى العمق وفى الفواصل بين النقط الحصينة؛ لإغلاق طرق الاقتراب إلى المضايق، والتعاون مع الأسلحة المضادة للدبابات؛ لإيقاع

الخسائر بقواتنا وتجهيزها للتدمير بواسطة القوات الجوية والهجمات والضربات المضادة بالوحدات المدرعة.

تتمركز الاحتياطيات المدرعة بقوة لواء مدرع داخل المضايق الجبلية بمهمة الاندفاع لتوجيه الضربات والهجمات المضادة القوية؛ لتدمير قواتنا التى نجحت فى العبور والتى توقفت أمام القوات المحتلة للساتر الترابى فى العمق، كما يمكنها الدفاع عن المداخل الغربية للمضايق بالتعاون مع وحدات الصواريخ المضادة للدبابات، والقوات الجوية.

تتمركز أكبر الاحتياطيات المدرعة والميكانيكية والتى تصل إلى حجم فرقة مدرعة على عمق أكبر خلف منطقة الحائط الجبلى، وفى المناطق التى تحقق لها حرية المناورة فى اتجاه الشمال أو الجنوب؛ لتجنب المضايق الجبلية وتوجيه الضربات المضادة الحاسمة إلى أجناب القوات المتوقفة أمام المضايق، أو استغلال نجاح الاحتياطيات الأقل مستوى؛ لتوجيه الضربات المضادة إلى الفواصل والأجناب؛ لتدمير قواتنا والوصول إلى الضفة الشرقية لقناة السويس والعبور، وبالتعاون مع قوات المظلات يتم الاستيلاء على الضفة الغربية للقناة طبقا للموقف.

كان من المنتظر أن يكون للقوات الجوية الإسرائيلية دور أساسى فى دعم أعمال قتال النقط الحصينة ومعاونتها على الصمود ضد الهجمات المصرية من ناحية، ومن ناحية أخرى كان المنتظر أن يكون لها دورها الحاسم فى إحباط العبور للأنساق الثانية والاحتياطيات، خاصة المدرعة والميكانيكية التى ستكون مهمتها الاندفاع شرقًا فى اتجاه المضايق، أما دورها الكبير، فكان سيبرز أثناء عمليات الهجمات والضربات المضادة؛ لإيقاع أكبر خسائر فى القوات المتوقفة أمام الخطوط الدفاعية وتجهيزها للتدمير بواسطة الاحتياطيات المدرعة وإبرار وإسقاط المظلات على التقاطعات والأهداف الحيوية فى العمق.

قرارى لتنفيذ المهمة وتحقيق مهمة الجيش فى مواجهة أوضاع العدو وأعماله المنتظرة:

باستغلال نتائج الضربة الجوية، وتحت ستر تمهيد نيرانى ينفذه حوالى ٢٠٠٠

مدفع لمدة ٥٣ دقيقة على طول الجبهة، تقوم قوات النسق الأول للجيش باقتحام قناة السويس على مواجهة واسعة فى الفواصل بين النقط القوية، وتتجنب فى المراحل الأولى التورط فى القتال مع النقط القوية، وباندفاع المشاة المدعمة بالصواريخ الفردية المضادة للدبابات وأطقم اقتناص الدبابات فى الفواصل بين النقط القوية للعدو يتم سبق العدو فى الاستيلاء على الساتر الترابى فى العمق واحتلاله، وبالتالى يتم تدمير دبابات العدو أثناء الاقتراب إلى مواقعها ومنعها من احتلالها.

ويتمام انعزال قوات النقط الحصينة عن الاحتياطيات المحلية، وباستغلال الضرب المباشر من مصاطب الدبابات على الضفة الغربية للقناة، تقوم مجموعات كتائب مشاة من النسق الأول بالاستيلاء على النقط الحصينة للعدو كالآتى :

١ ـ مجموعة كتيبة مشاة من اللواء ٧ مشاة من الفرقة ١٩ المشاة : لاقتحام النقطة القوية فى منطقة كم ١٥٨ ترقيم قناة.

٢ ـ مجموعة كتيبة مشاة من اللواء ٥ مشاة من الفرقة ١٩ المشاة : لاقتحام النقطة القوية فى منطقة كم ١٤٩ ، ١٤٨ ترقيم قناة.

٣ ـ مجموعة سرية مشاة من اللواء ٥ مشاة من الفرقة ١٩ المشاة : لاقتحام النقطة القوية فى منطقة كم ١٤٦ ترقيم قناة.

٤ ـ مجموعة كتيبة مشاة من اللواء ٨ مشاة من الفرقة ٧ المشاة : لاقتحام النقط القوية فى منطقة جنوب البحيرات.

واستعداداً لصد وتدمير الهجمات المضادة المنتظرة للعدو وتحقيق الثبات لرؤوس الكبارى قررت أن يتم ليلة يوم ٦ / ٧ أكتوبر عبور اللواء ٢٢ المدرع على الكوبرى الكيلومتر ١٥١ ترقيم قناة الخاص بالفرقة ١٩ المشاة ويتمركز فى قطاع الفرقة، أما اللواء ٢٥ المدرع فيعبر من كوبرى الكيلومتر ١٤١ ترقيم قناة الخاص بالفرقة ٧ المشاة ويتمركز فى قطاعها، وبمجرد عبور اللواءين المدرعين تقوم فرق النسق الأول بتطوير الهجوم بدفع الأنساق الثانية ويتم توسيع رؤوس الكبارى للفرق إلى عمق ٦ ـ٨ كم شرقا.

ومع بدء تطوير الهجوم تقوم الكتيبة ٤٣ صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة بالهجوم على لسان بور توفيق والاستيلاء عليه مستغلة انقطاع التعاون بين القوة الإسرائيلية التى تحتل اللسان والقوات التى تم عزلها على امتداد الضفة الشرقية للقناة.

ولإخفاء اتجاه الهجوم الرئيسى للجيش ولتشتيت قوة نيران واحتياطيات العدو وتثبيت جزء منها، تم تخطيط أن يقوم اللواء ١ المشاة الميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بالعبور ليلة ٧ / ٨ أكتوبر على كوبرى الفرقة ١٩ المشاة ثم يدفع مع أول ضوء يوم ٨ أكتوبر فى اتجاه رأس مسلة كمفرزة متقدمة، وبعبور اللواء لرأس مسلة يوضع تحت قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية، حيث يندفع جنوبًا للاستيلاء على رأس سدر ثم «أبورديس» لتصبح مواجهة الجبهة حوالى ٥٠٠ كم من «أبو رديس» جنوبًا إلى بورسعيد شمالاً، ولنفس الهدف بالإضافة إلى إيقاف تقدم احتياطى العدو من اتجاه ممر الجدى، قررت أن يقوم اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل بدفع مجموعة كتيبة مشاة ميكانيكية من اتجاه كبريت فى اتجاه ممر الجدى مع بداية التمهيد النيرانى.

ولتنفيذ هذا التخطيط قررت أن يكون تشكيل العملية للجيش كالآتى :

■ **النسق الأول للجيش :**

● الفرقة ١٩ المشاة بقيادة العميد يوسف عفيفى ومعها اللواء ٢٢ المدرع تهاجم فى يمين تشكيل معركة الجيش

● الفرقة ٧ المشاة بقيادة العميد أحمد بدوى، ومعها اللواء ٢٥ المدرع تهاجم فى يسار تشكيل معركة الجيش.

● اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل يهاجم على الجانب الأيسر للجيش من اتجاه كبريت عبر البحيرات المرة فى اتجاه ممر الجدى ـ وادى الحاج.

■ **النسق الثانى للجيش :**

● الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية بقيادة العميد «أبو الفتح» محرم عدا اللواءين : ١ المشاة الميكانيكى و ٢٢ المدرع، وتبقى للفرقة اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى فى منطقة بير عديب أما قيادة الفرقة فكانت فى منطقة كيلومتر ١٠٩ طريق السويس ـ القاهرة.

● الفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل، وكانت تتمركز فى الجفره.

■ **فى الاحتياط :**

● المجموعة ١٢٧ صاعقة.

● الفوج ١ حرس حدود، وكان يؤمن ساحل خليج السويس.

● اللواء ٢٢ دفاع إقليمى، وكان يدافع عن المعابر والأهداف الحيوية.

● لواء صاعقة فلسطينى وكان يؤمن الجانب الأيسر للجيش فى منطقة كبريت غرب.

وكانت هذه هى ببساطة خطة الهجوم للجيش الثالث، ويجدر توضيح الآتى:

تكونت الخطة من شقين أساسيين:

الشق الأول: هو ما يخص اقتحام المانع المائى وتدمير خط بارليف الحصين والاستيلاء على رأس كوبرى الجيش من الشط جنوبًا إلى جنوب البحيرات شمالاً، وهو ما قد تم تعديله بناءً على قرارى؛ ليكون من رأس مسلة جنوبًا إلى كبريت شمالاً بزيادة فى المواجهة قدرها ٢٧ كيلومتر، وهذا الشق تم تخطيطه كاملاً بواسطة قيادة الجيش الثالث.

الشق الثانى: هو ما يخص هجوم اللواء ١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى جنوبًا للسيطرة على الساحل الشرقى لخليج السويس بالتعاون مع عناصر الصاعقة، والهجوم باللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل من البحيرات المرة فى اتجاه ممر متلا وممر الجدى، وهذا الشق هو تخطيط القيادة العامة وإن كان الجيش الثالث هو الذى سيسيطر على المعركتين ويديرهما لصالح القرار الاستراتيجى للعملية.

وفى أثناء سردنا لأحداث القتال سنرى كيف تم تنفيذ هذه الخطة، وكيف تم تعديلها طبقًا لتطورات الموقف.

* * *

القسم الثانى
اقتحام القناة والاستيلاء على خط بارليف

بصدور الأوامر باقتحام قناة السويس والاستيلاء على خط بارليف، دارت عجلة العمل التى أعددنا لها جيداً على مدى السنوات السابقة كالآتى :

أعمال قتال يوم ٦ أكتوبر :

ليلة ٥/ ٦ أكتوبر تم دفع القوارب المطاط خلف الساتر الترابي مباشرة وباستخدام أدوات نفخ القوارب تم تجهيز ١٤ قارباً لكل سرية مشاة فى النسق الأول للفرقتين ١٩ و ٧ المشاة، وفى الساعة ٠٨٠٠ تم فتح الثغرات فى موانع قواتنا على الضفة الغربية للقناة، ثم فى الساعة ١٠٠٠ أعلنت ساعة (س) على جميع القادة الأصاغر.

الساعة ١٤٠٠ بدأت القوات الجوية ضربتها المركزة ضد مراكز قيادات وسيطرة العدو ومناطق تجمعه ومرابض نيران المدفعية والمطارات فى العمق، وتعتبر الضربة الجوية التى خططتها ببراعة، ونفذتها باقتدار قواتنا الجوية فى حرب أكتوبر هى أول ضربة جوية على هذا المستوى فى تاريخ القوات المسلحة المصرية والعربية، وقد تم تنفيذها بعدد ٢٢٠ طائرة من أنواع مختلفة أقلعت فى توقيتات مختلفة من مختلف القواعد الجوية والمطارات المصرية؛ لتكون فى وقت واحد فوق أهدافها التى بلغت ٥٦ هدفًا، وكان للمفاجأة التى تحققت أثرها الكبير فى نجاح الضربة الجوية، حيث أصابت أهدافها بنسبة ٩٥ ٪ بينما لم تتعد خسائرها ٢ ٪ فقط من إجمالى عدد الطائرات التى كان مقدراً لها خسائر أكثر من ٢٥ ٪.

الساعة ١٤٠٥ بدأ التمهيد النيرانى للمدفعية الذى يعتبر أيضًا أكبر حشد نيرانى فى عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث اشترك فى تنفيذ التمهيد النيرانى الذى استمر لمدة ٥٣ دقيقة، أكثر من ٢٠٠٠ قطعة مدفعية وهاوتزر وصواريخ، وتم خلاله

إطلاق أكثر من ٣٠٠٠ طن من الذخيرة بمعدل ضرب عالٍ جداً وصل فى الدقيقة الأولى إلى ١٠٥٠٠ طلقة مدفعية فى الدقيقة.

ومع بدء تمهيد المدفعية، بدأ عبور مهندسي الاقتحام لفتح الثغرات فى موانع العدو، وكذا مجموعات اقتناص الدبابات لاحتلال الثغرات وتأمين عبور باقى القوات، وبدأت الأفراد فى نفخ القوارب، واستعدت القوات فى شكل أفواج اقتحام.

الساعة ١٤١٠ بدأ اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكي مستقل المسلح بالمركبات المدرعة البرمائية فى عبور المسطح المائى للبحيرات المرة من منطقة كبريت، وفى الوقت نفسه رصد تحرك احتياطى العدو فى متلا، فقامت مدفعيات الجيش بتركيز النيران عليه وتمكنت من إيقاف تقدمه.

الساعة ١٤٢٠ و تحت ستر نيران المدفعية المركزة على النقط القوية والاحتياطيات القريبة ومواقع المدفعية المعاونة للنقط القوية، وكذلك احتياطيات العدو فى الجدى ومتلا واحتياطى العدو فى عيون موسى الذى رصد تحركه فى هذا الوقت، بدأت القوات الرئيسية لفرق النسق الأول فى اقتحام قناة السويس فى الفواصل بين النقط القوية للعدو، وانطلق على صفحة مياه قناة السويس ١٦٠٠ قارب يحملون أكثر من ٨٠٠٠٠ مقاتل مصرى يتحرقون شوقًا إلى لقاء هذا الجندى الإسرائيلى الأعجوبة الذى قيل إنه لا يقهر.

وكان لمجموعات اقتناص الدبابات التى تم دفعها مع بدء التمهيد النيرانى أثره البالغ فى عرقلة وتعطيل تحرك احتياطيات العدو القريبة التى تمكنت من التحرك والوصول إلى النقط القوية لنجدتها.

ورغم أن العبور كان يسير جيداً طبقًا لما تم تخطيطه والتدريب عليه سنوات طوال، إلا أن الأمر لم يكن كما يظن البعض نزهة عبر القناة تحت ستر المفاجأة والمدفعية والطيران، فقد واجه الجيش بعض المشاكل المفاجئة التى هددت نجاح العبور.

وكانت أولى هذه المشاكل هي مشكلة سرعة التيار فى القناة وتأثيره على انتظام عملية العبور:

تختلف سرعة التيار على طول قناة السويس، فبينما تصل سرعة التيار إلى ٩٠ متراً فى الدقيقة فى قطاع الجيش الثالث نجدها حوالى ١٨ متراً فى الدقيقة فى قطاع الجيش الثانى، وقد أدت سرعة التيار إلى تشتت القوارب أو ما نطلق عليه

(التسويح) أى ابتعادها عن بعضها وعدم تمكن قادة الفصائل والسرايا من المحافظة على وصول وحداتهم فى وقت واحد إلى المكان المفروض الوصول إليه، والذى تم فتح الثغرة فى حقول الألغام به، فإذا أضفنا إلى ذلك تأثير نيران النقط القوية ومدفعية العدو لوجدنا أنه كان من الممكن أن تحدث كارثة؛ نتيجة لتكدس القوات على الضفة الشرقية للقناة بدون نظام، وفى انتظار اكتمال الوحدات وإعادة السيطرة عليها، وبتوفيق من الله اكتشفنا هذه المشكلة مع أول موجة قوارب اقتحام للقناة، واتخذت قرارى بسرعة بعدم استخدام القوارب والاعتماد على الناقلات البرمائية فكانت الفصيلة تركب فى ناقلة واحدة ومعها قائدها، وتتجه مباشرة إلى نقطة الوصول المخططة تساعدها قوة محركات الناقلة وقدرات التوجيه بها كما توفر أجنابها الحديدية وقاية الأفراد من الشظايا المتناثرة، وبذلك تغلبنا على المشكلة الأولى، واستمر العبور طبقًا للتخطيط بل فاقت سرعة العبور الزمن المخطط لها فى بعض الأحيان، وكان الموقف فى قطاع الفرقة ٧ المشاة التى كانت تعبر من جنوب البحيرات أفضل كثيراً من الموقف فى قطاع الفرقة ١٩ المشاة التى واجهت صعوبات كثيرة، وبذل رجالها جهوداً مضنية لتحقيق عبور المشاة فى التوقيتات المخططة.

وبوصول القوات إلى الضفة الشرقية للقناة بدأت فى تسلق الساتر الترابى على خط بارليف باستخدام سلالم الحبال وعربات الجر الصغيرة للذخائر والأسلحة، وكانت هذه القوات مدعمة بالأسلحة المضادة للدبابات من قواذف وصواريخ، كما كان معها عناصر المهندسين العسكريين لفتح الثغرات، علاوة على وحدات فرعية صغرى من الصواريخ الصغيرة المضادة للطائرات.

ونجحت الموجات الأولى من المشاة فى اجتياز الساتر الترابى شرق القناة، وفى تمام الساعة ١٤٤٠ بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر، تم غرس أعلام مصر على الضفة الشرقية لقناة السويس.

الساعة ١٤٥٠ تم تأمين الساتر الترابى على خط بارليف بجزء من القوات، ووصلت باقى قوات نسق أول الفرقة ٧ والفرقة ١٩ المشاة لمسافة ٣٠٠ متر شرق الساتر الترابى، وأتمت الاستيلاء على المصاطب المجهزة لاحتلال الدبابات، كما نجح اللواء ١٢ المشاة (اللواء اليمين من الفرقة ٧ مشاة) فى التقدم والوصول لمسافة ١ كم شرق الساتر الترابى، وأصبحت عناصر استطلاع اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل على مسافة ١ كم شرق البحيرات المرة وتتابع تقدمها شرقًا.

وفى هذا التوقيت نفسه بدأ العدو فى تحريك جزء من احتياطى محور الجدى علاوة على احتياطيات متلا وعيون موسى، حيث قامت مدفعيات قواتنا ومجموعات اقتناص الدبابات بالتعامل معه، وعرقلة تقدمه محدثة به خسائر كبيرة، كما قام طيران العدو بالقصف الجوى مركزًا على منطقة عجرود، وتمكنت وحدات الدفاع الجوى من إسقاط عدد ٤ طائرات معادية.

الساعة ١٥٠٠ وبنجاح قواتنا المترجلة فى الاستيلاء على الساتر الترابى على خط بارليف شرق القناة واجتيازه، تم نزول الناقلات البرمائية على طول المواجهة لنقل الذخائر والأسلحة المضادة للدبابات، وفى الوقت نفسه كانت قوات النسق الأول تتعرض لقصف جوى معاد مركز، كما بدأت القوات المكلفة باقتحام النقط القوية على الضفة الشرقية للقناة فى الجباسات والشط وجنوب البحيرات فى تنفيذ مهمتها.

وفى تمام الساعة ١٥٣٠ أى بعد حوالى ساعة ونصف من بدء المعركة، وبعد أقل من ساعة فقط من الهجوم على النقط القوية، نجحت قواتنا فى الاستيلاء على كل من النقط القوية فى منطقة الكيلومتر ١٤٦، ١٤٨ والنقط القوية بجنوب البحيرات، وتم رفع علم مصر عليها.

وفى الساعة ١٥٥٠ تمكن اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل من عبور البحيرات المرة، ووصلت عناصره المتقدمة لمسافة ٣,٥ كم شرقًا فى اتجاه ممر الجدى.

المشكلة الثانية كانت هى تأثير امتزاج التربة الطفلية بالمياه وتأثيرها على تحرك الدبابات:

ظهرت هذه المشكلة فى الساعة ١٥٥٠ عندما بدأت مضخات المياه فى مواجهة الفرقة ٧ مشاة فى العمل لتجريف الساتر الترابى؛ لتجهيز الفتحات الشاطئية لمعابر المعديات والكبارى، وبعد مضى ٨ دقائق فقط من بدء المضخات فى عملها بدأت هذه المشكلة فى الظهور، وكان سببها طبيعة التربة الطينية فى نطاق الجيش الثالث واختلافها عن طبيعة الأرض الرملية فى نطاق الجيش الثانى.

لقد بدأ جنود المهندسين فى تشغيل مضخات المياه التى كانت ترفع مياه القناة وتدفعها بسرعة وقوة دفع كبيرتين من خلال خراطيم قوية، وتنتهى بمخرج معدنى ضيق يزيد من قوة اندفاع المياه وتركيزها فى نقطة محددة، وبعد أن تمكن الجنود من

تركيز المياه فى النقط المحددة فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية بدأ الساتر الترابى فى التهايل والاندفاع مع المياة إلى قناة السويس - وكان هذا معروفًا - ولكن الجديد كان أن التربة الطفلية التى اختلطت بالمياة لم تنزلق إلى مياة القناة بالسرعة المنتظرة حيث تكونت بركة من الطين اللزج (روبة) ؛ كانت سببًا فى عدم قدرة المركبات والدبابات التى عبرت فى هذا الوقت على التحرك خارجها ، حيث كانت العربات والدبابات تغوص فى البركة الطينية حتى تصبح غير قادرة على الحركة ، وفى بعض المناطق وصل عمق هذه البركة إلى أكثر من متر ، ولحسن الحظ أننا كنا قد تركنا شركات المقاولات تعمل فى المصاطب على الضفة الغربية للقناة كجزء من خطة الخداع ، وبسرعة أمرت باستخدام معدات تلك الشركات ؛ لردم هذه البرك الطينية اللزجة ، وتم تجهيزها بالحصائر المعدنية ، كما اضطررت إلى دفع إحدى الدبابات إلى القناة بعد أن (غرزت) فى البركة الطينية اللزجة ، وأغلقت الفتحة الشاطئية ، وتم إخلاؤها من طاقمها ودفعها إلى القناة ، لقد كان الوقت حاسمًا ؛ لسرعة دعم عناصر المشاة على الضفة الشرقية بالدبابات قبل أن تزداد الهجمات المضادة كثافة ، وبدأت الدبابات فى العبور إلى الضفة الشرقية على المعديات .

المشكلة الثالثة تأثير المد والجذر على تثبيت الكبارى :

ثم ظهرت المشكلة الثالثة التى نتجت أيضًا من طبيعة القناة فى القطاع الجنوبى منها (أى فى نطاق الجيش الثالث) حيث يصل الفرق بين المد والجذر فى القناة إلى ٢ متر فى نطاق الجيش الثالث ، بينما لا يتجاوز ٦٠ سنتيمتر فى معظم قطاع الجيش الثانى .

وقد كان للفرق الكبير بين منسوب مياه القناة أثناء المد ومنسوبها أثناء الجذر أثر كبير فى وصعوبة تثبيت مطالع ومنازل الكبارى ، فهى تارة نجدها مغمورة بالمياه وتارة أخرى نجدها تنفصل عن أماكن تثبيتها بفعل انخفاض مستواها مع انخفاض سطح المياه ، الذى تطفو عليه أجزاء الكوبرى (البراطيم) ، وتغلبنا على هذه المشكلة باستخدام معدات المهندسين التى كانت على الضفة الغربية للقناة ، وبشجاعة وإصرار رجال وحدات الكبارى الذين بذلوا جهودًا مضنية ؛ لتشغيل الكبارى وتثبيتها وإعادة تثبيتها وتشغيلها .

الساعة ١٦٠٠ تمكن اللواء ٧ المشاة من التصدى بنجاح لهجوم مضاد معادٍ على

جانبه الأيمن، ونجح فى تدمير ٢ دبابة وأسر ٨ أفراد، وانسحب العدو شرقًا بعد فشل هجومه، وفى الوقت نفسه حاولت احتياطيات العدو فى الجدى، ومتلا، وعيون موسى بمعاونة قواته الجوية التدخل مرة أخرى؛ لعرقلة العبور ووقف تدفق القوات ولكنها فشلت فى تحقيق أهدافها وارتدت شرقًا، وأصبح إجمالى خسائر العدو ٢٢ دبابة علاوة على خسائره فى عرباته المدرعة والأسلحة والمعدات والأفراد، أما خسائرنا حتى هذه اللحظة، فكانت ٤١ شهيدًا و١٥١ جريحًا ومفقودًا.

الساعة ١٦٠٠ بدأت لواءات النسق الثانى لفرق النسق الأول تستعد للعبور.

الساعة ١٧٠٠ تقدمت كتيبة من اللواء ١٣٠ شرقًا، وتعرضت لنيران من احتياطى دبابات للعدو، كما تعرض اللواء لقصف جوى معاد مركز وتركيز من نيران المدفعية والدبابات المعادية مما تعذر معه الاستمرار فى التقدم، كما تعثرت «٢» سريتا دبابات أثناء عبورها للبحيرات المرة، وقررت وضع هذا اللواء تحت القيادة المباشرة لقائد الفرقة ٧ المشاة على أن يحتل منطقة كبريت شرق ويؤمنها، وصدقت القيادة العامة على هذا القرار.

الساعة ١٧٢٠ بدأ العدو فى توجيه هجمات جوية مركزة على طول المواجهة ونجح الدفاع الجوى مرة أخرى فى إسقاط «٢» طائرتين.

الساعة ١٧٤٥ بدأت الكتيبة ٤٣ صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة فى اقتحام لسان بور توفيق، وبعد قتال عنيف نجحت الكتيبة فى السيطرة على القطاع الشمالى من اللسان بعد أن تكبدت خسائر كبيرة، أما القطاع الجنوبى والأوسط من لسان بور توفيق، فاستمر العدو متمسكًا به ومؤثرًا بنيرانه الشديدة على باقى قوات الصاعقة واستمر فى قصف اللسان بالمدفعية والهاونات.

الساعة ١٨١٠ أتمت لواءات النسق الثانى لفرق النسق الأول عبور القناة؛ لتدعيم أعمال قتال القوات خاصة القوات التى كانت لاتزال تقاتل للاستيلاء على النقط القوية الإسرائيلية.

الساعة ٢٠٤٠ نجحت لواءات النسق الأول فى تحقيق المهمة المباشرة، وتوقفت عليها وحاول العدو الاختراق فى الفواصل بينها، فقامت لواءات النسق الثانى التى أنهت عبورها بالاشتراك مع باقى القوات فى صد هجمات العدو المضادة، وفى الوقت نفسه كان يوجد للعدو حوالى ٣ دبابات لاتزال تقوم بتوجيه نيرانها ضد قواتنا من نقطة المسحورة (جنوب البحيرات) علاوة على عناصر دبابات معادية

أخرى على مسافة ٧ كم فى اتجاه محور الجدى، فقامت المدفعية بالتعاون مع وحدات الفرقة ٧ المشاة بالتعامل معها، وتكبد العدو خسائر حتى سرية دبابات.

ويقول مستر هارت وهو أحد المراسلين الحربيين:

«إن ما رأيته بعينى قد أصابنى بالذهول، الجنود المصريون يتدفقون على القنال، يشقون المانع المائى بمعدل مرتفع عند الطرف الجنوبى من القناة كالإعصار».

هؤلاء أبناء النيل يخترقون الساتر الترابى المرتفع بشجاعة تعرفها الأساطير التى تمجد الأبطال المحاربين، وهاهم يثبتون أقدامهم على رمال سيناء التى فقدوها من قبل، يخوضون معارك فاقت عديداً من نوعيتها، لقد رأيت إعصاراً يتقدم تحت ساتر جديد هو عبارة الله أكبر، لقد فوجئ الذين يتحصنون بالنقط القوية بأن المصريين على رؤوسهم وكأن الأرض قد انشقت عنهم، لقد كانوا كالبرق الذى يسبق العاصفة، وكانوا من القوة بمعنى أن القوة أمامهم كان لابد أن تنهار».

أعمال قتال يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣:

ليلة ٦/ ٧ أكتوبر دارت معارك ليلية مستمرة بين قواتنا وقوات العدو، وأمرت بتنفيذ خطط إضاءة أرض المعركة؛ لمعاونة القوات على الاشتباك الليلى بكفاءة، وفى الساعة ٠٠١٥ قام العدو بهجوم مضاد مركز بالدبابات والمدفعية، لمعاونة النقطة القوية فى منطقة كم ١٤٩، وتصدى كل من اللواء ١٢ مشاة واللواء ٥ المشاة لهذا الهجوم إلا أن العدو تمكن فى النهاية من تدعيم النقطة بعدد «٢» دبابتين، وتمكنت هاتان الدبابتان من تدمير الكوبرى الكيلومتر ١٥١ الخاص بالفرقة ١٩ المشاة وتجزئته، واضطررنا لطلب كوبرى من احتياطى القيادة العامة المخصص لصالح قطاع عبور الجيش الثالث، ولكن تبين أنه قد تم تركيبه فى قطاع الجيش الثانى، واضطررنا إلى استخدام أجزاء كوبرى الكيلومتر ١٤١ فى قطاع الفرقة ٧ المشاة الذى كان قد تم تدميره أيضاً كمعديات، وتم بواسطتها عبور بعض دبابات كتيبة دبابات الفرقة ١٩ مشاة ودبابات اللواء ٥ المشاة، وتم انضمامها على وحداتها بعد عبورها من قطاع الفرقة ٧ مشاة.

الساعة ٠٢١٠ شن العدو هجوماً مضاداً بقوة كتيبة دبابات عدا سرية فى اتجاهى كبريت والمسحورة، فتصدت له قوات الفرقة ٧ المشاة بالنيران، وأمكنها إيقاف

تقدمه وارتد شرقًا لمسافة ٤ كم شمال كبريت، ثم عاود الهجوم مرة أخرى متقدما بمحاذاة البحيرات المرة الصغرى فى اتجاه الجنوب، ولكنه فشل مرة أخرى نتيجة لصمود وحدات الفرقة ٧ و اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى، وتم تدمير عدد ٩ دبابات للعدو، كما تم إسقاط طائرة فانتوم، وأسر عدد ٧ أفراد.

ونتيجة لعدم تجهيز المعابر لعبور الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات والمدفعيات إلى الضفة الشرقية حتى الساعة ٠٢٤٥، قررت دفع عناصر دبابات من قوات النسق الثانى؛ لاحتلال مصاطب الدبابات على الضفة الغربية للقناة اعتبارًا من أول ضوء يوم ٧ أكتوبر على أن يتم إمداد قوات الشرق بأسرع ما يمكن بالذخيرة باستخدام البرمائيات والاستعداد فى الوقت نفسه لصد الضربة الجوية الإسرائيلية المنتظرة.

الساعة ٠٣٣٥ أصدرت الأوامر لكل من اللواء ٢٢ مدرع من الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية، واللواء ٢٥ مدرع المستقل (التى كان المقرر دفعهما ليلة ٦/ ٧ أكتوبر) باحتلال حفر الدبابات على الساتر الترابى الغربى، بحيث يتم ذلك قبل أول ضوء على أن يتقدم اللواء ٦ المشاة الميكانيكي من الفرقة ٤ المدرعة؛ لاحتلال الموقع الثالث لاستعادة توازن الدفاعات غرب القناة.

وكأن الظروف الطبيعية لم تكن كافية، لإعاقة عبور الدبابات والمدفعية وباقى المعدات الثقيلة إلى الضفة الشرقية لتأمين ومعاونة الموجات الأولى من المشاة، فقد تدخل العدو فى معركة إنشاء الكبارى بالطيران والمدفعية ونيران الدبابات من النقط القوية التى استغلت فى توجيه وإدارة النيران والطيران؛ لكى يزيد من صعوبة المهمة، وفى الوقت نفسه لكى يبرز بدرجة أكبر قوة وتصميم جنود الجيش الثالث على تنفيذ المهمة الصعبة.

الساعة ٠٤٣٠ يوم ٨ أكتوبر حاول المهندسون تركيب الكوبرى الثقيل للفرقة ١٩ المشاة، وتعرض هذا الكوبرى للضرب بنيران الدبابات التى نجحت من قبل فى دخول النقطة ١٤٩ مما أدى إلى تدمير بعض أجزائه أكثر من مرة، وفكرنا فى تغيير مكان إنشاء الكوبرى، ولم نجد سوى مكان على مسافة ١,٥ كم من النقطة القوية، **وهنا تقدم الشهيد العظيم الرائد محمد زرد وقاد سرية من المهندسين والمشاة والتف من خلف النقطة القوية، واندفع على المزغل مضحيًا بحياته وملقيًا بالقنابل اليدوية على المزغل، واستشهد بنيران تلك الدبابة التى تم تدميرها بباقى القوات أثناء الاستيلاء على النقطة القوية.**

ونتيجة للموقف السيىء للمعابر طلبت من القيادة العامة التصديق بدفع اللواء ٢٥ مدرع من معابر الفرقة ١٦ المشاة فى نطاق الجيش الثانى، وتم التصديق على مطلبى وأمرت الفرقة ٧ المشاة ورئيس أركان حرب الجيش اللواء مصطفى شاهين بتنظيم وتنسيق تحرك وعبور وحدات اللواء ٢٥ المدرع.

الساعة ٠٧١٣ وعندما اتضح تحسن موقف المعابر بنجاح المهندسين فى تركيب الكوبرى ١٤١ فى قطاع الفرقة ٧ المشاة قررت إلغاء دفع اللواء ٢٥ المدرع من معابر الفرقة ١٦ المشاة التابعة للجيش الثانى، وأمرت بعبوره فوراً من المعابر التى تم إنشاؤها فى قطاع الفرقة ٧ مشاة فى ذلك الوقت.

الساعة ٠٨٤٥ اكتشف وجود ٨ دبابات معادية تحتل المصاطب الخلفية للنقطة ١٤٩ فى مواجهة اللواء ٥ المشاة، وفى الوقت نفسه أبلغت دوريات الاستطلاع بوجود تجمع دبابات ومجنزرات للعدو عند علامة كم ١٠٠ طريق متلا، فقررت قصف العدو بالطيران وسرعة الاستيلاء على النقطة القوية ١٤٩ قبل وصول العدو إليها، وقررت دفع سرية دبابات من اللواء ١٢ المشاة، لتدعيم أعمال قتال اللواء ٥ المشاة، وأمرت بإعطاء أسبقية أولى لعبور كتيبة دبابات اللواء ٥ المشاة من معبر الفرقة ٧ المشاة، وتم عبورها واشتركت فى القتال.

الساعة ١٠١٥ تمكنت الفرقة ٧ المشاة من الاستيلاء على نقطة جنوب البحيرات وأمكنها أسر ١١ فرداً ، بينما فرت باقى القوات الإسرائيلية شرقًا بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

مع بدء تشغيل المعابر فى قطاع الفرقة ٧ مشاة، ورغم تعرضها لقصف جوى معاد مركز حتى الساعة ١٧٣٠ فقد تمكنت الفرقة من تنفيذ عبور جميع المركبات البرمائية، وبدأت فى استيعاض الذخيرة.

الساعة ١٤٣٥ أتمت الفرقة ٧ مشاة تحقيق المهمة المباشرة، وتمكنت من تطويق دبابات العدو فى مواجهتها، كما نجحت الفرقة ١٩ المشاة فى تطهير النقطتين القويتين ١٤٦، ١٤٨ من بقايا العدو، وأتمت الاستيلاء على النقطة القوية رقم ١٤٩.

وكان العدو لايزال متمسكًا بالنقطة القوية ١٥٨ فى منطقة الجباسات فى قطاع الفرقة ١٩ مشاة، تعاونه بعض جيوب المقاومة.

الساعة ١٨٠٠ أبلغت عناصر الاستطلاع عن وجود كتيبة دبابات للعدو على مسافة ١١ كم من رأس كوبرى الفرقة ٧ المشاة على محور الجدى، كما أبلغت عن

وجود كتيبة دبابات أخرى على مسافة ٦ - ٨ كم فى مواجهه اللواء ٥ المشاة فى اتجاه الشرق على محور متلا، وفى الوقت نفسه أفادت معلومات المخابرات بعدم وجود قوات معادية على محور سدر، فقررت سرعة دفع كتيبة دبابات من الفرقة ٧ المشاة لمعاونة الفرقة ١٩ ،كما أمرت بدفع فصائل نقط قتال خارجية على مسافة ٢ كم من رأس الكوبرى مع تدعيمها بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات؛ لتعطيل تقدم العدو وإجباره على الفتح المبكر، مع تنفيذ خطة إضاءة أمام رأس كوبرى اللواء ١٢ المشاة واللواء ٥ المشاة؛ لمعاونتهما فى صد هجمات العدو المضادة المحتملة، كما أمرت برص ألغام على طريق الجدى وعلى الاتجاهات المحتمل تقدم العدو منها لإدخال العدو إلى مصيدة يتم تدميره فيها.

وكان من المقرر دفع اللواء ١ المشاة الميكانيكى من الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية من رأس كوبرى الفرقة ١٩ فى اتجاه رأس مسلة على الساحل الشرقى لخليج السويس على أن يوضع تحت قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرى بعد عبوره رأس مسلة ويدفع جنوبًا للاستيلاء على منطقة رأس سدر، ثم يطور هجومه جنوبًا للاستيلاء على منطقة أبو رديس، وبالطبع لم يتم دفع اللواء، نظرًا لظروف تعطيل تركيب معابر الكبارى، وتقرر تأجيل دفعه إلى يوم ٩ أكتوبر.

وعن هذا اليوم يقول زئيف شيف (الكاتب الصحفى الإسرائيلى) :

« إن معظم الحصون محاصرة وعليها أن تصمد بمفردها، وقد أصبحت عبارة عن نقط ملاحظة وإدارة نيران للمدفعية والطيران، وفى الليل أقام المصريون عديدًا من الكبارى على القناة، إن رجال سلاح المهندسين المصرى يقومون بعمل جيد، وخاصة عندما لا تكون النيران الإسرائيلية شديدة.

واليوم يطلبون من الولايات المتحدة إمدادًا سريعًا بالسلاح، إن الجيش الإسرائيلي فى موقف جديد؛ فإن تحطيم العتاد يجرى بصورة كبيرة وسريعة لدرجة أنه أصبح من الواضح أنه إذا استمرت الحرب بهذا المعدل، فسوف تخلو المخازن ويتحطم معظم العتاد، ففى خلال يومين تدمرت حوالى ٢٥٠ دبابة، وفقدت عشرات من الطائرات على الجبهتين ».

أعمال قتال يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى أول ضوء من هذا اليوم لاحظنا دقة نيران مدفعية العدو ومتابعتها لتحركات قواتنا وبناءً على خبرتى السابقة أمرت بتفتيش نقطة المراقبة الدولية فى القطاع الجنوبى شرق القناة ، ووجدنا بعض أفراد للعدو فى النقطة ومعهم أجهزة لاسلكية ويقومون بإدارة النيران من النقطة ، وتم أسرهم وترحيلهم ومعهم المراقبون الدوليون إلى القاهرة .

وفى هذا اليوم وضع تحت قيادة الجيش الثالث كتيبة صواريخ أرض - أرض ، حيث حضر إلى مركز القيادة المتقدم للجيش قائد الكتيبة ، وأخبرنى أنه قد وضع تحت قيادة الجيش ؛ لتنفيذ قصفتين بالصواريخ ، والمفروض أن تدار نيران الكتيبة بالهليكوبتر ، ونظراً لعدم وجود الطائرة فقد طلب منى تحديد أهداف القصفتين من على الخريطة ، وبعد استشارة العميد منير شاش قائد مدفعية الجيش وضباط العمليات والاستطلاع ووضع مدى الصواريخ على خريطة العمل ، قررت تنفيذ القصفة الأولى على مطار المليز ، والثانية على أم خشيب حيث قيادة الجبهة الجنوبية ، وكانت نتيجة القصفة الأولى تدمير طائرتين فانتوم وأربعة طائرات هليكوبتر بالإضافة إلى العديد من منشآت المطار والممر الرئيسى به ، أما القصفة الثانية فقد أودت بحياة قائد الجبهة الجنرال إبراهام مندلر خبير إسرائيل فى حرب المدرعات وأحد القادة الذين كانت إسرائيل تفخر بهم .

الساعة ٠٥٥٠ بدأ العدو بتوجيه هجمات جوية مركزة على طوال المواجهة وتمكنت وحدات الدفاع الجوى من إسقاط ٢ طائرة فانتوم معادية فى قطاع الفرقة ٧ مشاة .

مع أول ضوء أمكن استغلال الكوبرى حمولة ٢٥ طن فى قطاع الفرقة ١٩ مشاة لعبور الأرتال الإدارية وأرتال الذخيرة للفرق واللواءات ، فأصدرت أوامرى لقادة الفرقتين ١٩ و٧ بتوسيع رؤوس الكبارى لمسافة ٢ - ٣ كم شرقًا قبل الساعة ٠٨٠٠ ليصل عمق رؤوس كبارى الفرق إلى ٦ - ٨ كم .

الساعة ٠٧٥٥ أتمت الكتيبة ٤٣ صاعقة احتلال الجزء الشمالى والجنوبى للسان بور توفيق ، وكان العدو لايزال يقاوم بشدة فى منطقة منتصف اللسان ، فقررت قصف النقطة بالهاونات الثقيلة وقاذفات اللهب مع استخدام القنابل المسيلة للدموع وكذا قنابل الدخان على أن يستمر حصار العدو باللسان ، وتم إبلاغ كتيبة الصاعقة بذلك ، فقامت بالاستتار بالمخابئ أثناء الضرب .

الساعة ٠٨٠٠ قام العدو بهجمات جوية مكثفة ضد معابر الجيش، فتصدت له قواتنا الجوية، وأمكنها إسقاط طائرة معادية فى قطاع الفرقة ١٩ وتم أسر الطيار، كما نجحت طائراتنا فى تدمير ٦ دبابات إسرائيلية، ومخزن ذخيرة على محورمتلا، بينما أصيبت لنا طائرة وعاد طيارها سالمًا.

الساعة ٠٩٥٠ أصدرت أوامرى باستعداد اللواء ١ المشاة الميكانيكى للعبور والتمركز داخل رأس كوبرى الفرقة ١٩ ؛لتكثيف الدفاع لحين دفع دباباته واستعداده لتنفيذ مهمته.

الساعة ١١٤٠ تم اكتشاف ٩ دبابات إسرائيلية و نقطة ملاحظة تقوم بتصحيح نيران المدفعية على قواتنا فى منطقة كبريت شرق، كما أفادت عناصر الاستطلاع بتقدم مجموعات من الدبابات والمشاة للعدو على محور الجدى، وفى الوقت نفسه بدأ العدو فى توجيه غارات جوية مركزة على وحدات ومعابر الفرقة ٧ المشاة، وتمكن الدفاع الجوى من إسقاط «٢» طائرتين فانتوم.

وتم دفع نقطة قتال خارجية على مسافة ٢ كم شرق رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة، كما تم دفع سرية مشاة وسرية دبابات، ومعهما صواريخ مضادة للدبابات و ضابط ملاحظة أمامى من مجموعة مدفعية الفرقة مع هذه المجموعة المقاتلة لمقابلة العدو المتقدم من اتجاه ممر الجدى على مسافة ٦ ـ ٨ كم من رأس الكوبرى، أو الوصول إلى المدخل الغربى لممر الجدى، وطلبت طلعة سرب قوات جوية من القيادة العامة لقصف العدو المتقدم على هذا المحور.

الساعة ١١٤٠ تم استجواب الطيارين الأسيرين واتضح من الاستجواب أن المفاجأة قد تحققت تمامًا نتيجة للضربة الجوية المركزة الأولى والتى خسر العدو فيها ٦ طائرات فانتوم فى مطار المليز، و١٠ فانتوم و ٥ ميراج فى مطار راماد دافيد وهى على الأرض، كما تم تدمير وتعطيل مركز الإنذار فى أم خشيب ومركز القيادة فى أم مرجم وأفاد الاستجواب أيضًا أن الروح المعنوية للطيارين سيئة.

نجحت مجموعة القتال التى تم دفعها من الفرقة ٧ فى اتجاه العدو على محور الجدى فى إيقاف تقدم مفارز العدو وتدمير بعض دباباته، وأصبح الجانب الأيسر للفرقة ٧ مشاة مؤمن.

الساعة ١٣١٥ بدأت الفرقة ٧ المشاة بالتعاون مع اللواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى فى الهجوم على قوات العدو فى نقطة كبريت ؛ للاستيلاء عليها.

الساعة ١٥٠٠ تمكن العدو من حشد قوة تقدر بحوالى سرية دبابات على مسافة ١٥ كم شرق الجباسات فى مواجهة الفرقة ١٩ المشاة، وبدأت فى التقدم من منطقة جبل «أبو علام»، وقامت المدفعية بتركيز النيران عليها، وتم تدمير ٣ دبابات منها فارتدت باقى قوات العدو شرقًا.

الساعة ١٥٠٠ نجح اللواء ٥ المشاة الذى كان يقاتل بنجاح فى المنطقة ٥ , ١ كم شرق النصب التذكارى على محور متلا فى اقتحام النقطة ١٤٩ ببعض وحداته، وتم الاستيلاء عليها بالقتال المتلاحم داخل النقطة وتم تطهيرها، وتكبد العدو خسائر كبيرة فى الأفراد بلغت ٢٠ قتيلاً، ١٥ أسيرًا علاوة على خسائره الجسيمة فى الأسلحة والمعدات.

قررتُ قيام القوات البحرية ومدفعية الجيش بقصف منطقة رأس مسلة، وتدمير رادار العدو الموجود فيها، كما قررت قصف منطقة عيون موسى خلال ليلة ٨/ ٩ أكتوبر، تمهيدًا لدفع اللواء ١ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٥١٣ نجحت الفرقة ٧ مشاة فى صد هجمات العدو المضادة وتدميرها وكبدت العدو خسائر كبيرة فى الدبابات والعربات المدرعة، فأمرت قائد الفرقة باستغلال النجاح وتطوير الهجوم شرقًا؛ للوصول برأس كوبرى الفرقة لمسافة ٨ - ١٠ كم مع دفع مجموعة قتال متقدمة فى اتجاه محور الجدى؛ لإيقاف وتعطيل دبابات العدو التى قام بحشدها فى هذا الاتجاه، والتى بلغت ٦٠ - ٧٠ دبابة، تمهيدًا للتعامل معها بواسطة القوات الجوية.

الساعة ١٥٢٠ قررت حصار نقطة العدو القوية فى الجباسات، على أن يتم اقتحامها اعتبارًا من أول ضوء يوم ٩ أكتوبر.

الساعة ٢٠٤٥ فشل العدو تمامًا فى جميع هجماته المضادة، وتكبد خسائر فادحة فى الأفراد والأسلحة والمعدات، علاوة على أعداد كبيرة من الأسرى، ونجحت قواتنا فى الوصول إلى الخط العام ٨ كم شرق القناة، وأخذت فى متابعة تدمير عناصر العدو المرتدة شرقًا، وفى الوقت نفسه بدأت بوادر سقوط نقطة العدو القوية فى الجباسات وبدأت سرية مشاة مدعمة من اللواء ٨ المشاة ومعها سرية من اللواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى فى مهاجمة نقطة كبريت؛ للاستيلاء عليها.

الساعة ٢٢٤٠ بدأ العدو توجيه غارات جوية مركزة على المعابر وقواتنا الناجحة شرق القناة مستخدما النابالم، واستمر الهجوم الجوى طوال تلك الليلة تقريبًا، ونجحت وحدات الدفاع الجوى فى إسقاط عدد من الطائرات المهاجمة.

وعن أحداث قتال هذا اليوم يقول الجنرال الإسرائيلى جونين:

« ليس هذا جيش ٦٧ فى حرب الأيام الستة، لقد أغمد لواء شموليك سيفه فى حرب الأيام الستة فى أكثف تشكيل لدى المصريين، واجتازه فى خلال يوم واحد، وكان أول لواء يصل إلى القناة، وهذه المرة لاتجرى الأمور بسهولة، إن الصور الجوية تظهر أن المصريين قد أقاموا من جديد أثناء الليل معظم الكبارى التى هدمها السلاح الجوى بالأمس».

ولكثرة خسائر إسرائيل فى الدبابات فى هذا اليوم على جميع الجبهات أطلق على هذا اليوم يوم الإثنين الحزين، حيث خسرت إسرائيل حوالى ٢٥٠ دبابة فى هذا اليوم وحده.

أعمال قتال يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣:

الساعة ٠١١٥ ولمدة ساعتين قامت مدفعيتنا الساحلية على الساحل الغربى لخليج السويس بالاشتراك مع قواتنا البحرية بقصف منطقة رأس مسلة، ونجحت فى تدمير قارب للعدو ورادار رأس مسلة، وفى الوقت نفسه تم تدعيم الدفاعات عن المعابر شرق وغرب القناة بعناصر الدفاع الإقليمى ووحدات الصواريخ المضادة للطائرات، كما تم تكثيف وحدات الدخان استعداداً لأى احتمالات قد يجريها العدو لتكثيف الهجوم الجوى، أو التسلل لتخريب المعابر.

وقبل أول ضوء من هذا اليوم تمكنت كل من الفرقة ٧ و الفرقة ١٩ من صد وتدمير هجمات العدو المضادة على طول المواجهة خاصة فى مواجهة اللواء ١١ من الفرقة ٧، وارتدت باقى قوات العدو شرقًا، وفى الوقت نفسه استمرت قواتنا فى تطوير هجومها، حيث تمكنت من تحقيق المهمة المباشرة للجيش وتوحيد رءوس كبارى الفرق فى رأس كوبرى جيش، وقامت بدفع المفارز فى اتجاه الطريق العرضى الواصل من سدر جنوبًا إلى الطاسه شمالاً؛ لتأمين القوات أثناء اتخاذها للأوضاع

الدفاعية على الخطوط المكتسبة، وتوالى سقوط النقط القوية للعدو على طول المواجهة، واستسلام أفراد العدو فيها للأسر أو للهروب عدا نقطة لسان بور توفيق التى كانت لاتزال تقاوم أمام هجمات وحصار قواتنا لها.

وتنفيذاً لقرار - لم يكن هناك ما يبرره - بدفع مجموعة لقيادة القوات فى رأس كوبرى الجيش شرق القناة، حيث كانت القوات تقاتل بنجاح، والجيش يحقق السيطرة المستمرة على قواتنا وعلى العدو من خلال القرارات السريعة التى تكفل دعم أوضاع وأعمال قتال قواتنا، سواءً فى الأعمال الدفاعية أو الأعمال الهجومية أو أعمال تأمين المعابر والخطوط التى نجحت القوات فى الاستيلاء عليها، فقد تم دفع مجموعة بقيادة رئيس أركان الجيش اللواء مصطفى شاهين، ومعه طاقم من العمليات لقيادة قوات الشرق، ووصلت ليلة ٨ / ٩ إلى مركز قيادة الفرقة ٧ مشاة، وعندما تبين عدم الحاجة إلى عملها بالإضافة لافتقارها لعناصر السيطرة فضلاً عن خطورة ومشاكل ازدواج القيادات وتأثيرها السيئ على سرعة ووحدة القرار، ناهيك عن تأثيرها السلبى على الروح المعنوية لقائد المعركة الأصلى وهيئة قيادته، وزعزعة ثقتهم بأنفسهم قررت سحبها اعتباراً من أول ضوء يوم ٩ أكتوبر، وتم ذلك فعلاً وأخطرت القيادة العامة بعودتها.

الساعة ٠٦٠٠ قام العدو بغارات جوية لمدة ٣ ساعات متواصلة تركزت على قواتنا فى رءوس الكبارى شرق القناة، وعلى المعابر والكبارى على القناة، كما وجه ضربة جوية أخرى إلى مطار القطامية، وتمكنت وحدات الدفاع الجوى من إسقاط ٦ طائرات إسرائيلية.

معركة جبل المر:

يشكل جبل المر هيئة حيوية حاكمة تسيطر على طرق الاقتراب، خاصة بالنسبة لمحور متلا وطرق الاقتراب الفرعية شماله وجنوبه، وكانت المدفعية الإسرائيلية المحتلة على الميول الشرقية لجبل المر مصدراً لكل قصف قاست منه مدينة السويس والمنشآت البترولية فيها، وتكبدت بسبب نيرانها خسائر كبيرة فى المنازل والمنشآت طوال الفترة من نهاية عمليات ١٩٦٧ وحتى وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠، ثم أصبح عقبة فى سبيل تقدم باقى وحدات الفرقة ١٩، حيث كان يمثل

الهدف الحيوى الذى تستند عليه القوات الإسرائيلية فى توجيه الهجمات والضربات المضادة المتتالية .

وبعد تقدير سريع للموقف أمرت بدفع اللواء ٢ المشاة الميكانيكى ؛ للاستيلاء على جبل المر وتطهيره ؛ لتأمين تقدم باقى القوات .

الساعة ٠٨٣٠ بدأ اللواء ٢ المشاة الميكانيكى فى الهجوم على جبل المر بمعاونة حشد من نيران المدفعية ، فقام العدو بالهجوم الجوى على عناصر تشكيل المعركة للواء ، ومرة أخرى تصدت له عناصر الدفاع الجوى ، ونجح الأفراد المسلحون بالصواريخ الفردية المضادة للطائرات فى إسقاط عدد ٣ طائرات للعدو ، وتم أسر طيار إسرائيلى .

الساعة ١٢٣٠ سقط جبل المر ، وفقد العدو السيطرة عليه بعد قتال عنيف بواسطة قواتنا من المشاة المترجلة نظرًا لوعورة الأرض حول الجبل ، واستمر العدو فى محاولاته المستميتة ؛ لاستعادة الجبل بالهجمات المضادة دون جدوى ، وأتمت قواتنا الاستيلاء على جبل المر وتطهيره ، وفقد العدو بذلك هدفًا حيويًا مهمًا .

الساعة ١٠٣٠ وجه العدو هجومًا بقوة حوالى كتيبة دبابات من محور متلا ضد اللواء ٥ المشاة ، ونجحت وحدات اللواء بالتعاون مع المدفعية فى صد هجوم العدو وتم تدمير ١٥ دبابة ، وعلى أثر هذه الهزيمة القاسية أرتد العدو شرقًا .

الساعة ١٢٠٥ تمكن اللواء السابع المشاة من الفرقة ١٩ من التقدم بنجاح ، ووصل إلى المشارف الشمالية الغربية لمنطقة عيون موسى ، حيث أبلغ عن بقايا كتيبة مدفعية للعدو .

والجدير بالذكر أن موقع مدفعية العدو فى عيون موسى كان مجهزًا بملاجئ فولاذية ، وكانت أثناء حرب الاستنزاف تسيطر بنيرانها المؤثرة على كل من خليج السويس وبور توفيق ، وكثيراً ما ضرب المدينة ومصانع البترول والسماد وميناء الأدبية ومدينتى السويس وبور توفيق ، ونتيجة لأعمال القتال الباسلة لكل من اللواء ٧ مشاة و اللواء ١ مشاة ميكانيكى أمكن الاستيلاء عليه بعد معارك ضارية انسحب العدو على أثرها بعد أن تكبد خسائر فادحة ، وتم الاستيلاء على الموقع كاملاً وسليمًا بكل مدافعة ومعداته ، ورغم محاولات العدو المتكررة يومى ٩ و١٠ أكتوبر لاسترداده ، ونظراً لتعذر سحب المدافع من داخل الدشم الفولاذية أو الاستفادة منها فى إطلاق النيران على العدو شرقًا أو جنوبًا بسبب تثبيت اتجاهها العام فى مواجهة

الغرب، أمرت بنسفها جزئيًا لمنع العدو من الاستفادة بها في حالة نجاح الهجمات المضادة في استعادة الموقع.

الساعة ١٠٥٥ نجحت قواتنا بعد قتال عنيف استمر طوال الليل في تدمير معظم قوات العدو في نقطة العدو القوية في «كبريت شرق» مما أضطره للتسليم ورفع الراية البيضاء، وطبقًا لأوامر قائد الفرقة ٧ تقدمت المشاة مترجلة تحت حماية الدبابات، وتم أسر أفراد العدو في النقطة، كما تم الاستيلاء على الوثائق والأسلحة والمعدات، وتم أسر عدد ٣ أفراد.

الساعة ١٣٠٠ عاود العدو هجومه في مواجهة اللواء ١١ مشاة بقوة حوالي ٥٠ دبابة، وتمكنت قواتنا من تدمير عدد ١٦ دبابة منها مما أضطر العدو للارتداد شرقًا لمسافة ٧ كم استعدادًا لتوجيه هجمة مضادة أخرى، وبعد تمهيد نيراني قصير قام العدو مرة ثانية بالتقدم غربًا، وتحت ستر نيران مدفعياته أحتل خط نيران أمام مواجهة اللواء ١١ بمسافة ٣ كم، فقام قائد الفرقة ٧ بدفع كتيبة دبابات من اللواء ٢٥ المدرع لمعاونة اللواء ١١ في صد وتدمير العدو، وبعد قتال عنيف تمكنت قواتنا من تدمير عدد ٩ دبابات أخرى للعدو الذي أوقف هجماته مؤثرًا عدم التورط في جيوب نيران قواتنا، وارتد شرقًا مخلفًا وراءه ٤٦ دبابة محترقة ممتلئة بعشرات القتلى من الضباط والجنود.

الساعة ١٢٠٥ أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليماتها إلى قيادة الجيش بالتعزيز على خط رأس كوبرى الجيش، ورص الألغام على المواجهة والأجناب، وفي الثغرات والفواصل بين الوحدات، وتنفيذ الإمداد الإداري للقوات مع استمرار أعمال القتال والمحافظة على استمرار عمل شبكات القيادة والسيطرة بنفس الكفاءة على أن يتم في الوقت نفسه عبور باقي الأرتال ومراكز القيادة والسيطرة وجميع الاحتياطيات مع المحافظة على سلامة المعابر مهما كانت الخسائر والتضحيات.

الساعة ١٤٣٠ أمرت بتشكيل لجنتين من قيادة الجيش لمراجعة مستوى الإمداد في القوات من كافة التخصصات وتخطيط الوصول قبل أول ضوء اليوم التالي (١٠ أكتوبر) إلى المستوى الإداري التي بدأت به العمليات على أن تعمل كل لجنة في قطاع كل فرقة من فرق النسق الأول، وفي هذا المجال لابد أن أذكر رئيس إمداد وتموين الجيش الثالث الذي كان قد سبقني في التفكير في هذا الموضوع، وكان على

اتصال وثيق بأفرع الشئون الإدارية لجميع القوات التى تعمل فى قطاع الجيش يومًا بيوم وساعةً بساعة، وبالتالى كانت لديه خطة جاهزة عن احتياجات كل وحدة فى نطاق الجيش، وأسلوب وكيفية إمدادها؛ لذلك ما إن صدرت أوامر القيادة العامة بمراجعة المستوى الإدارى للقوات حتى كانت عناصر الإمداد والتموين ووحدات النقل والتحميل والتفريغ شعلة من النشاط، وكأنها كانت تنتظر تلك اللحظة؛ لتقوم بدورها فى تلك المعركة التاريخية، وقبل أن تشرق شمس يوم ١٠ أكتوبر كان رجال وحدات إمداد وتموين الجيش بقيادة العميد مصطفى عبد الجواد قد أتموا تنفيذ المهمة، وأصبحت مستويات الذخيرة والتعيينات والوقود والمياه وكافة الاحتياجات الأخرى فى الوحدات المقاتلة بنفس مستوى بدء القتال، وأصبحت الوحدات على أتم الاستعداد لخوض المزيد من القتال لتحقيق المهمة المقدسة.

وقمت بتدعيم كلٍّ من الفرقة ٧ و الفرقة ١٩ مشاة بفصيلة صواريخ فردية مضادة للطائرات نظراً لحيوية هذا السلاح وكفاءته فى الدفاع ضد المقاتلات القاذفة أثناء هجومها بالصواريخ والرشاشات.

اعتباراً من آخر ضوء يوم ٩ أكتوبر كانت وحدات فرق النسق أول للجيش، وهما الفرقتان ١٩ و ٧ المشاة لاتزال تقاتل ضد وحدات من دبابات العدو.

وفى قطاع الفرقة ١٩ كان اللواء ٧ المشاة يعزز مواقعه المكتسبة فى اليمين على خط المهمة شمال عيون موسى، وقد نجح اللواء ٢ المشاة فى تحقيق مهامه، ويقاتل ضد احتياطى دبابات العدو شرق جبل المر، أما اللواء ٥ المشاة، فكان قد تمكن من تحقيق مهمته فى اليسار، ويقاتل فى اتجاه متلا ضد احتياطى العدو المتمثل فى حوالى ٢٦ دبابة مخندقة، وتحتل مصاطب مجهزة، وفى الوقت نفسه كان اللواء ٢٢ المدرع من الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية يقوم بالتعاون مع كل من اللواء ٥ المشاة واللواء ٢ المشاة الميكانيكى فى صد وتدمير احتياطيات العدو فى متلا وجبل المر.

الاستيلاء على مركز القيادة المتقدم للجبهة

وأثناء متابعتى لبلاغ قتال قائد الفرقة ١٩ المشاة على خريطة موقف العمليات، لاحظت أن الجانب الأيسر للواء ٥ المشاة متأخر حوالى ٢ كم عن الخط العام لقوات رأس كوبرى الفرقة، بسبب الدبابات المخندقة التى كانت تعوق التقدم، فاستأذنت من القيادة العامة للتوجه إلى قطاع اللواء ٥ المشاة؛ لتقدير الموقف على الطبيعة،

وصحبنى العميد منير شاش قائد مدفعية الجيش، ومعه ضابط ملاحظة مدفعية، وبعد استطلاع الموقف على الطبيعة، قررت قيام اللواء ٥ المشاة بالهجوم الصامت ليلاً بدون دبابات أو معدات ثقيلة؛ لمفاجأة الدبابات المخندقة وتدميرها على أن يلحق به اللواء ٢٢ المدرع؛ لاستكمال تدمير العدو، ومتابعة التقدم شرقًا، وتم تنفيذ الخطة بنجاح، وتم الاستيلاء على الموقع الإسرائيلى، وتبين من تفتيشه أنه كان مركز القيادة المتقدم للقطاع الجنوبى من الجبهة، وكان يسيطر على جميع النقط الحصينة فى مواجهة الجيش الثالث الميدانى.

الساعة ١٨٢٠ تم استسلام نقطة الجباسات، وتم أسر ١٥ فردًا للعدو.

أما فى قطاع الفرقة ٧ مشاة، فقد تمكن اللواء ١٢ المشاة فى اليمين من صد هجوم مضاد للعدو فى مواجهته، وأمكنه تدمير ٨ دبابات سنتوريان، واستولى على دبابة سليمة تم سحبها غرب القناة، أما اللواء ١١ مشاة ميكانيكى، فقد تمكن من صد هجمات العدو المضادة المتتالية بالتعاون مع كتيبة دبابات من اللواء ٢٥ المدرع بنجاح واضطر العدو للإنسحاب شرقًا، وبدأ اللواء فى التعزيز على خط المهمة، وفى اليسار نجح اللواء ٨ المشاة بالتعاون مع اللواء ١١ الميكانيكى فى صد هجمات العدو المضادة.

كما قرر قادة فرق النسق الأول استغلال أعمال القتال ليلا؛ لسرعة القضاء على احتياطيات العدو بواسطة مجموعات اقتناص الدبابات بالتعاون مع كتيبتى الصاعقة التى تم إلحاقهما على فرق النسق الأول من المجموعة ١٢٧ صاعقة و سرعة تعزيز الأرض المكتسبة.

وبعد أن اطلع على نتائج القتال بين مصر وإسرائيل يوم ٩ أكتوبر قال هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت :

« إن مصر قد حصلت على نصر استراتيجى قلب كل الموازين فى المنطقة، وأحدث تغييرات فى الاستراتيجيات تجاه الشرق الأوسط وأنه لا عودة للوراء ».

أما وزير الدفاع الإسرائيلى، فقد قال فى هذا اليوم:

« إن طيراننا عاجز عن اختراق شبكة الدفاع الجوى المصرى دون أن يصاب بخسائر فادحة، إن قواتنا تخوض معارك مريرة، إنها ثقيلة بدمائها، ثقيلة بأيامها ».

وفى هذا اليوم أرسلت أمريكا إلى إسرائيل عدد ٦٦ طائرة مقاتلة قاذفة من طراز سكاى هوك على حساب قواعدها فى أوروبا الغربية.

أعمال قتال يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

توالت معلومات الاستطلاع والمخابرات تفيد بأن العدو يقوم بحشد أعداد كبيرة من الدبابات فى منطقة المضايق، تمهيداً لتوجيه ضربات مضادة قوية ؛ لاستعادة الموقف على قناة السويس.

الساعة ٠٤٠٠ وطبقًا لتعليمات من القيادة العامة تم دفع «٢» سريتى دبابات من اللواء ٢ المدرع من الفرقة ٤ المدرع، لاحتلال مصاطب الدبابات غرب القناة مباشرة فى منطقة حوض الدرس وجنوب البحيرات، على أن تقوم الفرقة ٧ مشاة بتأمين الجانب الأيسر للجيش بقوة كتيبة مشاة وسرية دبابات ونيران كتيبة مدفعية ميدان علاوة على احتلال نقطة كبريت بواسطة عناصر اللواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى وتدعم بالدبابات، كما أمرت بتحقيق الاتصال والتعاون بين اللواء ٥ المشاة فى الجنب اليسار للفرقة ١٩ مشاة واللواء ١٢ مشاة فى الجنب اليمين للفرقة ٧ مشاة ؛ لسد وحماية الثغرات بين فرق النسق الأول.

نظراً لكثافة غارات العدو الجوية، وقيامة بتوجيه هجمات مضادة بوحدات فرعية من الدبابات، خاصة على الجانب الأيسر وفى مواجهة اللواء ٨ مشاة، فقد أوقفت دفع المفارز التى كان من المقرر أن تدفعها تشكيلات النسق الأول فى اتجاه الطريق العرضى بين سدر والطاسه.

الساعة ١٣٣٠ قام العدو بهجوم مضاد بقوة ٢ سرية دبابات على اللواء ٥ مشاة ونجح اللواء فى صد الهجوم المضاد بالتعاون مع اللواء ٢٢ مدرع، وارتد العدو شرقًا بعد أن دمرت «٢» دبابتان.

الساعة ١٥٤٠ استولت الفرقة ١٩ على ٦ مدفع ١/٢ بوصة، عدد ٤ هاون ٨١مم، عدد «٢» عربتين نصف جنزير للعدو فى قطاع اللواء ٥ مشاة، كما تم الاستيلاء على عدد ٤ مدفع ١٠٥ م، عدد ٣ دبابات سنتوريان بدون سائق فى قطاع اللواء ٧ مشاة، علاوة على ترسانة من الأسلحة الصغيرة، فأمرت بإخلاء هذه الأسلحة إلى غرب القناة.

الساعة ١٧١٥ ،وبناء على تعليمات من القيادة العامة أمرت بإخلاء النقط القوية المستولى عليها شرق القناة حتى يتم نسفها ؛ لمنع العدو من الاستفادة منها فى حالة نجاحه فى الوصول إليها ،ونظراً لقوة تحصين النقط القوية، فلم يمكن نسفها نسفًا كاملاً.

الساعة ٢٠٤٠ أمرت بضرورة دفع المفارز المتقدمة قبل الساعة ٢٤٠٠ على كل من محورى الجدى ومتلا فى اتجاه الطريق العرضى سدر ـ الطاسه.

وبدأ فى هذا اليوم عمل الجسر الجوى الأمريكى؛ لإمداد إسرائيل بمختلف الاحتياجات الحرجة من الذخائر والأسلحة، وبلغ حجم ما تم نقله إلى إسرائيل جواً حوالى ٢٧,٨٠٠ طن.

أعمال قتال يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣:

تميز هذا اليوم بالهدوء التام تقريبًا إلا من بعض التراشقات بالمدفعية والطيران.

الساعة ٠٢٣٠ طلبت من وزير الدفاع الفريق أول أحمد إسماعيل، تأجيل دفع المفارز حتى يوم ١٢ أكتوبر، حيث يتم التطوير بباقى القوات بعمق ١٥ كم على أن يجرى استطلاع لاتجاهات وأهداف عمل المفارز خلال يوم ١١ أكتوبر، ثم تدفع مجموعات اقتناص دبابات ليلة ١١ / ١٢ مع أعمال الاستطلاع خلف خطوط العدو، وأوضحت فى حديثى مع وزير الدفاع أننى أخشى أنه فى حالة دفع المفارز مبكرا عن اتخاذ الخطوات السابق ذكرها أن تتكبد القوات خسائر كبيرة، وتفهم القائد العام وجهة نظرى، وصدق على قرارى، وأخطرت التشكيلات.

الساعة ٠٩١٠ ونظراً لاحتمال قيام القوات بمتابعة التطوير شرقًا، فقد أمرت بتأجيل رص الألغام على أن يتم توفير اتصال خطى بين كل من اللواء ٨ مشاة وقواتنا المحتلة فى منطقة كبريت، وأن يتولى اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكي مستقل الموضوع تحت القيادة المباشرة لقائد الفرقة ٧ مشاة تأمين الجانب الأيسر للجيش، ويكون مستعداً لتنفيذ أى مهام إيجابية قد تصدر إليه فى حينه.

الساعة ١٣٥٥ قام العدو بتوجيه هجمة مضادة محلية فى مواجهة الفرقة ٧ أمكن صدها، واستولت قواتنا على ٣ دبابات سنتوريان للعدو سليمة علاوة على عربة نصف جنزير وعربة جيب وعربة باور واجن حيث أخليت جميعها للغرب.

الساعة ١٦٠٠ وردت معلومات من مصادر الاستطلاع تفيد باحتمال قيام العدو بدفع مجموعات مؤخرة للعمل ضد قواتنا، خاصة بعد أن يتم توسيع رءوس الكبارى.

الساعة ٢١١٠ قامت قواتنا بقصف القطاع المحتل بقوات العدو من لسان

بورتوفيق بالهاونات الثقيلة عيار ٢٤٠ م مع استخدام الدخان والقنابل المسيلة للدموع، وكانت النقطة القوية فى لسان بور توفيق مازالت تقاوم، رغم استمرار أعمال القتال وحصارها لليوم الخامس على التوالى.

واصلت قواتنا خلال الليل تحسين أوضاعها وتوسيع رءوس الكبارى، وتم سحب كتائب الصاعقة التى كانت تعمل فى مواجهة تشكيل المعركة لفرق النسق الأول، وتم تجميعها خلف التشكيلات، على أن تعمل لصالحها إذا لزم الأمر.

قررت إعادة تنظيم القوات المحتلة لمنطقة كبريت، وأمرت بتدعيمها بعدد ٦ دبابات فقط مع سحب باقى الدبابات الموجودة داخل النقطة؛ لتدخل ضمن رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة.

أعمال قتال يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣:

تابع العدو نشاطه مرة أخرى على الجبهة فى الوقت الذى نجحت فيه قواتنا فى توسيع رأس الكوبرى، رغم هجمات العدو المتكررة خاصة على محور، متلا وأصبحت مواجهة الجيش شرق القناة حوالى ٥٢ كيلومتر.

نتيجة لأعمال قتال اليوم السابق والهجمات المضادة المتكررة من جانب العدو فى مواجهة اللواء ٥ مشاة، فقد توقف هذا اللواء على خط صد، وقام بالتعاون مع اللواء ٢٢ المدرع بصد وإيقاف تقدم العدو على محور متلا، وبعد نجاح معركة الصد أمرت بأن يقوم اللواء باستعادة الخط الذى ارتد من عليه.

الساعة ٠٤١٥ قام اللواء ٥ مشاة بدفع مفرزة بقوة كتيبة مشاة مترجلة بدون دبابات، وبعد قتال عنيف نجح فى الساعة ٠٦٠٠ فى الوصول إلى خط مصاطب دبابات العدو فى العمق، واستولى عليها، وقام باحتلالها.

الساعة ٠٦٣٠ عاود العدو الهجوم مرة أخرى بقوة حوالى ٤٦ دبابة من اتجاه متلا فى اتجاه نقطة الاتصال بين كل من اللواء ٥ المشاة و اللواء ١٢ مشاة مركزاً هجماته على اللواء ٥، فقررت دفع اللواء ٢٢ مدرع، حيث يقوم بالتعاون مع اللواء ١٢ بحصار وتدمير العدو فى نقطة الاتصال وعدم السماح له بالاختراق، وتم تنفيذ القرار، ونجحت قواتنا فى الصد، وتم تدمير ٥ دبابات للعدو.

الساعة ٠٧٢٥ أمرت بأن تقوم الفرقة ٧ المشاة بتطوير الهجوم شرقًا بواسطة كل

من اللواء ١١ ميكانيكي، واللواء ١٢ مشاة مع ثبات اللواء ٨ مشاة كما هو، مع التأكيد على التنسيق والتعاون بين كلّ من اللواء ١٢ مشاة واللواء ٨ مشاة؛ لتصفية الموقف فى نقطة الاتصال بين الفرقتين.

الساعة ٠٩٤٧ تم دفع رئيس أركان حرب الجيش ومعه رئيس شعبة العمليات للمرور على قوات شرق القناة، حيث أجريا تنظيم تعاون بين كل من الفرقة ٧ والفرقة ١٩ مشاة؛ لتأمين نقطة الاتصال بين الفرقتين، وكذا لتنظيم احتلال كل من اللواء ١ مشاة ميكانيكي، واللواء ٧ مشاة بعد أن تقرر دخول اللواء ١ ميكانيكي تحت القيادة ضمن رأس كوبرى الفرقة ١٩.

الساعة ٠٧٤٠ أمكن تدمير دبابة للعدو، كانت تقوم بالضرب على القوات المصرية شمال لسان بورتوفيق.

وبعد فشل آخر محاولة لإنقاذ أفراد نقطة العدو الحصينة ببور توفيق بواسطة مجموعة من الكوماندوز عن طريق خليج السويس، حيث تصدت لهم الكتيبة ٤٣ صاعقة وأحدثت بهم خسائر كبيرة اضطرتهم إلى الانسحاب، طلب أفراد العدو الساعة ٠٩١٠ التسليم عن طريق الصليب الأحمر الدولى.

ويذكر زئيف شيف الكاتب الإسرائيلى فى كتابه «زلزال فى أكتوبر» نص المحادثة بين قائد حصن لسان بور توفيق والقيادة فى سيناء التى تعبر عن سوء حالة الحصن رغم المقاومة العنيدة التى أبداها كمايلى :

القيادة : هل تستطيع الصمود ؟

قائد الحصن : أخشى أن يكون لا، حالتنا صعبة جداً، أريد الاستسلام.

القيادة : إنى أغير القرار السابق، أنت لست ملزمًا بالاستسلام، مازال الموقف يتوقف على اعتباراتكم.

قائد الحصن : كم علينا أن نصمد ؟

القيادة : لا أستطيع الالتزام بموعد.

قائد الحصن : انتظر، أليس متأخراً تغيير القرار ؟

القيادة : هذا يخضع لاعتبارات الحصن.

قائد الحصن : المسألة هى كم من الوقت على الحصن أن يصمد ؟

القيادة : هذا يخضع لقراركم، إذا قررتم الصمود، سنساعدكم بقدر مانستطيع.

قائد الحصن : هذا لايكفى .

القيادة : هذه هى الظروف ، والأمر يخضع لقراركم .

قائد الحصن : أخشى ألا أستطيع الصمود ، نقرر الاستسلام .

وعن استسلام نقطة لسان بور توفيق ، يقول جرانفيل واتس أحد المراسلين الحربيين :

« رأينا آخر موقع إسرائيلي محصن يعلن استسلامه تحت إشراف الصليب الأحمر ، لقد شاهدت العديد من الجنود الإسرائيليين يخرجون من خنادقهم ودشمهم ، بينما ارتفع العلم المصرى وبجانبه علم الصليب الأحمر على الموقع الإسرائيلى ، وكان أول إسرائيلي نقلوه بالقوارب إلى الضفة الغربية هو قائد الموقع وقد استسلم ٣٧ أسيرًا ، بخلاف القتلى والجرحى ومنهم ٥ ضباط قتلى » .

ولاشك أن طلب قائد الحصن الإسرائيلى فى بور توفيق التسليم عن طريق الصليب الأحمر ، وليس للجنود المصريين كما فعلت باقى الحصون كان له مايبرره فحامية هذا الحصن التى قاومت مقاومة عنيفة على مدى خمسة أيام من الحصار والضرب بالطيران والمدفعية ، بدأت قتالها بإحداث خسائر ضخمة فى الكتيبة ٤٣ صاعقة بلغت حوالى سرية صاعقة ، وكان توقع الحصن أن قوات الصاعقة ستنتقم منهم شر انتقام فى حالة التسليم لهم ، ولذلك طلبوا التسليم تحت إشراف الصليب الأحمر حفاظًا على حياتهم ، وتم التسليم بصورة نموذجية ، ومعهم جرحاهم وقتلاهم .

وبسقوط نقطة لسان بورتوفيق الحصينة ، انتهت أسطورة خط بارليف المنيع ، وفى تمام الساعة ١١١٥ أبلغت تقريراً بالموقف إلى وزير الدفاع يتلخص فى الآتى :

* الموقف بصفة عامة فى صالح قواتنا رغم اتساع المواجهة ، حيث أصبحت كثافة الدفاع المضاد للدبابات ضعيفة .

* ليلة ١١ / ١٢ أكتوبر دفعت مفرزة متلا ، وتقدمت لمسافة ٤ كم ، وأمكنها تدمير ٥ دبابات للعدو .

* تم صد هجمات العدو المضادة فى نقطة الاتصال بين الفرقتين ٧ و١٩ مشاة .

* من الصعب دفع المفارز ، واقترحت دفع لواء مدرع من الفرقة ٤ المدرعة فى رأس كوبرى الجيش ، الذى وصل عمقه إلى ١٢ كم ، وبدخول هذا اللواء يمكن التطوير لعمق ١٥ كم .

* لم يتصدق على طلب دخول كتائب الصواريخ المضادة للطائرات ذاتية الحركة إلى غرب القناة .

* تم دفع رئيس أركان حرب الجيش على رأس لجنة لتنسيق التعاون بين الفرقة ١٩ واللواء ١ مشاة ميكانيكى، ولتنسيق حماية نقطة الاتصال بين الفرقتين فى مواجهة محور متلا.

* بتقديرى للموقف أرى أن فى حالة هجوم العدو فإن جبل المر يشكل هيئة حاكمة وحيوية فى المنطقة، ولا يمكن التخلى عنه؛ ولذا أرى استحالة التطوير حاليًا فى اتجاه الشرق؛ لأن القوات المتيسرة بالكاد كافية لصد الهجمات المضادة للعدو.

* فى حالة قيام العدو بالهجوم بلواء مدرع من محور الجدى فإنه يمكن صده وتدميره، أما إذا دفع بعدد «٢» لوائى مدرع من اتجاهين مختلفين، ففى هذه الحالة تصعب المناورة بالقوات.

واستمرت أعمال قتال هذا اليوم بين هجمات مضادة للعدو ومحاولات مضنية للاختراق فى الفاصل بين اللواءات وعلى الأجناب، ولكن قوات الجيش كانت قد تمسكت جيدًا بمواقعها، وبالتالى نجحت المرة تلو الأخرى فى صد هذه الهجمات وإحباط كافة المحاولات الإسرائيلية، ومن ثم تزايدت الخسائر الإسرائيلية فى الدبابات والأفراد، وكثر الأسرى الذين استسلموا تاركين أسلحتهم ومعداتهم غنيمة لقواتنا.

* وفى مساء يوم ١٢ أكتوبر صدرت تعليمات التطوير التى حملت معها بداية التحول فى مسار العمليات، كما سنرى فى الأقسام التالية.

وبنهاية تلك الفترة من حرب أكتوبر تهاوت دعاوى التفوق الإسرائيلى التى تمثلت فى:

* الجيش الذى لايقهر، والطيران الإسرائيلى ذى اليد الطولى.
* خط بارليف الحصين، أقوى الخطوط الدفاعية فى العالم.
* النقط الحصينة التى تتحمل أقوى ضربات الطيران والمدفعية.
* خزانات النابالم التى ستحرق القوات المصرية التى تحاول عبور القناة.

ومن ثم ثبت خطأ نظرية الأمن الإسرائيلية، وانهار حلم الحدود الآمنة التى تصورت إسرائيل أنها قد حصلت عليها بعد انتصارها الزائف فى يونيو ١٩٦٧.

* * *

القسم الثالث
السيطرة على خليج السويس

خططت القيادة العامة للقوات المسلحة للسيطرة على خليج السويس لتحقيق هدفين أساسيين :

* الهدف الأول عسكرى، وهو حماية الجناح الأيمن للقوات المصرية شرق القناة، وتخفيف الضغط عن رءوس الكبارى عن طريق جذب جزء من احتياطيات العدو جنوبًا بعيدًا عن رأس الكوبرى .

* الهدف الثانى اقتصادى، وهو استعادة مناطق آبار البترول الغنية الواقعة على الساحل الشرقى لخليج السويس، وهى: البلاعيم برى، والبلاعيم بحرى، و«أبو رديس» وسدر، وعسل، ومطارمة، وفيران .

وكانت الفكرة الأساسية التى تضمنتها الخطة الموضوعة تقضى بالقيام بعملية هجومية على الشاطئ الغربى لسيناء الجنوبية، هدفها المباشر الاستيلاء على «أبو رديس» (على مسافة ١٤٠ كيلو متر جنوب الشط)، أما هدفها النهائى فكان السيطرة على الساحل الشرقى لخليج السويس الذى يبلغ طوله حوالى ٣٠٠ كيلو متر ويشترك فى هذه العملية اللواء ١ مشاة ميكانيكى بقيادة العقيد صلاح زكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى وكتيبتان من المجموعة ١٣٦ صاعقة التابعتان للجيش الثالث .

وتلخص التخطيط الذى وضعته القيادة العامة للقوات المسلحة فيما يلى :

تنفيذ إبرار جوى وبحرى لكتيبتين صاعقة من المجموعة ١٣٦ صاعقة ليلة ٦/٧ أكتوبر على الشاطئ الشرقى لخليج السويس فى مناطق شراتيب و« أبو رديس» و «أبو زنيمة» وشرق وادى فيران، بمهمة تدمير أهداف العدو الحيوية، وقطع خطوط مواصلاته فى هذه المناطق، وعرقلة تقدم احتياطياته، وتأمين المضايق فى جنوب سيناء، و تحقيق السيطرة على الساحل الشرقى لخليج السويس فيما بين رأس سدر و«أبو رديس» والاتصال باللواء ١ مشاة ميكانيكى المقرر دفعه للهجوم صباح يوم ٨ أكتوبر،

وتم التخطيط لنقل قوات الصاعقة عن طريق الإبرار الجوى والإبرار البحرى كالآتى :

الإبرار الجوى :

* سرية صاعقة مدعمة بفصيلة أسلحة مضادة للدبابات، وجماعة صواريخ سام ٧ المضادة للطائرات من مطار التليمات ليلة ٦/ ٧ أكتوبر إلى منطقة الإبرار شمال «أبو رديس».
* سرية الصاعقة الأخرى المدعمة بفصيلة أسلحة مضادة للدبابات من المطار نفسه، وفى الليلة نفسها إلى منطقة الإبرار شرق وادى فيران.

الإبرار البحرى :

* سرية من منطقة رأس رحمى ليلة ٦/ ٧ أكتوبر بواسطة القوارب (زودياك) إلى المنطقة شمال رأس شراتيب (وتبلغ المسافة حوالى ٣٣ كيلو متر).
* سرية صاعقة من مرسى ثلمت ليلة ٦/ ٧ أكتوبر بواسطة القوارب (زودياك) إلى المنطقة جنوب «أبو زنيمة» (وتبلغ المسافة حوالى ٤٠ كم)، ويتم تدعيم السرية بواسطة فصيلة مضادة للدبابات تنقل إلى المنطقة ليلة ٧/ ٨ أكتوبر بواسطة القوارب (زودياك).
* سرية صاعقة من مرسى ثلمت ليلة ٦/ ٧ أكتوبر بواسطة قوارب (زودياك) إلى المنطقة جنوب رأس ملعب (جبل حمام فرعون)، وتبلغ المسافة حوالى ٢٥ كيلو متراً.
* سرية صاعقة من مرسى ثلمت ليلة ٧/ ٨ أكتوبر بواسطة قوارب (زودياك) إلى المنطقة شمال رأس ملعب (رأس لجية)، وتبلغ المسافة حوالى ٢٣ كيلو متر.

مهمة اللواء ١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى :

أما بالنسبة للواء ١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، فقد كان التخطيط يقضى بعبور اللواء قناة السويس ليلة ٦/ ٧ أكتوبر إلى رأس كوبرى الفرقة ١٩ المشاة، حيث يوضع تحت قيادة الجيش الثالث، ويكون جاهزاً للدفع للاشتباك اعتباراً من الساعة الخامسة صباح يوم ٧ أكتوبر بهدف الاستيلاء على رأس مسلة (على بعد ١٧ كم جنوب الشط).

وبعد الاستيلاء على رأس مسلة، واعتباراً من أول ضوء يوم ٨ أكتوبر، يدفع اللواء للاشتباك من منطقة رأس مسلة بمهمة تطوير الهجوم في اتجاه «أبو رديس» لتحقيق السيطرة على الساحل الشرقي لخليج السويس، وبالتعاون مع وحدات الصاعقة التي تم إبرارها من قبل في جنوب سيناء يقوم بالاستيلاء على «أبو رديس» كمهمة مباشرة، وبعد وقفة تعبوية يتم تطوير الهجوم بالتعاون مع قوات الصاعقة والبحرية؛ للاستيلاء على منطقة الطور كمهمة نهائية.

تسيطر قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية على تنفيذ العملية بإنشاء مركز قيادة مشترك تديره مجموعة عمليات بقيادة العميد إبراهيم رشيد رئيس أركان حرب المنطقة، وانضمت إليها مجموعة عمليات بحرية بقيادة العميد على غانم ومجموعة عمليات من الصاعقة بقيادة العقيد كمال عطية وضابط اتصال جوي، بمهمة السيطرة على تنفيذ عمليات الإبرار الجوي والبحري على الشاطئ الشرقي لخليج السويس، ليلتي ٦ / ٧ و ٧ / ٨ أكتوبر، وفور إتمام عمليات الإبرار تعبر مجموعة العمليات قناة السويس إلى الضفة الشرقية لقيادة عمليات اللواء ١ مشاة ميكانيكي الذي يوضع تحت قيادة المجموعة بمجرد عبوره لمنطقة رأس مسلة بمجرد دفعه للاشتباك من رأس مسلة، ومن ثم يخرج من تحت سيطرة الجيش الثالث.

سير العملية:

تم تنفيذ أعمال الإبرار الجوي والبحري بقوات الصاعقة كالآتي:

تم تنفيذ الإبرار الجوي بسرية صاعقة في الساعة الخامسة والربع مساء يوم ٦ أكتوبر من مطار التليمات إلى منطقة شمال «أبو رديس» باستخدام الطائرات الهليكوبتر (مي ٨)، كما تم إبرار فصيلة استطلاع في منطقة رأس شراتيب، وأفاد قائد الوحدة الجوية بعد العودة، أن الإبرار الجوي في منطقة «أبو رديس» تم تحت ضغط العدو مما يجعل من الصعب القيام بالرحلة الثانية إلى المنطقة نفسها، وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين مساء تم تنفيذ الإبرار الجوي بالسرية الأخرى إلى منطقة رأس شراتيب.

في آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر لم يتيسر تنفيذ عملية الإبرار البحري لسرايا الصاعقة الأربع التي كان من المقرر القيام بها؛ لعدم صلاحية معظم القوارب المطاطية (زودياك)

رغم المحاولات المتكررة للتغلب على أعطالها الفنية، مما استدعى أن يقترح قائد مجموعة العمليات استبدال وسيلة الإبرار؛ لتكون باستخدام الطائرات الهليكوبتر وعندما تصدق على هذا الاقتراح تطلب الأمر تعديل أماكن الإبرار الأصلية؛ لتتناسب مع الإبرار الجوى، كما تعدلت جداول التحميل وأماكن تمركز وحدات الصاعقة وذلك بالتنسيق مع العقيد كمال عطية قائد المجموعة ١٣٦ صاعقة.

وفى الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين مساء يوم ٨ أكتوبر قامت ٨ طائرات هليكوبتر بإبرار سرية صاعقة فى المنطقة جنوب «أبو زنيمة»، وكانت الطائرات الهليكوبتر قد قامت قبل ذلك فى الساعة الثامنة والنصف مساء اليوم نفسه بطلعة إمداد جوى لوحدات الصاعقة برأس شراتيب و«أبو رديس»، وقبل منتصف الليل بخمس دقائق تم إبرار سرية صاعقة فى منطقة شمال لجية باستخدام الطائرات الهليكوبتر، وبذلك تم إبرار أربع سرايا صاعقة وبعض فصائل المعاونة جواً بنجاح بعد أن اقتصر الإبرار على النقل على الطائرات الهليكوبتر فقط، وكانت خسائرنا فى جميع عمليات الإبرار «٢» طائرتين هليكوبتر سقطت إحداهما يوم ٦ أكتوبر، والثانية يوم ٨ أكتوبر بعد تنفيذ الإبرار.

وقامت وحدات الصاعقة المسلحة بأسلحة خفيفة والتى تحمل معها حجم صغير من الاحتياطيات المختلفة من الذخائر والاحتياجات الأخرى بجهد كبير وبطولات خارقة لايتسع المجال لذكرها؛ لتنفيذ مهامها فى ظل ظروف صعبة تمثلت فى سرعة وصول العدو إليها واصطدامه بها، وقاتلت الصاعقة حتى نفذت ذخيرتها، ونجحت فى تعطيل احتياطيات العدو، وسقط الكثير منهم شهداءً أو أسرى بعد نفاذ ذخيرتهم أو حصارهم، فى ظل عدم وصول اللواء الأول المشاة الميكانيكى إليهم، وعدم وجود غطاء جوى أو بحرى لحمايتهم مع عدم التخطيط الواجب لالتقاطهم بعد تنفيذ المهمة.

تنفيذ مهمة اللواء ١ مشاة ميكانيكى:

نظراً لظروف تعطل تجريف الساتر الترابى وتأخر عمل الفتحات الشاطئية وتركيب معابر المعديات والكبارى، فقد تقرر تأجيل دفع اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى صباح يوم ٩ أكتوبر، وفى الساعه ٠١٠٠ بدأ اللواء تحركه من منطقة تمركزه غرب القناة، والساعه ٠٣٣٠ بدأ عبوره تحت إشراف قيادة الجيش، حيث أتم العبور

عدا بعض الوحدات الإدارية، نتيجة لطول رتل اللواء الذى تم تدعيمه للمهمة بمعظم إمكانيات الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وأبرزها كتيبة الدفاع الجوى المسلحة بالمدفع الثنائى ذاتى الحركة عيار ٥٧ ملليمتر المضاد للطائرات، وإن كان الدعم الإدارى المبالغ فيه عبئًا على اللواء فى هذه المهمة الخاصة التى كان سيبتعد خلالها عن نطاق الحماية المحققة بوحدات الدفاع الجوى.

الساعه ٠٨٣٠ يوم ٩ أكتوبر تم دفع اللواء ١ مشاة ميكانيكى للاشتباك، وقام الجيش الثالث بتأمين دفعه من خلال رأس كوبرى الفرقة ١٩ بنيران ٦ كتائب مدفعية والاحتياطى المضاد للدبابات للجيش، علاوة على أعمال قتال اللواء ٧ المشاة من الفرقة ١٩ مشاة الذى كان قد نجح فى الاستيلاء على الميول الشمالية الغربية لعيون موسى.

الساعه ١٢٠٠ حقق اللواء المهمة المباشرة، واستولى على الميول الجنوبية والشرقية لنقطة عيون موسى، وبمجرد وصول اللواء إلى هذا الخط، واعتباراً من الساعه ١٣٣٠ تعرض اللواء لقصف جوى معاد عنيف ومركز استمر حتى الساعه ١٥٣٠، حيث بدأ اللواء فى دفع مفرزة بقوة الكتيبةً ٢٠ مشاة ميكانيكى ومعها الكتيبة ٣٣٨ دبابات من نفس اللواء؛ لتحقيق المهمة التالية والاستيلاء على منطقة رأس مسلة.

ورغم أنه كان من المفترض وفقًا للخطة الموضوعة ألا يوضع اللواء ١ مشاة ميكانيكى تحت قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية إلا بعد دفعه الاشتباك من خط الدفع المحدد جنوب رأس مسلة، إلا أن سوء أوضاع اللواء من الناحيتين التكتيكية والمعنوية بسبب تعرضه للقصف الجوى دفع القيادة العامة بالقاهرة إلى إصدار تعليماتها إلى قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية بالعبور خلف اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى الضفة الشرقية للقناة؛ لقيادة عملياته فى اتجاه «أبو رديس».

وفى حوالى الساعة ١٤٠٠ يوم ٩ أكتوبر، أصدر اللواء إبراهيم كامل قائد منطقة البحر الأحمر أمرًا إلى العميد إبراهيم رشيد قائد مجموعة العمليات بالاستعداد للتحرك إلى قطاع الجيش الثالث.

وفى الساعة ١٥٣٠ بدأ تحرك المجموعة بعد أن انفصلت عنها مجموعتنا البحرية والصاعقة، وبالتالى بدأ التنسيق السابق لأعمال القوات المتعاونة يختل، ووصلت المجموعة إلى مكان تمركزها فى منطقة الكيلو متر ٩٨ طريق القاهرة-السويس فى الساعة الثامنة من مساء يوم ٩ أكتوبر، وكان تشكيل المجموعة من قائد المجموعة

ومساعدة المقدم محمد يوسف ضابط العمليات وضابط إشارة وضابط استطلاع وضابط إمداد وتموين .

الساعه ١٦٣٠ أستأنف العدو القصف الجوى المركز على وحدات اللواء الفرعية مركزاً على قوة المفرزة التى اضطرت تحت الهجمات الجوية المتتالية للارتداد والتمسك بخط الهيئات الحاكمة ٣ كم شرق معسكر الكرانتينا (الحجر الصحى)، ثم واصل العدو هجومه الجوى المكثف مستغلاً ابتعاد اللواء عن منطقة التغطية بصواريخ الدفاع الجوى

ونتيجة لقصف العدو الجوى المركز والمستمر نهاراً وليلاً على وحدات اللواء الفرعية اضطر للتوقف بمنطقة عيون موسى ليله ٩/ ١٠ ، وفى الليلة نفسها والساعه ٢٣٤٥ رصدت عناصر المخابرات قيام العدو بتدعيم قوات رأس سدر وشرم الشيخ بالمشاة الميكانيكية والدبابات .

موقف اللواء ١ مشاة ميكانيكى يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

الساعه ٧٠٠ تعرض اللواء ١ مشاة ميكانيكى الذى كان لايزال فى منطقة عيون موسى مرة أخرى لقصف جوى مركز ، وكان طيران العدو يقوم بالهجوم الجوى مع التركيز على قطع الدفاع الجوى ذاتية الحركة .

وفى الساعة السابعة والدقيقة الخمسين صباح يوم ١٠ أكتوبر وصل مندوب هيئة عمليات القوات المسلحة العقيد حسن الزيات إلى مركز القيادة الرئيسى للجيش الثالث ، وأبلغ قائد مجموعة العمليات أن أوامر القائد العام الفريق أول أحمد إسماعيل تنص على ما يلى :

* تتم مهمة اللواء الأول مشاة ميكانيكى بمجموعات قتال بعد آخر ضوء يوم ١٠ أكتوبر من الخط جنوب رأس مسلة فى اتجاه رأس سدر والمدخل الغربى لمضيق سدر للاستيلاء عليهما والاتصال مع قوة الصاعقة التى تم إبرارها فى منطقة المضيق .

* يتم الاستيلاء على هذه المناطق قبل أول ضوء يوم ١١ أكتوبر .

* يؤمن الجيش الثالث دفع اللواء ١ مشاة ميكانيكى وفقاً لما هو مسجل فى الخطة ، ويوضع هذا اللواء تحت قيادة مجموعة عمليات البحر الأحمر العسكرية التى توضع بدورها تحت قيادة الجيش الثالث ، حتى إعادة دفع اللواء من الخط جنوب رأس سدر .

وأضاف العقيد حسن الزيات أن الفريق الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، ينصح بأن تتم الأعمال القتالية للواء أثناء الليل وبالمجموعات، وقد أراد قائد مجموعة عمليات البحر الأحمر العسكرية أن يستوضح من مندوب هيئة العمليات عن المهمة التى يمكن أن تؤديها مجموعته أثناء المرحلة التى تسبق دفع اللواء من رأس سدر؛ إذ لا توجد قوات أخرى خلاف اللواء الأول مشاة ميكانيكى تحت قيادة المجموعة، فى الوقت الذى توجد فيه قيادة كاملة للواء بجميع أفرعها، ولكن العقيد الزيات لم يجب بإجابة مقنعة، وكان تبريره هو أنها ناحية معنوية، نظرًا لتولد شعور لدى القيادة العامة بانخفاض الروح المعنوية فى هذا اللواء، وضعف إقدامه على إنجاز المهمة.

وفى الساعة ٠٩٤٥ استقبلت مجموعة العمليات فى مركز القيادة المتقدم للجيش، وحضر المقابلة العقيد حسن الزيات الذى أبلغنى أوامر القائد العام، وأصدرت تعليماتى لقائد مجموعة العمليات بأن يتم عبور مجموعة العمليات إلى شرق القناة يوم ١٠ أكتوبر، وتعطى الأسبقية لعبور المجموعة على أحد معابر الجيش الثالث بعد عبور ذخيرة وحدات النسق الأول، ويقوم رئيس إشارة الجيش بتسليم المجموعة - قبل التحرك - جميع البيانات الخاصة بالاتصال اللاسلكى.

وعند الظهر تحرك قائد المجموعة ومعه المقدم محمد يوسف ضابط عمليات المجموعة، وعبرا وحدهما فى عربة لاسلكى نظرًا لازدحام المعابر، وذلك لضمان سرعة الوصول إلى اللواء ١ مشاة ميكانيكى، وقد تعرضت العربة للقصف الشديد من المدفعية الإسرائيلية فى منطقة المعابر، ثم بعد ذلك فى منطقة، اللواء ٧ المشاة من الفرقة ١٩ المشاة، واستمرت هذه الغارات بصورة متقطعة، ثم تكرر القصف الجوى المركز مرة ثانية من الساعه ١٢٠٠ إلى الساعه ١٢٣٠.

وطبقا لأوامر القيادة العامة الساعه ١٢٠٠، فقد تقرر أن يوضع اللواء ١ مشاة ميكانيكى تحت قيادة الفرقة ١٩ مشاة، ويتم سحب مجموعة عمليات منطقة البحر الأحمر العسكرية، ويقوم اللواء ١ مشاة ميكانيكى باحتلال مواقعه الدفاعية فى منطقة عيون موسى ورأس مسلة، وتأمينها برص حقول ألغام سريعة مع دفع مفارز قوية مدعمة بالدبابات والأسلحة المضادة للدبابات؛ لعمل كمائن وستائر مضادة للدبابات عبر الوديان والطرق والمدقات القريبة.

بدأت مدفعية اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى قصف منطقة رأس مسلة الساعة

١٣٠٠ ، وكان العدو يحتلها بقوة ٢ سرية دبابات و سرية مشاة ميكانيكى وسرية مدفعية ميدان ، وعندما بدأت وحدات اللواء الفرعية تتقدم فى اتجاه عملها شن العدو هجومًا جويًا مكثفًا على أرتال اللواء مما تعذر معه مواصلة التقدم .

وفى الساعة الثانية مساءً وصل العميد إبراهيم رشيد قائد المجموعة إلى المنطقة الخلفية للواء ١ مشاة ميكانيكى ، والتقى هناك بالعقيد ماجد دنيا رئيس أركان حرب اللواء الذى كان متجها للخلف ، وأخطره أنه فى طريقه لمقابلتى فى مركز قيادة الجيش ؛ لتوضيح موقف اللواء من حيث حجم الخسائر والحالة المعنوية السيئة التى غدا عليها نتيجة القصف الجوى المعادى ، ولم يوافق قائد المجموعة على هذا الإجراء من رئيس أركان اللواء ، وأمره بالعودة معه إلى قيادة اللواء .

وفى الساعه ١٤٢٥ ورد تقرير موقف من قائد مجموعة عمليات منطقة البحر الأحمر العسكرية (الذى يرافق اللواء) يتضمن موقف اللواء والخسائر التى تعرض لها ، ويطلب استيعاضها مع تأمين القوات ضد العدو الجوى .

وفى الساعة الثالثة مساءً وصل قائد المجموعة ومعه رئيس الأركان إلى قيادة اللواء ، وقام فور وصوله بإبلاغ العقيد صلاح زكى قائد اللواء بالمهمة المسندة إلى اللواء١ مشاة ميكانيكى ، وفقًا لتعليمات القيادة العامة التى نقلها إليه مندوب هيئة العمليات ، وبعد أن قام قائد اللواء باستيضاح مهمته عرض موقف اللواء على قائد مجموعة العمليات ، وكان يتلخص فيما يلى :

* كفاءة اللواء القتالية لا تسمح بتنفيذ المهمة المحددة له أو أى جزء منها بسبب انخفاض الروح المعنوية ونقص عناصر رئيسية فى اللواء ، نتيجة القصف الجوى المكثف خلال يومى ٩ ، ١٠ أكتوبر .

* أصبحت سيطرته على اللواء محدودة ، نتيجة فقدان الاتصال ببعض الوحدات ؛ لوجود نسبة من الجنود المتجمعين من الوحدات الفرعية المختلفة ، وعدم إمكان قادة وحداته السيطرة على هؤلاء .

* عدم انضمام بعض العناصر الإدارية إليه مما يؤثر على كفاءة اللواء الإدارية وخاصة موقف الذخيرة .

* عدم توافر معلومات دقيقة وتفصيلية عن العدو على محور تقدمه .

وبعد انتهاء قائد اللواء من عرض موقفه أصدر إليه العميد إبراهيم رشيد التعليمات التالية :

* يتم حصر الخسائر بدقة فوراً بواسطة قادة الوحدات الفرعية.

* يقوم اللواء ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر بعملية هجومية بمجموعة قتال على منطقة رأس مسلة، بهدف رفع الروح المعنوية لوحدات اللواء، وبث روح الثقة فى قدرتها على القتال، وتقليل تعرض قوات اللواء للغارات الجوية؛ إذ إن حدوث الاتصال القريب مع قوات العدو سوف يمنع الطيران الإسرائيلى من شن هجماته على اللواء، على أن يتم تطوير الهجوم فى الليلة التالية؛ لتحقيق المهمة المحددة للواء.

* تخصص العناصر اللازمة من جميع وحدات اللواء؛ لإعادة تجميع وتنظيم الجنود خلال ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر.

* إعادة تمركز الوحدات الفرعية للواء، وتعديل أوضاعه على الفور بصورة يمكن معها مقابلة أى تهديد من جانب العدو.

* تدبير وسائل اتصال مؤمنة ومستمرة مع الوحدات الفرعية؛ لتحقيق السيطرة.

* دفع مجموعة استطلاع ليلة ١٠/ ١١ أكتوبر إلى منطقة رأس سدر للحصول على معلومات عن العدو.

وفى الساعة ١٧١٠ مساء يوم ١٠ أكتوبر بعث العميد إبراهيم رشيد إشارة إلى قيادة الجيش الثالث، حملها المقدم عبد القادر الحماحمى ضابط الاتصال بقيادة الجيش؛ لتجنب إرسالها لاسلكيًا خشية التقاطها بواسطة العدو، وكانت الإشارة تحمل موقف اللواء كالآتى:

* تعرض اللواء لقصف جوى شديد خلال اليوم واليوم السابق، وأوضح قائد اللواء أن خسائره وصلت إلى ٥٠ ٪ من الدبابات، ٢٠ ٪ من العربات المدرعة، سرية ونصف مدفعية مضادة للطائرات، ٢٥ ٪ من الأفراد، معدات مهندسين ومعدات كيمائية وسرية مقذوفات موجهة، و٩٠ ٪ من سرية المدفعية المضادة للدبابات ذاتية الحركة، علاوة على الانخفاض الحاد فى الروح المعنوية.

* طلب قائد اللواء دعمه بالدبابات وتعويض سرية المقذوفات الموجهة ودفع مطالبه الإدارية سريعًا، وكذا دعم باقى العناصر، واقترح تأجيل تنفيذ عملية اللواء لحين استعادة معنوياته، والتى تتطلب الآتى:

* محاولة الحد من النشاط الجوى للعدو فوق منطقة اللواء بأية صورة.

* تدعيم اللواء ببعض العناصر التى حدثت بها خسائر كبيرة.

* توضيح أى مهام للقوات الأخرى المجاورة أو التى خلف هذا اللواء؛ للقضاء على شعور الجنود بانعزالهم فى محور منفصل !!.

* يكون اتصال قيادة الجيش بقيادة المجموعة عن طريق مواصلات اللواء، نظراً لعدم انضمام باقى رتل المجموعة فى العبور لازدحام المعابر.

وحتى الساعه ٢٢٠٠ لم يتمكن اللواء ١ مشاة ميكانيكى من التقدم فى اتجاه محور سدر؛ لتنفيذ المهام المكلف بها، وعندما اتضح موقف اللواء ١ مشاة ميكانيكى وتعذر استمراره فى تنفيذ مهامه، وفى الساعه ٢٣٠٠ أصدرت قرارى بالآتى :

* يتمركز اللواء فى منطقة عيون موسى، ويعاد تنظيمه ويوضع تحت قيادة قائد الفرقة ١٩ المشاة.

* يتم الاستكمال واستيعاض الخسائر بالتنسيق مع الأفرع المختصة فى الجيش.

* ينظم الدفاع عن منطقة التمركز مع الاهتمام بالحفر والإخفاء والتمويه.

* يتم إعادة تحقيق الاتصال مع الجيش.

وكانت وحدة فرعية من اللواء ١ مشاة ميكانيكى قد نجحت خلال ليلة ١٠/ ١١ أكتوبر فى حصار نقطة العدو القوية فى منطقة رأس مسلة، واستولت قواتنا على عدد ٣ دبابات باتون للعدو منها دبابة سليمة، علاوة على عدد ٤ دبابات سنتوريان فى منطقة رأس مسلة، و٣ مدافع مجرورة من عيار ١٥٥ مم.

وفى الساعة ١٠٠٠ صباح يوم ١١ أكتوبر أرسل قائد مجموعة العمليات إلى قيادة الجيش الثالث تقريراً تضمن الخسائر الحقيقية التى حاقت باللواء ١ مشاة ميكانيكى نتيجة القصف الجوى، وقد اتضح منه أن التأثير المعنوى لهذا القصف فاق التأثير المادى بمراحل، وهو الأمر الذى يرتبط بالمستوى التدريبى للواء، ومدى نجاح عملية تطعيمه للمعركة، وفى الساعة ١٣٠٠ يوم ١١ أكتوبر وصل اللواء العدوى ناصف إلى منطقة تمركز اللواء مندوبًا عن المركز الرئيسى للقوات المسلحة وبرفقته العميد أبو الفتح محرم قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى الذى يتبعه اللواء ١

مشاة ميكانيكى، وعندما استفسر اللواء العدوى من قائد اللواء عن سر توقفه عن التقدم فى الليلتين السابقتين، وعدم استغلاله لساعات الظلام لمواصلة التحرك وتحقيق المهمة المحددة للواء، أكد له قائد اللواء أن سبب توقفه يعود إلى شدة القصف الجوى المعادى، وعدم وجود دفاع جوى فعال ضمن وحداته، وعدم تخصيص مجهود جوى لمعاونته.

وفى الساعة ١٤٠٠ وخلال وجود مندوب القيادة العامة وقائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وصل المقدم عبد القادر الحماحمى ضابط اتصال الجيش الثالث، يحمل تعليمات قتال جديده صادرة من القيادة العامة بالقاهرة، كانت تنص على إلغاء مهمة اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى الاستيلاء على رأس سدر، ووضعه تحت قيادة العميد يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ المشاة، ووضع مجموعة عمليات البحر الأحمر تحت قيادة الجيش الثالث، وأن يتم نسف المدافع الهاوتزر (٦ مدافع) الموجودة بالنقطة القوية بعيون موسى، نظراً لوصول معلومات تفيد بأن منطقة تمركز اللواء مهددة بهجوم لواء مدرع إسرائيلى ينتظر وصوله خلال ٢ - ٣ ساعات، وقد ثبت فيما بعد أن هذه المعلومات لا سند لها من الواقع.

وفى الساعة ١٦٠٠ يوم ١١ أكتوبر غادر مندوب القيادة العامة وقائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ومجموعة عمليات البحر الأحمر منطقة عيون موسى، ثم انضمت مجموعة العمليات إلى المركز الرئيسى لقيادة الجيش الثالث فى الساعة ٢٠٠٠، وفى الساعة ١٠٠٠ يوم ١٢ أكتوبر تم إبلاغ قائد المجموعة بأن التعليمات قد صدرت من الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان بانضمام مجموعة عمليات البحر الأحمر إلى قيادتها الأصلية، فعادت فى الساعة ١١٠٠ يوم ١٣ أكتوبر مرة أخرى إلى مركز القيادة المشترك فى رأس ثلمت.

لماذا لم تنجح عملية السيطرة على خليج السويس:

على الرغم من التحضير الجيد الذى أجرته قيادة منطقة البحر الأحمر بالغردقة وقيادة مجموعة العمليات فى رأس ثلمت؛ لتنفيذ المهام التى أسندت إليها فى الخطة

« جرانيت ٢ المعدلة » وفقًا للتعليمات الصادرة من هيئة عمليات القوات المسلحة فى مارس ١٩٧٣ ، فإن النتائج كانت مخيبة للآمال ، ولم تتوافق مع النجاح الباهر لعملية اقتحام القناة ، وهذا فى اعتقادى للأسباب التالية :

* إن خروج هذه القوات من مظلة الدفاع الجوى وعدم حمايتها بالقوات الجوية جعلها تتعرض للهجوم الجوى المركز مما أفقدها أولاً الأسلحة المضادة للطائرات ، وفى المرحلة التالية فقدت القوات القدرة على القتال ، ليس بسبب الخسائر التى اتضح قلتها بالمقارنة بما أبلغ للقيادة العامة ، وإنما بسبب تعرض اللواء لضغط نفسى متواصل بسبب انفراد القوات الجوية الإسرائيلية بسماء المعركة بصورة أصابت اللواء بالشلل عن التصرف ، وبالتالى بدا عاجزًا عن استكمال المهمة بأى أسلوب مما دعا القيادة العامة إلى إلغاء مهمته ، ناسية عناصر الصاعقة التى تم إبرارها على الساحل الشرقى لخليج السويس ، والتى كان من المفروض أن يتصل بها اللواء ، مما أدى إلى وقوع خسائر كبيرة بها .

* كان لإسراف اللواء فى طلبات الدعم الإدارى والنيرانى لتنفيذ مهمته على محور منفصل بهذا الشكل أثر فى ثقل حركة اللواء وصعوبة انتشاره فى مواجهة الهجمات الجوية ، مع ضيق المحور الذى يتقدم عليه .

* تعددت القيادات على اللواء أثناء المراحل المختلفة للمعركة ، فتارة هو تحت قيادة الجيش الثالث حتى دفعه وعبوره لرأس مسلة ، ثم هو تحت قيادة مجموعة عمليات من قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية بلا إمكانيات أو قدرات لمعاونة اللواء فعليًا لتنفيذ مهمته ، وقد أدى هذا فى نظرى إلى وجود شعور باعتماد اللواء على المستوى الأعلى ، وكان من الأفضل أن يخطط للواء مهمته تحت قيادة قائد اللواء كمحور منفصل ، ويوضع له الدعم والحماية المناسبين لمهمته مع تخصيص قيادة واحدة من البداية للنهاية ؛ لتقديم الدعم وتنسيق أعمال القتال لمختلف القوات فى قطاع هجومه .

* * *

القسم الرابع
التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية

بناء على توجيهات من الرئيس أنور السادات، قررت القيادة العامة للقوات المسلحة مساء يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ تطوير الهجوم فى اتجاه الشرق، للضغط على القوات الإسرائيلية؛ لإجبارها على تخفيف ضغطها على القوات السورية فى الجولان بعد أن أصبحت العاصمة السورية هدفًا للغارات الجوية، وأصبحت القوات الإسرائيلية على مسيرة بضع عشرات من الكيلومترات منها، ورأت القيادة السياسية فى مصر أنه لابد من عمل تقوم به القوات المسلحة المصرية لدفع العدو لتحويل مجهوده الرئيسى عن سوريا.

وحتى هذا اليوم كانت قوات الجيش الثالث والثانى أيضًا قد حققت المهام المطلوبة منها بنجاح كبير، رغم عدم النجاح فى السيطرة على خليج السويس طبقًا للتخطيط، حيث كانت القوات فى رأس كوبرى الجيش متمسكة بالخطوط التى نجحت فى الوصول إليها، وكانت القوات فى هذا الوقت تقوم بتأمين رأس الكوبرى وتواصل صد الهجمات المضادة للعدو، وتكبده المزيد من الخسائر كل ساعة، وكنا ببساطة ننفذ التخطيط الموضوع للعمليات الذى درسناه طويلاً، وتدربنا عليه مرات ومرات، وحتى هذا التوقيت كان تدخل القيادة العامة فى قرارات الجيوش محدود، فالخطة تحتوى على كل صغيرة وكبيرة، والقادة الميدانيون يمارسون القيادة والسيطرة على القوات، ويتخذون القرارات المناسبة بناء على الأوضاع والمواقف الفعلية التى يطلعون عليها بأنفسهم.

وفى مساء يوم ١٢ أكتوبر صدرت تعليمات تطوير الهجوم فى اتجاه الممرات الجبلية، وتحدد صباح يوم ١٤ أكتوبر لبدء التطوير.

ولكى نستطيع تقييم هذه المرحلة المهمة من أحداث حرب أكتوبر، والتى كان لها أثر كبير فى تغير مسار الحرب، يجب أن نتعرف أولاً على الموقف فى نطاق الجيش

الثالث عند وصول توجيهات العمليات بالتطوير إلى مركز القيادة المتقدم للجيش مع مندوب القيادة العامة للقوات المسلحة الساعة ١٨٠٠ يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

موقف الجيش الثالث الساعة ١٨٠٠ يوم ١٢ أكتوبر١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٤) :

● **النسق الأول للجيش شرق القناة :**

* في اليمين، على محور الشط ـ متلا :

الفرقة ١٩ مشاة ومعها اللواء ١ مشاة ميكانيكي واللواء ٢٢ مدرع من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكي وكتيبة من المجموعة ١٢٧ صاعقة، علاوة على عناصر الدعم الأخرى.

وكان إجمالي الخسائر من الدبابات على هذا المحور ١٠٠ دبابة بين عاطلة أو مدمرة.

أما المتبقي فكان ١٤٩ دبابة صالحة للقتال.

* في اليسار على محور جنوب البحيرات ـ الجدي :

الفرقة ٧ مشاة ومعها اللواء ٢٥ المدرع المستقل وبقايا الكتيبة ٦٠٣ مشاة الميكانيكية من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكي مستقل (في النقطة القوية الإسرائيلية بكبريت) وكتيبة صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة، علاوة على وسائل الدعم الأخرى.

وكان إجمالي الخسائر على هذا المحور ٤٠ دبابة بين مدمرة وعاطلة.

و كان المتبقي ١٧٨ دبابة صالحة للقتال.

● **النسق الثاني للجيش والاحتياطيات غرب القناة :**

* الفرقة ٤ المدرعة :

اللواء ٢ المدرع في منطقة تمركز بالجفره، ومنه كتيبة دبابات تتمركز جنوب طريق السويس بمنطقة كم ٧٥ / ٥٩ ، و٢ سرية دبابات تحتل المصاطب على الضفة الغربية للقناة بمنطقتي جنوب البحيرات، وحوض الدرس.

اللواء ٣ المدرع يتمركز في منطقة كم ٨٥ طريق السويس.

اللواء ٦ مشاة ميكانيكي يتمركز في منطقة الموقع المتوسط بمنطقة كم ١٠٩ طريق السويس ومنه سرية مشاة ميكانيكية في بورتوفيق.

قيادة الفرقة ٤ المدرعة ووحدات القيادة والسيطرة بمنطقة الجفرة.

* الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية، عدا اللواء ١ مشاة ميكانيكي واللواء ٢٢ المدرع :

اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكي ومعه الفوج ١ حرس حدود في قطاع بير عديب.

قيادة الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ووحدات القيادة والسيطرة بمنطقة كم ٨٢ طريق السويس .

* الكتيبة ٤٣ صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة فى منطقة بور توفيق ولسان بورتوفيق .

* المجموعة ١٢٧ صاعقة ، عدا ٣ كتائب فى مطار القطامية .

* اللواء ٣٢ دفاع إقليمى يدافع غرب القناة وعلى خليج السويس كالآتى :

كتيبة تؤمن منطقة الزيتيات ، ومنها سرية فوق جبل عتاقة .

كتيبة تدافع عن معابر الفرقة ١٩ مشاة .

كتيبة تدافع عن معابر الفرقة ٧ مشاة .

قيادة اللواء ٣٢ دفاع إقليمى فى مدينة السويس .

* لواء الصاعقة الفلسطينى : يدافع عن المنطقة غرب البحيرات المرة حتى الحد اليسار للجيش .

بقايا الكتيبة ٦٠٢ مشاة ميكانيكى من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل مدعمة بكتيبة هاون تدافع عن منطقة مطار كبريت .

● **مراكز قيادة وسيطرة الجيش :**

* مركز القيادة المتقدم فى المنطقة ٤ كم غرب معسكر الشلوفه .

* مركز القيادة الرئيسى فى منطقة بسطة الحميره .

* مركز السيطرة الخلفى فى منطقة الروبيكى .

الموقف العام للعدو فى مواجهه الجيش الثالث حتى يوم ١٢ أكتوبر١٩٧٣ :

كان العدو خلال الفترة السابقة يدير معارك دفاع تعطيلى مع القيام بهجمات مضادة بهدف تثبيت أوضاع قواتنا على الخطوط التى وصلت إليها على طول مواجهه الجيش مركزاً على المحاور الرئيسية ومحافظًا على الاتصال بقواتنا ، وذلك تمهيداً للقيام بالضربات المضادة القوية ، مع الوضع فى الاعتبار أعمال القتال الدائرة على الجبهة السورية ، وانشغاله فى تصفيتها والحد من نجاحها .

تلاحظ انخفاض المجهود الجوى للعدو خلال الأيام ١٠ و ١١ و ١٢ أكتوبر ، ضد مواجهه الجيش نتيجة تركيز هذه الجهود على الجبهة السورية عدا الهجمات

الجوية على اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى منطقة عيون موسى، كما تعرضت المعابر لتدمير جزئى نتيجة قصفها بنيران المدفعية بعيدة المدى والطيران.

وقد قدرنا حجم قوات العدو التى عملت خلال الفترة من ٦ إلى ١٢ أكتوبر فى مواجهه الجيش الثالث بقوة ٢ لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى وكتيبة مشاة وحوالى ٦ كتائب مدفعية منهم كتيبة عيار ١٧٥ مم ووحدات من الصواريخ المضادة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات، وكان يعمل فى النسق الثانى لواء مدرع يتمركز فى وادى الفراشات على محور متلا.

وقد قام العدو باستغلال المناطق السابق تجهيزها هندسيًا كخطوط صد مضادة للدبابات، وقام بالمناورة فى استخدامها بواسطة الاحتياطيات القريبة بغرض التراشق بنيران الدبابات، وجذب دبابات قواتنا؛ لتدميرها بالصواريخ المضادة للدبابات.

وبناءً على أوضاع الجيش والعدو وأعمال العدو المنتظرة، وبعد فشل محاولاتى أنا واللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى؛ لإقناع الوزير بتأجيل التطوير لحين استقرار موقف القوات فى رأس كوبرى الجيش ونقل عناصر الدفاع الجوى إلى الشرق وإرهاق العدو بسلسلة من عمليات الصد القوية قبل البدء فى التطوير الذى كنا نفضل أن يتم بعد استطلاع دقيق للمحاور وتصوير الدفاعات الإسرائيلية عن الممرات مع توجيه ضربات جوية قوية للقوات التى تدافع عن الممرات، وهى إجراءات لم يتم تنفيذ معظمها، اتخذت قرارى لتطوير الهجوم فى اتجاه الممرات الجبلية فى قطاع الجيش الثالث كالآتى :

* اللواء ٣ المدرع يدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة فى اتجاه ممر متلا.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة الميكانيكية من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة الميكانيكية تدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة على الجانب الأيمن للواء ٣ المدرع عبر وادى مبعوق إلى وادى الراحة؛ للوصول إلى ممر متلا بمعاونة دليلين من عرب سيناء.

* اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة يدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة فى اتجاه ممر الجدى.

* يسبق تحرك هذه القوات دفع ٢ سرية صاعقة؛ للعمل ضد العدو الذى يؤمن المداخل الغربية لمر متلا.

سير عملية التطوير يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٥) :

الساعة ٠٠٥٠ يوم ١٤ أكتوبر وردت معلومات من إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع عن موقف العدو حتى الساعة ١٣٠٠ يوم ١٣ أكتوبر تتلخص فى الآتى :

* يواصل العدو الاتصال بقواتنا وشغلها لكسب الوقت وإجهاد قواتنا وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة بالهجمات المضادة والتراشق بالنيران ، كما يدفع العدو بقوات جديدة من العمق فى نطاق بناء الاحتياطيات ، استعداداً لتوجيه ضربة مضادة ضد قواتنا ، حيث رصد لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى فى منطقة أرض هبوط وادى الفراشات على محور متلا ، ويحتمل أن تكون السابق رصدها فى بير تمادا بالإضافة إلى لواء مدرع فى محور المليز - شعير .

* تَلاَحُظُ انخفاض واضح فى حجم المجهود الجوى على الجبهة المصرية ، حيث يركز العدو نشاطه الجوى على الجبهة السورية .

ولاشك أن عناصر استطلاع الجيش قد قامت بجهد كبير لمعرفة المعلومات المطلوبة ، ولكن شدة المعارك الدائرة طوال الفترة الماضية والتى تركزت فى شكل هجمات مضادة قادمة من اتجاه الممرات أدت إلى وقوع العديد من الخسائر فى عناصر استطلاع الجيش نتيجة تخصيص القوات الإسرائيلية لجزء من القوات لتفتيش المناطق التى يشك فى وجود عناصر استطلاع بها وأسرها أو القضاء عليها ، وكان لدقة نيران مدفعية الجيش ضد احتياطيات العدو المتقدمة التى أبلغت عنها عناصر استطلاع الجيش وتابعت تحركها أثر كبير فى عرقلة تقدم الاحتياطيات المعادية من ناحية ، ومن الناحية الأخرى كانت هذه الدقة مؤشراً للقوات الإسرائيلية على وجود عناصر استطلاع مصرية فى المنطقة وبالتالى التفتيش عنها وأسر بعضها واستشهاد الكثير من رجالها الأبطال .

وفى الوقت نفسه بدأ وصول إمدادات الجسر الجوى الأمريكى محملاً بأكثر من ٢٧,٨٠٠ طن احتياجات حرجة ، شملت صواريخ الطائرات والصواريخ المضادة للدبابات من طراز (تو) الحديثة جداً فى ذلك الوقت ، والدبابات ، وذخيرة المدفعية خاصة ذخيرة المدفع ١٧٥ مم ، وكذا بدأ وصول الجسر البحرى الأمريكى محملاً بأكثر من ٣٢,٢٠٠ ألف طن معظمها من الدبابات ، وبدأ دفعها فوراً إلى الوحدات الإسرائيلية المشتبكة مع القوات المصرية .

وفى إطار تلك الظروف بدأ التطوير فى اتجاه الشرق، وهو ما سنسرد أحداثه فى السطور التالية :

• هجوم اللواء ٣ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

تم تأمين دفع اللواء للهجوم تحت إشراف قائد الفرقة ١٩ مشاة وقائد الفرقة ٤ المدرعة بقيام المدفعية بقصفة نيران لمدة ١٥ دقيقة على الأهداف المعادية المرئية فى مواجهة وعلى جانبى خط الدفع، واشترك فى القصف ٥ كتائب مدفعية ميدان، كما تم دفع الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى على الجانب الأيمن للواء ٣ مدرع من خلال وادى مبعوق، بالإضافة إلى دفع «٢» سريتى صاعقة للعمل على المدخل الغربى لمحور متلا، حيث بدأت تحركها فى منتصف ليلة١٣/ ١٤ أكتوبر، وبدأت أعمالها فى مهاجمة مواقع العدو، الساعة ٠٦٠٠ يوم ١٤ أكتوبر.

ورغم كل هذا التأمين لعملية الهجوم، لم ينجح اللواء ٣ مدرع فى تنفيذ المهمة رغم وصوله لمسافة ٧ كم غرب مضيق متلا؛ لوقوعه فى كمين مضاد للدبابات للعدو، علاوة على خروجه من نطاق الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات، وتعرضه للقصف الجوى المعادى المكثف، **ودارت الأحداث تفصيلاً كالآتى :**

بدأت عملية هجوم اللواء ٣ مدرع بداية غير مشجعة، حيث كان المخطط لتأمين هجوم اللواء ٣ المدرع تنفيذ ضربة جوية بحيث تسبق العملية إلا أنها لم تنفذ؛ لعدم إمكان تحقيق اتصال مع كتائب الصواريخ المضادة للطائرات التى تم انتقالها إلى شرق القناة قبل أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر، وذلك حتى يتم تأمين الطلعات الجوية وعدم الضرب على الطائرات المصرية، وحتى بعد تحقيق هذا الاتصال، فإن كتائب الصواريخ المضادة للطائرات لم تتمكن من العمل، نظراً لتدخل العدو ضدها بنيران المدفعية بعيدة المدى مما قيد عملها نتيجة النيران وتدمير بعض الهوائيات اللازمة لتوجيه الصواريخ، وبذلك أصبح اللواء بدون غطاء جوى أو حماية ضد طائرات العدو.

وفى الساعة ٠٦١٥ يوم ١٤ أكتوبر بدأت مدفعية الجيش الثالث فى تنفيذ قصفة النيران لصالح التطوير، كما وجهت قواتنا الساعة ٠٦٣٦ قصفة نيران أخرى مركزة بالصواريخ التكتيكية أرض- أرض متوسطة المدى ضد احتياطيات العدو فى العمق،

وأثناء تقدم اللواء ٣ مدرع الذى تم دفعه فى الساعة ٠٦٠٠ قامت مدفعيات الجيش الساعة ٠٧٢٠ بقصف منطقة مراكز قيادة العدو وصواريخ الهوك المضادة للطائرات والرادارات المعادية فى مدخل ممر متلا .

ورغم قيام العدو بتوجيه هجماته الجوية ضد أرتال اللواء ٣ مدرع إلا أن اللواء نجح فى التقدم شرقًا ، ووصل فى الساعة ٠٧٣٥ لمسافة ٥ كم شرق الحد الأمامى لرأس كوبرى قواتنا ، وفى الوقت نفسه تمكنت عناصر الدفاع الجوى من تدمير ٣ طائرات معادية .

وفى الساعة ٠٨٠٠ اصطدم اللواء ٣ مدرع بدبابات للعدو فاشتبك معها ، و فى الوقت نفسه تعرض للقصف الجوى المركز ، حيث أصبح خارج مدى الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات .

وفى نفس توقيت دفع اللواء ٣ مدرع ، تقدمت الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى اتجاه وادى مبعوق ، وفى الساعة ٠٨١٥ فقدنا الاتصال بها ، فأمرت بدفع ضابط اتصال ومعه جهاز لاسلكى لتحقيق الاتصال معها ومتابعة تنفيذ المهمة ، وفى الساعة ٠٩٠٠ اتضح أن الكتيبة قد تعرضت لقصف جوى معاد وهجوم بواسطة دبابات العدو ، فقررت أن تستمر الكتيبة فى تنفيذ مهمتها ، ويتولى رئيس عمليات الكتيبة قيادتها ، نظرًا لأن قائد الكتيبة مفقود ، للوصول إلى تقاطع طريق سدر - الطاسه ، وفى الساعة ١٣٠٠ كان اللواء قد توقف اعتبارًا من الساعة ١٢٠٠ على مسافة ٧ كم من ممر متلا ، وتعرض لقصف جوى معاد مركز ، علاوة على نيران المدفعية وستائر الصواريخ المضادة للدبابات من الطائرات الهليكوبتر المعادية وفى مواجهة اللواء ، كانت قوة للعدو تقدر بلواء مدرع تهاجم اللواء ٣ مدرع بالنيران ، فى الوقت الذى تعذر فيه تقدم جرارات المدفعية نظرًا لغرزها فى الرمال ، واستشهد قائد اللواء العقيد نور عبد العزيز ، وتولى القيادة المقدم حسين منصور رئيس أركان اللواء .

نظرًا لكبر حجم خسائر الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى ، أصدرت لها الأوامر بالتعزيز على الخط الذى وصلت إليه ، وفى الساعة ١٤٠٠ قررت سحب اللواء ٣ مدرع ، وأصبح على مسافة ٢ كم شرق الحد الأمامى لرأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة وقام بالتعزيز على هذا الخط ، وأخذت عناصر النجدة والشئون الفنية فى سحب باقى معدات وجرارات اللواء ، وقامت مدفعية الفرقة ١٩ مشاة ومدفعية الجيش وعناصر الصاعقة بتغطية هذه الإجراءات .

• هجوم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة يوم ١٤ أكتوبر١٩٧٣ :

تم تأمين دفع اللواء بقصفة نيران على الأهداف المعادية فى المواجهة، وعلى أجناب خط دفع اللواء لمدة ١٥ دقيقة بنيران ٥ كتائب مدفعية ميدان، وتم فتح الاحتياطى المضاد للدبابات للفرقة ٧ مشاة على الجانب الأيمن للواء، وبدأ اللواء فى التقدم للهجوم الساعة ٠٧٠٠ يوم ١٤ أكتوبر، بعد قصفة النيران، ولكنه لم يتمكن من إحراز نجاح فى التقدم سوى لمسافة ٢ كم فقط شمال شرق تقاطع طريق الجدى نظراً لتمسك العدو بسلسلة من الهيئات المتتالية والمجهزة بخطوط صد للدبابات والأسلحة المضادة للدبابات.

وقمنا بإعادة تخطيط قصفة النيران؛ لتأمين الدفع مرة أخرى مع المعاونة بدفع كتيبة دبابات من اللواء ٢٥ مدرع مستقل على الجانب الأيمن للواء، بحيث يتم دفعها فى وقت يسبق توقيت دفع اللواء بزمن قدره ١٥ دقيقة؛ لجذب العدو الذى يهدد دفع اللواء بعيداً عن خط الدفع.

وبدأت كتيبة دبابات اللواء ٢٥ مدرع مستقل فى التحرك الساعة ١٢٣٠ ووصلت إلى خط المهمة المحددة لها تحت ستر نيران المدفعية، وتحددت الساعة ١٢٥٠ لدفع اللواء مرة أخرى.

ولكن فى هذا الوقت ظهر نورط اللواء ٣ مدرع وعدم تمكنه من تحقيق مهمته فى اتجاه محور متلا، فأصدرت الأوامر الساعة ١٢٤٩ بإيقاف تقدم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى وعودة كتيبة دبابات اللواء ٢٥ مدرع إلى محلاتها بعد أن تكبدت خسائر ١٥ دبابة، واستشهد قائدها.

واستكمالاً لأحداث هذا اليوم، فقد تمكنت كتيبة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى الساعة ٠٩١٥ يوم ١٥ أكتوبر من الاستيلاء على رأس مسلة وتدمير «٢» دبابتين و«٢» عربتين مدرعتين ومدفع مضاد للدبابات للعدو الذى قام فى الساعة ١١٠٠ بتوجيه عدة هجمات مضادة فى اتجاه رأس مسلة، ونجح اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى صده بالتعاون مع نيران مدفعية الجيش.

واستغل العدو الفاصل الناتج عن تقدم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى، ووجه الساعة ١٤٣٠ هجمة مضادة بقوة ٢ سرية دبابات فى الثغرة بين اللواء ١١ مشاة ميكانيكى و اللواء ١٢ مشاة فى قطاع الفرقة ٧ مشاة، ولكنه ارتد شرقًا تحت تأثير نيران قواتنا وفشل فى الاختراق فى الثغرة بين اللواءين.

أحداث يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

قوات التطوير :

*** اللواء ٣ مدرع والكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى :**

اللواء ٣ مدرع لايزال يحتل مواقع دفاعية أمام الحد الأمامى لرأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة بمسافة ٢ كم، وتبقى من دباباته بعد محاولة الهجوم ٥٨ دبابة.

● الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى :

بعد قتال الكتيبة ضد العدو من جهة الشرق فى وادى مبعوق وأثناء محاولتها التخلص من المعركة، اصطدمت بعناصر اللواء ٣ مدرع الذى اشتبكت ضدها وبالتالى زادت خسائر الكتيبة بصورة كبيرة، وكان كل ما أمكن تجميعه من الكتيبة هو: ٤ حاملة جنود مدرعة، ٣ طاقم هاون ٨٢ مم، ١ طاقم مدفع مضاد للدبابات، ٤ مدافع مضادة للطائرات ٣٧ مم - ٤ مدافع ميدان ٢٥ رطل، ولم يعد قائد الكتيبة وأحد ضباط قيادة الكتيبة وحوالى فصيلتين من المشاة، فأمرت بأن تعمل الكتيبة كستارة أمام اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى الجنوب على أن ينظم احتلالها تحت إشراف قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى العميد «أبو الفتح محرم».

● اللواء ١١ مشاة ميكانيكى :

حوالى الساعة ١٩٠٠ تمكن اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من صد هجوم مضاد معاد فى مواجهته بقوة كتيبة دبابات إسرائيلية بعد تمهيد بنيران المدفعية المعادية لمدة ٢٥ دقيقة، وتمكن اللواء ١١ مشاة من تدمير ٧ دبابات للعدو وارتد الباقى شرقًا، ثم عاود العدو هجومه ثانية بغرض سحب خسائره، فتمكن اللواء ١١ مشاة ميكانيكى بالتعاون مع اللواء ١٢ مشاة من صد هجوم العدو الذى تحول إلى الفاصل بين اللواءين بعد فشلة فى الهجوم على مواجهه اللواء ١١ مشاة ميكانيكى.

وبنهاية يوم ١٥ أكتوبر كانت خسائر اللواء ١١ مشاة ميكانيكى هى ١٠ دبابات و٢٥ مركبة مدرعة.

باقى قوات الجيش الثالث :

اعتبارًا من أول ضوء قام العدو بتوجيه هجمات جوية اتسمت بالكثافة العالية

بالمقارنة بالأيام القريبة السابقة مركزاً على مركز القيادة المتقدم للجيش والمعابر ومطار القطامية وعلى القوات، وأمكن إسقاط عدد ١٥ طائرة معادية، منهم ١٣ طائرة فوق مطار القطامية.

وبنهاية يوم ١٥ أكتوبر بفشل عملية التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية، وما ترتب عليه من خسائر فى القادة والأفراد والأسلحة والمعدات، والانخفاض الحاد فى القوة الدافعة للهجوم عن الأيام الأولى للحرب، كان لابد لنا من إعادة تقدير الموقف، ووضع التصور الواقعى للمرحلة التالية، و كان تقديرنا فى قيادة الجيش الثالث للموقف كالآتى :

- **العدو:**

يوجد له لواء مدرع فى متلا وحتى كتيبة دبابات فى قلعة الجندى بمحور سدر، علاوة على قوات منتشرة من الدبابات مدعمة بصواريخ مضادة للدبابات على طول المواجهة موزعة كالآتى :

٢٦ دبابة فى قطاع الجدى أمام الفرقة ٧ مشاة، وحتى ٣٥ دبابة فى قطاع متلا أمام مواجهة الفرقة ١٩ مشاة بالإضافة إلى ١٤ دبابة فى قطاع رأس سدر، وتحتل هذه الدبابات مصاطب دبابات مجهزة، وتعمل بأسلوب الكمائن وبفواصل كبيرة، حيث تقوم بجذب نيران قواتنا ودباباتنا، ثم تتعامل معها نيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، كما جهز العدو تقاطعات الطرق والهيئات الحاكمة بمصاطب ومواقع وتجهيزات هندسية للمحافظة على حرية الحركة لقواته على محاور التقدم فى اتجاه رأس كوبرى الجيش، وتلاحظ أن هجمات العدو المضادة تقتصر حتى ذلك الوقت على قوة لا تتجاوز ٢ سرية دبابات مدعمة بسرية مشاة.

ومن هذا التحليل توقعت أن يقوم العدو بهجوم مضاد محدود كالآتى :

* استمرار العدو فى بذل كل جهوده، لتثبيت قواتنا فى رءوس الكبارى بواسطة الضرب المستمر بالمدفعية، وضرب الدبابات المستمر من المصاطب ،والقصف الجوى المركز.

* القيام بهجوم رئيسى بلواء مدرع على محور متلا فى اتجاه الفاصل بين اللواء ٥ مشاة، واللواء ١٢ مشاة من جبل الراحة فى اتجاه الشط.

* القيام بهجوم تثبيتى على الأجناب بقوة حتى «٢» سريتى دبابات مدعمة من اتجاه ممر الجدى، وحتى «٢» سريتى دبابات مدعمة من اتجاه سدر.

وبناء على هذا التقدير أصدرت أوامرى بتعزيز رأس كوبرى الجيش وتأمينه استعداداً لصد هجمات العدو المضادة، والسيطرة على المنطقة بين رأس الكوبرى والمضايق بالأسلوب التالى :

* دفع دوريات وكمائن على طرق الاقتراب، ورص ألغام على طرق الاقتراب المتوقعة.

* دفع إغارات قوية بقوة فصائل وسرايا مدعمة على مرابض دبابات العدو ليلاً مع دفع ضباط إدارة نيران مدفعية مع هذه الدوريات.

* عمل كمائن من ستائر مضادة للدبابات، مكونة من دبابات وصواريخ مضادة للدبابات وألغام أمام مواجهة الفرق، مع تجهيز عناصر دبابات للعمل ككمائن خلف هذه الستائر، مدعمة بعناصر مهندسين عسكريين؛ لجذب قوات العدو إلى الستائر.

* بعد نجاح السيطرة على المنطقة تدفع قوات من النسق الثانى للواءات للأمام لكسب أرض جديدة فى حدود ٢ - ٣ كم كنقط قتال خارجية قوية، ثم يدفع فيما بعد وحدات من النسق الأول، وهكذا يتم توسيع رأس الكوبرى بالتتالى وبأعمال مجموعات قتال قوية من كل لواء.

* الاحتفاظ بقوة اللواء ٢٥ مدرع و اللواء ٢٢ مدرع متكاملة كاحتياطيات فى عمق رءوس الكبارى؛ لصد هجمات العدو المضادة، وتدمير أى اختراق للعدو ينجح فى تنفيذه.

* الاحتفاظ باللواء ٣ مدرع كاحتياطى للجيش فى الشرق.

* يدفع إلى الممرات الجبلية قوات صاعقة من القيادة العامة لعمل إغارات وكمائن وتدمير طريقى متلا والجدى، وذلك قبل بدء التطوير الشامل للهجوم.

* تركيز ضربات الطيران ونيران الصواريخ أرض - أرض على مضيق متلا، حيث يتمركز لواء مدرع للعدو فى منطقة وادى الفراشات بمنتصف الممر.

أما على صعيد الجيش الثانى لم يكن الموقف أحسن منه فى الجيش الثالث بل ربما كان أسوأ، فقد تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة صباح يوم ١٤ أكتوبر للتطوير شرق القناة، إلا أن العدو قابلها بنيران معادية كثيفة، وتكبدت الفرقة خسائر مؤثرة، ولم تحقق نجاحًا يذكر.

الدروس المستفادة من أحداث تطوير الهجوم فى اتجاه الشرق :

* كان الهدف الاستراتيجى من عمليات التطوير شرقًا يومى ١٤ ، ١٥ أكتوبر على طول المواجهة فى نطاق مسرح العمليات للجيشين هو تخفيف أعمال قتال العدو وضغطه على الجبهة السورية ، وجذب جهده نحو الجبهة المصرية ، وعندما تأكد للقيادة العامة أن العدو قد حول مجهوده الجوى والبرى فعلاً نحو مصر وسيناء - وهو ما أدى إلى فشل التطوير - أوقفت القوات القائمة بالتطوير ، وقامت بتعزيز رءوس الكبارى شرق القناة على أن يتم التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية فيما بعد وطبقًا للتخطيط المسبق ، **وكان يفضل أن يعاد النظر فى قرار التطوير بعد تغير الموقف على الجبهة السورية بنهاية يوم ١٣ أكتوبر ، وكان من الأفضل على القيادة العامة ألا تفرض أسلوبًا محددًا على الجيوش الميدانية للعمل المطلوب ؛ لتخفيف الضغط على سوريا ، وكان يجب أن تعطى المهمة لقادة الجيوش ، ثم يتم معرفة قراراتهم فى تنفيذها ، وبالتالى يتم دعمهم أو تعديل قراراتهم ؛ لتحقيق الهدف المطلوب .**

* إن ما حققته قواتنا من انتصارات كان نتيجة للدراسة والتخطيط المحسوب والتخطيط الجيد والمسبق للعمليات ، إلا أن الموقف الخطير للقوات السورية - التى كانت تشكل الخطر الداهم على العمق القريب لإسرائيل مما أجبر العدو على نقل جهوده الرئيسية تجاهها مع تثبيت الجبهة المصرية - هذا الموقف أجبر القيادة السياسية والقيادة العامة على اتخاذ قرارها بالتطوير واستمرار العمل الهجومى للقوات المصرية دون الإعداد الكافى لهذه العملية ، وقد نتج عن ذلك أن أصبحت القوات القائمة بالتطوير خارج نطاق الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات التى كانت لاتزال فى مواقعها غرب القناة ، فتعرضت بالتالى لهجمات العدو الجوية المركزة دون حماية من قواتنا الجوية أو عناصر الدفاع الجوى ، مما أدى إلى فشل هجماتها ، وتكبدها خسائر كبيرة .

* وضح افتقار قواتنا لعناصر الاستطلاع خفيفة الحركة وضعف المعلومات المسبقة المؤيدة بالصور الجوية لحجم وأوضاع العدو بعد ارتداده واتخاذه لخطوط دفاعية جديده فى العمق ، فلقد استعان اللواء ٣ مدرع أثناء قيامه بالهجوم والتطوير شرقًا بأدلاء من العرب يفتقرون للخبرة فى تحديد القوات المتحاربة وأنواع وأعيرة الأسلحة المعادية واتجاهات عملها المحتملة ، إذ كان الغرض من استخدامهم فقط هو

استغلال ما لديهم من معلومات عن طبيعة الأرض فى اتجاه الممرات الجبلية، وحتى هذه المعلومات لم تكن بالقدر وبالكفاءة المطلوبة، ونتج عن ذلك دخول اللواء ٣ مدرع فى مصيدة معادية من الستائر المضادة للدبابات.

* إن تكليف اللواء ١١ مشاة ميكانيكى بالاشتراك فى عمليات التطوير شرقًا فى اتجاه محور الجدى بعد قتاله المرير والمستمر لمدة ثمانية أيام متصلة، وتعرضه للخسائر فى أفراده ومعداته وأسلحته، علاوة على إجهاد قواته التى لاتزال تشترك فى تأمين رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة، نتج عنه خلق ثغرة تمكن العدو خلالها من توجيه هجمات مضادة متتالية بين كلّ من اللواء١١ مشاة ميكانيكى و اللواء ١٢ مشاة فى اليمين و اللواء ٨ مشاة فى اليسار، ورغم نجاح قواتنا فى صد هذه الهجمات وإجبار العدو على الارتداد إلا أنها تكبدت خسائر فى سبيل ذلك كان من الممكن تجنبها فيما لو تم دفع قوات جديدة من الغرب، خاصة وأن هذا اللواء لم يحقق نجاحًا فى تقدمه أكثر من ٢ كم شرقًا.

* لم تكن القوات المكلفة بالتطوير بالتشكيل والحجم الكافيين لتنفيذ مهام القتال المطلوبة مما أخل بمبدأ الحشد المطلوب للتفوق على العدو، فقد افتقرت هذه القوات لعناصر الصواريخ المضادة للطائرات والمدفعية ذاتية الحركة ولعناصر الاستطلاع المستمرة خلف خطوط العدو، علاوة على الحماية الجوية لتأمين تقدمها علما بأن وحدات المدفعية المرافقة كانت مجرورة، ولايتفق استخدامها مع طبيعة الأرض خاصة على محور متلا، ونتج عن ذلك تورطها فى مناطق الكثبان الرملية وغرزها فتعذر قيامها بتقديم المعاونة النيرانيه السريعة أو المناورة بها.

* وتجدر الإشارة هنا إلى سياسة الدفاع التى اتخذها العدو بعد سقوط خط بارليف، فقد حصن المداخل الغربية للممرات الجبلية بستائر الأسلحة المضادة للدبابات والقوات المدرعة، باعتبارها مناطق حيوية ترتكز أجنابها على مناطق جبلية وعرة يصعب المناورة حولها، ومما لاشك فيه أن فشل القوات الإسرائيلية فى الاحتفاظ بدفاعات شرق القناة يبين لنا أهمية استمرار العمل الهجومى والسرعة فى دفع وحدات خفيفة الحركة وعناصر إبرار جوى أو مظلات؛ للاستيلاء على المداخل الغربية للممرات الجبلية؛ لحرمان العدو من السيطرة عليها، وبالتالى لتسهيل تقدم قواتنا شرقًا فيما بعد.

الفصل الثالث

الضربة المضادة الإسرائيلية

القسم الأول : ثغرة الدفرسوار
القسم الثانى : التحول فى مسار الحرب
القسم الثالث : معركة اللواء ٢٥ مدرع

القسم الأول
ثغرة الدفرسوار

قبل أن ننتقل للحديث عن المرحلة الثانية لحرب ١٩٧٣، وهى أعمال القتال غرب القناة ضد القوات الإسرائيلية المتدفقة من اتجاه الجيش الثانى فى الشمال إلى اتجاه الجيش الثالث فى الجنوب، أحب أن أضع بعض النقاط فوق الحروف حتى يتضح للقارئ الصورة الصحيحة والواقعية لهذه المرحلة.

* **النقطة الأولى**: هى أننا يجب أن نفرق بين تسميتين لهما مدلولان مختلفان وهما الثغرة وحصار قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، فالثغرة هى اختراق القوات الإسرائيلية لرأس كوبرى الجيش الثانى فى منطقة الدفرسوار التى تقع على الجانب الأيمن للجيش الثانى وفى الفاصل بين الجيش الثانى والجيش الثالث، أما حصار رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، فهو استثمار القوات الإسرائيلية لنجاح قوات الثغرة فى الوصول إلى الضفة الغربية لقناة السويس واستمرار تدفقها، ثم عدم التزامها بقرار وقف القتال واندفاعها جنوباً حتى وصلت إلى خليج السويس فى منطقة الأدبية، وبالتالى حصارها للجيش الثالث ومدينة السويس.

* **النقطة الثانية**: هى أن التخطيط الإسرائيلى للضربة المضادة والعبور إلى غرب القناة لم يكن وليد الموقف أو أحد أعمال إدارة المعركة، وإنما هو عمل مخطط منذ سنوات يراد به الرد على اقتحام القوات المصرية لقناة السويس، وتعود من خلاله إسرائيل إلى أسلوبها المفضل فى القتال، وهو المعارك المتحركة والاختراقات العميقة إلى مؤخرة القوات بعد أن أجبرتها الظروف السياسية والعسكرية على اتخاذ أسلوب الدفاع المحصن على الشاطئ الشرقى لقناة السويس.

* **النقطة الثالثة**: هى أن الضربة المضادة الإسرائيلية لم تكن مفاجئة لنا، فهى فى

الواقع أحد أعمال العدو المنتظرة من واقع تحليل القيادة العامة وقيادات الجيوش وتوقعاتهما، بناءً على ما جربناه من أساليب قتال الجيش الإسرائيلى على مدى ٢٥ عامًا سابق على حرب ١٩٧٣، ومن ثم كان التخطيط فى الجيش الثانى والثالث يشتمل على إجراءات محددة وعناصر مخصصة؛ لتوجيه هجمات وضربات مضادة إلى القوات التى تنجح فى العبور سواءً فى قطاع الجيش الثانى أو فى قطاع الجيش الثالث أو فى الفاصل بينهما، وقد تم التدريب أكثر من مرة على عملية تأمين الفاصل بين الجيش الثانى والجيش الثالث.

*** إذًا ما الذى حدث وأدى إلى حدوث الثغرة وحصار قوات رأس كوبرى الجيش الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، طالما أن كل شىء كان معروفًا مسبقًا وموضوعًا له الخطط المضادة؟ هذا هو ما سنجيب عليه فى الصفحات القادمة.**

ولنتعرف فى البداية على ماذا يمثل العبور غرب القناة فى فكر القيادة الإسرائيلية:

فى أعقاب وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل بعد التوقيع على مبادرة روجرز فى يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠، وعقب تحريك القوات المسلحة المصرية لكتائب الصواريخ إلى خط الجبهة قبل توقيت سريان وقف إطلاق النار بساعات، وعلى مدى الشهور الثلاثة التالية وضع الجنرال إيريل شارون الذى كان قائدًا للجبهة الجنوبية فى ذلك الوقت خطة مضادة، لمواجهة احتمال عبور القوات المصرية لقناة السويس، تتلخص فى أن تقوم القوات الإسرائيلية شرق القناة بصد وتدمير القوات المصرية التى ستقوم بالعبور، ثم توجيه ضربة مضادة إلى أضعف النقاط المنتظرة فى رأس الكوبرى المصرى، وهى إما عند جنوب البحيرات على الجانب الأيمن للجيش الثالث، أو فى منطقة الدفرسوار على الطرف الشمالى للبحيرة المرة الكبرى وعلى الجانب الأيمن للجيش الثانى، وهما منطقتان ضعيفتان من واقع وجودهما على الأطراف البعيدة لرءوس الكبارى المنتظرة واستنادهما على البحيرات المرة التى تشكل فاصلاً متسعًا بين الجيشين الميدانيين، وبنجاح القوات المدرعة الإسرائيلية فى العبور إلى غرب القناة يتم تطويق الجيش الثانى باتجاه جزء من القوات إلى الشمال كما يتم تطويق الجيش الثالث باتجاه جزء آخر من القوات إلى الجنوب، وبعد عزل الجيشين يتم التقدم إلى مشارف القاهرة وتهديد ضواحيها، وبالتالى وضع القيادة السياسية المصرية تحت ضغط كاف لقبول الشروط السياسية لإسرائيل، وأقرت

الحكومة الإسرائيلية هذه الخطة فعلاً، وتم تزود القوات الإسرائيلية بعدد من معدات العبور، وتم التدريب عليها فى سيناء.

وبدءًا من اليوم الخامس للقتال بدأت القوات الإسرائيلية التى استعادت توازنها بعد زوال أثر المفاجأة المصرية ـ السورية فى التفكير فى تنفيذ الخطة الأصلية للعبور غرب القناة، ولكن اعترض هذا القرار عائقان أساسيان :

* **العائق الأول:** كان استمرار وجود الفرقتين المدرعتين المصريتين غرب قناة السويس، فالفرقة ٢١ مدرعة كانت خلف الجيش الثانى، بينما الفرقة ٤ مدرعة كانت خلف الجيش الثالث.

* **العائق الثانى:** كان انشغال القوات الإسرائيلية خاصة القوات الجوية باستعادة الموقف على الجبهة السورية التى تمثل الخطر الأكبر على إسرائيل؛ لقربها من الأراضى الإسرائيلية.

وهكذا كان قرار التطوير الذى اتخذته القيادة العامة للقوات المسلحة فى القاهرة بدفع الفرق المدرعة من غرب القناة إلى شرق القناة، ثم دفعها للتطوير يوم ١٤ أكتوبر، بغرض تخفيف الضغط على سوريا التى تراجعت قواتها عن جميع مكاسبها فى الأيام الأولى لحرب أكتوبر يمثل الوضع المطلوب لتنفيذ خطة العبور غرب القناة كمخاطرة محسوبة، والحقيقة أنه كانت هناك محاولات مبكرة من قيادة الجبهة الجنوبية الإسرائيلية لتنفيذ التخطيط مبكرًا، ولكنها قوبلت بالرفض من القيادة العليا الإسرائيلية والقيادة السياسية على حد سواء، لاستمرار وجود الفرقتين المدرعتين ٤ و ٢١ غرب القناة.

لقد أثمر قرار التطوير عن توقف القوات الإسرائيلية عن الضغط على القوات السورية، حيث اضطرت إلى تحويل جهودها الرئيسية فى اتجاه الجبهة المصرية، وكما قلت كانت الفرصة التى انتظرتها القوات الإسرائيلية لتنفيذ خططها المسبقة لصد وتدمير القوات المصرية التى عبرت قناة السويس، والتى نجحت على مدى الفترة السابقة فى صد الهجمات المضادة الإسرائيلية وتكبيدها الخسائر تلو الأخرى، ولاشك أن الاستطلاع والمراقبة المستمرة لمنطقة الجبهة المصرية بكافة الوسائل، وعلى جميع المستويات والأعماق، والاستفادة من صور الأقمار الصناعية الأمريكية والاختراقات الجوية لطائرات الاستطلاع الأمريكية فوق الجبهة على ارتفاع عال جدًا، قد أعطى للقيادة الإسرائيلية الفرصة لتحديد متى وأين توجه ضربتها المضادة التى تركز فيها جهودها، لتنفيذ مخططها فى إحباط العبور.

وبالتالى سارت الأحداث فى نطاق الجيش الثانى كما يلى :

تطوير الهجوم من اتجاه الجيش الثانى :

سبق دفع الفرقة ٢١ مدرعة عدة أعمال تحرك واتخاذ أوضاع لتأمين المعابر والضفة الغربية للقناة ومؤخرة الجيش الثانى فيما يسمى بإعادة الاتزان داخل النطاق التعبوى للجيش، وكان المطلب الأساسى للواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى ـ الذى رفضه وزير الدفاع الفريق أول أحمد إسماعيل أثناء مناقشة خطة التطوير فى مركز القيادة الرئيسى للقوات المسلحة ـ هو أن يقوم اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ مدرعة باحتلال الساتر الترابى على الضفة الشرقية لقناة السويس تأمينًا لعملية التطوير، وكإجراء احتياطى فى حالة نجاح العدو فى تنفيذ الضربات المضادة التى كانت المعلومات بشأنها قد أصبحت واضحة بعد الجسر الجوى و البحرى الأمريكى ونجاح القتال على الجبهة مع سوريا فى إيقاف الخطر على عمق إسرائيل من ناحية، ومن ناحية أخرى ردع الأردن عن التفكير فى دخول المعركة، أو على الأقل السماح بتدفق الفدائيين بكثافة عبر حدودها مع إسرائيل.

وفى صباح يوم ١٤ أكتوبر تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة من رأس كوبرى الجيش الثانى فى اتجاه الشرق، ولكن القوات الإسرائيلية واجهتها بستائر الدبابات المدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات وطائرات الهليكوبتر المسلحة بالصواريخ المضادة للدبابات من طراز (تو) التى وصلت مع الجسر الجوى الأمريكى، ومنيت الفرقة ٢١ مدرعة بخسائر كبيرة أدت إلى فشلها فى الهجوم، وصدرت لها الأوامر بالعودة والتجمع داخل رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة، واستمرت المعارك يوم ١٤ أكتوبر، وانتهت بجثث الدبابات المحترقة من الجانبين، بينما توقفت تماما القوة الدافعة للهجوم لقوات التطوير، **وتزامن هذا التحول فى المسيرة الناجحة للجيش الثانى مع إصابة اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بأزمة قلبية ألزمته الفراش، فتولى اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش الثانى القيادة بدلاً منه.**

أحداث يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٦) :

بدأت القوات الإسرائيلية هذا اليوم بتوجيه عدة هجمات مضادة على طول مواجهة الجيش الثانى مع التركيز على الجانب الأيمن ومنتصف رأس كوبرى الفرقة

١٦ مشاة، وفى الوقت نفسه قامت بتركيز الهجمات الجوية وضربات المدفعية على الجانب الأيمن للفرقة على اللواء ١٦ مشاة، وبنجاح تخطيط العدو فى جذب انتباه قيادة الجيش الثانى وقيادة الفرقة ١٦ مشاة إلى الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة وتحت ستر القصف الجوى والمدفعى على اللواء ١٦ مشاة على الجانب الأيمن للفرقة، قام العدو بتحريك لواء مدرع من الطاسة فى اتجاه منطقة تل سلام شمال شرق البحيرة المرة الكبرى، وتمكنت بعض عناصره من التسلل إلى مواقعه الحصينة شرق الدفرسوار واحتلالها، وتهديد مؤخرة اللواء ١٦ مشاة، وتمكنت سرية دبابات من اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ مدرعة من إيقاف تقدم دبابات العدو، كما قام العدو بالضغط على الجانب الأيسر للواء بهدف تدميره، والاستيلاء على قاعدة يستند عليها، وينطلق منها للعبور غرب القناة، وقبيل نهاية يوم ١٥ أكتوبر قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف مدفعى عنيف على قطاع الدفرسوار، واستمر القصف لمدة طويلة، كانت خلالها تتحرك قوات من المظلات الإسرائيلية بعربات مدرعة فى اتجاه المنطقة نفسها، وفى الوقت الذى توقفت فيه نيران المدفعية الإسرائيلية بدأت قوات المظلات تحت ستار الليل فى عبور قناة السويس إلى الضفة الغربية تحت ستر جزء من قوات المظلات كان قد احتل الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة، ولم يمض وقت طويل حتى كانت قوات المظلات الإسرائيلية قد وصلت إلى الضفة الغربية للقناة، واحتلت قطاعًا على الساتر الترابى على الضفة الغربية يبلغ طوله حوالى ٥ ,١ كيلومتر، مستغلة خلو المنطقة من القوات بعد القصف المدفعى المركز، وضعف القوات المدافعة عن هذه المنطقة غرب القناة، علاوة على انشغال القوات بصد الهجمات المضادة الإسرائيلية على طول المواجهة، وأيضًا انشغال عناصر الفرقة ٢١ مدرعة فى إعادة التجميع والتنظيم شرق القناة بعد فشل عملية التطوير.

وحاول قائد اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى الساعة ٢١٠٠ يوم ١٥ أكتوبر دفع سرية دبابات؛ لاحتلال مصاطب الدبابات فى منطقة الدفرسوار لضرب قوات العدو إلا أنها لم تصل إلى أماكنها، وبالتالى لم تتمكن من تنفيذ المهمة.

أحداث يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣:

اعتبارًا من صباح يوم ١٦ أكتوبر واصلت القوات الإسرائيلية هجماتها مركزة

جهودها الرئيسية على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى، وخاصة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة، وبعد تمهيد جوى مركز تعرض اللواء ١٦ مشاة لهجوم عنيف ومستمر، ورغم المقاومة الباسلة والبطولات العديدة التى قام بها رجال هذا اللواء إلا أن القوات الإسرائيلية نجحت فى النهاية فى اختراق الجانب الأيمن للواء، مستغلة وجود فاصل بين اللواء وشاطئ البحيرات المرة، وضعف الدفاع عن هذه المنطقة، ورغم القصف المدفعى المصرى المركز على قطاع العبور تمكنت من الاستيلاء على تل سلام والدفرسوار، وقامت بإنشاء معابر على القناة تمكنت بواسطتها من عبور الدبابات إلى الضفة الغربية للقناة.

واستمر العدو فى دفع قواته فى منطقة الثغرة، حيث دفع حولى ٦٠ دبابة قامت بالهجوم على مركز السيطرة الخلفى للفرقة ١٦ مشاة ومنطقة الشئون الإدارية للفرقة غرب القناة، وتمكن العدو من التغلب على المقاومات الضعيفة من عناصر الدفاع وعناصر التأمين الغير كافية لمواجهة الدبابات المدعمة بالهجمات الجوية ونيران المدفعية من شرق القناة، وبدأت عناصر مدرعة مدعمة بعناصر من المشاة فى الهجوم على كتائب صواريخ الدفاع الجوى فى المنطقة غرب طريق المعاهدة.

وفى منتصف هذا اليوم تعين اللواء عبد المنعم خليل قائد المنطقة المركزية العسكرية قائداً للجيش الثانى بعد أن تبين أن حالة اللواء سعد مأمون لن تسمح له بالعودة إلى قيادة الجيش الثانى.

أحداث يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى محاولة لتدمير عناصر العدو التى نجحت فى العبور غرباً، وفى ظل عدم توفر معلومات كافية عن قوة وتسليح هذه القوات بدأ الجيش الثانى فى دفع وحدات فرعية (كتائب) لمحاولة تدمير العدو فى منطقة الدفرسوار - قرية الجلاء - مطار الدفرسوار، ونتيجة لقوة العدو التى تم دفعها ليلة ١٥ / ١٦ لم تنجح قوات الجيش الثانى فى تدمير القوات الإسرائيلية، بل على العكس تمكنت القوات الإسرائيلية من إحداث خسائر بها، واستمرت فى توسيع الثغرة والهجوم الأرضى على عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة، كما استمرت القوات فى التدفق فى الثغرة وتحسين أوضاعها الدفاعية ونصب الكمائن لقوات الجيش الثانى المتحركة التى ينقصها المعلومات عن أماكن وقوة العدو وتسليحه.

استمر القصف الجوى الإسرائيلى على رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، وتمكن لواء مشاة ميكانيكى إسرائيلى من الاختراق، ونجح فى الضغط على عناصر الفرقة ٢١ مدرعة التى قامت بهجوم مضاد شرق القناة فى اتجاه الدفرسوار، وتمكن العدو من إيقافها على مسافة ١ كم من قواته التى نجحت فى اختراق الجانب الأيمن لرأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، وفى الوقت نفسه واصل العدو دفع قواته إلى غرب القناة وواصلت هذه القوات هجماتها ضد عناصر الدفاع الجوى والمناطق الخلفية، وتمكنت من صد الهجمات المضادة التى وجهت إليها فى المنطقة، وتمكنت بنهاية اليوم من الوصول إلى مناطق سرابيوم - غرب مرسى «أبو سلطان»، ووصلت بعض الدبابات إلى مصنع ثلج فايد وواحة المنايف، وقدرت هذه القوات بنحو لواء مدرع مدعم بعناصر مشاة والصواريخ المضادة للدبابات.

وفى اليوم نفسه تركزت أعمال قتال قوات الجيش الثانى فى محاولات مستميتة ينقصها المعلومات الصحيحة والتخطيط المسبق لحصار القوات الإسرائيلية غرب القناة، والتمسك برأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، ومنع التقدم فى اتجاه الإسماعيلية شمالاً، واشتركت فى أعمال القتال عناصر الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى والصاعقة وكتيبة كويتية، ولم تنجح أعمال قتال القوات فى منع تقدم القوات الإسرائيلية فى اتجاه الغرب أو الجنوب أو زعزعة تمسكه برأس الكوبرى على الضفة الغربية للقناة، بينما أحرزت بعض النجاح فى مقاومة تقدم العدو فى اتجاه الإسماعيلية.

وبنهاية يوم ١٧ أكتوبر كان العدو قد تمكن من توسيع ثغرة الاختراق والتسرب إلى مناطق متفرقة شمال وشمال غرب وغرب الدفرسوار، وأصبحت قواته تقدر بنحو ٥٠ - ٧٠ دبابة وعدد من العربات النصف جنزير وعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات ومشاة الميكانيكية، وتمكن من احتلال المصاطب شرق وغرب القناة فى الخط العام الدفرسوار - المغذى الرئيسى.

أحداث يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣:

قام العدو باحتلال مواقع وخطوط صد بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات فى مناطق «أبو سلطان» - معسكر قادش - غرب الدفرسوار - سرابيوم، كما وصلت

قواته شمالاً إلى منطقة المنايف جنوب الإسماعيلية وجنوبًا إلى فايد، وواصلت مجموعات صغيرة الهجوم على عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة، وتمكنت من تعطيل العديد من كتائب الرادار والصواريخ فى المنطقة مما أحدث ثغرة فى الدفاع الجوى تمكنت معه القوات الجوية الإسرائيلية من السيطرة الجوية على سماء منطقة القتال غرب القناة، وبالتالى نجحت فى معاونة العدو فى صد هجمات اللواء ٢٣ المدرع وباقى اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى وتكبيدهما خسائر كبيرة.

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل إلى مركز القيادة المتقدم للجيش الثانى فى الإسماعيلية الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وتولى القيادة للعمليات فى قطاع الجيش الثانى بناءً على أوامر القيادة العامة، واستمع إلى تقارير الرؤساء، وراجع الموقف القتالى لتشكيلات الجيش تفصيلاً.

أحداث يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

واصل العدو دعم قواته فى الثغرة، واستغل نجاحه فى صد وتدمير الهجمات المضادة المتفرقة التى وجهت إليه، وواصل اندفاعه غربًا حتى وصل إلى وادى العشرة واتصل بالنيران بقوات من الفرقة ٤ مدرعة التابعة أصلاً للجيش الثالث، والتى أعيد تمركزها فى منطقة استراحة عثمان بقيادة قائد الفرقة العميد عبد العزيز قابيل لمعاونة الجيش الثانى بأوامر القيادة العامة، كما اكتسب أرضًا جديدة فى منطقة الثغرة بدون قتال نتيجة ارتداد عناصر من قوات الفرقة ٢١ مدرعة بأوامر من العميد إبراهيم العرابى الذى كان قد عين قائدًا لرأس كوبرى الفرقتين ٢١ مدرعة و١٦ مشاة، ووصلت بذلك قوات العدو إلى خط طوسون، وفى الوقت نفسه واصلت القوات الجوية الإسرائيلية سيطرتها على سماء المعركة، واستمرت فى هجماتها الجوية على مناطق الإسماعيلية والفردان والقنطرة ورأس الشاطئ حتى بورسعيد.

وبفشل جميع القوات التى تم دفعها فى منطقة الثغرة شرق وغرب القناة، سواء كانت من المدرعات أو المشاة أو الصاعقة أو المظلات فى حصر الاختراق أو تدمير العدو، وبعد استنفاذ جزء مؤثر من القوة القتالية للفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية واحتياطيات القيادة العامة، أصبح الهدف الرئيسى لقيادة الجيش الثانى - وهو نفسه الذى أصبح فيما بعد هو الهدف الوحيد تقريبًا

والمهمة الرئيسية للقوات المسلحة فى تصور القيادة العامة للقوات المسلحة - يتركز فى المهام الآتية :

* التمسك برأس الكوبرى شرق القناة ومنع استمرار تآكل الجانب الأيمن للجيش الثانى.
* منع العدو من الوصول إلى مدينة الإسماعيلية والاستيلاء عليها.
* منع العدو من الوصول والسيطرة على طريق الإسماعيلية - القاهرة.

أحداث يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

استمر العدو فى دعم قواته غرب القناة، وبدأت الفرقة المدرعة التى كان يقودها الجنرال إريل شارون فى محاولة الوصول إلى الإسماعيلية وطريق الإسماعيلية القاهرة، لتطويق الجيش الثانى، وتمكن من الاستيلاء على جميع التقاطعات والهيئات المهمة غرب طريق المعاهدة، ودمر عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة، وواصلت القوات المصرية غرب القناة أعمال القتال، لحصر العدو جنوب الإسماعيلية، وتمكنت من إحداث بعض الخسائر به، وبنهاية هذا اليوم تأكد للعدو صعوبة التقدم فى اتجاه الإسماعيلية أو طريق القاهرة، خاصة بعد أن اشتبكت ضده عناصر من الفرقة ٤ مدرعة - التى كانت قد أتمت انتقالها من الجيش الثالث إلى منطقة استراحة عثمان - فى وادى العشرة وغرب الإسماعيلية، وتقدمت الفرقتان المدرعتان الإسرائيليتان الأخريين بقيادة الجنرال أدان والجنرال ماجن فى اتجاه الجنوب؛ لتطويق قوات رأس كوبرى الجيش الثالث والاستيلاء على مدينة السويس، حيث مؤخرة الجيش الثالث التى أفادت مصدر معلوماته بخلوها تقريبًا من القوات المؤثرة خاصة بعد سحب جزء كبير من الفرقة ٤ مدرعة من نطاق الجيش الثالث وإعادة تمركزها خلف نطاق الجيش الثانى فى منطقة استراحة عثمان على طريق القاهرة - الإسماعيلية على أساس أن تعمل لصالح تأمين مؤخرة الجيشين، والواقع أن العدو باتصاله بقوات الفرقة الرابعة فى وادى العشرة قد عزلها عن التدخل - كفرقة مدرعة متكاملة - فى العمليات جنوبًا فى اتجاه الجيش الثالث، وأصبح الطريق أمامه مفتوحًا؛ ليواصل تقدمه إلى السويس، وبدأ فعلاً فى الهجوم على منطقة فنارة معلنًا عن نيته فى التقدم جنوبًا.

وفى منتصف هذا اليوم غادر الفريق سعد الشاذلى قيادة الجيش إلى القاهرة لعرض الموقف المتردى فى قطاع الجيش الثانى غرب القناة، وعاد اللواء عبد المنعم خليل لقيادة الجيش الثانى.

كيف كانت الصورة فى النهاية:

المنطقة شرق القناة من كبريت على يسار الجيش الثالث جنوبًا إلى تل سلام على يمين الجيش الثانى شمالاً، تحت السيطرة الكاملة للقوات الإسرائيلية اعتباراً من يوم ١٧ أكتوبر.

المنطقة غرب القناة من جنوب الإسماعيلية إلى وادى العشرة وجنوبًا حتى منطقة فنارة وجبل شبراويت تحت السيطرة شبه الكاملة للقوات الإسرائيلية اعتباراً من يوم ١٨ أكتوبر، وانتهى الأمر بفصل الجيش الثانى عن الجيش الثالث يوم ٢٠ أكتوبر.

وعلى الناحية الأخرى منيت الفرق ١٦ مشاة و٢١ مدرعة و ٢٣ مشاة ميكانيكى وعناصر الصاعقة والمظلات فى قطاع الجيش الثانى بخسائر كبيرة أفقدتها القدرة على التدخل المؤثر فى أعمال القتال، والأخطر على الإطلاق كان تدمير عناصر الدفاع الجوى غرب القناة فى شريحة واسعة أتاحت للقوات الجوية الإسرائيلية استعادة تأثيرها على ميدان المعركة، بعد أن كانت قد فقدته تمامًا فى الأيام الأولى للعبور.

وعلى صعيد آخر قيدت القيادة العامة استخدام القوات الجوية لمعاونة أعمال قتال الجيشين شرق أو غرب القناة، وتركزت جهود القوات الجوية فى حماية القواعد الجوية والمطارات للمحافظة على القوات الجوية من المواجهة غير المتكافئة مع القوات الجوية الإسرائيلية التى تدفقت عليها الطائرات الأمريكية من قواعدها فى أوروبا يقودها الطيارون المتطوعون من أمريكا.

وفى نطاق الجيش الثالث، كانت قوات رأس الكوبرى تقاتل بنجاح شرق القناة كما تم اتخاذ العديد من الإجراءات؛ لتأمين قطاع الجيش غرب القناة ومعاونة الجيش الثانى شرق وغرب القناة، كما سنرى فى الصفحات التالية.

وهكذا تحول مسار الحرب بعد النجاح الباهر الذى أحرزته القوات المصرية التى

اقتحمت القناة يوم ٦ أكتوبر مكتسحة خط بارليف فى ٦ ساعات فقط، ثم استمرت على نجاحها فى اكتساب المزيد من الأرض وتوسيع رأس الكوبرى شرق القناة وإلحاق الخسائر الفادحة بالقوات الإسرائيلية القائمة بالهجمات المضادة حتى يوم ١٤ أكتوبر، فأثلجت قلوب الملايين من المصريين والعرب بمشاهدتهم لصور العشرات من الأسرى الإسرائيليين فى وسائل الإعلام المختلفة.

ورغم عدم كفاية القوات المصرية غرب القناة فى مواجهة القوات الإسرائيلية، إلا أن هذه القوات قد أبدت شجاعة وصلابة، وحققت بطولات خارقة دافعت بها عن إنجازها الباهر، وأنزلت بالعدو خسائر فادحة كان يمكن أن توقفه وتثنيه عن مواصلة الهجوم غرب القناة، لولا استنفاذ الكثير من القوات دون تأثير يذكر على العدو، الذى رأى فى نجاح قواته فى العبور إلى غرب القناة المخرج الوحيد من هزيمة ساحقة ربما هددت كيانه كله، ومن ثم تمسك باستمرار القتال غرب القناة حتى تحقيق نجاح محدد يمكن استخدامه للخروج من المأزق الذى وجد نفسه فيه.

وكان لتلك البطولات الخارقة والشجاعة الفذة التى أبداها المقاتلون من الجيشين شرق وغرب القناة أثره فى عدم انهيار الوضع غرب القناة بصورة نهائية، مما أدى إلى تهيئة الوضع العام للقيادة السياسية؛ لاستكمال العمل العسكرى بالعمل السياسى، كما سنرى فى الصفحات التالية.

* * *

القسم الثانى
التحول فى مسار الحرب

صباح يوم ١٦ أكتوبر بدأ الموقف فى قطاع الجيش الثانى يتضح، ووصلت إلينا المعلومات الأولى عن حدوث اختراق للجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة ونجاح العدو فى العبور إلى الضفة الغربية لقناة السويس، فبدأت مع هيئة قيادة الجيش الثالث فى متابعة الموقف، وتقدير أعمال العدو المنتظرة، كما بدأت فى اتخاذ الإجراءات وإصدار الأوامر والتكليفات؛ لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث والاستعداد لمعاونة الجيش الثانى؛ لتدمير العدو فى الثغرة، طبقًا لما كان مخططًا من قبل ضمن إجراءات التعاون بين الجيشين؛ لتأمين الفاصل بينهما فى الخطة الدفاعية الهجومية.

وكما سبق أن ذكرت، فإن الضربة المضادة الإسرائيلية لم تكن مفاجأة لنا فهى أحد أعمال العدو المنتظرة، كذلك الإجراءات اللازمة لمواجهتها لم تكن هى الأخرى من وحى الموقف، وإنما كانت كلها أمورًا مخططة وإجراءات محددة سواء كانت ضمن الخطة الدفاعية على قناة السويس أو ضمن الخطة الهجومية فى أكتوبر ١٩٧٣، وكانت خطة وإجراءات تأمين الفاصل بين الجيشين تعتمدان على عدة أعمال وإجراءات متدرجة فى القوة بحسب قوة وحجم التهديد ونوعه واتجاهه.

وطبقا للقواعد العسكرية العامة، فلكى يتم تأمين جانب القوات سواء فى نطاق مسئولية الجيش الثانى أو الجيش الثالث فإنه يجب أن يتوفر للقائد عنصران أساسيان هما المراقبة والسيطرة بالقوات والنيران على الأجناب من ناحية، ومن ناحية أخرى يلزم وجود احتياطى قوى قادر على توجيه الهجوم المضاد أو الضربة المضادة لتدمير العدو المخترق على أحد الأجناب.

ولكى يتم تأمين الفاصل بين الجيشين سواء من اتجاه الجيش الثانى أو الجيش الثالث، فيجب أيضا أن يتوفر عنصران أساسيان، هما احتياطى كل جيش الذى سيقوم بصد العدو المخترق وتكبيده أكبر خسائر ممكنة، والاحتياطى الاستراتيجى

للقيادة العامة، الذى عليه أن يقوم بالضربة المضادة؛ لتدمير العدو فى جيب الاختراق، ويجب أن يكون هذا الاحتياطى من القوة بحيث تكون ضربته حاسمة لتدمير العدو، وقد يستدعى الموقف توجيه ضربة مضادة قوية بالتعاون بين احتياطيات الجيشين، يتبعها استغلال النجاح باحتياطى القيادة العامة، وعمومًا هناك أكثر من أسلوب لتأمين الفاصل بين التشكيلات والتشكيلات التعبوية (الجيوش) وتعتمد جميع هذه الأساليب على وجود قوات للتأمين بأعمال الدفاع وقوات للتدمير بأعمال الضربات المضادة على المستويات المختلفة.

ولنبدأ بالتعرف على الموقف شرق وغرب القناة بنهاية يوم ١٤ أكتوبر، وفشل عملية تطوير الهجوم شرق القناة فى اتجاه الممرات الجبلية.

تلخص الموقف فى نطاق الجيش الثانى بنهاية يوم ١٤ أكتوبر فى الآتى :

كان موقف رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة جيدًا، حيث تواصل الفرق ١٦ و١٨ و٢١ مشاة المدعمة بالألوية المدرعة التمسك بنجاح برءوس الكبارى والدفاع عنها والتصدى للهجمات المضادة وتكبد القوات الإسرائيلية المزيد من الخسائر، وفى إحدى هذه المعارك تم أسر العقيد عساف ياجورى قائد إحدى الوحدات المدرعة الإسرائيلية.

ولكن مع اتساع عمق ومواجهة رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة على الجانب الأيمن للجيش الثانى وجد فاصل كبير نسبيًا بين الحد الأيمن لرأس كوبرى الفرقة وبين ساحل البحيرة المرة الكبرى فى منطقة الدفرسوار وصل إلى حوالى ٣ كم، تركت بدون احتلالها بالقوات باعتبارها سبخة رملية تمثل مانعًا طبيعيًا لتقدم القوات المدرعة، وخطط الجيش الثانى حمايتها بنيران المدفعية، وهو أمر صحيح نسبيًا حيث ثبت أن القوات الإسرائيلية قد اضطرت لاستخدام تجهيزات خاصة كالحصائر المعدنية، لتتمكن من تحريك المدرعات فى هذه المنطقة، كما ثبت أنها قد منيت بخسائر ضخمة من نيران مدفعية الجيش الثانى أثناء محاولاتها المتكررة للتدفق إلى غرب القناة.

مع أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر، وبناء على إصرار القيادة العامة، تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة احتياطى الجيش الثانى كاملة؛ لتطوير الهجوم شرقًا، ولم تحقق نجاحًا يذكر ومنيت بخسائر كبيرة مما أدى إلى سحبها إلى داخل رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة.

أما غرب القناة فى نطاق الجيش الثانى، فكانت تؤمنه القوات الآتية :

* اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى الذى تم إعادة تمركزه بمنطقة عثمان جنوب ترعة الإسماعيلية ؛ لإعادة التوازن غرب القناة بعد دفع الفرقة ٢١ مدرعة شرق القناة .

* اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى ، ويتمركز جنوب الإسماعيلية ، ويعتبر مكلفًا بتأمين المدينة وطريق الإسماعيلية - القاهرة .

بالإضافة إلى ذلك تواجدت بعض القوات العربية والمؤخرات والعناصر الإدارية والفنية كالآتى :

* كتيبة المغاوير الكويتية تحتل المنطقة من جنوب مرسى «أبو سلطان» إلى فايد .

* قوة مطار فايد ومحطة فايد العسكرية .

وكما نرى فقد أصبحت مؤخرة الجيش الثانى - بعد دفع الفرقة ٢١ مدرعة كاملة لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق - بلا احتياطى مدرع قوى قادر على التدخل بالهجمات والضربات المضادة فى اتجاه الاختراقات المحتملة .

وفى نطاق الجيش الثالث كان الموقف مع نهاية يوم ١٤ أكتوبر كالآتى :

كان موقف رأس الكوبرى شرق القناة مؤمنًا تمامًا ، فعلى الجانب الأيمن تم احتلال نقطة رأس مسلة على ساحل خليج السويس ، وعلى مسافة ١٧ كم يمين رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة ، وعلى الجانب الأيسر تم احتلال نقطة كبريت على ساحل البحيرة المرة الكبرى على مسافة ١٠ كم من الجانب الأيسر للفرقة ٧ مشاة ، وكان على العدو أن يقاتل هذه المسافات الطويلة نسبيًا إذا حاول الوصول إلى أجناب رأس الكوبرى فى منطقة الشط فى اليمين أو منطقة جنوب البحيرات فى اليسار ، وهما المنطقتان اللتان تصلحان للعبور إلى غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث الميدانى ، وكانت الفرقتان ١٩ و٧ مشاة تقاتلان بنجاح للتمسك برأس الكوبرى ، وتكبد العدو خسائر متتالية .

فى أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر ، تم دفع اللواء ٣ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة ؛ لتطوير الهجوم ، ولم ينجح فى تحقيق المهمة ومنى بخسائر كبيرة ، وتم ارتداده إلى رأس الكوبرى ، واستفدنا من هجومه فى توسيع وتعميق رأس الكوبرى عدة كيلو

مترات، وفى الوقت نفسه تم دفع اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة، ولم يتقدم سوى ٢ كم، ومنى بخسائر كبيرة وتوقف على الخط الذى وصل إليه.

أما غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث، فكان الموقف مطمئنًا إلى حد كبير للأسباب التالية:

* كانت الفرقة ٤ المدرعة عدا اللواء ٣ مدرع لاتزال فى أوضاعها غرب القناة خلف النطاق الدفاعى الثانى للجيش، حيث كانت قيادة الفرقة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل ومعها اللواء ٢ المدرع بمنطقة تمركز الفرقة شمال وشرق جبل عويبد، أما اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، فكان يحتل الموقع المتوسط الممتد من جبل الجوزة الحمراء إلى جبل جنيفه، والمسيطر على طريق المعاهدة الواصل بين الإسماعيلية والسويس.

* وكانت الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عدا اللواء ٢٢ المدرع الذى يدعم الفرقة ١٩ مشاة، واللواء ١ مشاة ميكانيكى بعد وضعه تحت قيادة الفرقة ١٩ مشاة لاتزال فى أوضاعها، فقيادة الفرقة بقيادة العميد «أبو الفتح» محرم متمركزة فى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس - القاهرة، واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى عدا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى التى دفعت على الجانب الأيمن للواء ٣ المدرع أثناء التطوير، وكان يتمركز فى قطاع بير عديب جنوب جبل عتاقة؛ لتأمين الجانب الأيمن للجيش غرب القناة.

* لواء الصاعقة الفلسطينى، ويحتل على ساحل البحيرات المرة من فايد وجنوبًا.

* وكما كان الحال مع الجيش الثانى كانت تتواجد غرب القناة العديد من العناصر الإدارية والفنية والطبية، علاوة على محطة جنيفه العسكرية، وقوة مطار كبريت.

ومع بداية يوم ١٥ أكتوبر كانت أوضاع القوات المصرية التى ذكرتها، موضوعة على خريطة العمليات على جبهة قناة السويس فى قيادة جيش الدفاع الإسرائيلى بتل أبيب، بعد أن قامت الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع الأمريكية والإسرائيلية بتصوير أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة، وبالطبع وضح فى هذه الأوضاع وجود الفاصل غير المحمى بين الجيشين، كما وضح أيضًا الفاصل بين رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة وساحل البحيرة المرة الكبرى فى نطاق الجيش الثانى،

ويحتمل أنه قد تم اكتشاف هذا الفاصل بواسطة إحدى دوريات الاستطلاع الإسرائيلية، وفى الوقت نفسه وضح اتساع مواجهة رأس كوبرى الجيش الثالث وسيطرته على حوالى ١٠ كم من ساحل البحيرات المرة التى يصعب عبورها، كما وضح بقاء الجزء الأكبر من الفرقة ٤ المدرعة فى أوضاعها؛ لتأمين مؤخرة الجيش غرب القناة، ومن ثم صدق مجلس الحرب الإسرائيلي برئاسة جولدا مائير على قرار القيادة العسكرية الإسرائيلية بتوجيه الضربة المضادة إلى منطقة الدفرسوار على الجانب الأيمن للجيش الثانى، وليس إلى جنوب البحيرات على الجانب الأيسر للجيش الثالث.

وفى اليوم نفسه بدأ العدو فى تنفيذ خطة الضربة المضادة والعبور إلى غرب القناة كما ذكرنا تفصيلاً فى الحديث عن الثغرة.

وقبل أن أبدأ فى سرد أحداث تلك الفترة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ أجده لزامًا علىَّ أن أشيد بهيئة قيادة الجيش الثالث ورئيس أركان حرب الجيش اللواء مصطفى شاهين ومعاونيه الأكفاء الذين جعلوا بدراساتهم وتقاريرهم الدقيقة أعمال القوات الإسرائيلية طوال فترة الحرب مثل الكتاب المفتوح، فصحت توقعاتنا عن نوايا الهجوم الإسرائيلى؛ لذلك كان لكل عمل من أعمال العدو طوال فترة الحرب الرد المناسب، سواء كان هذا الرد مخططًا مسبقًا أو أحد التوقعات التى تنبأنا بها ووضعنا لها الحلول المناسبة مبكرًا، أو كان ردًا فوريًا مبنيًا على تقدير صحيح لعناصر الموقف المتكاملة.

ولاشك أن جميع القوات التى قاتلت فى تلك الفترة غرب القناة قد قامت بأعمال مجيدة فى ظل ظروف غاية فى الصعوبة والقسوة، وكان لرجولة الضباط والجنود على كافة المستويات الفضل فى المحافظة على إنجازات الأيام الأولى من حرب أكتوبر إلى الحد الذى أتاح للقيادة السياسية الدخول فى مفاوضات الفصل بين القوات من موقف قوى.

لقد اتصفت أحداث القتال ضد العدو غرب القناة بالتداخل والسرعة وتعدد المهام والتحركات؛ لمواجهة القوات الإسرائيلية التى لم تتوقف عن التدفق من الشرق إلى الغرب، **ولسهولة متابعة أحداث تلك الفترة من الحرب فإننى سوف أقسمها إلى ٣ مراحل أساسية، كما سأحاول أن أرتبها بمحاور القتال كلما أمكن كالآتى :**

*** المرحلة الأولى :**

هى مرحلة متابعة أعمال العدو ضد الجيش الثانى ومعاونة الجيش الثانى بالنيران والقوات، واتخاذ الإجراءات الاحتياطية لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث، وقد بدأت هذه المرحلة من الساعة ١١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر - أى منذ علمت للمرة الأولى من هيئة العمليات بوجود اختراق لرأس كوبرى الجيش الثانى - واستمرت حتى وصول العدو المتسرب إلى نطاق الجيش الثالث الميدانى والاصطدام بالعناصر المقاتلة للجيش الساعة ١١٤٠ يوم ١٩ أكتوبر.

*** المرحلة الثانية :**

هى مرحلة القتال ضد قوات العدو المتقدمة على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة والمحور الساحلى شرق طريق المعاهدة، وقد بدأت منذ اشتباك عناصر الجيش ضد العدو، وانتهت بصدور قرار إيقاف إطلاق النار، اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر.

*** المرحلة الثالثة :**

هى مرحلة محاولة حصر العدو بعد عدم التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار كالعادة وتقدمها لتحقيق أهداف العبور غرب القناة، وهو الوصول إلى ساحل خليج السويس وحصار رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، ومحاولة الاستيلاء على مدينة السويس، واستمرت هذه المرحلة من يوم ٢٢ أكتوبر حتى توقف القتال فعليًا يوم ٢٥ أكتوبر بوصول قوات الطوارئ الدولية للفصل بين القوات.

* * *

القسم الثالث
معركة اللواء ٢٥ مدرع

رأينا فى القسم السابق كيف حدثت الثغرة فى منطقة الدفرسوار على أقصى الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى، ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر بقوات المظلات الإسرائيلية، ثم اعتباراً من صباح ١٦ أكتوبر بدفع الوحدات مدرعة وعبورها إلى غرب القناة، رغم كل المقاومة والقصف الذى قامت به قوات ومدفعية الجيش الثانى، ولاشك أن دفع الفرقة ٢١ مدرعة بقيادة العميد إبراهيم العرابى يوم ١٤ أكتوبر لتطوير الهجوم شرق القناة، وبالتالى بقائها فى رأس الكوبرى بعد أن منيت بخسائر كبيرة كان له أثره على تكدس القوات برأس الكوبرى وضعف الاحتياطيات غرب القناة، ولكن المثير فى الأمر هو تأخر مواجهة موقف الثغرة بالقوة والحسم المطلوبين، وتضارب المعلومات والقرارات بشأنها وهو الأمر الذى ساهم إلى حد كبير فى تطور العبور الإسرائيلى إلى الضفة الغربية للقناة من تسلل بوحدة مظلات مدعمة بمركبات برمائية إلى ٣ فرق مدرعة إسرائيلية، يقودها ٣ من أكفأ القادة الإسرائيليين وأكثرهم خبرة، وتدعمها حوالى ١٤ كتيبة مدفعية وعدد من كتائب الصواريخ الهوك المضادة للطائرات، وتغطيها القوات الجوية الإسرائيلية بالمعاونة والتأمين بعد أن نشأت ثغرة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بواسطة المدرعات الإسرائيلية التى كان هدفها الأول هو تدمير كتائب الصواريخ المصرية غرب القناة.

حقيقة إن إسرائيل قد وضعت كل قوتها وإمكانياتها، واستخدمت كافة إمكانيات الجسر الجوى الأمريكى لعملية الغزالة، وهو الإسم الكودى لعملية العبور غرب القناة، ولكننا لم نواجهها بالقوة المناسبة رغم أن الشواهد كلها والأوامر كانت تشير إلى نوايا إسرائيل؛ لتوجيه ضربة مضادة قوية إلى الجبهة المصرية بعد أن استعادت الموقف على الجبهة السورية، واطمأنت على عمقها القريب، وسنرى فى

الصفحات التالية كيف واجهت القوات المسلحة المصرية عملية الثغرة حتى وصلت فى النهاية إلى حصار قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس.

الموقف بعد التطوير:

بعد توقف عملية التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية كما شاهدنا فى الصفحات السابقة، بدأ العدو فى توجيه سلسلة من الهجمات المضادة على طول مواجهة الجيش الثالث، وبدأ فى تركيز هجماته الجوية وهجماته المضادة على الجانب الأيسر للجيش فى اتجاه الفرقة ٧ المشاة واللواء ٢٥ مدرع مستقل الذى وصلت خسائره حتى ظهر يوم ١٥ أكتوبر إلى ١٥ دبابة، ونجح النسق الأول للجيش فى صد الهجمات المضادة للعدو، وأنزل به المزيد من الخسائر، كما أسقطت عناصر الدفاع الجوى المزيد من طائرات العدو مما رفع الروح المعنوية للقوات وزادها إصراراً على التمسك برأس الكوبرى، ومنع العدو من اختراقه.

وفى مساء يوم ١٤ أكتوبر علمت أن اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قد أصيب بأزمة قلبية نتيجة الإجهاد الذى واجهه فى مرحلة التطوير، وتولى اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش الثانى القيادة لحين شفاء اللواء سعد مأمون، ثم عين اللواء عبد المنعم خليل فيما بعد قائداً للجيش الثانى بعد أن تبين أن حالة اللواء سعد مأمون الصحية لا تسمح له بمواصلة قيادة الجيش.

وبمجرد وصول اللواء عبد المنعم خليل إلى قيادة الجيش يوم ١٦ أكتوبر، اتصل بى وأخبرنى بوصوله، فتمنيت له التوفيق فى الظروف الصعبة التى يمر بها الجيش الثانى، حيث كانت القوات الإسرائيلية فى الثغرة تواصل تثبيت أقدامها والقوات المدرعة الإسرائيلية تواصل تدفقها غرب القناة، وكنت كلى ثقة فى قدرة اللواء عبد المنعم خليل على احتواء الموقف فى نطاق الجيش الثانى؛ لخبرته السابقة فى قيادة الجيش، حيث كان قائداً للجيش الثانى طوال حرب الاستنزاف وما بعدها، علاوة على ما يتميز به من الكفاءة وهدوء الأعصاب.

الدفاع عن اللواء ٢٥ مدرع فى مواجهة هجوم القيادة العامة:

فى يوم ١٦ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد على قطاع الفرقة ٧ مشاة، وكانت

الدبابات موزعة على كتائب المشاة، خاصة اللواء ٨ مشاة لزيادة قدرة الصد باحتلال مصاطب ودبابات فى كبريت، وكان الجيش الثالث قد أتم الاستيلاء على جميع النقط القوية للعدو على الضفة الشرقية لقناة السويس، عدا نقطة لسان بورتوفيق المحاصرة.

وفى الوقت نفسه كان القتال دائراً على أشده فى نطاق الجيش الثانى، خاصة على الجانب الأيمن للجيش، حيث الفرقة ١٦ المشاة، وكما ذكرنا فى القسم السابق، كان العدو قد نجح فى تركيز كل قوته ضد الفرقة ١٦، وتمكن بنهاية يوم ١٥ وخلال ليلة ١٥ / ١٦ من الوصول إلى شاطئ قناة السويس، بل إنه نجح فى عبور قوات من المشاة والدبابات خلال الليل، وبدأ فى تأمين رأس شاطئ غرب القناة على الجانب الأيمن للجيش الثانى.

سير معركة اللواء ٢٥ مدرع المستقل ضد العدو الإسرائيلى شرق البحيرة المرة الكبرى (الخريطة رقم ١٧):

وبعد فشل كل المحاولات التى قمت بها لإثناء القيادة العامة عن قرارها بدفع اللواء ٢٥ مدرع لتنفيذ مهمة تدمير العدو الذى يهاجم رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى، وفى الساعة ٠٥٥٠ يوم ١٧ أكتوبر أصدرت أوامرى بتحرك اللواء ٢٥ مدرع، وأكدت على قوات كبريت لتقديم التأمين والتعاون مع اللواء، وفى الساعة ٠٦١٥ أبلغتنى هيئة العمليات أن العدو الذى كان فى شمال كبريت والذى قدرت قوته بعدد ٥٠ دبابة قد انضم إلى القوات التى تهاجم رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة فى الجيش الثانى، وتم إخطار اللواء ٢٥ مدرع مع التأكيد عليه بدفع عناصر استطلاع فى المواجهة والأجناب والتحرك خارج الطريق واتخاذ تشكيل رأس سهم.

الساعة ٦٣٥ أفادت عناصر الاستطلاع أنه توجد للعدو قوة فى كثيب الحبشى تقدر بسريتين دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات ومعها بطارية مدفعية ١٥٥ م، وتم الاتصال بقائد اللواء ٢٥ مدرع وإبلاغه بالمعلومات وتأكيد الأوامر السابقة.

فى الساعة ٠٧٠٠ بدأ اللواء ٢٥ مدرع فى الاندفاع خارج رأس كوبرى الفرقة ٧

المشاة، وتم تأمين دفعه بقصفة مدفعية لمدة ١٠ دقائق على الأهداف المعادية المكتشفة فى قطاع التقدم.

فى الساعة ٠٨٣٠ بدأ العدو فى الاشتباك مع اللواء من مسافة ٢,٥ كيلومتر واستمر اللواء فى التقدم بمعاونة مدفعية الفرقة ٧ المشاة دون تأثير لنيران العدو.

وفى الساعة ٠٩٠٠ أبلغنى اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى أن العدو يحتل منطقة تل سلام بقوة ٤٠ دبابة، وقمت بإبلاغ هيئة العمليات، وطلبت قيام الطيران بضرب العدو، لتسهيل مهمة اللواء.

فى الساعة ٠٩٢٥ وصل رأس رتل اللواء ٢٥ مدرع إلى مسافة ٢ كم شمال الرأس البيضاء، وبدأ العدو فى محاولة الالتفاف على جانبه الأيمن بقوة ١٨ دبابة تعاونها نيران بطارية المدفعية ١٥٥ م من كثيب الحبشى والصواريخ المضادة للدبابات، وخلال ساعة تقريبًا تمكن اللواء من القضاء على سريتى دبابات للعدو، وواصل تقدمه الساعة ١٠٣٧ بعد أن توقف معظم الرتل الإدارى للواء نتيجة غرز العربات وتدمير إطاراتها بفعل شظايا المدفعية، وأثناء المعركة تم الاتصال بالجيش الثانى الميدانى؛ لمعرفة موقف هجوم الفرقة ٢١ مدرعة فى اتجاه اللواء، وأفاد العميد صالح أمين من قيادة الجيش أن الفرقة قد بدأت هجومها من ١,٥ ساعة وأكد وجود حوالى ٤٠ دبابة على مسافة ٣-٤ كم من اللواء ٢٥ مدرع فى تل سلام.

الساعة ١١٥٠ بدأ العدو فى قصف اللواء ٢٥ مدرع بالطيران بعنف ورصدت إشارات لتوجيه وحدات مدرعة فى اتجاه اللواء، كما بدأ العدو فى الاشتباك مع اللواء بالصواريخ المضادة للدبابات، وبعد حوالى ساعة من الاشتباك بدأت قوة من ٢٤ دبابة معادية الالتفاف على الجانب الأيمن للواء، وأمرت قائد اللواء بدفع المشاة فى اتجاه تل سلام؛ لتدمير ستائر الصواريخ المضادة للدبابات، كما أمرته باستخدام ستائر الدخان لتعمية دبابات وصواريخ العدو وإخفاء تحركه، وقامت مدفعية الفرقة ٧ المشاة ومدفعية الجيش بالضرب على تل سلام، واستمر اللواء يحاول شق طريقه فى وسط نطاقات متعددة من الصواريخ المضادة للدبابات، وفى الوقت نفسه يحاول منع العدو من الالتفاف على جانبه الأيمن والوصول إلى مؤخرته مع تعرضه للقصف الجوى المركز على فترات كلما نجحت مقاومته فى إحداث الخسائر بدبابات

العدو وفى الوقت نفسه حاول العدو قطع طريق ارتداد وإمداد اللواء من الخلف بالهجوم على نقطة كبريت، ولكن نجح اللواء ٨ المشاة وعناصر اللواء ١٣٠ مشاة أسطول فى صد الهجوم والمحافظة على الطريق إلى مؤخرة اللواء مفتوحًا، وارتدت دبابات العدو شرقًا، وبدأت الخسائر فى التزايد بسرعة تحت ضغط القتال غير المتكافئ الذى يخوضه اللواء ٢٥ مدرع مستقل.

وفى الساعة ١٤٣٧ يوم ١٧ أكتوبر اتصل بى الرئيس السادات الذى كان يتابع الموقف، وسألنى عن الموقف فى الجيش الثالث، فقلت له إن قوات الشرق موقفها ممتاز، وقلت له إن الخوف كل الخوف على اللواء ٢٥ مدرع، فهذا اللواء لن يصل إلى هدفه وسوف يدمر.

فقال الرئيس السادات: «وما هو الحل إذن؟».

فقلت له: «الفرقة ٢١ مدرعة من الجيش الثانى تهاجم قوات العدو، وبذلك تعاون هجوم اللواء ٢٥ مدرع للوصول للهدف».

فسمعته فى الميكرفون الأخر يقول: «يا عرابى المعركة دى معركة مصر اهجم» وانتهى الحديث.

وعن تلك المعركة يقول الفريق الشاذلى فى كتابه «قصتى مع السادات» ص٧٢:

«تقدم اللواء ٢٥ مدرع صباح يوم ١٧ من رأس كوبرى الجيش الثالث متجها شمالا فى اتجاه الدفرسوار، وكان العدو يراقبه ويعد الخطة لتدميره، وعندما وصل اللواء إلى منتصف المسافة بين رأس كوبرى الجيش الثالث وبين الطرف الشمالى للبحيرات المرة، وقع اللواء ٢٥ فى كمين للعدو قامت بتنفيذه فرقة مدرعة تضم ثلاثة ألوية مدرعة قام أحد الألوية بسد طريق تقدم اللواء شمالا، بينما تحرك اللواءان الآخران؛ ليتخذا مواقع إلى اليمين وإلى المؤخرة بالنسبة لاتجاه تقدم اللواء ٢٥ مدرع، وعندما دخل اللواء منطقة الكمين هوجم بالنيران من ثلاثة اتجاهات. وثم تدميره تدميراً تاما، ولم ينج من هذه المجزرة سوى حوالى ٢٥ دبابة».

وفى الساعة ١٦٢٠ أصبح اللواء ٢٥ مدرع غير قادر على التقدم فى وسط غابة كثيفة من الدبابات والستائر المضادة للدبابات ونيران المدفعية التى تصبها القوات الإسرائيلية على اللواء بكثافة كبيرة.

وفى آخر اتصال بقائد اللواء أمرته باستخدام الدخان وتغيير خط تقدمه بالاندفاع شرقًا ثم شمالا تحت ستر المشاة لسرعة الوصول إلى خط التقابل مع الفرقة ٢١ مدرعة التى تهاجم من اتجاه الجيش الثانى فى اتجاه اللواء، ولكن قائد اللواء أبلغنى باستحالة التقدم، وأنه يتعرض للهجوم من أكثر من ٥٠ دبابة من اتجاه كثيب الحبشى على جانبه الأيمن، ثم انقطع الاتصال اللاسلكى باللواء ٢٥ مدرع الساعة ١٧١٥، ولم أيأس، واتصلت بالجيش الثانى الذى أصبح اللواء الذى دفع لمعاونته داخل قطاع مسئوليته، لمحاولة استعادة الاتصال باللواء، ولكن الجيش الثانى أبلغنى أنهم أيضًا قد فقدوا الاتصال باللواء ٢٥ مدرع.

وكان لابد من عمل شىء لاستعادة الاتصال مع اللواء ٢٥ مدرع حتى يمكن معرفة موقفه ومعاونته على الخروج من هذا الكمين الذى نصبه العدو له، كما قال الفريق سعد الشاذلى فى مذكراته، فقمت الساعة ١٩٢٠ بدفع مجموعة مقاتلة مكونة من سرية صاعقة ومعها مجموعة استطلاع بقيادة ضابط من فرع استطلاع الجيش ومعه جهاز لاسلكى، وكان على سرية الصاعقة التسرب بمجموعات من رأس كوبرى اللواء ٨ المشاة على الجانب الأيمن للواء ٢٥ مدرع والقيام بأعمال هجومية على العدو الذى يهدد جانبه الأيمن من كثيب الحبشى وتغطية قيام مجموعة الاستطلاع بشق طريقها إلى اللواء، وتوصيل الجهاز اللاسلكى وإعادة الاتصال مع اللواء، وفى الساعة ٢٣٠٥ وصل ضابط من قيادة مدفعية اللواء ٢٥ مدرع إلى نقطة كبريت وأبلغ عن تعرض اللواء لخسائر فادحة، وأن دبابة قائد اللواء قد تم تدميرها، ولكنه شاهد قائد اللواء يقفز منها، وأمرت بعودة الضابط إلى اللواء ومعه جهاز لاسلكى.

وبعد منتصف ليلة ١٧ / ١٨ أكتوبر بقليل نجح اللواء ٢٥ مدرع المستقل فى التخلص من المعركة والارتداد إلى نقطة كبريت، وبعد إعادة تجميع المعدات والدبابات والشاردين تبين أن قوة اللواء أصبحت ٢٥ دبابة فقط منها عدد من الدبابات التى بها أعطال مختلفة وهو ما يعنى أن اللواء قد خسر فى هذه المعركة أكثر

من ٥٥ دبابة فى نهار يوم واحد من القتال علاوة على العشرات من جنوده وضباطه الأبطال الذين قاتلوا مع الفرقة ٧ المشاة على مدى ١١ يوم قتال ولم يخسروا فيها سوى ١٥ دبابة وكبدوا العدو فى مقابلها العشرات من الدبابات والمجنزرات، وأمرت بتمركز اللواء ٢٥ مدرع فى نقطة كبريت واتخاذ إجراءات عاجلة لرفع كفاءة اللواء مرة أخرى.

وبذلك انضم اللواء ٢٥ مدرع إلى اللواء١ مشاة ميكانيكى واللواء ٣ مدرع الذين لم ينالا الدعم والحماية الجوية اللازمة للقوات عندما تدفع بعيداً عن مدى قوات الدفاع الجوى، ولكن هذه المرة كانت الضحية ليست فقط تدمير اللواء، بل كانت النتيجة للمعركة الخاسرة التى دفع إليها اللواء ٢٥ مدرع هى ضياع المزيد من الوقت الثمين دون عمل حاسم لضرب القوات الإسرائيلية فى الثغرة مما أعطاها المزيد من الوقت والفرصة لتدمير عناصر الدفاع الجوى وتوسيع وتعميق ثغرة الدفرسوار كما ذكرت فى القسم السابق.

وللقارئ أن يتصور ما كان يمكن أن يحدث لو كانت القيادة العامة قد وافقت على دفع اللواء ٢ مدرع المدعم من غرب القناة يوم ١٦ أكتوبر؛ لتدمير العدو فى ثغرة الدفرسوار، حيث كان اللواء ٢ مدرع على دراية بالأرض وداخل مدى الحماية بوسائل الدفاع الجوى لقواتنا وفى أرض تحت سيطرة قواتنا، بدلاً من دفع اللواء ٢٥ مدرع فى أرض ليس له خبرة بها وتحت سيطرة العدو وخارج نطاق ومدى عمل صواريخ دفاعنا الجوى، بالإضافة إلى ما أحدثته القوات الإسرائيلية من تغييرات فى محاور وطرق التحرك، وما أقامته من سواتر ترابية ومواقع نيران فى منطقة لم يكن لقواتنا دراية بها، وقامت القوات الإسرائيلية بالمناورة خلالها؛ لتدمير اللواء ٢٥ مدرع مستقل.

* * *

الفصل الرابع

القتال ضد العدو غرب القناة

القسم الأول : تأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث

القسم الثاني : القتال غرب القناة في نطاق الجيش الثالث

القسم الثالث : القتال ضد العدو بعد قرار وقف القتال

القسم الرابع : من صمود السويس إلى فض الاشتباك

القسم الأول
تأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث

المرحلة الأولى لقتال قوات العدو غرب القناة هى مرحلة متابعة أعمال العدو ضد الجيش الثانى الميدانى ومعاونته بالنيران والقوات - وأبرزها بالطبع معركة اللواء ٢٥ مدرع مستقل التى تحدثنا عنها فى القسم الأخير من الفصل السابق - واتخاذ الإجراءات الاحتياطية، لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث، وقد بدأت هذه المرحلة من الساعة ١١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر - أى منذ علمت للمرة الأولى من هيئة العمليات بوجود اختراق لرأس كوبرى الجيش الثانى - واستمرت حتى وصول العدو المتسرب إلى نطاق الجيش الثالث الميدانى والاصطدام بالعناصر المقاتلة للجيش الساعة ١١٤٠ يوم ١٩ أكتوبر.

وقد سارت أحداث هذه المرحلة كما يلى:

قام العدو خلال ليلة ١٤ / ١٥ وطوال يوم ١٥ أكتوبر بقصف قوات رأس كوبرى الجيش الثالث وكتائب الصواريخ المضادة للطائرات المتمركزة شرق القناة بالمدفعية بعيدة المدى والطيران مما دعى إلى ضرورة سحبها غرب القناة بناءً على أوامر القيادة العامة، كما وردت معلومات تفيد بقيام العدو بحشد أعداد كبيرة من الطائرات فى مطار المليز، ثم وجه العدو غارة جوية بقوة حوالى ٤٠ طائرة على قاعدة القطاميه الجوية، وتمكنت قواتنا من إسقاط ١٤ طائرة منها، كما تعددت هجماته المضادة بالدبابات على الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة فى مواجهة اللواء ١١ مشاة ميكانيكى، وصحب هذه الأعمال نشاط بحرى معاد فى خليج السويس ونشاط استطلاع جوى للمنطقة، واستمر التراشق بالمدفعية والدبابات على مواجهه رأس الكوبرى بالكامل طوال ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر.

وفى نطاق الجيش الثانى قام اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بإعادة توازن

القوات غرب القناة بعد دفع الفرقة ٢١ مدرع لتطوير الهجوم، بإعادة تمركز اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من مواقعه شمال ترعة الإسماعيلية إلى منطقة تقاطع عثمان جنوب الترعة الحلوة فى أول ضوء يوم ١٣ أكتوبر؛ لتأمين المنطقة غرب القناة محل الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع، وفى الساعة ٢١٠٠ يوم ١٥ أكتوبر قام اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى بدفع سرية دبابات؛ لاحتلال مصاطب الدبابات غرب القناة؛ لضرب قوات العدو إلا أنها لم تصل إلى مواقعها لعدم درايتها بالأرض فى المنطقة.

أحداث يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

خلال ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر نجح العدو كما ذكرنا فى الفصل السابق فى عمل ثغرة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى، وتمكن من العبور غرب القناة وإنشاء رأس كوبرى، وخلال يوم ١٦ أكتوبر ركز العدو نيران المدفعية والدبابات وهجماته الجوية على رأس كوبرى الجيش الثالث، ووجه هجماته المضادة فى اتجاه الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة؛ لتثبيت قوات رأس الكوبرى خاصة فى مواجهة الجانب الأيسر، علاوة على سيطرته على المنطقة بين كبريت ورأس الكوبرى بالكمائن وستائر الصواريخ المضادة للدبابات، وقد شوهدت من الضفة الغربية للبحيرات المرة تحركات دبابات العدو فى الشرق بأعداد كبيره جنوبًا فى اتجاه كبريت، وشمالاً فى اتجاه الجيش الثانى.

وفى قطاع الجيش الثانى تم دفع اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى صباح يوم ١٦ أكتوبر للهجوم المضاد فى اتجاه الدفرسوار دون حماية أو معاونة جوية، وفى ظل تأثر عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة بالهجمات الأرضية التى كانت تقوم بها الدبابات الإسرائيلية، وبالتالى تعرض اللواء لهجمات مركزة من الطيران الإسرائيلى، ثم وقع فى كمائن نصبها العدو على طريق تحركه، ومنى اللواء بخسائر كبيرة، واستشهد قائد اللواء، وتوقف فى منطقة الكمين بتقاطع طرق «أبو سلطان» مع طريق المعاهدة.

الساعة ١٣٠٠ يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تم تعيين اللواء عبد المنعم خليل لقيادة الجيش الثانى، وكان اللواء تيسير العقاد رئيس أركان الجيش الثانى يتولى القيادة بعد إصابة اللواء سعد مأمون قائد الجيش بأزمة قلبية يوم ١٤ أكتوبر.

وبانتصاف نهار هذا اليوم وبعد تولى اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثانى والاطلاع على الموقف، بدأ فى محاولة استعادة السيطرة على الموقف، فطلب إعادة اللواء ١٥ مدرع من رأس الكوبرى إلى غرب القناة؛ لتكوين احتياطى قادر على مواجهة الموقف، ولكن وزير الحربية رفض هذا الطلب، ثم حاول إعادة تمركز قيادة الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى فى منطقة الثغرة للسيطرة على القوات، ولكنها تأخرت فى التنفيذ، فطلب إعادة تمركز قيادة الفرقة ٢١ مدرعة من الشرق إلى الغرب؛ لقيادة الاحتياطيات التى تعمل غرب القناة، ولكن الوزير رفض هذا المطلب أيضًا مما ساعد على اتساع الثغرة، وازدياد عمق الاختراق المعادى غرب القناة، واستمراره فى تدمير كتائب الصواريخ، وتوسيع الثغرة فى نظام الدفاع الجوى.

وبدلاً من أن تصدق القيادة العامة على مطالب قائد الجيش الثانى المسئول عن العمليات داخل قطاع الجيش والمتواجد وسط ميدان القتال والقادر على الانتقال ومعاينة الموقف على الطبيعة واتخاذ القرارات المناسبة، أصدرت القيادة العامة أوامرها بقيام اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى - المتورط فى الكمين منذ الصباح والمثقل بالخسائر خاصة فى عناصر قيادة اللواء، والذى استشهد قائده كما ذكرت - بالتغلب على العدو فى مواجهته واحتلال الساتر الترابى والمصاطب على الضفة الغربية لقناة السويس فى منطقة الثغرة وشمالها، كما أصدرت تعليماتها بإعادة تمركز اللواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى - الاحتياطى الاستراتيجى للقيادة العامة - فى منطقة تقاطع طريق الإسماعيلية - القصاصين، وأمرت بدعمه بكتيبة مظلات.

ثم اتخذت القيادة العامة للقوات المسلحة قرارها بدفع اللواء ٢٣ المدرع من الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى احتياطى القيادة العامة، كما دفعت باللواء ١٥٠ مظلات إلى جنوب وغرب الإسماعيلية.

أما فى نطاق الجيش الثالث فقد دارت الأحداث كالآتى:

الساعة ١١٠٠ صدرت الأوامر بقيام اللواء ٢٥ مدرع لتوجيه هجمة مضادة خلال نصف ساعة؛ لتدمير العدو الذى تمكن من اختراق الجانب الأيمن للجيش الثانى، ودارت أحداث دفع هذا اللواء المدرع إلى حتفه، كما ذكرت فى القسم السابق.

الساعة ١٣٤٠ أمرت برفع درجة استعداد اللواء ٢ مدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى إلى الحالة القصوى، حيث وردت معلومات غير مؤكدة عن تواجد دبابات للعدو على طريق المعاهدة الإسماعيلية - السويس فى منطقة كم ٧٣ / ١٦، وتم استعداد الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع المكلفة بمهمة تأمين الفاصل مع الجيش الثانى للعمل فى هذا الاتجاه، كذلك تم استعداد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى لنجدة لواء الصاعقة الفلسطينى.

الساعة ١٤٣٥ أخطرت مساعد قائد الفرقة ٤ مدرعة أن العدو ينوى تدمير كتائب صواريخ الدفاع الجوى غرب القناة، وأمرته بتأمين تقاطعات الطرق، والتأكيد على قواعد الصواريخ لزيادة اليقظة وتنظيم الحراسة والدفاع.

الساعة ١٤٤٠ أبلغنى قائد محطة فايد أن العدو قام بإبرار بحرى بحوالى ٢٠ دبابة برمائية من شمال نقطة الدفرسوار، وأنها اتجهت غربًا إلى وصلة «أبو سلطان» وقد اشتبك معهم اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى والطيران، وأنهم قد تدمروا جميعًا عدا ٨ دبابات فى المنطقة غرب تقاطع «أبوسلطان» بمسافة ٨ كم ومعهم أسلحة مضادة للدبابات، كما يوجد «٢» كتيبتا دبابات معادية جنوب تل سلام وأن اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى قد كلف بإتمام تدميرهم، وأنه جارى عمل كمائن فى المنطقة بواسطة كتيبة المغاوير الكويتية.

الساعة ١٤٤٥ أبلغنى الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة أن العدو تمكن من اختراق الجانب الأيمن للجيش الثانى فى منطقة الدفرسوار، وتمكن من السيطرة على المنطقة شرقها وشمالها حتى منطقة عزبة الجلاء شرق البحيرات المرة الكبرى كما دفع ١٥ - ٢٠ دبابة برمائية غرب القناة تقوم بمهاجمة كتائب اللواء ١٠٥ صواريخ مضادة للطائرات غرب القناة، كما أن العدو قام بدفع عناصر صواريخ هوك المضادة للطائرات شرق القناة مباشرة فى منطقة الاختراق وأصبح فى إمكانه التدخل ضد قواتنا الجوية شرق القناة، وأمر بسرعة دفع اللواء ٢٥ المدرع؛ لتدمير العدو الذى يهاجم الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى.

الساعة ١٦٣٦ أمرت الفرقة ٤ المدرعة بتجميع اللواء ٢ مدرع فى منطقة قيادة الفرقة وإعادة ملء الدبابات بالوقود؛ ليكون اللواء جاهزًا للعمل فى اتجاه وصلة «أبو سلطان» مع ترك سريتى الدبابات المحتلتين للساتر الترابى فى مواقعها، كما

أمرت برفع درجة استعداد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى أيضًا إلى درجة الاستعداد القصوى بأسرع ما يمكن.

الساعة ١٧٢٠ أمرت الفرقة ٤ مدرعة بدفع عناصر استطلاع من اللواء ٢ المدرع فى اتجاه الدفرسوار، وفى الساعة ١٨١٥ أمرت قائد الفرقة ٤ مدرعة بتأكيد إعادة ملء دبابات اللواء ٢ مدرع، وزيادة اليقظة حول قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة جبل غره.

الساعة ١٧٤٧ أبلغنى الفريق الشاذلى بوجود دبابات غير معروف نوعها يحتمل تقدمها جنوبًا على الضفة الغربية للقناة، وأمر بعمل كمائن بكتيبة صاعقة على الجانب الأيسر للجيش.

الساعة ١٨٣٥ أفادت القيادة العامة أن الجيش الثانى أبلغ أن العدو ينسحب وبه خسائر كبيرة، ثم عادت بعد ساعة، وأفادت بأن العدو تمكن بقوة ١٢ دبابة وعربة نصف جنزير من تنظيم كمائن فى تقاطع طريق المعاهدة مع كل من طريق «أبوسلطان» وطريق سرابيوم، وفى تقاطع وصلة «أبو سلطان» مع وصله «أبو صوير»، فأمرت بسرعة دفع عناصر استطلاع من الفرقة ٤ المدرعة فى اتجاه الدفرسوار؛ لمراقبة الجانب الأيسر للجيش وجمع المعلومات حتى تكون الفرقة مستعدة مبكرًا للعمل ضد العدو فى هذا الاتجاه عند الحاجة.

الساعة ٢٢٤٥ أبلغ اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة رئيس شعبة عمليات الجيش أن الموقف فى الجيش الثانى هادئ، وبعد ساعة أمر الفريق «سعد الشاذلى» رئيس أركان حرب القوات المسلحة بسحب ٢ سرية صواريخ مضادة للدبابات، (فهد) من تجميع فرق النسق الأول للجيش الثالث وترحيلهم إلى القاهرة؛ لتشكيل احتياطى مضاد للدبابات، وتم التنفيذ رغم اعتراض قادة الفرق ١٩ و٧ مشاة لما لذلك من تأثير سلبى على قوة الدفاع المضاد للدبابات فى رأس الكوبرى شرق القناة الذى كان يتعرض فى ذلك الوقت للهجمات المضادة الإسرائيلية.

أحداث يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣:

لتأمين رأس الكوبرى شرق القناة بعد سحب الصواريخ المضادة للدبابات (الفهد)، وأيضا سحب اللواء ٢٥ مدرع لمعاونة الجيش الثانى، أمرت بقيام فرق

النسق الأول للجيش شرق القناة بدفع ستائر مضادة للدبابات على مسافة ١,٥ - ٢ كم شرق الحد الأمامى لرأس الكوبرى مع دفع أطقم اقتناص دبابات أمامها بمسافة ١,٥ - ٢ كم أخرى، وبذلك يتم تأمين رأس الكوبرى من مسافة ٣ - ٤ كم، كما أمرت بتنفيذ الإغارات على الأهداف الثابتة للعدو بقوة لا تقل عن فصيلة.

وقد نجحت القوات فى تنفيذ هذه الخطة مما كان له أثر كبير فى عدم تمكن القوات الإسرائيلية من اختراق رأس كوبرى الجيش الثالث طوال الفترة التالية.

الأحداث على محور ساحل البحيرات المرة - طريق المعاهدة :

الساعة ٠٠١٥ وبناء على طلب القيادة العامة، تم الاستيضاح عن وجود عدو فى اتجاه جنيفه من قائد محطة جنيفه الذى أفاد بالنفى، كما أفاد أنه لا يوجد عدو أيضًا فى منطقة مصنع الثلج.

وبدا واضحًا أن الاختراق فى الجانب الأيمن للجيش الثانى قد اتسع وازداد عمقًا كما أحسست أن القيادة العامة فى القاهرة لا تتعامل مع الموقف بالطريقة المناسبة وتوقعت أن العدو سيتسرب من قطاع الجيش الثانى إلى قطاع الجيش الثالث، وبناء على ذلك واعتبارًا من الساعة ٠٤٠٠ بدأت القوات فى تنفيذ الإجراءات؛ لتأمين الجانب الأيسر للجيش فى المنطقة بين البحيرات وسلسلة جبل جنيفه - الجوزه الحمراء بالبدء فى رص حقل ألغام على الحد الأيسر للجيش على المحور الساحلى بمنطقة فناره وقيام كتيبة صاعقة فلسطينية بتدعيم الدفاع على الجانب الأيسر للجيش فى مواجهة الشمال، كما دفعت الفرقة ٤ المدرعة دورية استطلاع ضباط فى اتجاه اللواء الفلسطينى، وخصصت سرية مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى لتأمين طريق المعاهدة، وتم دفع ٢ مجموعة استطلاع فى اتجاه تقاطع طريق المعاهدة مع كلٍّ من وصله «أبو سلطان» ووصلة سرابيوم فى اتجاه تقاطع طريق الجيش مع وصلة «أبو سلطان».

الساعة ١٠٤٠ أبلغت عناصر الاستطلاع أن للعدو دبابات برمائية تعبر من الشرق إلى الغرب بمنطقة وصلة «أبو سلطان» وجارى الاشتباك معهم.

الساعة ١٠٥٠ دفعت عناصر استطلاع مقاتلة من الفرقة ٤ المدرعة فى اتجاه

«أبو سلطان» بمهمة استطلاع العدو والدخول فى قتال معه إذا استدعى الأمر، وتم إصدار تحذير إلى المناطق الإدارية؛ لاحتمال مهاجمتها.

الساعة ١١٢٥ أفادت إدارة المخابرات بأن ٢٠ دبابة برمائية للعدو تحاول العبور إلى «أبو سلطان» ولكن رئيس هيئة العمليات أبلغنا بعدم صحة هذه المعلومات الساعة ١٢١٦.

الساعة ١٥٠٠ وردت معلومات عن نزول ٧ دبابات برمائية فى اتجاه مطار كبريت، فقررت دفع سرية دبابات إلى مطار كبريت؛ لتأكيد هذه المعلومات وتدميرها فى حالة وجودها.

الساعة ١٥٥٠ وبناء على أوامر هيئة العمليات، أتمت عناصر المهندسين العسكريين للجيش سد جميع الثغرات المفتوحة للصيادين على البحيرة المرة الكبرى، وتم تكثيف الألغام الموجودة على شاطئ البحيرات.

الساعة ١٧٢٥ وبظهور بوادر خطورة من اتجاه ساحل البحيرات قررت دفع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى بقيادة المقدم صلاح مصباح إلى الجانب الأيسر للجيش فى المنطقة غرب معسكر الحمراء - شمال شرق مدخل وادى سد الجاموس، مع دفع سرية مدعمة منها على ساحل البحيرة فى منطقة الروضة بغرض تدمير أى إبرار بحرى بمنطقة ميناء فنارة، وحتى معسكر جنيفه بالتعاون مع اللواء الفلسطينى وتدمير أى دبابات معادية تتسلل من اتجاه الجيش الثانى أو إبرار جوى معاد أو تسلل بمنطقة جنيفه أو من وادى سد الجاموس ووصلت الكتيبة الساعة ٢٣٣٠ إلى مكانها المحدد، وتمركزت فيه استعداداً لتنفيذ المهام المكلفة بها.

الأحداث على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ١٤٠٧ قررت سحب اللواء ٤٥ مدفعية من شرق القناة إلى الضفة الغربية للقناة، وإعادة تنظيمه ضمن وحدته الأصلية، وهى الفرقة ٤ المدرعة، استعداداً لما سيسفر عنه القتال فى الأيام القادمة.

الأحداث على باقى المحاور فى نطاق الجيش الثالث:

بعد انتهاء معركة اللواء ٢٥ المدرع بعودة اللواء إلى نقطة كبريت بأقل من ٢٥

دبابة صالحة للقتال وخسائر كبيرة فى الأرواح، قررت تمركز بقايا اللواء فى النقطة القوية بكبريت للاشتراك فى تنظيم الدفاع عنها، ولإعادة التوازن فى رأس الكوبرى، قمت بتعديل مهمة اللواء ٣ المدرع؛ ليكون احتياطى الجيش شرق القناة، كما عدلت منطقة تمركزه؛ ليكون اللواء خلف منطقة الاتصال بين الفرقة ١٩ المشاة والفرقة ٧ المشاة، وتأكيدا لاتزان الدفاع فى رأس الكوبرى وتوفير إمكانيات الدفاع المضاد للدبابات قمت فى نهاية اليوم بدفع الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ المدرع إلى رأس كوبرى الفرقة ٧ المشاة؛ للعمل كاحتياطى لقائد الفرقة.

أحداث يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

حافظ العدو على الاتصال بقواتنا شرق القناة بالنيران، واستمرت التراشقات بالمدفعية والدبابات طوال النهار، وركز العدو نشاطه الجوى على منطقة الثغرة فى قطاع الجيش الثانى.

واستمرارًا لمحاولات القيادة العامة تدارك الموقف فى الثغرة أمر وزير الحربية بدفع اللواء ٢٣ مدرع من احتياطى القيادة العامة فى الساعة ٧٠٠؛ لتوجيه ضربة مضادة فى اتجاه الدفرسوار مع تجنب الكمائن وتحمل الخسائر للوصول إلى الدفرسوار واحتلال المصاطب على الضفة الغربية من الدفرسوار وشمالاً بمواجهة ٥ كيلومتر، **وتم دفع اللواء الساعة ٠٧٠٠ بعد انقشاع الضباب فى أرض زراعية ومبان ولم يكن قد سبق للواء دراسة هذه الأرض، وتعرض اللواء لهجوم عنيف من طيران العدو دون حماية جوية من طائراتنا، وتشتت اللواء.**

وفى الساعة ١٧٠٠ يوم ١٨ أكتوبر وصل الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة إلى قيادة الجيش الثانى، وأعلن أنه قد تولى قيادة الجيش الثانى، وبعد دراسة الموقف والاستماع إلى تقارير رؤساء أفرع الجيش، قرر عدة إجراءات لتدمير العدو غرب القناة تعتمد على استخدام القوات الخاصة ومجموعات اقتناص الدبابات؛ للعمل ضد العدو فى الأراضى الزراعية والمناطق المبنية لحين إعادة بعض الوحدات المدرعة من الغرب.

الساعة ٠٠٣٠ أصدرت القيادة العامة أمرًا بتكليف اللواء ٢ المدرع من الجيش الثالث بالدفع خلال ساعة واحدة فى اتجاه شمال البحيرات المرة؛ لتدمير العدو فى المنطقة ١ كم جنوب ميناء «أبوسلطان» - مطار الدفرسوار - ٣ كم شمال محطة الدفرسوار.

الساعة ٠١٢٥ تم دفع مفرزة استطلاع فى اتجاه تحرك اللواء؛ لاستطلاع منطقة الدفرسوار وحققت المفرزة الاتصال باللواء ٢٣ المدرع فى نطاق الجيش الثانى الساعة ٠٣٠٠ ومرة أخرى عدلت القيادة العامة الساعة ٠٣٢٠ مهمة اللواء؛ ليكون مسئولاً عن تدمير أى قوات إبرار معادية فى منطقة تقاطع عثمان أحمد عثمان مع تمركزه فى مكانه جاهزًا للتنفيذ، فأصدرت أوامرى إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة باستطلاع منطقة عثمان أحمد عثمان، وفتح محاور تحرك اللواء إلى هذه المنطقة.

قام لواء الصاعقة الفلسطينى بتعزيز دفاعه على طريق الساحل، وكذا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى التى أتمت احتلال أماكنها المحددة مع أول ضوء، وقد دفعت فصيلة صاعقة فى المنطقة بين محجر فايد وفنارة للعمل كأطقم اقتناص؛ لتدمير دبابات العدو التى تتسرب فى اتجاه كبريت.

الساعة ٠٨٠٧ وردت معلومات من إدارة المخابرات والاستطلاع بأن العدو تمكن الساعة ٠٧٤٠ من دفع ٢٥ دبابة فى اتجاه مرسى «أبو سلطان» وسرابيوم وجارى التعامل معهم.

الساعة ١١١٥ وبناء على قرار القيادة العامة تم تشكيل مجموعة قتال من الفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة، ومعه الكتيبة ٢٠٩ دبابات المدعمة من اللواء ٢ المدرع، بالإضافة إلى ١٤ دبابة، و٦ أطقم قاذفات صواريخ مضادة للدبابات من المنشآت التعليمية، كتيبة استطلاع الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى، وكانت مهمة المجموعة هى التمركز فى منطقة تقاطع عثمان أحمد عثمان بغرض تأمين الحدود الخلفية للجيشين يسارا حتى ترعة الإسماعيلية، وفى الساعة ١٤٠٠ تم تمركز مجموعة قابيل فى محلاتها، وقد تحركت مع قابيل عناصر أخرى من الفرقة ٤ المدرعة وهى: كتيبة مدفعية - فوج دفاع جوى عدا ٢ سرية - سرية مشاة ميكانيكى - سرية مضاد للطائرات - سرية مهندسين عسكريين - سرية صواريخ مضادة للدبابات - فصيلة دخان، كما أخذ معه قائد اللواء ٢ المدرع ومجموعة قيادة من اللواء ومجموعة قيادة من قيادة الفرقة، كما تم تعديل أوضاع الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ المدرع لتتمركز فى منطقة أم كثيب - الجربه فى أرتال سرايا جاهزة للدفع للاشتباك شمال الجربه؛ للتعاون مع مجموعة قابيل لتدمير أى قوات للعدو تتقدم غربًا.

ويقول اللواء عبد المنعم خليل فى كتابه (حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى ص ٢١٠) :

«واتصلت فورا بالقيادة العامة للقوات المسلحة؛ لتأخذ مسئولية تأمين المحور الرئيسى إلى القاهرة من تقاطع طريق الإسماعيلية من القصاصين / « أبو سلطان» بوحدات من الجيش الثالث؛ لأن الموقف فى منطقة «أبو سلطان» أصبح خطيرًا بعد فشل اللواء المدرع فى تنفيذ مهمته، وحدثت به خسائر كبيرة ونجاح دبابات العدو تحت مظلة جوية فى التسلل غربًا».

واستجابت القيادة العامة لهذا المطلب، وتم دفع لواء مدرع وعناصر من قيادة الفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل إلى المنطقة؛ لإيقاف تقدم العدو غربا، ونجحت الخطة والحمد لله . "

حتى الساعة ١٥٠٠ تجمعت لدينا معلومات متفرقة عن نشاط العدو غرب القناة تتلخص فى أنه تتواجد للعدو ٨ دبابات على طريق القناة جنوب ميناء «أبو سلطان» و٥ دبابات تتجه نحو قاعدة الصواريخ خلف مطار فايد، وقد اتخذت إجراءات تأمين الجانب الأيسر للجيش، وقام لواء الصاعقة الفلسطينى بتعزيز دفاعه على طريق الساحل، وكذلك فعلت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى التى كانت قد أتمت احتلال أماكنها المحددة مع أول ضوء، وقمت بدفع فصيلة صاعقة فى المنطقة بين محجر فايد وفنارة؛ للعمل كأطقم اقتناص دبابات؛ لتدمير دبابات العدو التى قد تتسرب فى اتجاه كبريت .

الساعة ١٥٥٠ أفادت القيادة العامة بأن بعض دبابات للعدو وصلت إلى مطار فايد وتقوم بمهاجمته وبوصول هذه المعلومات دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة للعمل فى كمائن فى اتجاه فايد، بغرض تأمين الجانب الأيسر للجيش، كما قمت بتدعيم الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى بضابط ملاحظة مدفعية من مجموعة مدفعية الجيش .

مع توالى البلاغات عن نشاط العدو فى منطقة فايد الملاصقة للحد الأيسر للجيش قررت الساعة ١٦٤٠ عودة بقايا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من رأس الكوبرى؛ لتتمركز بمنطقة كم ٨٥ طريق السويس

بمهمة نجدة الأهداف الحيوية فى حدود منطقة تمركزها وتأمين هذا التقاطع الحيوى فى عمق الجيش، وحتى يمكننى تحرير اللواء ٢ المدرع لمواجهة العدو الذى أصبح واضحًا أنه على وشك الدخول إلى نطاق الجيش، رغم أن العميد عبد العزيز قابيل أفاد الساعة ١٦٤٥ من مكانه فى منطقة عثمان أحمد عثمان أن الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى تتمركز أمامه على الوصلة ومسيطرة على الموقف، ولم أفهم أى موقف هذا التى تسيطر عليه الفرقة بعد أن وصل العدو إلى فايد ومطار فايد، وبعد أن أفاد الجيش الثانى الساعة ١٧٥٢ بتقدم دبابتين للعدو جنوبًا فى اتجاه نادى ضباط فايد على ساحل البحيرات المرة.

ولأهمية تماسك حائط الصواريخ المضادة للطائرات فى قطاع الجيش حتى لا تنفرد الطائرات الإسرائيلية بسماء المعركة أمرت بتخصيص ٢ مدفع ١٠٠ مم و ٢ رشاش مضاد للطائرات للدفاع الأرضى عن كل موقع كتيبة صواريخ دفاع جوى علاوة على قوة هذه الكتائب من الأفراد والأسلحة الشخصية.

وبناء على المعلومات المتجمعة بقيادة الجيش خلال هذا اليوم من مختلف المصادر فقد وضح موقف العدو بأنه له قوات غرب القناة فى نطاق الجيش الثانى تصل قوتها حتى ٢ كتيبة دبابات مدعمة تعمل متفرقة فى مجموعات صغيرة تنظم كمائن على تقاطعات الطرق، وتحاول الاستيلاء على كل من مطار فايد والدفرسوار وتدمير قواعد صواريخ الدفاع الجوى، كما وضح أنه يقوم بتعزيز قواته فى ثغرة الاختراق، ويقوم بتدعيم قواته غرب القناة حيث تبين أنه دفع بعناصر صواريخ هوك المضادة للطائرات على الضفة الشرقية للقناة مباشرة مما مكنه من تقييد حرية عمل قواتنا الجوية غرب القناة.

أحداث يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣:

بدأ الفريق الشاذلى فى تنفيذ خطة استخدام القوات الخاصة فى قطاع الجيش الثانى الميدانى، فقام بناءً على أوامر وزير الحربية بدفع مجموعة عمليات خاصة بقيادة العقيد إبراهيم الرفاعى لكنها لم تحقق النجاح المطلوب، واستشهد قائدها أحد أبطال حرب ١٩٦٧.

ثم قام الساعة ٢٢٣٠ من ١٩ أكتوبر بدفع المجموعة ١٣٩ صاعقة احتياطى القيادة

العامة للعمل فى الاتجاه جنوبًا حتى البحيرات المرة بناءً على أوامر الفريق أول أحمد إسماعيل ولكنها وقعت أثناء تحركها فى كمائن للعدو، ومنيت بخسائر كبيرة.

وانتهى هذا اليوم بتكبد العدو خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات، وفى الوقت نفسه انتهى هذا اليوم أيضًا بالفشل فى تدمير العدو فى الثغرة أو إيقاف توغله غرب القناة، وازدادت خسائر احتياطيات القيادة العامة وتورطها فى القتال فى قطاع الجيش الثانى شمال الثغرة، وليس فى مواجهتها أو جنوبها.

أما فى نطاق الجيش الثالث فقد سارت الأحداث كالآتى:

على محور ساحل البحيرات - طريق المعاهدة:

الساعة ٠٠١٥ رصدت عناصر الاستطلاع اللاسلكى استمرار عبور وحدات فرعية للعدو فى منطقة الدفرسوار إلى غرب القناة.

الساعة ٠٠٣٠ أتم اللواء ١٠٩ «مهندسين عسكريين» رص حقل الألغام على الحد الأيسر فى منطقة محجر فايد من البحيرة حتى السلسلة الجبلية، كما تم رص الأسبقية الأولى على شاطئ البحيرات، وبدأ فى رص الأسبقية الثانية.

الساعة ٠١٠٠ أفادت معلومات استطلاع بأن قوة العدو غرب القناة تقدر بحوالى ٢ كتيبة دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكى فى منطقة الدفرسوار، وأن العدو يقوم بالهجوم على رأس شاطئ الجيش الثانى بقوة لواء مدرع ولواء ميكانيكى وجارى دفع لواء مدرع من العمق فى اتجاه القناة، يحتمل استخدامه فى تعزيز رأس الشاطئ غرب القناة.

الساعة ٠٢٢٥ أفادت القيادة العامة بعبور دبابات ومشاة للعدو من شمال فايد تسترها المدفعية والصواريخ.

الساعة ٠٢٣٢ أفادت معلومات قائد اللواء الكويتى وقائد محطة فايد وقائد محطة جنيفه بعدم وجود عدو فى منطقة عمل كل منهم، ولكن أفاد قائد اللواء الفلسطينى بسماع أصوات جنازير على الضفة الشرقية للبحيرة المرة وفى المنتصف تتجه شمالاً.

الساعة ٠٢٣٠ بعد تأكيد المعلومات من عدة مصادر بعدم وجود عدو داخل نطاق الجيش أصدرت أوامرى برفع درجة استعداد الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، بالإضافة إلى اللواء ٢ مدرع والتركيز على الجانب الأيسر للجيش.

الساعة ٠٥٠٠ ورد تقرير من إدارة المخابرات بأن العدو قد تمكن من دفع قوات غرب الدفرسوار، تقدر بحوالى ١٠٠ -١١٠ دبابة وعناصر مشاة ميكانيكى وأسلحة مضادة للدبابات وهاونات.

الساعة ٨٠٥ أبلغ رئيس هيئة العمليات رئيس أركان الجيش، بأن هناك ٢٠ دبابة تهاجم مطار فايد، وأن العدو الذى اخترق اليوم السابق بسيط، وطمأنه على الجانب الأيسر للجيش، حيث إن اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى يعيد تنظيمه، وسيقوم بالاختراق اليوم.

الساعة ٠٨١٥ أمرت بتشكيل لجنة برئاسة رئيس أركان الجيش وعضوية رئيس المهندسين العسكريين ورئيس الاستطلاع وضابط من شعبة عمليات الجيش الثالث، وكلفتها بمهمة تنظيم الدفاع عن الحد الأيسر للجيش، ونسف مطار كبريت، وتنظيم الدفاع فى نقطة كبريت وفى مطار كبريت، وبحث موقف اللواء ٢٥ مدرع، وتوجهت اللجنة، وقامت بتنفيذ المهام المكلفة بها، وكان من ضمن قراراتها إنشاء حقول ألغام على الجانب الأيسر فى المنطقة كم ٥٠ / ٣٩ طريق المعاهدة كما نظمت أوضاع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى؛ لتحتل بقوة كتيبة عدا سرية فى المنطقة ٢٠٠ م شمال مدينة الضباط فى مواجهة الشمال، وتدفع السرية الباقية شمالاً لمسافة ١,٥ كم لحراسة حقل الألغام، كما أمرت بعد تنظيم دفاع نقطة كبريت بانضمام ٣ دبابات ٧٦م و١٠ مركبات برمائية إلى قوة دفاع مطار كبريت.

الساعة ٠٨٣٥ أفاد قائد اللواء الفلسطينى بأن العدو دمر سرية كويتية بواسطة ٣٠ دبابة، وتتقدم هذه الدبابات الآن جنوبًا، وقد تنبه عليه باليقظة خاصة على جانبه الأيسر.

الساعة ٠٨٤٠ دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة إلى منطقة فايد لعمل كمائن لتدمير دبابات العدو، وتمكنت من تدمير ٣ دبابات معادية.

الساعة ٠٩١٥ أفاد قائد اللواء الفلسطينى بارتداد الأفراد الكويتيين للخلف.

الساعة ١٦٠٠ وصلت القوات الكويتية المرتدة من مواقعها فى الجيش الثانى

غرب البحيرات أمام الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، ولم يمكن الاستفادة من إمكانياتها.

الساعة ١٧٠٠ أتمت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تنظيم واحتلال مواقعها بمنطقة فنارة.

الساعة ١٧١٠ أفادت إدارة المخابرات بأن العدو تمكن من الاستيلاء على قاعدة فى مطار الدفرسوار وميناء «أبو سلطان» حتى علامة كم ٩٦ طريق القناة، ويقوم بتدعيم دفاعاته فى هذه المنطقة وتأمين معابر شمال البحيرات، وينطلق العدو من هذه القاعدة بمجموعات من الدبابات بقوة ١-٢ سرية دبابات للعمل فى المؤخرة؛ لتدمير كتائب الصواريخ وقطع خطوط الإمداد.

كما أفادت أن العدو قد دفع الساعة ١٠٠٠ قوة من ٥٠ - ٦٠ دبابة فى مجموعات إلى الشمال فى اتجاه نفيشه وإلى الغرب من منطقة تقاطع طرق سرابيوم، وأنه فى الساعة ٠٩٤٥ تحركت قوة أخرى ٣٦ دبابة من تقاطع طريق «أبو سلطان» غربًا، وأن العدو قام الساعة ١٠٢٥ بتدمير كتيبة صواريخ دفاع جوى بالمنطقة بقوة ٤٠ دبابة.

الساعة ٢١١٥ تم تقديم المعاونة بالنيران من مدفعية الجيش الثالث إلى الجيش الثانى بالضرب على منطقة الدفرسوار، لمحاولة تدمير العدو، وإيقاف تدفق قواته غربًا.

وردت معلومات استطلاع برصد تحركات كبيرة على طريق العريش فى اتجاه بير العبد الساعة ٠٧٠٠ ومعدات عبور محملة على جرارات كانت تتحرك على المحور الأوسط الساعة ١٦٠٠ فى اتجاه الغرب، وأن العدو سيواصل تعزيز النجاح الذى حققه غرب القناة.

الساعة ٠٢٠٠ وصلت الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى إلى منطقة كم ٨٥ طريق السويس، وتم تمركزها ودفعت سرية مشاة ميكانيكى منها؛ لاحتلال وتأمين مضيق وادى حجول.

ومع متابعتى لهذه البيانات المتضاربة من قيادة الجيش الثانى وإدارة المخابرات والقيادة العامة، ومقارنتها بالبيانات المدققة التى كنت أجمعها بواسطة عناصر استطلاع الجيش وقادة الوحدات التى على الجانب الأيسر للجيش، أيقنت بأن

العمليات الإسرائيلية فى الأيام القادمة ستكون فى اتجاه الجيش الثالث، وتمنيت لو أن هناك صورة جوية واحدة تؤكد أوضاع العدو على الأرض، حتى أستطيع أن أضع التخطيط المناسب للمواجهة الحاسمة مع العدو غرب قناة السويس.

الساعة ٠٢٥٧ طلبت القيادة العامة رفع درجة استعداد اللواء ٢ مدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٤، وكنت قد رفعت درجة استعدادهما من قبل.

الأحداث على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ٠٥٠٠ تم انضمام كتيبة مدفعية من اللواء ٤٥ مدفعية من شرق القناة إلى اللواء ٦ ميكانيكى كدعم للواء.

الساعة ٠٧٠٠ أبلغ قائد محطة فايد بأن العدو يهاجم مطار فايد بقوة حوالى ٢٠ دبابة.

الساعة ١٠٠٠ قام العدو باستطلاع جوى فى منطقة الجيش.

الساعة ١٠٠٥ أفادت إدارة المخابرات بأن العدو قصد بأعمال وحداته المدرعة غرب القناة تصفية موقف وسائل الدفاع الجوى والإنذار الجوى فى منطقة فايد وجنوبًا حتى غرب طوسون؛ لتهيئة أنسب الظروف؛ لتنفيذ عملية إبرار وإسقاط جوى، وكذا الحصول على السيطرة الجوية لمعاونة قواته البرية، كما تستغل هذه الأعمال لإرباك القيادة وتشتيت واستهلاك الاحتياطيات، كما يواصل العدو هجومه المضاد على جانب الفرقة ١٦ هادفًا تدمير رأس الكوبرى والقوات لعبور قواته المدرعة والاتصال بقوات الإبرار المنتظر إبرارها فى المنطقة جنوب غرب الإسماعيلية.

الساعة ١٠٤٠ أبلغ رئيس أركان الفرقة ٤ مدرعة أن العدو قد احتل مطار فايد بقوة حوالى ٤٠ دبابة، ويقوم بمهاجمة قواعد الصواريخ ٧٠، ٥٩ فى نطاق الجيش الثانى بقوة ١ - ٢ فصيلة دبابات على كل قاعدة، كما أنه يقوم بتحريك دبابات له غربًا فى اتجاه تقاطع عثمان أحمد عثمان على مدق فايد، وقد أكدت هيئة العمليات صحة هذه المعلومات فيما بعد.

الساعة ١١٠٥ قررت القيادة العامة سحب اللواء ١١٣ ميكانيكى من بير عديب ودفعه؛ لاحتلال النطاق الثانى للجيش الثالث، وأنه سيدفع لواء مشاة مغربى بدلاً منه للاحتلال فى القطاع، وأمرت قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بالتنفيذ فورًا.

الساعة ١١٤٠ أفاد رئيس أركان الفرقة ٤ مدرعة بقيام العدو بتوجيه دباباته المتقدمة غربًا على مدق فايد للهجوم على منطقة أم كثيب والجربه بقوة حوالى «٢» سريتى دبابات ودفع جزء من دباباته إلى منطقة ميدان الرماية، وقامت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ مدرع بالتصدى للهجوم.

الساعة ١١٤٥ أصبح واضحًا نية العدو فى الاندفاع إلى عمق الجيش الثالث بعد أن أحس بصعوبة الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية المحاطة بالقنوات المائية من جهة وبقوات من المشاة والمظلات والصاعقة من جهة أخرى، وكان لابد لى من الاحتفاظ باحتياطى قوى فى المنطقة الخلفية للجيش لمواجهة العدو، فطلبت من القيادة العامة عودة قائد الفرقة ٤ مدرعة والقوات التى معه إلى الجيش؛ لعدم وجود احتياطى فى يدى، ولم ترد القيادة العامة.

الساعة ١٢٢٥ كان العدو يهاجم الكتيبة ٢٠٨ من اللواء ٢ مدرع بقوة ١٥ دبابة مدعمة بصواريخ مضادة للدبابات، وقام بقصف قسم القاعدة المتقدم للجيش.

الساعة ١٢٣٠ أصدرت قرارى بصد وتدمير العدو، ومنعه من الانتشار فى منطقة وادى «أبو طلح» كالآتى :

* كتيبة دبابات من اللواء ٢ مدرع تدمر العدو فى ميدان الرماية، وتستمر فى الهجوم فى اتجاه وادى «أبو طلح»، لمقابلة العدو المتبقى والمتجه جنوبًا على المدق.

* كتيبة دبابات من اللواء ٢ مدرع تتقدم فى اتجاه جنوب قسم القاعدة المتقدم رقم ٢ إلى تقاطع طريق ١٢ مع وادى «أبو طلح» وتدمر العدو المتقدم بمهاجمة من الجانب.

* كتيبة دبابات مدعمة من اللواء ٦ ميكانيكى تتقدم غربًا على طريق ١٢ ، وتفتح فى خط صد من جنوب جبل غره إلى الطبقة الزلطيه مواجهة الشمال الغربى لمنع العدو من الانتشار شرقًا للجنوب، وتدمير أى عدو متقدم من هذا الاتجاه.

الساعة ١٢٤٠ قررت تجميع الفرقة ٤ المدرعة كاحتياطى للجيش كالآتى :

* القوة الباقية من اللواء ٢ مدرع بعد انتهاء قتالها مع العدو فى أم كثيب وميدان الرماية تبقى فى محلها.

* اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة يسحب من رأس الكوبرى، وينضم مؤقتًا إلى منطقة

الموقع المتوسط، ثم يتوجه إلى مكانه الأصلى فى منطقة تجميع الفرقة ٤ مدرعة على النطاق الثانى للجيش الثالث.

* اللواء ٦ ميكانيكى عدا الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى يحتل النطاق الثانى للجيش شمال عويبد.

وقد كان موقف قوات الجيش غرب القناة فى هذا الوقت، وكما أخطرت رئيس هيئة العمليات كالآتى:

* الكتيبة ٢٠٧، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع تصد هجومًا للعدو بقوة حوالى ٤٠ دبابة في منطقة أم كثيب وتتواجد منها «٢» سريتى دبابات للدفاع غرب المعابر.

* اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة، دبابات جارى عبوره غربًا والكتيبة الباقية تتمركز فى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة بعد دفع اللواء ٢٥ مدرع شمالاً.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى عدا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى والكتيبة ٢١١ دبابات فى منطقة الموقع المتوسط.

* الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تحتل خط صد فى منطقة فناره.

* الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تحتل خط صد عند تقاطع طريق ٣ مع طريق الجيش.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى تؤمن منطقة كم ٨٥ طريق السويس ومضيق حجول.

* اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى جارى تحركه من بير عديب فى اتجاه النطاق الدفاعى الثانى.

* لواء الصاعقة الفلسطينى في مواقعه الدفاعية بمنطقة كسفريت وجنيفه.

* الفوج ١ حرس حدود يحتل مواقعه فى بير عديب.

* بقايا الكتيبة ٦٠٢ مشاة ميكانيكى من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى فى مطار كبريت.

وقد دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة؛ لتدمير دبابات العدو فى منطقة جبل الشهابى بعد التنسيق مع الفرقة ٤ المدرعة.

الساعة ١٢٥٠ بدأ سحب اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى من منطقة بير عديب والتحرك فى اتجاه النطاق الثانى للجيش، وفى ذلك التوقيت أفادت قيادة الفرقة ٤ بأن الكتيبة ٢٠٨ دبابات تقابل دبابات للعدو، وفى مواجهتها، ويرتد جزء منه فى اتجاه الشمال الشرقى، الكتيبة ٢٠٧ دبابات تقاتل ١٠ دبابات للعدو فى منطقة ميدان السواقة.

الساعة ١٣٠٠ بدأ تحرك الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى اتجاه خط الصد المحدد لها، وفى الوقت نفسه دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة إلى قسم القاعدة المتقدم رقم ٢ للمعاونة فى تأمينه، وقد تبين عدم وجود عدو بالقسم.

حتى الساعة ١٤٣٠ تجمعت المعلومات عن العدو كالآتى:

* بقوة ٣٠ دبابة بالمنطقة ٥ كم غرب مطار فايد كبلاغ عناصر استطلاع فى الجوزه الحمراء.

* بقوة حوالى سرية دبابات فى جبل الشهابى كبلاغ الدفاع الجوى، وتم التعامل معها بالمدفعية.

* بقوة ٢١ دبابة شمال شرق أم كشيب، منهم ١٤ دبابة تتخذ الدفاع الدائرى، بينما تتحرك ٧ دبابات فى اتجاه الغرب.

* كما أفادت الفرقة ٤ مدرعة أن الكتيبة ٢٠٧ من اللواء ٢ مدرع تحاول بقوة «٢» سريتى دبابات قفل الخط من ميدان الرماية حتى جنوب ميدان السواقة، وأنه تم دفع داريات فى اتجاه ميدان السواقة؛ لاستطلاع العدو به.

الساعة ١٤٢٨ تقررت الآتى:

* الكتيبة ٢٠٧ دبابات عدا سرية من اللواء ٢ مدرع تدمر العدو أمامها، وتتقدم إلى منطقة تجميع شمال غرب قسم القاعدة المتقدم رقم ٢، وتستعد للعمل ضد قوات العدو من الاتجاهات وادى «أبو طلح» أم كشيب.

* سرية من الكتيبة ٢٠٧ دبابات تتقدم من ميدان السواقة، وتحتل حفر الكبارى

وتعمل كاحتياطى الكتيبة ٢٠٧ دبابات، وعلى استعداد للعمل فى اتجاه قسم القاعدة المتقدم - وادى «أبو طلح» - تقاطع طرق قيادة الجيش مع طريق ١٢ .

* الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تتقدم على طريق ١٢ إلى منطقة تجمع، وتتخذ أوضاع دفاعية فى منطقة تقاطع طرق قيادة الجيش مع طريق ١٢، وتكون على استعداد لنجدة قواعد الصواريخ فى جبل غره أو فى اتجاه وادى «أبو طلح».

* الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع تستمر فى تدمير العدو أمامها، وتقضى عليه بسرعة، ثم تؤمن مدخل وادى «أبو طلح» - أم كثيب مواجهه الشمال والشمال الشرقى .

* تكون جميع الوحدات الفرعية فى أماكنها بعد تنفيذ مهامها جاهزة لتنفيذ أى مهام تطلب منها .

الساعة ١٤٣٠ كانت الكتيبة ٢٠٧ من اللواء ٢ مدرع تحاول بقوة «٢» سريتى دبابات قفل خط ميدان الرماية حتى جنوب ميدان السواقة، وأنه تم دفع دوريات فى اتجاه ميدان السواقة؛ لاستطلاع العدو به .

الساعة ١٥٠٨ أبلغت الفرقة ٤ بوجود ٨ دبابات وعربه للعدو فى جبل أم كثيب ويقوم بإمدادهم بالهليكوبتر، وأمرت بضربهم بالمدفعية وتدميرهم قبل آخر ضوء بمجموعات اقتناص دبابات تلتف من حول جبل الجربه إلى مؤخرة العدو فى جبل أم كثيب .

الساعة ١٥٣٠ وصلت الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى إلى خط الصد، وقامت باحتلاله .

الساعة ١٦٣٧ بدأ عبور اللواء ٣ مدرع غربًا؛ لإعادة التجميع غرب القناة .

الساعة ١٦٤٢ دعم العدو هجومه على أم كثيب، وأصبح إجمالى قواته حوالى كتيبة دبابات، واستمرت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ مدرع فى التصدى لقوات العدو، ولم يتمكن من الاختراق جنوبًا .

الساعة ١٨١٢ أفاد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة بأن العدو يجمع قواته شمال وشمال غرب مطار فايد، وأن هناك تجمع دبابات له فى المنطقة ٢ كم غرب الجوزه الحمراء .

الساعة ١٩٠٠ أصدرت القيادة العامة تعليمات عمليات بتجميع الفرقة ٤ المدرعة للعمل كاحتياطى للقيادة العامة كالآتى :

الفرقة عدا اللواء ٣ مدرع واللواء ٦ ميكانيكى فى منطقة عثمان أحمد عثمان -

اللواء ٦ ميكانيكى يتمركز بمنطقة اللواء ٢ مدرع ـ اللواء ٣ مدرع يتمركز بمنطقته الأصلية، على أن ينتهى إعادة التجميع قبل الساعة ٠٣٠٠، وتتولى الفرقة ٤ مدرعة مع احتياطى القيادة العامة مسئولية تأمين مؤخرة الجيش الثانى والثالث، ومنع تقدم قوات العدو غربًا، ويتمركز اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ ميكانيكى طبقًا لقرارى ويتم حصر وتدمير قوات العدو غرب القناة.

الساعة ٢١٢٥ رصد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة عدد ٢٤ دبابة سنتوريان فى الميول الجنوبية لجبل الشهابى، عربة مدرعة، و«١» دبابة سنتوريان و«٢» عربتى جيب وعربة نصف جنزير فى الميول الغربية، وكذا تحرك ١٧ دبابة سنتوريان و٧ دبابات باتون من جبل القط إلى جنوب جبل الشهابى و«٢» طائرتان هليكوبتر فى اتجاه قلعة أم قمر.

الساعة ٢٣٠٧ كان إجمالى قوة العدو فى منطقة جبل الشهابى طبقًا لمعلومات نقطة ملاحظة بالجبل ٣٩ دبابة سنتوريان وباتون و٤ عربة نصف جنزير مركب عليها هاونات.

وبنهاية هذا اليوم صحت توقعاتى بأن العدو قصد تثبيت الجيش الثالث أولاً لحين تنفيذ مخططه لاختراق الجيش الثانى، وبعد نجاحه فى اختراق الجيش الثانى بدأ فى تثبيته؛ لكى يبدأ فى التحول للهجوم على قوات غرب القناة للجيش الثالث، وقد ذكر اللواء حسن البدرى ـ رحمه الله ـ فى أثناء إحدى الندوات عن حرب أكتوبر، أن أحد كبار القادة الإسرائيليين قد ذكر فى مذكراته أن توقعات قائد الجيش الثالث كانت صحيحة، ولكن القيادة العامة المصرية لم تستمع إليه، وفى الوقت نفسه، ونتيجة لعدم التصور الصحيح لحجم العمل الإسرائيلى من ناحية، ومن ناحية أخرى التركيز فى الدفاع عن مدينة الإسماعيلية وطريق القاهرة ـ الإسماعيلية الصحراوى، كانت النتيجة هى استنفاذ القوات والاحتياطيات شمال الثغرة، وانتهى الموقف بانفتاح الطريق جنوبًا فى اتجاه مدينة السويس، وأصبح على الجيش الثالث بدء مرحلة صعبة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ لمواجهة منفردة مع القوات الإسرائيلية الناجحة والمتفوقة التى تتمتع بالسيطرة الجوية على سماء المعركة، وفى غياب كامل لأى معاونة من الجيش الثانى أو احتياطيات القيادة العامة والقوات الجوية، والأمر الوحيد الذى كان مطمئنًا هو موقف قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، التى كانت تقاتل بثبات وثقة، خاصة بعد أن تم إمدادها مبكرًا بالاحتياجات الإدارية والذخائر التى أعانتها على مواجهة المرحلة التالية.

* * *

القسم الثانى
القتال غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث

تعتبر المرحلة الثانية لقتال العدو غرب القناة، هى مرحلة القتال داخل نطاق مسئولية الجيش الثالث ضد قوات العدو المتقدمة من اتجاه الجيش الثانى على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة والمحور الساحلى على شاطئ البحيرات المرة وطريق المعاهدة، وقد بدأت منذ اشتباك عناصر الجيش، ضد العدو على الجانب الأيسر للجيش ،وانتهت بصدور قرار إيقاف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٨).

أحداث يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى نطاق الجيش الثانى وداخل الثغرة غرب القناة أصبح للعدو حوالى فرقة مدرعة تمكنت من السيطرة على المنطقة من شمال البحيرات المرة حتى جنوب الإسماعيلية، كما تمكنت من تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات والاستيلاء على مطارى فايد والدفرسوار، ومع صباح هذا اليوم حاول العدو تطويق الجيش الثانى والوصول إلى مدينة الإسماعيلية على محورين :

* الطريق الصحراوى إلى الإسماعيلية من اتجاه نفيشه.

* المدق الترابى من عين غصين إلى معسكر الجلاء بالإسماعيلية.

كما حاول العدو الوصول إلى وصلة «أبو صوير» - «أبو سلطان»، ونجح فى الضغط على اللواء ١٥٠ مظلات واضطره للارتداد عن مصاطب طوسون وحنيدق إلى منطقة جبل مريم وتمسك بها اللواء، وفى الوقت نفسه اقتربت قوات العدو من

الكوبرى العلوى جنوب غرب الإسماعيلية ووادى العشرة غرب مطار فايد وطريق الإسماعيلية - القاهرة الصحراوى ومدينة فايد.

وازدادت خسائر الجيش الثانى، خاصة الفرقتين ١٦ مشاة و٢١ المدرعة واللواءات ١١٦ مشاة ميكانيكى و٢٣ المدرع، وبالتالى ازداد ارتداد القوات عن الخطوط التى تتمسك بها، وبقيت المجموعة ١٢٩ صاعقة بقيادة العقيد هيكل تقاتل ببسالة، وتتحمل الخسائر الكبيرة، وتكبد العدو الخسائر المتتالية.

وإزاء هذا الموقف المتردى عاد الفريق الشاذلى إلى القاهرة الساعة ١٣٠٠؛ لعرض الموقف على القيادة العامة للقوات المسلحة، والقيادة السياسية؛ لاتخاذ القرار المناسب، وبعودة اللواء عبد المنعم خليل قائدًا للجيش الثانى حاول إصلاح الموقف فقام بعدة إجراءات، واتخذ عدة قرارات كما يلى :

* قامت المجموعة ١٣٩ صاعقة بتنظيم كمائن فى المنطقة جنوب الترعة الحلوة بالإسماعيلية حتى غرب جبل مريم، وداخل المزروعات والمبانى شرق واحة المنايف لتدمير أى دبابات للعدو، وتتقدم تجاه الإسماعيلية سواء على المدقات أو بحذاء السكة الحديد أو على الطريق الإسفلت.

* قامت المجموعة ١٢٩ بتنظيم الكمائن من غرب واحة المنايف حتى جنوب «أبو صوير».

* قامت المدفعية والاحتياطى المضاد للدبابات والدبابات بتنظيم خطة نيران لمعاونة اللواء ١١٨ مشاة فى التمسك بمواقعه جنوب وغرب الإسماعيلية.

* كلفت كتيبة مظلات باحتلال وتأمين منطقة النصب التذكارى فى جبل مريم.

* صدرت الأوامر للفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرعة بالتمسك بمواقعهما شرق القناة ومنع العدو من تدمير رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، كما صدرت الأوامر لقوات الغرب بمنع العدو بأى ثمن من توسيع رأس الكوبرى أو الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية والوصول إلى طريق الإسماعيلية - القاهرة الصحراوى.

وتحت ستر ومعاونة القوات الجوية الإسرائيلية، حاول العدو التقدم فى اتجاه

الإسماعيلية، ونجحت القوات فى إيقاف تقدمه من اتجاه نفيشه، ثم حاول العدو التقدم على المدق جنوب معسكر الجلاء من اتجاه سرابيوم، وتم تدمير ٣ دبابات بواسطة مجموعة ١٣٩ صاعقة، واضطر للارتداد.

أما شرق القناة تمكنت قوات الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع من إيقاف تقدم العدو شمالاً، وتمكنت عناصر الفرقة ٢١ المدرعة من توجيه هجوم مضاد ناجح تمكنت خلاله من تدمير عدد ١٣ دبابة، وأسر عدد ١٢ من أفراد المدرعات الإسرائيليين.

ويقول اللواء عبد المنعم خليل فى كتابه (حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى ص ٢٢١ – ٢٢٢) :

« واطمأن قلبى كقائد جيش، وازدادت ثقتى فى قدرة قوات الجيش الثانى، وحمدت الله ـ سبحانه وتعالى ـ على النصر، وأخطرت الوزير بهذا الخبر السعيد».

وأرسل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة برقية شكر وتهنئة إلى قيادة الفرقة ٢١ مدرع والفرقة ١٦ مشاة هذا نصها :

إن البسالة والشجاعة التى تتسم بها أعمال الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع تعتبر المثل الذى تعتز به القوات المسلحة فى معركتنا المصرية. تهنئتى القلبية للقادة والضباط والجنود على هذا الصمود الرائع والروح القتالية العالية والنصر لكم بإذن الله ».

وفى الوقت نفسه توالت معلومات الاستطلاع المتدفقة كل ساعة عن استمرار تحرك الطوابير المدرعة من عمق سيناء وعلى طريق العريش إلى منطقة الثغرة وعبورها قناة السويس إلى الغرب من منطقة الدفرسوار على الجانب الأيمن للجيش الثانى، ثم تدفقها إلى الجنوب فى اتجاه الجيش الثالث.

وفى ظل تركيز القيادة العامة على إيقاف العدو فى الثغرة ومنعه من الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية والوصول إلى طريق الإسماعيلية القاهرة كان الجيش الثالث على وشك المواجهة مع «٢» فرقتين مدرعتين للعدو لم تتكبد نفس القدر من الخسائر التى تحملتها فرقة شارون أثناء إنشاء رأس الكوبرى، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش فى الغرب قد تم دفع جزء منها إلى الجيش الثانى، والجزء الباقى كان أضعف

بمراحل من أن يواجه هذا الحجم من العدو دون أى حماية جوية أو دفاع جوى، وكان هذا بالضبط ما نبهت إليه يوم ١٦ أكتوبر أثناء حديثى الذى استمر قرابة العشرين دقيقة مع الفريق أول أحمد إسماعيل، والذى حاولت خلاله أن أوضح أن اللواء ٢٥ مدرع سيدمر، فأصر على دفع اللواء، بل وبشرنى بأنه سيأخذ من الجيش الثالث اللواء ٢ المدرع، وربما الفرقة ٤ المدرعة كلها للعمل كاحتياطى للقيادة العامة، **وحتى بعد وضوح نية العدو فى التقدم جنوبًا، استمرت القيادة العامة على اعتقادها أن هدف العدو هو الوصول إلى طريق القاهرة ـ الإسماعيلية وهو ما سنراه فى الأيام التالية التى تركز فيها القتال فى نطاق الجيش الثالث دون أى معاونة من القيادة العامة، التى فيما يبدو قد اعتقدت أن المعركة غرب القناة قد انتهت بانتصار الجيش الثانى فى معركة الدفاع عن مدينة الإسماعيلية وطريق القاهرة.**

وفى نطاق الجيش الثالث الذى كان عليه أن يواجه الموقف بمفرده سارت أحداث يوم ٢٠ اكتوبر كما يلى:

*** على محور ساحل البحيرات ـ طريق المعاهدة:**

الساعة ٠٦٣٠ نفذ العدو طلعة استطلاع جوى على منطقة فناره - جنيفه.

الساعة ٠٨١٦ أبلغت عناصر الحرب الإلكترونية فى جبل جنيفة أن العدو يتقدم فى اتجاهها بدبابة و«٢» عربتي جيب، وصدرت الأوامر إلى هذه العناصر وعناصر الاستطلاع الإلكترونى بمحاولة الانسحاب ومعهم أجهزتهم، أو القيام بتدميرها عند اقتراب العدو من مكانهم، وتم انسحابهم ومعهم معداتهم.

الساعة ٠٨٠٠ قام العدو بتنفيذ غارة جوية على المنطقة غرب معسكر الحمراء.

الساعة ٠٨٣٠ أفادت نقطة ملاحظة الجوزه الحمراء بتقدم ٣٠ دبابة للعدو من جبل الجوزه الحمراء جنوبًا.

الساعة ٠٨٤٠ أفادت نقطة ملاحظة جبل شبراويت وجبل القط بوجود ١١٥ دبابة وعربة مدرعة للعدو فى المنطقة غرب جبل الجوزه الحمراء، وأخطرت القيادة العامة، وطلبت ضربهم بالطيران، وقررت سحب عناصر من الاحتياطى المضاد للدبابات للجيش رقم ٢ من رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة؛ لتدعيم القوات غرب القناة.

الساعة ٠٩٢٨ وبعد تقدير الموقف قررت سحب اللواء ١ ميكانيكى من رأس الكوبرى؛ ليحل محل اللواء ١١٣ ميكانيكى الذى كان يصد اختراق العدو من اتجاه جبل الجوزه الحمراء جنيفه حتى لا يتسرب إلى خلف رءوس الكبارى، ووافقت القيادة العامة على قرارى، وصدرت الأوامر لتنفيذه إلى قائد الفرقة ١٩ مشاة مع عدم إخلاء رأس مسلة، ولكن أفاد قائد الفرقة بعد ذلك أنه عند التنفيذ سحب قائد اللواء قوة رأس مسل،ة فأمرت بإعادة احتلالها.

الساعة ٠٩٣٠ ضم قائد الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى عدد ١١ فهد إلى موقعه، وكانت مرتدة من الجيش الثانى، وتم الاستعانة بها فى سد وادى الجاموس وعلى جبل جنيفة.

الساعة ٠٩٤٧ قامت ٧ دبابات للعدو بالضرب على وحدات الحرب الإلكترونية فى جبل جنيفة، وتم قصفهم بالمدفعية.

وفى هذا الوقت كان العدو قد أتم الاستيلاء على جبل جيفة، ودمر قاعدة الصواريخ بها، وقد صدت الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى محاولة للعدو قام بها بحوالى سرية دبابات؛ للتسرب شرقًا من وادى سد الجاموس، وخسر فيها العدو ٦ دبابات، وارتد الباقى.

الساعة ١٠١٠ أصدرت أوامرى بدفع الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع إلى جبل جنيفه؛ لتدمير دبابات العدو هناك، وتقرر إيقاف التحركات على طريق ١٢ .

الساعة ١٣٣٠ بدأ العدو فى تركيز هجماته الجوية على مواقع الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى فى فناره، وعلى فترات يتخللها قصف مدفعية بغلالات نيران زاحفة، وقد استمرت هذه الأعمال حتى الساعة ٢٠٠٠ من اليوم نفسه.

الساعة ١٤٣٠ وخلال القصف الجوى المركز بالمدفعية على الكتيبة ٢٥٦ من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ظهرت على الحافة الشرقية لجبل الجوزه الحمراء غرب منطقة عمل الكتيبة قوة للعدو حوالى سرية دبابات، ٤ أطقم صواريخ مضادة للدبابات، ٣ عربات مدرعة، وقامت بالضرب على الكتيبة من مسافة بعيدة، فتم إسكاتها بالدبابات باستخدام الذخيرة شديدة الانفجار، فارتد العدو.

في هذا التوقيت كان العدو يوجه هجومًا بقوة حوالى كتيبة دبابات مدعمة بمشاة ميكانيكى وصواريخ مضادة للدبابات، تعاونها المدفعية والطيران بالمواجهة على الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى فى اتجاه يسار الموقع الذى كانت تحتله فصيلة صاعقة، ويعاون هذا الهجوم محاولة للتسرب من وادى سد الجاموس شرقًا إلى عمق الكتيبة؛ لتخفيف المقاومة على المواجهة.

وقد عاود العدو الهجوم مرة أخرى من الاتجاه نفسه على المواجهة بعد فترة من القصف الجوى المركز والتمهيد بالمدفعية، وعاود الهجوم هذه المرة بنيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات من أعلا جبل الجوزه الحمراء، وتمكن العدو هذه المرة من فتح ثغرة فى حقل الألغام فى الجزء اليسار من الحد الأمامى، وفى الساعة ١٦٣٠ تمكنت «٢» دبابتان للعدو من التسرب فى الثغرة، واتخذت مواقع نيران فى أسفل جبل الجوزه الحمراء، وقامت بتوجيه نيرانها إلى عمق خط الصد وإلى السرية الأمامية من الجانب، وبقيت دبابة وعربة مدرعة خارج الحقل، وقد أمكن لطاقم اقتناص دبابات مكون من قائد سرية ميكانيكى وجندى من تدمير إحدى الدبابات الموجودة داخل الموقع والعربة المدرعة بالخارج، وانسحبت الدبابتان الأخريان شمالاً، وقد استمرت معاونة مدفعية الجيش طوال العملية بضرب غلالة نيران أمام الموقع حرمت العدو من النجاح، وارتد العدو فى اتجاه جبل شبراويت، وقامت الكتيبة بقفل الثغرة بالألغام.

الساعة ٢٢٠٠ وضعت اللواء الأول، الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع تحت قيادة الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وأمرت قائد الفرقة بأن يشكل مجموعة عمليات مسئولة عن القيادة والسيطرة على هذه القوات والمنطقة من حدود الجيش فى فنارة وجنوبًا، وقد عين رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ومعه مجموعة عمليات لهذا الغرض.

الساعة ٢٣٠٠ قام فرع إشارة الجيش بتوفير اتصال خطى بالكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، كما وصلت إليها ذخيرة دبابات وألغام، وانضمت إليها سرية صواريخ مضادة للدبابات من اللواء ١ ميكانيكى كنت قد قررت دعمها بها.

الساعة ٢٣٥٠ أبلغ ضابط عمليات الجيش الموجود مع اللواء الفلسطينى بأن قواتنا دمرت ٧ دبابات للعدو، وخسائرنا ٥ دبابات نتيجة لهجوم للعدو وبقوة ٣٠ دبابة من وادى سد الجاموس، وقد أمرته برص الألغام فى مدخل الوادى.

*** على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة :**

الساعة ٠٦٢٠ عاود العدو محاولة اختراق دفاعات الكتيبة ٢٠٧، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع من اتجاهى الشمالى والشمال الشرقى بقوة ١٢ دبابة وعربة صواريخ، ودمرت له ٤ دبابات.

الساعة ٠٧٣٠ أتم اللواء ٣ مدرع تمركزه بالجفره بمنطقة تمركز اللواء ٦ ميكانيكى ودفعت قيادة الجيش مجموعة عمليات إلى الموقع المتوسط؛ للإشراف على غيار اللواء ١١٣ من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى مكان اللواء ٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٤ مدرعة.

مع استمرار هجمات العدو على كتيبتى اللواء ٢ المدرع فى الوقت الذى يتمركز فيه جزء كبير من الفرقة ٤ المدرعة فى نطاق الجيش الثانى دون أن تقوم بأعمال قتال إيجابية، وبعد أن تبين لى أن العميد عبد العزيز قابيل مكلف بتنفيذ تعليمات القيادة العامة، كما قال لى، وأنه أصبح لايتبع الجيش الثالث، وإنما يتبع القيادة العامة وبالتالى لايتلقى أوامره منى، وإنما من القيادة العامة، وطلبت من اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات الساعة ٠٧٤٥ أن يأمر بنفسه قائد الفرقة ٤ المدرعة، ليتوجه إلى الفرقة أو يرسل مساعده؛ للاطلاع على الموقف والإشراف على قواته لوجود عدو أمام أم كثيب، وكان رده أن أمر بضم الكتيبة ٢٤٠ دبابة من اللواء ٣ مدرع إلى اللواء مع الفرقة.

الساعة ٠٧٥٥ أمرت بسحب الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع من رأس الكوبرى على أن تدفع الفرقة ١٩ مشاة كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع إلى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة بدلاً منها.

الساعة ٠٨٣٠ كانت قوة للعدو تقدر بسرية دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات تتقدم من اتجاه جبل غره وجبل جنيفة جنوبًا فى اتجاه طريق ١٢، فقمت بدفع الكتيبة ٢٤٧ دبابات من اللواء ١١٣ ميكانيكى مدعمة بسرية مشاة ميكانيكى

لصد العدو من خط شمال طريق ١٢ ، وتمكنت الكتيبة من إحداث خسائر ، وارتد العدو شمالاً ، إلا أنه حاول بالالتفاف على أجنابها معاودة التقدم ، وقد تمت المناورة على أجناب الكتيبة ، وتمكنت من إحداث خسائر بالعدو ٦ دبابات ، ٤ عربات صواريخ وخسرت الكتيبة ٣ دبابات ، واستمر الاشتباك حتى آخر ضوء ، وارتد العدو خلف بعض الهيئات فى جبل جنيفة ، بينما اتخذت باقى كتائب اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى محلاتها على الموقع المتوسط بعد غيار اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى مواجهة الشمال والشمال الغربى .

الساعة ٠٩٠٠ أكدت على الفرقة ٤ مدرعة ضرورة قفل وادى «أبو طلح» فى اتجاه قسم القاعدة المتقدم ، وكذا على اللواء ١١٣ ميكانيكى بالاهتمام بالجانب اليسار من اتجاه طريق ١٢ .

الساعة ٠٩١٥ كانت كتيبة دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تحتل فى خط شمال شرق قسم القاعدة المتقدم تصد بمعاونة المدفعية ٣٠ دبابة سنتوريان وشيرمان ، وقد ارتد العدو من مواجهتها فى اتجاه الشمال الشرقى ، بعد أن دمرنا له ٦ عربات صواريخ مضادة للدبابات .

الساعة ١٠٠٠ أمرت مساعدى بالتوجه إلى القيادة العامة ؛ لشرح موقف الجيش بناء على طلب القيادة العامة .

الساعة ١٠٣٥ أفاد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة أن ١٠ عربات صواريخ مضادة للدبابات و٣ دبابات للعدو تمكنت من الوصول إلى كم ٢٥/ ١٠٠ طريق ١٢ وتتقدم شرقًا ، كما توجد قوات أخرى له تتجه من جبل غره إلى اتجاه مدق ١١ ويقوم بضرب الأرتال المتحركة ، وكذا المنطقة الإدارية للفرقة ٧ مشاة .

الساعة ١٠٥٠ تمكن العدو بقوة سرية دبابات من الوصول إلى شرق وغرب جبل غره .

الساعة ١١٠٠ أبلغت هيئة العمليات بموقف العدو فى نطاق الجيش الثالث وكان كالآتى :

للعدو حوالى ٢٠ دبابة على جبل جنيفه ، وتمكن من تدمير قاعدة الصواريخ به ،

٧ دبابات على جبل غره ، ١٨ دبابة فى جبل أم كثيب ، ٢٠ دبابة فى وادى «أبو طلح» ، علاوة على تجمعات له خلف جبل شبراويت ، وهناك ٤٠ دبابة متقدمة من اتجاه فايد على ساحل البحيرة المرة ، كما ذكرت أن قوات الجيش تحاول صد العدو الذى يهاجم بإصرار ، وطلبت سحب اللواء ١ مشاة ميكانيكى من شرق القناة إلى الغرب .

الساعة ١١٣٠ قام العدو بقصف جوى بقوة ٨ فانتوم فى وادى أبو شكامه على الكتيبة ٢٠٧ دبابات .

الساعة ١٢٠٠ كان موقف القوات غرب القناة كالآتى :

اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة تم ضمه إلى الفرقة ٤ مدرعة وجارى سحب الكتيبة الباقية من رأس الكوبرى ، الكتيبة ٢٠٧ ، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع قائمة بتثبيت قوات العدو فى منطقة جبل أم كثيب وميدان السواقة ، الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تتمسك بالمدقات ١٣ ، ١٤ ، وقد دفعت عناصر الصاعقة لقفل المداخل المحتملة لتسرب العدو . المواجهة أصبحت واسعة على القوات المتيسرة إلى جانب أن العدو يواصل التسرب بقواته من منطقة الجيش الثانى ، وقد قامت مدفعية الجيش طوال ليلة ١٩ / ٢٠ بتقديم المعاونة للجيش الثانى بالضرب على معبر العدو الذى تمكن من إنشائه فى الدفرسوار ، وفى نفس الوقت كانت مناطق المعابر غرب القناة مؤمنه بقوة ١٧ دبابة ، ورغم كل هذا النشاط لقوات العدو من اتجاه الجيش الثانى إلا أن الموقف فى الجيش الثانى لم يكن معروفًا لدى الجيش إلا من عناصر استطلاع الجيش الثالث التى دفعت عند أول بادرة لحدوث اختراق للعدو إلى غرب القناة داخل حدود الجيش الثانى .

وقد أبلغت هذا الموقف وموقف العدو تفصيلاً إلى وزير الحربية ، وطلبت منه ضرورة وصول قائد الفرقة ٤ مدرعة المسئول عن المنطقة الخلفية للجيش ؛ للاطلاع على الموقف وقيامة بمسئولياته ، حيث دارت المحادثة الآتية فى الساعة ١٢٠٠ :

« الموقف عندى كالآتى : قائد الفرقة ٤ المدرعة رافض ينضم إلى الفرقة ، ويقول إنه تابع للقيادة العامة ، تم تجميع الفرقة ٤ المدرعة عدا كتيبة جارى سحبها من رأس

الكوبرى، العدو يحتل جبل جنيفه وجبل غره بعدد ١٠ دبابات فى كل جبل، وهناك ٢٠ دبابة فى أم كثيب، تقاطع طريق ١٢ مع الجفره تحتله ١٠ دبابات للعدو، وهناك رتل معاد متقدم من اتجاه الجيش الثانى فى اتجاه فايد قوته حوالى ٤٠ دبابة، علاوة على تجمعات دبابات ومركبات مدرعة خلف جبل الشهابى، بهذا الشكل أنا غير قادر على الصد؛ لعدم كفاية القوات، أنا سحبت اللواء ٣ المدرع عدا كتيبة جارى سحبها من رأس الكوبرى ودفعته إلى الفرقة ٤ المدرعة فى الجفره بقيادة رئيس أركان الفرقة، قوات الفرقة ٤ المدرعة ناجحة فى تثبيت العدو فى أم كثيب وميدان السواقة، كتيبة دبابات اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تقفل المدقات ١٣ و ١٤، توجد سرية دبابات للعدو على محور رقم ١٢، أنا حاليًا أسحب من رءوس الكبارى، إذا كان هناك أى دعم أرجو دفعه».

ووجدت الوزير يطمئننى ويطلب منى أن تتماسك القوات، فقلت له :

« كل الخوف يا سيادة الوزير أن يقطع العدو الطريق على رءوس الكبارى بقواته المتقدمة من الجيش الثانى، كل وحدات المدفعية مشتبكة، وطوال الليل تقوم بالضرب للجيش الثانى، إحنا نفذنا المناورة بالمدفعية والقوات لمواجهة الموقف، الساتر الترابى الغربى عليه ٢ «سرية» دبابات، ونحن نؤمن رأس الكوبرى، كل كلام سيادتك تم تنفيذه، الإشارة صريحة والفرقة الرابعة مجمعة كلها عدا كتيبة جارى تجميعها، لازم قابيل يحضر يشوف الموقف، كل الصاعقة اندفعت، كل الناس دفعت لقفل المسارب، المواجهة كبيرة جدًا، إحنا قعدنا الأيام السابقة والموقف فى الجيش الثانى غير معروف وهيئة العمليات لا تعطينا أى معلومات، والمعلومات التى كانت تصلنا خطأ، إحنا متماسكين جدًا وبنفكر تمام».

الساعة ١٢٠٧ أفادت الفرقة ٤ المدرعة بأن للعدو ٢٠ دبابة على الطبقة الزلطية وأن اللواء ٦ ميكانيكى عدا كتيبة يحتل النطاق الدفاعى الثانى بمنطقة طريق السويس ويتمسك بمواقعه بالمنطقة؛ لمنع العدو من التقدم إلى طريق عرضى الجيش أو الوصول إلى طريق السويس وقطعة.

الساعة ١٢١٥ أفاد اللواء ١١٣ ميكانيكى أنه يتمسك بتقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة، وأن كتيبة دبابات مدعمة لازالت قائمة بقتال العدو شرق جبل غره.

الساعة ١٣١٥ تمكنت كتيبة دبابات من اللواء ١١٣ ميكانيكى من تدمير «٢» دبابتين للعدو وبدأ العدو فى الارتداد، كذا بدأ العدو فى الارتداد من أمام الجربه فى اتجاه شمال شرق، وقامت الكتيبة ٢٠٨ بمطاردته، وقد حذرت من الوقوع فى مصيدة يدبرها العدو أثناء ارتداده، وفى الوقت نفسه طلب إلى قادة الفرق ٧ و١٩ مشاة تأمين المعابر من كلا ضفتى القناة.

الساعة ١٣٤٠ قمت بتحليل الموقف ووضوح إصرار العدو على قطع رأس الكوبرى وفصل القوات، ومع قلة القوات المتيسرة وإصرار القيادة العامة على سحب الفرقة ٤ مدرعة فى هذا الوقت وعدم إمكانية دفع قوات جديدة من الرئاسة العامة، وبعد أن تبين أن القيادة العامة يسيطر عليها فكرة أن العدو رغم وصوله إلى هذا الحد فى قطاع الجيش الثالث الميدانى لايزال ينوى الوصول إلى طريق القاهرة - الإسماعيلية لتهديد القاهرة، وبعد فشل كل المحاولات مع القيادة العامة، قررت دفع تعيينات ومياه ووقود للتشوين على الضفة الشرقية واستيعاض الذخيرة للقوات شرق القناة واستكمالها بنسبة ٢,٥ وحدة نارية لجميع الأعيرة مع استخدام أقصى طاقة للنقل، وتم إصدار الأوامر بالتنفيذ للعميد مصطفى عبد الجواد رئيس إمداد وتموين الجيش وقامت كتائب النقل بتنفيذ أكثر من ٢٦٠ نقلة باستخدام طريق السويس، وتم دفع ٧٠٠ زجاجة دم إلى مستشفى السويس الأميرى، وفى الساعة ١٣٤٥ قررت أن يتمركز اللواء ١ ميكانيكى عند عودته إلى غرب القناة كالآتى :

كتيبة مشاة ميكانيكى، كتيبة دبابات فى منطقة كم ١٠٩ - كتيبة ميكانيكى فى منطقة تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة - كتيبة ميكانيكى بمنطقة وصلة طريق الصواريخ مع طريق المعاهدة الإسماعيلية السويس بمهمة الاستعداد لضرب العدو وصد هجماته وتدميره على طريق ١٢، ويكون مستعداً للمناورة بقواته عند صدور الأمر بذلك؛ للانتقال على محور طريق السويس للدفاع عنه ومنع العدو من التقدم عليه لعدم تمكينه من الوصول إلى المعابر وتدميرها، وكلفت «٢» ضابطين من شعبة عمليات الجيش بالتوجه إلى المعابر؛ للإشراف على تمركز اللواء طبقًا للقرار.

الساعة ١٣٥٦ طلب قائد الفرقة ٤ المدرعة المتمركز فى تقاطع عثمان خارج نطاق المعارك الدائرة تجميع باقى دبابات الفرقة، وضمها إلى منطقة عثمان أحمد

عثمان، ولم أصدق ماسمعته، وبالطبع لم أصدق على مطلبه، فعاد وطلب نفس المطلب من القيادة العامة التى أمرت ببقاء الفرقة تحت قيادة الجيش حتى إعادة تجمعيها الساعة ٢٣٠٠ اليوم ٢٠ أكتوبر.

الساعة ١٤١٢ بدأ عبور اللواء ١ ميكانيكى بقيادة العقيد صلاح زكى من الشرق إلى الغرب، وتم تمركزه طبقًا للقرار وتلقين المهمة لرئيس أركان اللواء، وتم تمركز آخر وحدة فرعية للواء حوالى الساعة ١٠٠ ليلة ٢٠ / ٢١، وقد قررت أن تدفع كتيبة ميكانيكى وكتيبة دبابات لتأمين الطبقة الزلطيه ومنطقة كم ١٠٩؛ لمنع العدو من الاتجاه إلى طريق السويس.

الساعة ١٥٠٠ أمرت العميد المغربى رئيس أركان حرب الفرقة ٤ المدرعة بالاستيلاء على جبل الجربه وتدمير العدو الموجود داخل قطاع الفرقة، وقد أبلغنى بعدم وجود عدو فى جبل غره أو فى قسم القاعدة المتقدم، وأمرت بدفع أطقم اقتناص دبابات ليلا فى اتجاه جبل أم كثيب ووادى «أبو طلح» وطريقى ١٣ و ١٤؛ لتطهير المنطقة وتنشيط عناصر استطلاع واحتلال جبل غره بعناصر مشاة، وأن يتم تفتيش منطقة ميادين الرماية.

وعلى الرغم من كل الشواهد والمعلومات المتجمعة بالقيادة العامة عن العدو وأعمال قتال الجيش الثالث الدائرة على مقربة من طريق القاهرة السويس والمعابر وبعد تلك المحادثة التى ذكرتها بينى وبين وزير الحربية، فوجئت الساعة ١٥٣٥ باللواء الجمسى رئيس هيئة العمليات يتصل بى، ويطلب دفع القوات إلى قابيل فى منطقة عثمان أحمد عثمان، حيث إنه من المنتظر مهاجمته، ولم يكن الموقف ليسمح بتنفيذ ذلك، وبعد أن أوضحت هذا الموقف للقيادة العامة أفادت أن الفرقة تحت قيادة الجيش حتى ينتهى الموقف، وبناء على ذلك طلبت من قائد الفرقة ٤ المدرعة عرض قراره بالنسبة للموقف؛ للتصديق عليه مع عدم سحب قوات من عمق الجيش، إلا أنه لم يقم بالتنفيذ، وأصر على أنه مكلف بمهام من القيادة العامة.

الساعة ١٦٠٠ وصل اللواء ٦ ميكانيكى عدا كتيبة إلى منطقة الجفره، وبعد كل هذه المحادثات حول تبعية الفرقة ٤ المدرعة فى ذلك الوقت الحساس، فوجئت برئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة يستأذننى فى دفع اللواء ٤٥ مدفعية إلى مجموعة

قابيل كأوامر قائد الفرقة، ولم أصدق على دفع اللواء - وإن كان قد اتضح فيما بعد أن اللواء ٤٥ مدفعية كان قد تحرك فعلاً، وانضم إلى مجموعة قابيل الساعة ١٠٣٠ - وكلفت رئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة بمهمة منع اختراق العدو فى اتجاه طريق السويس القاهرة.

الساعة ١٦٢٠ مرة أخرى أصدرت أوامرى إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة بأن يدفع مساعده إلى الجفره؛ لدراسة الموقف مع رئيس أركان الفرقة، وأخطرته أن الفرقة لازالت ضمن تجميع الجيش وتحت قيادتى بأوامر القيادة العامة.

الساعة ١٦٣٥ وبعد تقدير الموقف وضعت الخطة؛ لإنهاء الموقف وتدمير العدو الموجود فى عمق الجيش الثالث، وإيقاف التسرب من الجيش الثانى فى حاله إمكان استخدام الفرقة ٤ المدرعة، بأن توجه ضربه مضادة بواسطة الفرقة ٤ المدرعة للعدو من الخلف مع تثبيته بباقى القوات من الأمام، ولكن فى ذلك الوقت كان قائد الفرقة ٤ مدرعة ومعه معظم قوات اللواء ٢ مدرع واللواء ٤٥ مدفعية ومعظم قيادة الفرقة فى منطقة عثمان أحمد عثمان، ويحتفظ باللواء ٣ مدرع عدا كتيبة كاحتياطى لقواته - يطلب ضم باقى دبابات الفرقة إليه، فى حين أن سحب أى دبابات من عمق الجيش كان سيؤدى حتما إلى تطويق الجيش بالكامل من الخلف.

الساعة ١٧٠٧ كانت توجيهات وزير الحربية التى تلقاها مساعدى بعد عرضه للموقف فى القيادة العامة والتى تعكس مدى سيطرة فكرة تدمير العدو فى الدفرسوار بعد فوات الأوان تتلخص فى الآتى :

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى واللواء ٢ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى يقومون بإتمام تدمير العدو فى مواجهتهم على أن يقوم كلٌ منهم بتطهير المنطقة حتى حد يسار الجيش.

* يتم تقسيم المنطقة إلى قطاعات كتائب تدفع أمامها مجموعات صغيرة من المشاة والدبابات والألغام، وتدفع نقط الملاحظة فى كل قطاع وتتجه الكتائب فى اتجاه الشمال؛ لتطهير المنطقة حتى حدود الجيش مع مراعاة تسجيل حقول الألغام التى يتم رصها.

* يخطط لاستخدام الصاعقة مركزيًا؛ لتدمير دبابات العدو.

* الفرقة ٤ المدرعة تدعم بكتيبة مدفعية صاروخية تقوم بضربة مضادة فى اتجاه الدفرسوار بعد حصر العدو بواسطة الجيشين الثانى والثالث.

* وحددت التوجيهات وقت تمام الاستعداد الساعة ٢٤٠٠.

الساعة ١٧٢٠ تم انضمام باقى عناصر اللواء ٢ مدرع عدا الكتيبة ٢٠٧ دبابات إلى منطقة عثمان أحمد عثمان، وفى الوقت نفسه أفاد الاستطلاع بتحرك رتل للعدو بقوة ٥٠ دبابة خلفهم عربات ٥,١ كم جنوب «أبو سلطان» فى اتجاه الجنوب.

الساعة ١٨١٥ بناء على توجيهات وزير الحربية اتخذت قرارى وخصصت المهام إلى قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى وقائد اللواء ١١٣ ميكانيكى وقائد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ورئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة؛ لتدمير العدو على الحد اليسار للجيش وتتلخص فى الآتى :

* اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى يقوم بتطهير منطقة جبل غره وطريق ١٣، ١٤ ويصل إلى جبل شبراويت، وينفذ هذه المهمة بتشكيل قواته فى مجموعات سرايا تعمل بأسلوب الكمائن.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى يقوم بتطهير المنطقة حد يمين جبل غره حد يسار القاعدة الإدارية فى الاتجاه العام لجبل القط، ويستولى عليه ثم يدفع مفرزة للاستيلاء على جبل الشهابى.

* اللواء ٢ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة يقوم بتدمير قوات العدو أمامه، ويستولى على جبل أم كثيب والأرض المرتفعة حوله.

* وقت تمام الاستعداد لتنفيذ المهمة الساعة ٢٤٠٠ اليوم.

الساعة ٢١٠٠ تم إرسال ضابط من شعبة العمليات إلى قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى بمنطقة كم ١٠٩ طريق السويس لتسليم وإيضاح مهمة اللواء له.

الساعة ٢١٣٠ صدرت توجيهات وزير الحربية للعمل ليلة ٢٠/ ٢١ أكتوبر ٧٣، تمهيداً للقيام بضربة مضادة فى المستقبل القريب، ونصت على أن يقوم الجيش الثانى والجيش الثالث بالأعمال التالية :

تحديد رأس كوبرى العدو فى الغرب وتضييقه فى اتجاه الجنوب والشمال والغرب، ومحاولة الضغط عليه؛ لينكمش فى أضيق نطاق، ويتم تقسيم المنطقة إلى قطاعات وقطاعات فرعية ووضع وحدات فرعية صغرى بها مواقع هندسية وألغام وأسلحة مضادة للدبابات.

الساعة ٢٣١٤ حضر قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى مركز القيادة المتقدم للجيش الثالث، وقمت بنفسى بتخصيص المهمة له وتعريفه موقف القوات المجاورة واعتباره مسئولاً عن تأمين الطبقة الزلطيه بقوة كتيبة مشاة مدعمة لمنع تسرب العدو وأمرته بالتنسيق مع قائد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى، ويكون باقى اللواء مستعداً لمقاومة أى إبرار معاد فى المنطقة ومنع تسلله، كما أمرته بعودة سرية المشاة الميكانيكى؛ لتحتل رأسَ مسلة.

وفى نهاية هذا اليوم كان قد تم صد العدو ومطاردته إلى خارج الجيش فى معارك صغرى كثيرة ومتفرقة ومستمرة، ورغم ذلك ورغم تركيز العدو الواضح على الجانب اليسار فى منطقة دفاع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى إلا أن هذا النشاط القتالى صحبته عمليات مناورة وإعادة تمركز لأربعة لواءات فى عمق الجيش، وتم تخصيص المهام للوحدات، وحددت الساعة ٢٤٠٠ لبدء التنفيذ طبقًا لتوجيهات وزير الحربية وقرارى، وكانت الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع قد دخلت فى معركة للعدو فى جبل جنيفة، ودعمت بكتيبة صواريخ مضادة للدبابات من الاحتياطى المضاد للدبابات للجيش رقم ٢، وذلك أثناء سحبها من رأس الكوبرى إلى الجفره، وكلفت بمهمة تدمير العدو، ووضعت تحت قيادة اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى لصالح هذه العملية.

الساعة ٢٤٠٠ تم دفع كتائب اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى اتجاهات عملها لتنفيذ المهام المكلف بها.

أحداث يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ :

على محور ساحل البحيرات- طريق المعاهدة :

الساعة ٠٢٠٠ تم دفع سرية ميكانيكى مترجلة من الكتيبة ٣٣٧ ميكانيكى من

اللواء ١١٣ ميكانيكى مشكلة فى مجموعات اقتناص دبابات إلى أعلا جبل جنيفه . وتمكنت من الوصول الساعـه ٠٤٣٠ ، وفى أول ضـوء تم دفع سـرية دبابات من الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع إليها والتمسك بالجبل وفى الساعة ٠٨٠٠ تم تعزيز القوة بسرية صواريخ مضادة للدبابات (٤ قطعة) وفى هذا التوقيت وجه العدو هجومًا مضادًا على هذه القوة بقوة ٩ دبابات ، وتم الاشتباك معها وأمكن تدمير ٤ دبابات للعدو ودمر لنا «٢» دبابتان ، وانسحب العدو فى اتجاه الجنوب الشرقى ، وتم مطاردته بباقى سرية دبابات و«٢» قطعتى صواريخ مضادة للدبابات بحذاء الطريق ١٢ فى اتجاه جبل غرة لمسافة ٥ كم . وقد أشرف على هذه العملية ضابط عمليات الجيش وضابط من قيادة مدفعية الجيش ، وقد عادت القوات إلى محلاتها وبقيت سرية ميكانيكى أعلا الجبل .

الساعة ٠٣٥٥ تم رص حقل ألغام بمدخل وادى سد الجاموس .

الساعة ٠٥٢٠ أبلغت قيادة مدفعية الجيش بهبوط طائرات هليكوبتر على جبل الشهابى وتم قصفهم بالمدفعية .

الساعة ٠٨٠٠ كان موقف الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى متماسكًا خاصة بعد وصول الدعم إليها . واستيعاض الذخيرة ، وقد احتلت المدافع ذاتية الحركة محلاتها ، كذا تم الانتهاء من رص الألغام فى مدخل سد الجاموس كذا دعمت الكتيبة بعدد ٥٠ قاذف لهب خفيف ، ٢٦ قاذف لهب ثقيل ، وقد وصلت جميعها ، وخصصت مهامها ووزعت على السرايا الساعة ٠٩٠٠ .

وفى هذا التوقيت بدأ تقدم الكتيبة ٢٤٧ دبابات المدعمة بسرية مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى فى اتجاه وادى سد الجاموس ، وكانت قائمة بالاشتباك مع العدو من أول ضوء بمجموعات كل منها ٣ دبابات وعند تقدمها تم تركيز النيران عليها من كلا الجانبين من جبلى غره وجنيفه وحتى آخر ضوء كانت خسائر العدو تدمير ٣ دبابات ، ٤ عربات صواريخ مضادة للدبابات ، وخسرت الكتيبة ٢ دبابة .

الساعة ٠٩٠٠ بدأ العدو فى العمل على الجانب الأيسر على محور فناره جنيفه بتوجيه غارات جوية على موقع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة

ميكانيكى، وتتخلله الغلالة الزاحفة من المدفعية واستمرت هذه القصفات مثل ما حدث اليوم السابق.

الساعة ٠٩٢٥ أصدرت أوامرى إلى قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى بدفع سرية دبابات إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٠٠٢ أفاد الاستطلاع بأن للعدو تحركات من «أبو سلطان» فى اتجاه فايد.

الساعة ١٣٠٠ أفاد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى بأن قواته تحتل جبل جنيفة وقاعدة الصواريخ فى وادى سد الجاموس.

الساعة ١٤٠٠ ظهر للعدو حوالى ٢٠ دبابة، ٦ صواريخ مضادة للدبابات أعلى جبل الجوزه الحمراء فى اتجاه الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وقامت بالضرب على الكتيبةِ، وقد وجهت إليها نيران دبابات، ومدافع الماكينة القناصة، وتمكنت الكتيبة من شل فاعلية العدو لفترة وقد ركز العدو نيرانه على الأسلحة المضادة للدبابات وحتى الساعة ١٦٠٠ كان قد تمكن من تدمير الدبابات المتبقية بالموقع (٤ دبابات)، ٤ مدافع ذاتية الحركة وبعض المركبات، وتمكن من أسر نقطة ملاحظة وطاقم اقتناص دبابات كانوا على جبل الجوزه الحمراء.

الساعة ١٤٣٥ أبلغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عن تمام احتلال القمم العالية لجبل جنيفه بالمشاة ويقوم العدو بهجوم مضاد على الجبل وقد دمرت له ٢ دبابة، وجارى تحقيق مهمة وادى سد الجاموس. وأن العدو يقوم بالقصف بالدبابات، ذاتية الحركة من مسافات بعيدة.

الساعة ١٦٠٠ دعم العميد ليون قائد اللواء ١١٣ ميكانيكى القوة الموجودة أعلا جبل جنيفة بسرية ميكانيكى أخرى مشكلة فى مجموعات اقتناص دبابات وتحمل معها أثناء انضمامها ذخيرة وألغام للقوة الموجودة أعلا الجبل.

الساعة ١٦١٠ قررت تدعيم محور فناره جنيفه بدفع الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى من اللواء ١ مشاة ميكانيكى مدعمة بسرية دبابات لتحتل خط صد من شمال جنيفه. كذا تحتل الكتيبة ٢٤٠ دبابات عدا سرية (١٣ دبابة) خط صد للجنوب منها بحوالى

٢ كم. كما أصدرت أمراً باستعداد اللواء ٢٢ مدرع للتحرك من شرق القناة بأوامر وقد تم دفع ضابط من عمليات الجيش لتنفيذ القرار، كما دعمت الكتيبة ٢٠ ميكانيكى بكتيبة مدفعية اللواء ١ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٦٣٠ قام العدو بمحاولة لاختراق الحد اليسار للجيش بمنطقة فنارة بقوة ٣٣ دبابة و٣ عربات نصف جنزير تحت ستر قصف شديد بالمدفعية على الجزء اليسار من السرية الأمامية، وقد تمكن من فتح ثغرة فى حقل الألغام تسربت منها دبابة اختبأت فى أحد عنابر المعسكرات وتلتها أخرى، وقد تمكنت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من إيقاف العدو، وأجبرته على الارتداد مرة أخرى فى اتجاه شبراويت باستغلال نيران المدفعية، وقد أمكن تدمير العربات نصف جنزير للعدو، وفى هذا الوقت كان العدو يقوم بغارات جوية مستمرة على تقاطع طريق السويس مع طريق الجيش.

الساعة ١٦٤٥ أمرت تدعيم موقف القطاع فنارة - جنيفه بدفع سرية دبابات من اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى، وكذا عمل كمائن بسرية صاعقة فى منطقة المزارع والطرق؛ لتعطيل تقدم دبابات العدو وتدميرها.

الساعة ١٧٣٠ أكدت القيادة العامة احتمال قيام العدو بهجوم على رأس الكوبرى من الشرق والجنوب بقوة ٢ لواء.

الساعة ١٨٠٥ دفعت ٣ ضباط من شعبة عمليات الجيش؛ لمراجعة موقف الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى والكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى ٢٤٠ دبابات على محور فنارة جنيفة، كذا تم دفع محطة لاسلكية إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى، وتم إعادة الاتصال الخطى مع الكتيبة.

الساعة ١٩٠٠ أكدت على القوات بالثبات فى مواقعها وعدم الارتداد، وأن تقوم القوات ليلاً بدفع كمائن والقيام بإغارات على العدو، وتأمين وادى سد الجاموس والتمسك بالحدود الشمالية للجيش.

الساعة ٢٠٣٦ أبلغتنا هيئة العمليات باحتمال قيام العدو بالهجوم على الجانب اليسار لرأس الكوبرى ونقطة شرق كبريت، كما أن احتمال الهجوم على الجانب الأيمن لرأس الكوبرى لازال قائمًا، ونبهت إلى ضرورة توفر القدرة على تحريك الاحتياطيات داخل رأس الكوبرى.

وقد أوضحت للقيادة العامة موقف القتال خلال اليوم، وأن تقديرى نتيجة لذلك أن العدو يقوم بتثبيت القوات فى منطقة أم كثيب - جنيفه للهجوم فى اتجاه طريق المعاهدة بغرض الوصول إلى طريق السويس وحصار قوات رأس الكوبرى شرق القناة وأن أعمال العدو خلال اليوم كانت لجس النبض على الطريق الساحلى، وأنه نظراً لكثرة الخسائر فى دبابات قواتنا فقد أنذرت كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع للدفع من رأس الكوبرى فى أى اتجاه لتدعيم الموقف.

الساعة ٢١٠٠ حذرت القوات غرب القناة من احتمال قيام العدو بالهجوم اعتباراً من أول ضوء وضرورة التشبث بالمحلات التى وصلت إليها القوات فى غره وجنيفة وأم كثيب ووادى «أبو طلح» وتعزيز الخطوط المكتسبة والتوسع فى رص الألغام، وتم دفع مندوبين من شعبة الإمداد والتموين؛ لإفساد تكديس الوقود فى فنارة حتى لا ينتفع به العدو.

الساعة ٢٢٠٠ تم انضمام سرية دبابات من اللواء ١ مشاة ميكانيكى التى دفعتها إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وتم احتلالها لأماكنها.

قام قائد الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى بتنظيم أطقم اقتناص دبابات؛ لتدمير دبابات العدو الموجودة فى العنابر بالمعسكر أمام موقع بدفع هذه المجموعات الساعة ٢٣٠٠ ، وأمكن تدمير دبابة، وفرت الدبابة الأخرى خارج الموقع، كما قامت الكتيبة بدفع أطقم أخرى إلى منطقة المزارع وعلى الطريق الترابى شرق الترعة الحلوة؛ لتأمين هذه المنطقة، وتمكنت من تدمير ٣ عربات نصف جنزير.

وقد وصلت الكتيبة ٥١٥ دفاع جوى إلى منطقة عمل الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى ووصلت عناصر الصاعقة أيضاً إلى المنطقة، وانتشرت فى كمائن بالمناطق المزروعة وعلى الطرق.

على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ٠٦٣٠ تمكنت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من الوصول إلى خط المهمة فى جبل أم كثيب، وقد تعرضت خلال اليوم لقصف جوى ونيران مدفعية العدو، كما حاول العدو عدة مرات متتالية الهجوم عليها بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات لاختراقها ولكنه فشل فى تحقيق هدفه، وتمكنت الكتيبة من التمسك بمحلاتها.

الساعة ٠٧٠٠ تمكنت سرية مشاة ميكانيكي من الكتيبة ٣٣٨ مشاة ميكانيكي من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكي، من الوصول في مجموعات إلى طريق ١٤ شمال قاعدة الصواريخ، ونظمت دفاعها وتمكنت خلال اليوم من صد هجمات متكررة للعدو بقوة بلغت حتى «٢» سريتي دبابات، وتشبثت بمحلاتها.

وفي الوقت نفسه كان اللواء ٦ مشاة ميكانيكي عدا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكي يقاتل العدو بعد دفعة على الخط كالآتي :

الكتيبة ٢٥٨ مشاة ميكانيكي جنوب منطقة قيادة اللواء ١٠٥ دفاع جوي، الكتيبة ٢٥٧ مشاة ميكانيكي شرق الكتيبة ٢٥٨ ميكانيكي على وصلة «أبو طلح»، الكتيبة ٢١١ دبابات عدا «٢» سريتين تحتلان تقاطع طريق ١٢ مع وصلة عويبد، وقد استمر في قتال العدو طول اليوم، وتعرضت قوات اللواء ٦ مشاة ميكانيكي إلى غارات جوية مركزة وقصف مدفعية وهجمات مضادة بدبابات العدو، وقد تمكن اللواء رغم ذلك من تحسين أوضاع قواته والضغط على العدو والتقدم شرقًا وشمال شرق.

الساعة ٠٧٤٠ تحدثت إلى وزير الحربية، وأخبرته بوجود اشتباكات في منطقة أم كثيب، وأنني سأتوجه إلى هناك لأشرف بنفسي على المعركة فوافق، وتوجهت إلى منطقة الجربه، وتم أخذ أسير كان يدير نيران المدفعية، وسلم للعقيد فتحي عباس من المخابرات الحربية.

الساعة ١٠٠٠ تقدمت سرية دبابات للعدو من اتجاه جبل غره إلى الطبقة الزلطيه وقامت بمهاجمة الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكي من اللواء ١ مشاة ميكانيكي، وأمكن صد الهجوم بالتعاون مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكي وتدمير ٦ دبابات للعدو، وارتد الباقي، إلا أن العدو وجه طيرانه لقصف الكتيبة، كما قام بقصفها بالمدفعية.

الساعة ١٠٣٠ أوفدت ضابط من عمليات الجيش لإبلاغ قائد اللواء ١ ميكانيكي بسرعة دفع الكتيبة ميكانيكي المدعمة لاحتلال الطبقة الزلطيه وتطهيرها من العدو وأن تؤمن طريق عملها.

الساعة ١١١٨ أفاد قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكي بأن قوات الفرقة موجودة طبقًا للموقف السابق، وقام العدو بالالتفاف حول جبل جنيفة ووصل إلى طريق ١٢

والطبقة الزلطيه بقوة ٨ دبابات، ٤ مدفع ٢٣٠ م وجارى التعامل معه، وتم دفع الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى مدعمة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى للهجوم، والساعة ١١٣٩ بدأ قصف العدو فى الطبقة الزلطيه بتركيز من مدفعية الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وتم دفع العناصر المضادة للدبابات للأمام، لتدمير العدو.

الساعة ١٢٠٠ قامت الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى من اللواء ١ مشاة ميكانيكى بالهجوم على الطبقة الزلطيه، وقد ركز العدو عليها بالطيران والمدفعية عند تقدمها وكذا بنيران دبابات من اتجاه جبل غره، واضطرت الكتيبة للترجل لتقليل الخسائر.

وقد دعم العدو قواته فى الطبقة الزلطيه بسرية دبابات مدعمة، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، وتمكنت الكتيبة بعد أن خسرت ٣ دبابات من التمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطيه، وفى الوقت نفسه كانت سرية دبابات للعدو تتحرك تحت ستر القصف الجوى من اتجاه جبل غره إلى الجنوب الشرقى فى اتجاهها لمهاجمة احتياطى قائد اللواء ١١٣ ميكانيكى (٢ سرية مشاة ميكانيكى) ومرابض نيران المدفعى، وتم صده بجميع وسائل النيران حتى وصل القتال إلى مدى ٥٠٠ متر، وقد استخدمت المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات فى هذه المعركة فى الضرب المباشر، وقد بذل العدو جهداً كبيراً فى محاولة الاختراق بالتثبيت فى المواجهة والالتفاف على الأجناب، وقامت قواتنا بالمناورة بالأسلحة المضادة للدبابات والمدافع ٨٥ م المجرورة بكفاءة تامة، وأمكن صد العدو، وكانت خسائره «٢» دبابتين وعربة مجنزرة وخسرت قواتنا «٢» مدفعين اقتحام ١٠٠ م، «٢» مدفعين ٨٥ م مضادة للدبابات، وقد أمرت بقيام رئيس شعبة عمليات الجيش بالتوجه إلى مكان هذه المعركة والإشراف عليها ومراجعة أعمال اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٢٤٠ أبلغت رئيس هيئة العمليات بأن قائد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى أفاد بأنه قد استولى على جبل جنيفه، وهناك ٣٥ دبابة للعدو تنسحب من أمام جبل أم كثيب، ويحتمل استعداد العدو للقيام بهجوم مضاد، وأبلغته أنه لا يوجد لدى أى احتياطيات إلى أن تنتهى القوات من تنفيذ المهام المكلفة بها.

الساعة ١٤٣٥ أبلغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عن تمام احتلال الطبقة الزلطيه، وأن العدو يقوم بالقصف بالدبابات، والمدافع ذاتية الحركة من مسافات بعيدة.

الساعة ١٥٠٠ وبناء على بلاغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى أمرت الفرقة ٤ مدرعة بأن تنظم كمين لحصار دبابات العدو المرتد من الطبقة الزلطيه فى اتجاه جبل غره.

الساعة ١٥٣٠ أفادت الفرقة ٤ بأن اللواء ٦ مشاة ميكانيكى حقق المهمة، وأنه توجد بعض دبابات للعدو فى جبل غزة تقوم بالضرب على اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٧٠٠ دفعت العقيد مسعد الششتاوى من شعبة عمليات الجيش ومعه قرارى لتصفية الموقف على الجانب اليسار للجيش؛ لعرضه على وزير الحربية كطلب القيادة العامة، وقد صدق وزير الحربية على القرار.

الساعة ١٧٢٨ أفاد قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بارتداد العدو من الطبقة الزلطيه شمالاً، وأنه قائم بضربه بالمدفعية.

وكان العدو قد قام خلال هذا اليوم بحوالى ٤٠ غارة جوية على طريق السويس بالصواريخ والقنابل والرشاشات، وكذا على القاعدة البحرية بالأدبية، وكان نشاط الصواريخ غير واضح، وكان فى قطاع الجيش «٢» لواءا صواريخ مضادة للطائرات، وقد أفاد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الساعة ١٨٤٧ بأن العدو يحاول إخلاء قواته.

الساعة ٢٠٤٠ أبلغت اللواء الجمسى: أن العدو سيحاول تثبيت القوات أمام أم كثيب - جنيفة ويهاجم من ناحية طريق القاهرة أو بالعكس للوصول إلى طريق السويس ويقطع رأس الكوبرى، وأننى قد بلغت العميد المغربى والوحدات المتيسرة لتعزيز الخط المكتسب ورص الألغام، وذكرت له الوحدات التى دفعت لتأمين طريق القاهرة.

أحداث يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣:

لم يقم العدو بأى أعمال إيجابية طوال ليله ٢١/ ٢٢ أكتوبر سوى بعض طلقات مضيئة أطلقها على منطقة الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وصحبها قصف مدفعية ودبابات العدو على الكتيبة، بينما استمرت قواته المدرعة فى التدفق إلى غرب القناة.

استمرت مدفعية الجيش طوال ليلة ٢١/ ٢٢ أكتوبر فى قصف تجمعات العدو وقامت عناصر الصاعقة بعمل إغارات على تجمعات العدو غرب القناة.

محور البحيرات ـ طريق المعاهدة :

الساعة ۰٦۰۰ بدأت الكتيبة ۲٤۷ دبابات عدا سرية مدعمة بسرية مشاة ميكانيكى من الكتيبة ۳۳۸ مشاة ميكانيكى من اللواء ۱۱۳ مشاة ميكانيكى فى التقدم شمالاً خلف عناصر المشاة للوصول إلى مدخل وادى سد الجاموس غرب جبل جنيفة وشرق جبل غره، وقد سبق تحركها قصفة نيران على العدو الذى أمكن تمييزه فى كلّ من جبل غره وجبل جنيفة.

الساعة ۰۸۰۰ وصلت الكتيبة ۲٤۷ دبابات إلى مسافة ۲ كم جنوب مدخل الوادى، وهنا ركز العدو نيرانه عليها من اتجاهى جنيفة وغزه على كلا جانبى الكتيبة وبرغم شدة القصف والقصف الجوى الذى كانت تتعرض له الكتيبة منذ بدء تحركها إلا أنها حاولت مواصلة التقدم فى مجموعات صغيرة بالضرب مع الحركة وتأمين الأجناب، واستمرت عناصر المشاة فى التقدم فى اتجاه غرب جبل جنيفة، وتمكنت من تدمير ۲« دبابتين» للعدو، واستمر الاشتباك بتركيز، وفى الساعة ۱۱۱٥ تمكن العدو من تدمير جميع دبابات الكتيبة، وبنجاح العدو فى تدمير الكتيبة ۲٤۷ دبابات دفع بقوة حوالى «۲» سريتى دبابات تحت ستر قصف جوى وبالمدفعية إلى جبل جنيفة من اتجاه جبل غره تقدمت فى ثلاثة طوابير فى اتجاه قوات اللواء ۱۱۳ ميكانيكى (۲ سرية ميكانيكى من الكتيبة ۳۳۷ ميكانيكى) التى تحتل الجبل ، وقد أمكن لهذه القوة صده وإجباره على الارتداد بعد أن خسر ٥ دبابات وعربة نصف جنزير وعدداً كبيراً من القتلى.

زاد تركيز القصف الجوى والمدفعية من الساعة ۰٦۰۰ إلى الساعة ۰۷۰۰ على موقع الكتيبة ۲٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، وتقدم العدو أمام الكتيبة بقوة حوالى ۲۰ دبابة، واحتل قمة الجوزه الحمراء بحوالى سرية دبابات وعناصر صواريخ مضادة للدبابات، وبدأ فى الضرب من أعلى الجبل على الكتيبة، وتمكن من تدمير سرية دبابات، ٤ قواذف مضادة للدبابات وعربة اللاسلكى، وإزاء تركيز القصف أخليت ناقلات الجند إلى معسكر حبيب الله وقد دمر البعض منها بالطيران أثناء التحرك.

الساعة ۰٦۳۰ قررت تدعيم هذا المحور بسحب كتيبة دبابات من اللواء ۲۲ مدرع من رأس الكوبرى؛ لتتمركز فى منطقة تقاطع طريق المعاهدة مع وصلة جنيفة

وإصدار أوامرى للتنفيذ، ودفعت ضابط من عمليات الجيش لسحب الكتيبة والإشراف على تمركزها وشرح الموقف لقائدها، وتم التنفيذ.

الساعة ٠٧٠٠ كان العدو قد تمكن من تدمير جميع الأسلحة المضادة للدبابات للكتيبة، وأحدث خسائر بالأفراد حوالى ٥٠٪ بين شهيد وجريح، وكانت الكتيبة قد تحملت جهداً كبيراً أثناء القتال المتواصل طوال ٧٢ ساعة تقريبًا تحت تأثير القصف الجوى المركز وبالمدفعية ومحاولات الاختراق المتتالية ونجاحها فى الصد، وبذلك فقدت الكتيبة قدرتها على صد الدبابات بالأسلحة الرئيسية.

الساعة ٠٨٠٠ قام باقى الكتيبة بالمناورة للخلف إلى مواقع اللواء الفلسطينى وقد أمكن بمعاونة نيران المدفعية وبإدارتها بمهارة على العدو أن يوقف تقدمه على هذا المحور حتى الساعة ١٦٠٠، وقد أمكن أيضًا تدمير ٦ عربات نصف جنزير للعدو وبمنطقة المزارع بأطقم اقتناص الدبابات.

واعتباراً من الساعة ٠٨٠٠ أيضًا ظهرت مجموعة دبابات معادية وصواريخ مضادة للدبابات على الميول الشرقية لجبل جنيفه قامت بالضرب على الكتيبة ٢٤٠ دبابات عدا سرية (١٣ دبابة) وكذا تم القذف بالمدفعية والهاونات، ودفع قائد المحور «رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى» الساعة ٠٩٣٠ سرية مشاة ميكانيكى من الكتيبة ٢٠ ميكانيكى إلى الجبل للعمل كأطقم اقتناص دبابات لتدمير العدو الذى ظهر فوق الجبل بالتعاون مع قوات اللواء ١١٣ ميكانيكى، وقد أمكنها حتى الساعة ١٧٠٠ تدمير ٨ دبابات للعدو وارتد الباقى شمالاً.

الساعة ٩٠٠ وصلت كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع إلى مكانها إلا أن تدهور الموقف فى عمق قطاع اللواء ١١٣ ميكانيكى وظهور تهديد حقيقى لمنطقة طريق السويس كم ١٠٩ اضطرنى الساعة ١٣٠٠ لدفعها ؛لتدعيم معركة اللواء ١١٣ ميكانيكى ،وقد تعرضت الكتيبة لهجوم دبابات العدو عند تحركها وتركت سرية للتعامل معه ،واصلت فى اتجاه مهمتها تحت تأثير قصف العدو الجوى عليها أثناء التحرك.

الساعة ٠٩٥٣ أبلغت هيئة العمليات بأن العدو لايزال يهاجم اللواء الفلسطينى، وأن العدو اخترق الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى، ومع ذلك فالموقف لايزال تحت السيطرة وطلبت أن يتم عمل إيجابى بالفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل.

الساعة ١٢٤٠ عاود العدو الهجوم مرة أخرى بقوة كتيبة دبابات مدعمة تحت ستر قصف جوى وبالمدفعية، وتمكن بقوة سرية دبابات من عزل ومحاصرة القوة المدافعة، وتقدمت باقى دباباته فى اتجاه الجنوب، وقد ظلت القوة المحاصرة متماسكة ولم يتمكن العدو من اختراقها حتى آخر ضوء، وتمكنت ليلاً من تدمير ٤ دبابات للعدو.

خلال هذا الوقت كانت الكتيبة ١ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى فى منطقة تقاطع طريق ١٢ مع طريق المعاهدة تتعرض لقصف جوى شديد، ودارت معركتها كالآتى :

* الساعة ١٢٠٠ تقدم فى اتجاهها من طريق ١٢ قوة من ٥ دبابات للعدو، وتمكنت الكتيبة من تدمير ٢ منها، وارتد الباقى فى اتجاه جبل جنيفة.

* الساعة ١٢٣٠ تقدم العدو من اتجاه طريق ١٢ فى اتجاه الكتيبة بقوة حوالى كتيبة دبابات فى أرتال سرايا متوازية، وعند اقترابها من الكتيبة قامت الأرتال الخارجية بالالتفاف كلٌ من اتجاهه على جانبى الكتيبة مع الاقتحام فى المواجهة بالرتل الأوسط، ودارت معركة عنيفة مع العدو وتمكن الساعة ١٥٠٠ من الوصول إلى الخندق الأول من جميع الجهات، وجرى القتال المتلاحم فى عمق موقع الكتيبة وحدثت بها خسائر كبيرة، وارتدت إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، وقد شكلت منها مجموعة من ١٠ ضباط و١٢ جنديًا و ٧ توباز و ٥ هاوتزر من الكتيبة ٣٠٧ مدفعية ميدان، ودفعت هذه المجموعة إلى مدينة السويس للدفاع عنها، واحتل باقى أفراد الكتيبة تبة الصواريخ فى كم ١٠٩ لتأمينها.

الساعة ٠٢٠٠ أصدرت أوامرى باستعداد عناصر الدفاع الجوى للتحول للضرب الأرضى ضد دبابات العدو، كما أصدرت أوامرى لكل من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى والفرقة ٤ مدرعة باستكمال حصار العدو غرب القناة وتنشيط الدوريات والكمائن على طرق الاقتراب، كما تم خلال الليل دفع الذخيرة إلى وحدات المدفعية، والدفاع الجوى غرب القناة. كما قامت عناصر المهندسين بتفتيش طريق السويس وإصلاح الأجزاء المدمرة منه، وتم التأكيد على قيادة الفرقة ٦ بخصوص السيطرة على محور فنارة جنيفة وتحقيق الاتصال مع قوات هذا المحور، وقد تم التنبيه على قائد اللواء الفلسطينى بدفع مجموعات اقتناص دبابات إلى المنطقة المزروعة فى قطاعه.

الساعة ١٦٠٠ دفع العدو بقوة من ٣ دبابات فى اتجاه طريق المعاهدة من اتجاه مدينه الضباط إلا أنه أمكن تدمير واحدة منها وأصابة أخرى بالقاذف المضاد للدبابات وفرت الثالثة، وقد كانت نتيجة أعمال قتال العدو ضد الكتيبة ٢٤٠ دبابات حتى هذا التوقيت تدمير جميع دباباتها فى خط الصد.

الساعة ١٦٣٠ وتحت ستر نيران الدبابات، الصواريخ المضادة للدبابات من أعلى الجبل ونيران المدفعية والطيران اندفعت أرتال العدو من الشمال إلى الجنوب فى بطن جبل الجوزه الجمراء مركزه نيرانها على معسكر كسفريت.

الساعة ١٧٠٠ كان قد أمكن للعدو اختراق دفاعات الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى واللواء الفلسطينى كما تمكن من تدمير الكتيبة ٢٤٠ دبابة فى خط الصد علاوة على نجاحه الساعة ١٦٠٠ فى تصفية موقف الكتيبة ١ ميكانيكى فى عمق هذا المحور عند تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة وتثبيت قوات اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ فى منطقة جبل جنيفة وفى اتجاه معسكرات كم ١٠٩، وتثبيت قوات اللواء ٦ ميكانيكى والسيطرة على طرق اقترابها ـ وكذا تثبيت الكتيبة ٢٠٧ دبابات على الجانب اليسار للجيش، وقام فى هذا الوقت مع توفير إمكانيات النجاح وبمعاونة قصف جوى شديد بالهجوم على الكتيبة ٢٠ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى فى خط الصد بقوة حوالى كتيبة دبابات من اتجاه الشمال، وذلك بعد تمام تدمير الدبابات المدعمة لها، ونجح فى اختراق موقعها الساعة ١٨٣٠ ودار قتال متلاحم استمر فى عمق الموقع حتى الساعة ١٩٣٠ ،وفقد معظم القادة بالكتيبة، وأصيب العميد عطية سليمان رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى،

وبهذا الموقف تقدمت عناصر دبابات وعربات نصف جنزير للعدو فى اتجاه المعابر، وقد تجمعت لدينا المعلومات فى هذا التوقيت كالآتى :

* الساعة ١٧٥٢ معلومات استطلاع بوجود ٤ دبابات و«٢» عربتى نصف جنزير على المحور ٤٦ و ٨ دبابات و«٢» عربتى نصف جنزير على المحور ٤٧ و ١٢ دبابة فى اتجاه المعابر.

* الساعة ١٨٢٠ من قائد محطة جنيفة يوجد للعدو ٣٠ـ٣٥ دبابة فى سطح جبل جنيفة من الطريق حتى الجبل، وأن الكتيبة ٢٠ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى قد دمرت تمامًا.

* الساعة ٢١٣٥ أفادت معلومات من أحد ضباط الشرطة العسكرية بوجود ٢٢ دبابة تتقدم إلى منطقة كوبرى كم ١٤١ ترقيم قناة، وأمرت بعد إبلاغ القيادة العامة بتدميرهم وتفتيش المنطقة.

* الساعة ٢١٤٠ من قائد محطة جنيفة أنه شوهد الساعة ٢١٢٠ قول للعدو من ٢٢ دبابة و٤ عربة جيب عند مدق الصواريخ واتجه جنوبًا على طريق المعاهدة، كذلك يتجه قول آخر من ٢٦ دبابة للعدو فى اتجاه معسكر حبيب الله.

* الساعة ٢٣٢٠ أبلغ أحد ضباط اللواء ١٩٩ كبارى بوجود ٤ دبابات للعدو قرب الساتر الترابى بمنطقة كم ١٤٢ ترقيم قناة غرب الترعة الحلوة وبالاشتباك معهم ارتد العدو على الضفة الغربية، وخلال ليلة ٢٢/ ٢٣ كانت فرق النسق الأول قد أتمت تدمير ٢٦ دبابة للعدو غرب القناة.

وقد قمت بتأمين المعابر، وأمرت قادة الفرق ٧ و ١٩ مشاة باحتلال المصاطب الخلفية بالأسلحة المضادة للدبابات، وعندما اتضحت بوادر نجاح العدو على المحور الساحلى أمرت بنسف الكوبرى الخرسانى عند معسكر مسلة، وأمرت قائد الفرقة ٧ مشاة بدفع كمين دبابات فى منحنى الطريق فى هذه المنطقة.

الساعة ٢٣٥٥ أكدت على قائد الفرقة ١٩ مشاة أن يتم تأمين مؤخرة رأس الكوبرى وخاصة المعابر، كذا التأكد من تأمين مدينه السويس.

المحور الجبلى:

خلال ليلة ٢١/ ٢٢ تمكنت سرية ميكانيكى من الكتيبة ٣٣٨ ميكانيكى من اللواء ١١٣ ميكانيكى المتمركز بمنطقة مدق ١٤ من تدمير ٤ دبابات من سرية دبابات للعدو تمركزت شرق موقع السرية، وابتعدت باقى السرية شمالاً.

الساعة ٠٦٠٠ كانت الكتيبة ٢٢١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى فى خط الصد الذى احتلته فى تقاطع طريق الجيش مع طريق ١٢، وقد قام العدو بمهاجمتها من اتجاه الشرق، وقد بلغت قوة العدو الساعة ١٢٠٠ حوالى ٢٠ دبابة من الشرق وحتى ١٥ دبابة تلتف من الشمال فى اتجاه جنب الكتيبة.

وقد تمت المناورة بقوة ٤ قطع صواريخ مضادة للدبابات من موقع الكتيبة ٢٠٧ دبابات الكتيبة من اللواء ٢ م وبأعمال قتال الكتيبة وبمعاونة المدفعية فشل هجوم العدو، واضطر للارتداد شرقًا لمسافة ٣ـ٤ كم.

واعتباراً من الساعة ٠٦٠٠ وحتى نهاية اليوم لم يتوقف العدو على القصف الجوى المركز على القوات؛ لمعاونة أعمال قتال دباباته ولشل قدرة قواتنا فى أرض المعركة وكذا قصف المدفعية والدبابة، ومن هذا التوقيت بدأت أعمال قتال قوية فى جميع الاتجاهات، وكانت بعضها اتجاهات رئيسية، وأخرى ثانوية من وجهة نظر العدو الذى توفرت له الحماية والمعاونة الجوية الكاملة والحرية التامة لطائراته للعمل فوق أرض المعركة مما كان سببا فى أن تمتع بقدرة كبيرة على المناورة بالقوات، هذا فى التوقيت الذى حرمت فيه قواتنا البرية من ميزات العدو لذا كانت أعمال العدو فى أى اتجاه فى عمق الجيش يمكن اعتبارها أعمالاً رئيسية حيث يمكنه تدعيم النجاح فى أى مكان وبسرعة فائقة، ورغم ذلك فقد وجهت قيادة الجيش عناية خاصة لمحور قناره ـ جنيفة بصفة خاصة.

وكذا تم دفع الكتيبة ٣ ميكانيكى للهجوم على الطبقة الزلطيه وتدمير العدو بها وكان العدو قد دعم قواته فى مواجهه الكتيبة، ودفع سرية للالتفاف يمين الكتيبة تحت ستر نيران المدفعية والطيران، ودارت معركة عنيفة دمر العدو فيها ٥ دبابات للكتيبة ولم يتبق سوى دبابة واحدة، ثم دفع العدو بسرية أخرى على يسار الكتيبة مما اضطر قائد الكتيبة لإيقاف الهجوم والتمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطية ودفعت سرية صاعقة لتدعيم الكتيبة، واستمر الاشتباك مع العدو طوال اليوم وتعرضت الكتيبة لقصف جوى شديد وعلى فترات.

وقامت الكتيبة بهجوم ليلى ناجح بالتعاون مع الصاعقة، واستولت على مرتفعات التبة الزلطية جنوب طريق ١٢.

وقد كان العدو منذ الساعة ١٠٠٠ حتى الساعة ١٥٠٠ يحاول الوصول إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، ودفع لتحقيق هدفه (٢) سريتى دبابات تحت ستر قصف جوى مركز وشبه مستمر على مرابض المدفعية، احتياطى اللواء ١١٣ ميكانيكى، مركز قيادة اللواء فى منطقة المعسكرات شمال كم ١٠٩، وحاول

اختراق الموقع من عدة اتجاهات من الشرق والغرب، وتم صده وتشبثت القوات بمحلاتها وقامت المدفعية بالضرب المباشر على دبابات العدو، وكذلك استخدمت المدافع المضادة للطائرات ٥٧ مم فى الضرب الأرضى، وتمت المناورة بالمدافع ٨٥ مم المجرورة، ووصل مدى الاشتباك إلى ٥٠٠ متر.

الساعة ١٢٣٠ تقدم العدو من اتجاه طريق ١٢ فى اتجاه الكتيبة بقوة حوالى كتيبة دبابات فى أرتال سرايا متوازية، وعند اقترابها من الكتيبة قامت الأرتال الخارجية بالالتفاف كل من اتجاهه على جانبى الكتيبة مع الاقتحام فى المواجهة بالرتل الأوسط ودارت معركة عنيفة مع العدو، وتمكن الساعة ١٥٠٠ من الوصول إلى الخندق الأول من جميع الجهات، وجرى القتال المتلاحم فى عمق موقع الكتيبة، وحدثت بها خسائر كبيرة، وارتدت إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، وقد شكلت منها مجموعة من ١٢٠ فرد - ١٠ ض + ٧ توباز + ٥ هاوتزر من الكتيبة ٣٠٧ مدفعية دفعت إلى مدنية السويس للدفاع عنها، واحتلت باقى أفراد الكتيبة تبة الصواريخ فى كم ١٠٩ لتأمينها.

الساعة ١٣٠٠ قدرت خطورة الموقف فى منطقة الطبقة الزلطية التى لو سقطت لانفتح الطريق إلى طريق القاهرة - السويس، فأمرت بدفع كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع التى تم سحبها من رأس الكوبرى حيث قمت بنفسى ومعى أحد ضباط العمليات من الجيش بقيادة هذه العملية اللازمة؛ لتدعيم الموقف فى هذه المنطقة، وقد تحركت الكتيبة تحت تأثير القصف الجوى المعادى ومعها قائد اللواء ٢٢ مدرع، إلا أن الكتيبة دخلت فى اشتباك مع دبابات للعدو عند وصولها تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة، وتركت سرية منها للتعامل مع هذه الدبابات، واستمرت الكتيبة فى اتجاه كم ١٠٩، وانضمت إلى اللواء ١١٣ ميكانيكى الساعة ١٥٠٠ وتم دفعها خلف عناصر المشاة فى اتجاه جبل غره، وفى الساعة ١٧٣٠ وصلت الكتيبة إلى مسافة ٥ كم من جبل غره، واشتبك معها العدو بقوة سرية دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات، ودارت معركة حاولت فيها الكتيبة تدمير العدو بالالتفاف على جنبه وتمكنت خلالها من تدمير ٤ دبابات، ٣ عربات نصف جنزير، ٥ عربات مجهزة،

عربة جيب، طائره هليكوبتر أصابتها إحدى الدبابات بدانة شديدة الانفجار، وخسرت الكتيبة ٤ دبابات، وانسحب العدو من الطبقة الزلطية، وفى آخر ضوء تم تجميع الكتيبة جنوب طريق ١٢ .

وكانت أبرز أعمال هذا اليوم - يوم ٢٢ أكتوبر - أن صدر قرار القيادة العامة للقوات المسلحة بإيقاف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ على أن يتم تدمير الدبابات الإسرائيلية التى تتحرك بعد قرار وقف إطلاق النار .

ورغم أننا أبلغنا عن وجود تجمع كبير للدبابات المعادية فى معسكر حبيب الله، إلا أن القيادة العامة أفادت بأن العدو يتجمع للانسحاب، وهو ما ثبت أنه خطأ، حيث إن هذه القوات بدأت باستغلال نجاح الموجات الأولى التى اشتبكت مع قوات الجيش لمواصلة القتال، رغم قرار وقف إطلاق النار حتى أتمت حصار رأس كوبرى الجيش الثالث ومدينة السويس .

ولا أجد فى الحقيقة ما أضيفه إلى ما قلته فى نهاية القسم السابق سوى أنه قد استمر غياب القوات الجوية ودعم القيادة العامة التى استهلكت احتياطياتها على اتجاه الجيش الثانى، كما استمرت القيادة العامة - رغم أن القتال قد وصل إلى مشارف طريق السويس - على اعتقادها أن العدو يبغى الوصول إلى طريق الإسماعيلية، وبالتالى استمرت مجموعة قابيل فى محلاتها خلف الجيش الثانى ورفض قابيل أى شكل من التعاون مع الجيش الثالث؛ لإنقاذ الموقف ومنع حصار الجيش، مع عدم وضوح تبعية الفرقة ٤ مدرعة هل هى مازالت تابعة للجيش الثالث كما كان يقول رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ومعاونوه، أم أصبحت تابعة للقيادة العامة كما كان يقول قائد الفرقة ٤ مدرعة ويؤكد ذلك وزير الدفاع؟ ومن ثم تحملت القوات المتبقية تحت سيطرة الجيش من الفرقة ٤ المدرعة، وأقصد بها الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ المدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى، مهمة الدفاع المستميت عن مؤخرة الجيش الثالث بالتعاون مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى واللواء ١ مشاة ميكانيكى وعناصر الصاعقة والقوات التى دفعتها فرق رأس الكوبرى؛ للتمسك بالساتر الترابى الغربى والدفاع عن المعابر على قناة السويس، وسنأتى فى القسم التالى إلى أعمال هذه القوات تفصيلاً .

القسم الثالث

القتال ضد العدو بعد قرار وقف إطلاق النار

المرحلة الثالثة من القتال ضد العدو غرب قناة السويس، هى مرحلة محاولة صد هجوم العدو وحصر قواته بعد عدم التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار كالعادة وتقدمها لتحقيق أهداف العبور غرب القناة، وهو الوصول إلى ساحل خليج السويس وحصار رأس كوبرى الجيش الثالث ومحاولة الاستيلاء على مدينة السويس واستمرت هذه المرحلة من يوم ٢٣ أكتوبر حتى توقف القتال فعليًا يوم ٢٥ أكتوبر بوصول قوات الطوارئ الدولية للفصل بين القوات.

أحداث يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣:

بانتهاء أعمال قتال يوم ٢٢ أكتوبر كان العدو قد حقق هدفه، ووصل إلى خلف رءوس الكبارى، وأتم السيطرة على جميع محاور الإمداد الطولية من الحد اليسار للجيش حتى شمال طريق السويس، وأصبح له تواجد على طريق السويس بدبابات فردية تقوم بالضرب على الطريق بمنطقة كم ٩٩ و كم ١٠٥.

الساعة ٠٠١٠ أمرت بسرعة احتلال مدينة السويس ودعم القوة المتحركة إليها بقطع مدفعية، كما أمرت كلاً من قائد الفرقة ٧، ١٩ مشاة بتأمين الضفة الغربية والشرقية للقناة مع دفع مجموعات اقتناص دبابات إلى غرب القناة؛ لتدمير دبابات العدو فيها، وقد تمكنت الفرقة ٧ مشاة من تدمير عدد ٩ دبابات للعدو، واستولت على دبابة وعربة نصف جنزير بجوار السكة الحديد.

الساعة ٠٣٥٠ كلفت الفرقة ٦ مشاة مكانيكى بتدمير العدو فى بسطة البحارة

ومشاش البحارة وقسم القاعدة المتقدم والطبقة الزلطية والوصول إلى طريق ١٢ مع دفع سرية مدعمة لحماية مدخل مدينه السويس بالتعاون مع قوة الدفاع الشعبى بها واستمرار التمسك بجبل جنيفة ، ولكن موقف الفرقة لم يكن واضحًا نتيجة لأعمال قتال اليوم السابق إلى جانب أن العدو بدأ يدعم قواته فى اتجاه جنوب البحيرات من اتجاه جنيفه ، وقد أمرت القيادة العامة بالتعامل مع العدو بأطقم الاقتناص فقط ، وألا يسمح بقطع طريق السويس ، وأن تعطى الأسبقية فى العمل ؛ لفتح طريق السويس وتم التأكيد على قادة فرق النسق الأول لحماية خلف رءوس الكبارى .

حتى الساعة ٠١٠٥ وبناء على بلاغات متعددة اتضح أن للعدو بمعسكر حبيب الله قوة من حوالى ٦٠ دبابة ، وفى منطقة جنوب البحيرات حوالى ٣٠ دبابة ، وفى الطبقة الزلطيه ٨ دبابات ، ويتحرك فى اتجاه السويس على طريق المعاهدة بدبابات فردية وعربات مدرعة .

الساعة ٠٢٤٥ اتصل العميد طنطاوى من هيئة عمليات القوات المسلحة باللواء شاهين رئيس أركان حرب الجيش الثالث ، وأبلغه أن الوزير قد أمر بعدم الضرب على معسكر حبيب الله ، ولكن يتم اصطياد الدبابات التى تقوم بالضرب على الطرق بعناصر اقتناص دبابات .

اعتبارًا من أول ضوء دفعت قوات من اللواء ١ ميكانيكى (٤ دبابات ، ٢ نمر) لمحاولة فتح طريق السويس من اتجاه كم ١٠٩ غربًا ، كما دفعت كتيبة دبابات من اللواء ٣ مدرع لمحاولة فتح الطريق من اتجاه كم ٩٧ شرقًا ، إلا أن طيران العدو لم يمكن القوات من تحقيق أهدافها حتى نهاية اليوم .

ولمقاومة تقدم العدو غرب القناة استخدمت المدفعية فى رءوس الكبارى فى الضرب على العدو بالضفة الغربية ، كما دفعت الفرق المشاة ١٩ و ٧ ، أطقم اقتناص دبابات غربًا للتعامل مع العدو ، وطلبت من القيادة العامة دفع وحدات الفرقة ٤ مدرعة إلى الجيش ، فأفادت أن الفرقة فى طريقها إلى الجيش .

وفى الساعة ٠٩١٢ تحدثت إلى وزير الحربية ، ودارت محادثة طويلة أوضحت له فيها أن الموقف الحالى للقوات غرب القناة كالآتى :

الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى تكاد تكون غير موجودة ، وتعمل فى فصائل وسرايا ،

جزء فى جبل غره، جزء فى وادى سد الجاموس، جزء فى جبل جنيفة، وجزء فى التبة الزلطية، وأن القصف الجوى شديد، وكانت هناك ٤ طائرات فانتوم تهاجمنا فعلاً وقت المحادثة، كما أخبرته أنه نتيجة للغارات الجوية المكثفة فقد اضطر جزء من قوات المحور الساحلى إلى الارتداد.

وكان العدو قد قام بعد إيقاف إطلاق النار بالهجوم يعززه الطيران على المحور الساحلى، ويوم ٢٢ جمع العدو قواته ليلاً فى رتلين، كلٌ من ٢٥ دبابة، الأول داخل معسكر حبيب الله، والثانى عند علامة كم ٣٠ وصلة جنيفه، وبدأ بدفع جزء من قواته على محاور المعابر، وتم تدمير ٢٦ دبابة بالفرقتين من الشرق؛ لعدم السماح للعدو بالوصول إلى المعابر.

وقاطعنى الوزير بسؤاله عن موقف رءوس الكبارى فقلت له: إن رؤوس الكبارى مؤمنة، ولكن العدو على الضفة الغربية معه ميكروفونات ويذيع نداء: «سلم يا مصرى».

وعاد الوزير يستفسر عن الطيران الذى يقوم بالقصف، هل هو مصرى أم إسرائيلى؟ فأكدت له - وكان معى ضابط الدفاع الجوى والمعاونة الجوية - بأن الطيران معاد، وعدت أكمل تقريرى عن الموقف فقلت له: إن العدو وصل جسر السكة الحديد جنوب البحيرات بقوة ١٢ دبابة و ٦ عربات نصف جنزير ومعه بعض المشاة، وهناك ٣٠ دبابة فى معسكر حبيب الله وعدد ٦ - ٨ دبابات عند تقاطع على طريق ١٢ لقطع الطريق عند علامة كم ١٠٤ طريق السويس ومشاش البحارة، وإن العدو يجمع دبابات فى جبل غره، ويقوم بضرب قواتنا فى التبة الزلطيه وجبل جنيفه، أما القوات فى رءوس الكبارى فهى ثابتة.

واستفسر الوزير عن موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى والفرقة ٤ مدرعة، فقلت له إن قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى لا يعلم أوضاع قواته، أما الفرقة ٤ مدرعة فجزء منها فى جبل الجربه والباقى مع العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة ٤ مدرعة فى قطاع الجيش الثانى، وأنهيت تقريرى بأنه لا توجد لدى قوات لتنفيذ أى عمليات تطلب من الجيش؛ لأن كل القوات المتيسرة مشتبكة ضد العدو.

الساعة ١٠٠٠ حرك العدو كتيبة دبابات من اتجاه جبل غره فى اتجاه التبة الزلطيه

وقامت بمهاجمة الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى، وبمعاونة القصف الجوى اقتحمت الكتيبة المعادية بالمواجهة وعلى كلا جانبى الكتيبة التى اضطرت إلى إخلاء المنطقة المضروبة والتمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطيه.

الساعة ٢١٠٠ كان موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى قد أصبح كالآتى:

• اللواء ١ مشاة ميكانيكى:

* الكتيبة ١ مشاة ميكانيكى متبقى منها حوالى سرية وفصيلة (١٨٠ فرداً و ٩ مركبات توباز ومدفع مضاد للدبابات) تحتل فى مدخل مدينة السويس للدفاع عنها.

* الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى فى التبة الزلطيه، وجارى حصر خسائرها وتجميعها.

* الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى غير معروف موقفها.

* كتيبة المدفعية فى منطقة كم ١٠٩ وقوتها ٩ مدافع، ومعها سرية هاون ١٢٠ مم غير معروف موقعها (كانت تدعم الكتيبة ٢٠ ميكانيكى).

* كتيبة دبابات غرب منطقة كم ١٠٩، والباقى فيها ٧ دبابات.

* فوج مدفعية مضادة للطائرات فى منطقة كم ١٠٩ بقوة ٩ قطع.

* سرية المدفعية المضادة للدبابات، وكانت تدعم الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، دمرت بالكامل.

• اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى:

• فى منطقة وصلة جنيفه كالآتى:

* الكتيبة ٣٣٧ مشاة ميكانيكى متمركزة فى منطقة الوصلة بقوة سرية ميكانيكى و٧ مدافع مضادة للدبابات، و ٢٤ مركبة مدرعة توباز، وفصيلة رشاشات مضادة للطائرات.

* الكتيبة ٣٣٨ مشاة ميكانيكى تبقى منها سرية مشاة ميكانيكى و٤ مدافع مضادة للدبابات، و٧ مركبات توباز.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى منطقة وصلة الجيش .
* سرية المدافع المضادة للواء متبقى بها مدفع واحد صالح .
* سرية الهاون ١٢٠ م تبقى منها ٤ قطع منها ٢ عاطلتان و ٥ أفراد .
* كتيبة دبابات اللواء متبقى بها ١١ دبابة .

●اللواء ٤٣ مدفعية :

●فى منطقة وصلة جنيفه كالآتى :

* الكتيبة ٣٠٧ بها ٦ مدافع مع اللواء ١ مشاة ميكانيكى .
* الكتيبة ٣٠٨ بها ٩ مدافع مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى .
* الكتيبة ٣٠٩ بها ٩ مدافع مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى و٦ مدافع مع الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى .

فى الساعة ١٠٢٤ حدثنى الوزير يطمئن على الموقف فقلت له :

« العدو قائم بالضرب الجوى على الضفة الغربية والمعابر والمنطقة المزروعة ، إحنا طلبنا طلعة طيران لضرب تجمع الدبابات » ، فأخبرنى الوزير أنه قد أمر بعمل مظلة جوية فوق الجيش ، فقلت له :

« مظلة إيه اللى فوق أمال إحنا بنضّرب إزاى ، هذه سابع أو ثامن غارة بشكل متصل » .

وأخيراً ، وبعد أن أصبح الموقف ميئوسًا منه أخبرنى الوزير أنه سيدفع عبد العزيز قابيل ومعه الدبابات إلى الجيش ، وكنت قد فاض بى الكيل ، بعد أن طلبت عودة الفرقة ٤ مدرعة إلى الجيش ومعها عبد العزيز قابيل أكثر من مرة ، ولم يستجب الوزير لطلبى ، حتى أصبح الموقف خارج قدرة أن يصلحه عودة عبد العزيز قابيل وما معه من الدبابات ، فقلت له : « يدفع للجيش بعد إيه ، بعد خراب مالطة » ، ولم يرد الوزير .

الساعة ١٣١٦ : تحدث الوزير مرة أخرى؛ لكى يستفسر عن موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ومدى إمكانية أن تقوم بالإحاطة بالعدو دون الاشتباك به، فقلت له :

«يا سيادة الوزير اعتبر الفرقة ٦ خارج المعركة وقائد الفرقة بجانبى، الطيران المعادى يقوم بضرب الزيتيات ومصنع السماد، والكفاءة القتالية للفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عبارة عن كتيبتين مهلهلتين. إننى أعمل حسب الإمكانيات الموجودة، أنا فاهم سيادتك، ولكن أحيط العدو بأية قوات؟! لايوجد فى يدى قوات، يافندم قائد الفرقة مكلف بمهمة فتح الطريق من يومين وحتى الآن لم يفتح الطريق، إننى أفعل أكثر ما يمكن» .

انسحاب مركز القيادة المتقدم للجيش :

الساعة ١٤٢٠ بدء العدو فى قصف مركز القيادة المتقدم للجيش بتركيز شديد وبموجات متتالية من الطيران حتى الساعة ١٥٢٠، وأبلغت مركز القيادة الرئيسى بتولى القيادة مؤقتًا لحين استعادة كفاءة الاتصالات، وقد أمرت القيادة العامة بانتقال مركز القيادة المتقدم إلى مركز القيادة الرئيسى وانتقال مجموعة عمليات إلى رأس الكوبرى؛ للسيطرة على القوات.

فى الساعة ١٩١٥ يوم ٢٣ أكتوبر تقدم رتلان من الدبابات للعدو فى اتجاه مركز القيادة المتقدم للجيش حتى وصلا إلى مسافة ٥٠٠ متر من المركز، أحدهما : يمين المركز بحوالى ٣٠٠ متر والآخر : على يسار المركز بنفس المسافة، ومن حسن الحظ أن الوقت كان ليلاً، وأثناء توقف دبابات العدو لتجميع القوات وتخصيص المهام لها، وفى الوقت نفسه كانت جميع عربات المركز قد دمرت أو أصيبت إطاراتها وفقدت القدرة على التحرك من جراء القصف الجوى المركز، وجاء العقيد ثروت التهامى قائد المركز وقال لى : إن هناك عربة لورى سليمة فى التبة الخلفية، وأنه لايجب السماح بوقوعى فى الأسر، وظهورى فى التليفزيون الإسرائيلى؛ لما لذلك من تأثير نفسى وإعلامى على القوات، فأمرته بتجميع الجنود وحمل مايستطيع من معدات الاتصال بالمركز، واتصلت بالعميد عادل عباس فى مركز القيادة الرئيسى

وأبلغته بتولى القيادة، ثم قمت بتقسيم قوة المركز إلى ثلاث مجموعات، وأمرت بحرق وتدمير مالايمكن حمله من الوثائق، وبعد أن حددنا اتجاه الشمال واتجاهات التحرك أمرت بانسحاب المجموعات بفاصل ١٠ دقائق بين كل مجموعة، وانسحبت كل مجموعة فى اتجاه مختلف عن الأخرى من خلال دبابات العدو المتوقفة، وأصر العقيد مسعد الششتاوى نائب رئيس فرع العمليات والمقدم صلاح محى الدين والمقدم أحمد الشناوى من قيادة مدفعية الجيش على أخذ جميع الوثائق والخرائط وفعلاً قاموا بجمع الخرائط والوثائق فى حقيبتين، وباستغلال الظلام نجحنا فى الوصول إلى طريق السويس، حيث قابلنا عربة فنطاس مياه، فركبناها جميعًا إلى مركز القيادة الرئيسى للجيش، ووصلناه الساعة ٢٣١٥ .

ووصل باقى الضباط ومعهم جميع الخرائط والوثائق يوم ٢٦ أكتوبر عن طريق جبل عتاقة .

وبوصولى إلى مركز القيادة الرئيسى للجيش قمت بالاتصال بوزير الحربية الذى هنأنى على سلامة الوصول، وأخبرنى أنه قد اعتقد أننى قد استشهدت، فأرسل اللواء محمد فائق البورينى لتولى قيادة الجيش الثالث، ونجحت فى الاتصال باللواء البورينى الذى كان قد وصل إلى منطقة القطامية، وأخبرته بوجودى بالمركز الرئيسى فهنأنى على سلامتى، وعاد إلى القاهرة .

وخلال باقى اليوم أتم العدو حصار رءوس الكبارى وقطع طريق السويس وحصار مدينه السويس ونقطة التمركز البحرية بالأدبية بعد أن قصف الطريق إليها بالمدفعية والطيران وتقدم إليها بالدبابات بحرًا من الخليج، واحتل العدو معسكر الفنجرى جنوب القاعدة البحرية .

أحداث يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

اعتباراً من أول ضوء بدأ تركيز العدو الجوى على أماكن العناصر المتبقية من وحدات الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، خاصة الدبابات والمدفعية .

الساعة ٠٨٠٠ دفع العدو ٢ سرية دبابات من اتجاه عجرود غربًا فى اتجاه تقاطع كم ١٠٩ ، وقد دارت معركة قوية بين هذه القوة والقوات المتبقية فى هذه المنطقة

كانت عبارة عن ٧ دبابات وبعض المدافع من اللواء ١ مشاة ميكانيكي وعناصر قليلة من المشاة، واستخدمت جميع وسائل النيران والمناورة والضرب المباشر بالمدفعية واستمرت هذه القوة في التمسك بمواقعها حتى الساعة ١٥٠٠ إلى أن تمكن العدو من تدمير جميع الدبابات والمدافع بقوة ٢ سرية دبابات أخرى من اتجاه كم ١٠٢ شرقًا و٢ سرية دبابات وطائرة هليكوبتر للعدو.

الساعة ١٦٠٠ دفع العدو قواته مدعمة بمجهود جوى قوى في اتجاه منطقة المعسكرات شمال كم ١٠٩ لإتمام تصفية قواتنا، واستخدام لذلك «٢» سريتي دبابات من اتجاه الشمال الغربي، «٢» سريتي دبابات من اتجاه كم ١٠٩، كما دفع في الوقت نفسه «٢» سريتي دبابات من اتجاه جبل غره إلى التبة الزلطيه و تمكن من تدمير جميع الدبابات والمدافع المتبقية، وقاتلت القوات المتبقية ببسالة وتضحية حتى فقدت قدرتها.

وفي الساعة ١٦٤٥ تمكن العدو من اقتحام القوات المتبقية ومركز قيادة الفرقة ٦ واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكي.

وفي اتجاه الأدبية قام العدو بالاقتراب من النقطة من اتجاه السويس بالدبابات ومن الخليج بالقطع البحرية وزوارق الإنزال تحت ستر نيران دبابات، وقد تجاوز العدو منطقة الأدبية جنوبًا في اتجاه فوج حرس الحدود، وتمكن من تدمير ٤ دبابات للفوج وتوقف تقدمه عند معسكر الفنجرى، وقام بقصف طريق وادى حجول بالطيران، وأمكن الاستيلاء على نقطة تمركز السويس البحرية حوالي الساعة ١٦٠٠.

خلال هذه الأعمال أصدرت الأوامر إلى الفرقة ٤ مدرعة بتأمين المنطقة الخلفية للجيش وتأمين منطقة كم ٨٥؛ لمنع تسرب العدو منها إلى عمق الجيش، وأتمت احتلال النطاق الدفاعي الثاني للجيش.

وخلال هذا اليوم تعرضت قوات شرق القناة لقصف جوى عنيف من الساعة ٠٥٤٥ إلى الساعة ٠٧٠٠ ومن الساعة ١٠٣٠ إلى الساعة ١١٠٠ كذا قصف بالمدفعية والدبابات، إلا إنها تمكنت من إيقاف تقدم العدو من غرب القناة في اتجاه المعابر.

قام العدو خلال هذا اليوم بإتمام السيطرة على طريق السويس اعتبارًا من كم ٩٩ شرقًا، علاوة على المنطقة جنوبه حتى جبل عتاقة، وشماله حتى يسار الجيش،

وأعاد تنظيم قواته فى هذه المنطقة، وقد قامت باقى عناصر الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى الموجودة شمال تقاطع كم ١٠٩ بمحاولة أخيرة للتصدى لأعمال العدو ومنعه من الاستيلاء على هذه المنطقة إلا أن العدو وجه إليها قوات متفوقة، وتمكن فى النهاية من الاستيلاء على تقاطع كم ١٠٩.

الساعة ٢٣٠٠ أمرت بانتقال مركز القيادة الرئيسى للجيش إلى الروبيكى بتصديق القيادة العامة.

يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣:

قام العدو خلال ليلة ٢٤/ ٢٥ أكتوبر بتحركات هليوكوبتر فوق المنطقة التى تمركزت بها قواته، كما قام بتحركات بحرية فى الخليج فى اتجاه القاعدة البحرية.

الساعة ٠٥٠٠ أتم مركز القيادة الرئيسى للجيش الانتقال إلى الروبيكى، وصدقت القيادة العامة على تمركز مركز القيادة المتقدم للجيش فى الجفره، وبدأ تنفيذ الانتقال.

قمت بتشكيل احتياطى الجيش من الكتيبة ٣٣٩ ميكانيكى من اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى مدعمة بالكتيبة ٢٠٩ دبابات من اللواء ٢ مدرع، وقد تمركزت الكتيبة المشاة الميكانيكى فى مدخل حجول، وتمركزت كتيبة دبابات بمنطقة كم ٨٥ طريق السويس.

الساعة ١٣٤٠ حدثت معركة جوية فوق قطاع الجيش بمنطقة الجفره وشوهد احتراق عدد ٦ طائرات وسقوط «٢» مظلتين، ولم نتمكن من تمييز نوع الطائرات أو التقاط الطيارين.

الساعة ٢٠١٥ قررت القيادة العامة إعادة تجميع الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، عدا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى منطقة الهايكستب.

وبنهاية هذا اليوم تقريبا توقفت أعمال القتال غرب القناة، خاصة أن قوات الطوارئ الدولية كانت قد بدأت فى التمركز فى محلاتها؛ للإشراف على إيقاف إطلاق النار، وذلك اعتباراً من الساعة ١٤٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر ٧٣، وبدأت مرحلة جديدة باستعادة الكفاءة القتالية للقوات مع المحافظة على الأرض المكتسبة تمهيداً لإتمام تطهير الأرض شرق وغرب القناة من العدو.

القسم الرابع

من صمود السويس إلى فض الاشتباك

فور إعلان قرار الموافقة على وقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بناءً على قرار مجلس الأمن، سارعت كل من القوات المصرية والقوات الإسرائيلية بنشر قواتها؛ لكسب المزيد من الأرض قبل موعد وقف إطلاق النار ووصول قوات حفظ السلام الدولية، ولكن إسرائيل كان لها فيما يبدو هدفٌ أكثر أهمية من مجرد الاستيلاء على المزيد من الأرض للأهداف التكتيكية العادية، لقد كانت تسعى إلى الاستيلاء تحديداً على مدينة السويس، ولكن لماذا مدينة السويس ؟

* **السبب الأول :** إن مدينة السويس هي أكبر وأقدم مدن منطقة القناة وأكثرها شهرة عالمية، فهي تلك المدينة التي ارتبط اسمها باسم ذلك الشريان المائي الحيوي «قناة السويس» الذي أصبح من أهم طرق النقل البحري منذ إنشائه في القرن الماضي، واسم السويس أيضاً يرتبط بجميع الاستراتيجيات العالمية التي تستخدم مصطلح شرق السويس أو غرب السويس، إذن فالاستيلاء على مدينة السويس سيصبح خبراً إعلامياً عالميًا سهل التخيل لا يحتاج من المستمع أو القارئ إلى مراجعة خريطة المنطقة لمعرفة مكان الخبر، وناهيك عمّا لهذا الخبر من تأثير سلبي على الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية والشعب المصري بل والحكومات والشعوب العربية، كما أن له تأثيراً إيجابيًا على الروح المعنوية للجيش والشعب الإسرائيلي الذي يتوق إلى خبر سار يعوضه عن الأخبار السيئة بالخسائر الفادحة اعتباراً من السادس من أكتوبر، وحتى أثناء معارك الثغرة والقتال غرب القناة، رغم النجاح الإسرائيلي في تحقيق أهداف عبور قواته إلى غرب القناة.

* **السبب الثاني :** إن الاستيلاء على مدينة السويس يتيح للقوات الإسرائيلية

إحكام حلقة الحصار على قوات الجيش الثالث شرق القناة، وبالتالى يتعاظم الضغط على هذه القوات وعلى القيادة المصرية ممَّا قد يؤدى إلى استسلامها أو استخدامها كورقة ضغط رابحة فى مفاوضات ما بعد وقف إطلاق النار، وبذلك تثبت إسرائيل ومرة أخرى أنها قد استعادت زمام الموقف، فتستعيد ثقة الغرب، علاوة على استعادة ثقة الجيش والشعب الإسرائيلى فى حكومته وقيادته العسكرية التى كانت قد فقدت لقب الجيش الذى لا يقهر.

ولكن أبطال الجيش الثالث الميدانى وشعب مدينة السويس كان لهم رأى آخر وهو ما سنأتى إليه بالتفصيل فى السطور التالية ونحن نرى المشاهد الختامية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى لم تنته فى الحقيقة بإيقاف إطلاق النار أو توقف العدو عن تكرار محاولة الاستيلاء على مدينة السويس بعد أن وضح له فداحة الثمن الذى سيدفعه من ضباطه وجنوده ودباباته ومجنزراته.

فعلى جانب قوات الجيش الثالث، لم تنته المعركة بحصار قوات الشرق، وإنما كانت البداية لمسلسل طويل من الإغارات والكمائن بالقوات المتيسرة التى تحيط بالعدو من جميع الأجناب، ولم تمر ليلة واحدة منذ بدأ العدو فى التوغل فى نطاق الجيش الثالث إلا وكان قد تعرض لإغارة من عناصر الصاعقة ومجموعات اقتناص الدبابات التى كانت تدفعها قوات الجيش فى الشرق والقوات التى على اتصال بالعدو غرب القناة، والتى كان يقودها ضباط من كافة الرتب فى مهام انتحارية داخل المناطق التى كان العدو قد وصل إليها، وكثيرًا ما كان العدو يضطر إلى تجميع قواته تحت ستار الليل؛ لحمايتها من هذه الإغارات التى كثيرًا ما كانت تعود بدبابة إسرائيلية سليمة أو أسير من الإسرائيليين.

والغريب أن بعض هذه الإغارات كانت تقوم بها القوات التى تتعرض لأشد الهجمات والظروف، كالكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، التى قام رئيس عملياتها النقيب مراد الدسوقى بقيادة أكثر من عملية إغارة عاد منها بأسير أو دمر دبابة أو قتل وأصاب أفرادًا للعدو.

وكما شاهدنا فى الأقسام السابقة، واصلت قيادة الجيش الثالث التحليل السليم لتحركات القوات الإسرائيلية غرب القناة ممَّا أدى إلى التوقع السليم لنواياها،

واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمواجهتها، وإحباط نواياها طبقًا للقدرات المتوافرة للجيش فى منطقة غرب القناة خاصة بعد سحب معظم الفرقة الرابعة المدرعة من نطاق الجيش، وعدم تدخلها كفرقة مدرعة تمثل القوة الضاربة للجيش الثالث فى القتال الدائر غرب القناة، وفى مؤخرة الجيش، **وكما كان القرار المبكر السليم الذى اتخذته يوم ١٩ أكتوبر، ونفذته عناصر النقل بالجيش بقيادة العميد مصطفى عبد الجواد بدفع كل ما يمكن دفعه من الاحتياجات من طعام ومياه ووقود وذخيرة للقوات شرق القناة قرارًا صائبًا، كان القرار المبكر بتنظيم الدفاع والمقاومة الشعبية عن مدينة السويس أيضا قرارًا صائبًا.**

ففى صباح يوم ٢٤ أكتوبر وبناءً على أوامر قائد الفرقة ١٩ المشاة العميد يوسف عفيفى، التى تقع مدينة السويس فى قطاع مسئوليتها عبر قائد اللواء الخامس المشاة إلى مدينة السويس فيها، وتم فتح المخازن وتوزيع السلاح والذخيرة على أهالى المدينة وبدأ فى تنظيم المقاومة الشعبية.

ولكن القوات الإسرائيلية كانت أسبق فى الوصول إلى المدينة والبدء فى اقتحامها ونجحت المدرعات الإسرائيلية فى الوصول إلى مبنى المحافظة ومحاصرته، وقام القائد الإسرائيلى بإذاعة النداءات للقوات والشعب المسلح بالاستسلام، ومنع إراقة الدماء، وصعد أحد الجنود الإسرائيليين إلى مبنى المحافظة محاولاً إنزال العلم المصرى من عليه، علامة على انتصار القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على مدينة السويس، ولم يطق الجنود المصريون المنتشرون حول المبنى هذا المنظر؛ وأطلقوا عليه النار فسقط قتيلاً، **وبعد لحظات انطلقت دعوة الجهاد من مئذنة جامع الشهداء بالسويس بصوت الشيخ حافظ سلامة، فانطلق جنود الجيش والشرطة وأفراد المقاومة الشعبية يهاجمون الدبابات حول مبنى المحافظة، ويدمرونها فى شجاعة أسطورية فاضطرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب بعيدًا عن مبنى المحافظة.**

وفى الوقت نفسه حاولت القوات الإسرائيلية اقتحام السويس من ناحية منطقة المثلث التى يتقاطع فيها طريق المعاهدة مع طريق السويس ـ القاهرة، فواجهتها قوات المقاومة الشعبية، ودمرت لها العديد من الدبابات؛ فانسحبت إلى خارج المدينة مخلفة وراءها عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى والأسرى.

ومن اتجاه شاطئ القناة شمال مدينة السويس، حاولت القوات الإسرائيلية المدرعة اقتحام المدينة إلا أن قوات الفرقة ١٩ المشاة التى كانت قد احتلت الساتر الترابى شرق وغرب القناة تصدت لها ومنعتها من اقتحام المدينة .

استمر العدو فى دفع قوات جديدة الأمر الذى أدى إلى الاشتباك معه وتدمير دباباته وعرباته المجنزرة، وحاول العدو الاستيلاء على الساتر الترابى خلف الفرقة ٧ مشاة خلف السكة الحديد، ولكنه فشل ودمرت له ٩ دبابات و٦ مجنزرات، وتم إيقاف تقدمه بأعمال الكمائن ومجموعات اقتناص الدبابات، وأيقن العدو بعد أن وصلت خسائره إلى ٣٦ دبابة ومجنزرة أن محاولته قد فشلت، فقام بإعادة تجميع دباباته فى معسكر «حبيب الله» شمال مدينة السويس، وقام بتجميع ٣٠ دبابة فى الأرض المجاورة للمعسكر .

وتم اتخاذ إجراءات تقوية الدفاع عن مدينة السويس؛ لمنع سقوطها فى يد القوات الإسرائيلية، التى قد وضحت نواياها فى هذا الاتجاه، فأمرت بدفع سرية دبابات مدعمة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى إلى مدينة السويس؛ لتقوية دفاعاتها بالإضافة إلى سرية صاعقة؛ لتشترك مع الكتيبة ٣٢ دفاع إقليمى وقوات الدفاع الشعبى، كما تم دفع مجموعات اقتناص دبابات من الفرقة ١٩ مشاة بناءً على اقتراح من قائد الفرقة، وتم عبورهم إلى مدينة السويس على آخر جزء من كوبرى الجيش الذى كان قد دمر بواسطة الطيران، كما تم دعم هذه القوات بسرية صواريخ مضادة للدبابات، وتم معاونتها بالمدفعية من شرق القناة ضد القوات الإسرائيلية؛ لتعطيلها وإتاحة الفرصة لقوات السويس لتنظيم الدفاع عن المدينة وإنشاء التحصينات اللازمة حولها .

وتفصيلاً فقد بدأ العدو هجومه فى اتجاه مدينة السويس على عدة محاور:

طريق المعاهدة (الإسماعيلية - السويس) و طريق جنيفه و طريق القاهرة - السويس وطريق الأدبية، وعندما اقترب العدو من مدينة السويس قوبل بمقاومة شديدة أجبرته على الانسحاب بعيداً عن حوض الدرس، وأعاد تقدمه على طريق جبل عتاقة وميناء الأدبية، فأصدرت أوامرى لتعديل أوضاع الدفاع؛ لقفل المحاور المؤدية إلى السويس من هذه الاتجاهات .

فى الساعة ٢٢٤٢ يوم ٢٣ أكتوبر تقدمت الدبابات الإسرائيلية على الميول الشمالية الشرقية لجبل عتاقة فى اتجاه ميناء الأدبية، وتمكنت من محاصرة الميناء بمساعدة القوات البحرية الإسرائيلية، التى قامت بالهجوم بالإبرار البحرى على نقطة التمركز البحرية، وخلال ساعة كان قد تم احتلال معسكر الفنجرى.

واعتباراً من أول ضوء يوم ٢٤ أكتوبر أبلغت مجموعات الاستطلاع عن نية العدو فى الهجوم على مدينة السويس بلواء مدرع على عدة محاور تحت حماية القوات الجوية الإسرائيلية، وفى الساعة ٠٨٣٠ يوم ٢٤ أكتوبر ظهرت أرتال العدو المتقدمة من اتجاه معسكر الشلوفة على طريق المعاهدة تعاونها القوات الجوية بالهجوم المركز على المدينة والعناصر المدافعة عنها، وتصدت عناصر الدفاع عن النطاق الخارجى للمدينة ومجموعات اقتناص الدبابات لهذه القوات ببسالة ونجحت فى تدمير ٩ دبابات مما أربك العدو الذى كان يظن أن الطريق قد أصبح مفتوحًا إلى المدينة، فتوقف عن التقدم.

فى الساعة ١١٠٠ كرر العدو الهجوم مرة أخرى من اتجاه طريق القاهرة ـ السويس فى اتجاه شارع الجيش (المدخل الرئيسى للمدينة) كما قامت كتيبة دبابات إسرائيلية بالهجوم من اتجاه طريق القناة، وتمكنت من الاستيلاء على الساتر الترابى الغربى للقناة من جنوب البحيرات إلى حوض الدرس، وقامت قوات الفرقة ١٩ المشاة بتوجيه ضربات عنيفة لهذه القوات مستخدمة نيران المدفعية، ومجموعات اقتناص الدبابات، وتوقفت القوات الإسرائيلية عن التقدم نتيجة لخسائرها الفادحة خاصة فى منطقة الملاحات وحوض الدرس الذى يقع على مسافة ٧ كم شمال بور توفيق.

وفى اليوم نفسه حاولت قوة من المظلات تقدر بحوالى لواء تعاونها الدبابات اقتحام مدينة السويس عبر شارع الجيش، ومحاولة الاستيلاء على قسم شرطة الأربعين، فتصدت لها مجموعات اقتناص الدبابات وعناصر المقاومة الشعبية، وخسر العدو فى هذه المعركة ٩٦ قتيلاً منهم نائب قائد لواء المظلات، ثم حاول العدو الهجوم من اتجاه طريق القاهرة ـ السويس على محور غرب السكة الحديد، ومرة أخرى تصدت له عناصر المقاومة الشعبية ومجموعات اقتناص الدبابات، ودمرت له دبابتين و٤ عربات مجنزرة وعدد من العربات المحملة بالذخائر.

وخلال هذه المعارك البطولية دأب العدو على استخدام مكبرات الصوت والمنشورات من الطائرات لدفع القوات والشعب إلى التسليم، وكان الرد فى كل مرة هو المزيد من الهجمات الانتحارية على قواته والمزيد من الخسائر من القتلى والجرحى والمعدات المدمرة والمحترقة فى مشاهد تعكس الوطنية والفداء للمواطن المصرى الأصيل.

وفى يوم ٢٥ أكتوبر تم تعزيز المدينة بالمزيد من مجموعات اقتناص الدبابات التى زادت من نشاط المقاومة وأعمال التسلل إلى مناطق تجميع العدو والإغارة عليها مسببة المزيد من الخسائر، فلجأ العدو إلى قطع المياه عن المدينة؛ لإجبارها على التسليم، وقام بردم ترعة السويس من جنوب فايد وتحويل المياه إلى البحيرات المرة، ولم تهدأ قوات الجيش الثالث وفدائيو السويس وأفراد منظمة سيناء، وانتهزت مناسبة عيد الفطر الذى وافق يوم ٢٦ أكتوبر، وفاجأت العدو بالهجوم على مواقعه فى المثلث ومنطقة الأستاذ، كما قامت المدفعية بضرب تجمعاته فى منطقة الشلوفة .

وإزاء تلك الخسائر المتتالية ووضوح صلابة المقاومة دفاعًا عن مدينة السويس وتدخل مدفعية الجيش من شرق القناة لضرب تجمعات العدو أثناء عملية إعادة تجميع قواته بعد كل فشل فى اقتحام المدينة اضطر العدو إلى الانسحاب غربًا بعيداً عن نيران المدفعية وعناصر اقتناص الدبابات، واحتل المناطق المسيطرة على مداخل المدينة، وقامت قواته الجوية بتركيز نيرانها على المدينة والقوات شرق وغرب القناة.

على الرغم من أن العدو كان قد تمكن من حصار قوات رأس الكوبرى للجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، إلا أن رأس كوبرى الجيش الثالث كان لايزال فى أوضاعه التى انتهت بها أعمال قتال مرحلة التطوير، حيث يمتد من رأس مسلة جنوبًا إلى كبريت شمالاً وبعمق ١٥ كيلومتر شرقًا، وحيث تقاتل الفرقتان ١٩ و٧ مشاة بنجاح، وتتمسكان برأس الكوبرى شرق القناة والساتر الغربى المشرف على المعابر غرب القناة، وتواصل الإغارات الليلية بمجموعات اقتناص الدبابات والقصف بالمدفعية على العدو، وعلى الجانب الغربى لقطاع الجيش الثالث، كانت الفرقة ٤ المدرعة تحيط بالعدو من اتجاه الغرب على النطاق الدفاعى الثانى، وقد تم دعمها بلواء مدرع جزائرى، كما كان اللواء المغربى يحتل قطاع بير عديب.

الخطة الأولى لإمداد القوات المحاصرة :

وتم استدعائى إلى القيادة العامة فى القاهرة؛ لبحث أسلوب إمداد القوات فى رأس الكوبرى شرق القناة، واقترح الفريق أول أحمد إسماعيل دفع ١٥٠ جمل إلى قوات الشرق، فقلت له : «إن هذا غير ممكن، فماذا يمكن أن تحمله قافلة من ١٥٠ جمل، وكيف تصل والعدو يسيطر على طريق السويس؟»، فاقترح أن يكون الإمداد عبر الوديان والدروب فى جبل عتاقة، فقلت له : « إن هذا غير ممكن حيث إن القوات الإسرائيلية تسيطر على كافة القطاعات من الأدبية حتى منطقة نفيشة جنوب مدينة الإسماعيلية» .

وتطورت الفكرة إلى دفع قول مجنزر يحمل الإمدادات إلى القوات المحاصرة، على أن تقوم الفرقة ٤ مدرعة بحمايته، فقلت له : وهذا أيضًا غير ممكن حيث سيتم اكتشافه بسهولة وتدميره أو الاستيلاء عليه، وهنا احتد الوزير وقال : «هو أنا كل ماقول لك حاجه تقول لى ماينفعش »، فقلت له : « أنا مستعد لتنفيذ أى مهمة، ولكن يجب أن تكون مهمة صحيحة، ولا تتسبب فى مزيد من التدمير لقواتنا»، ثم كلفنى الوزير بفتح طريق السويس بالفرقة ٤ مدرعة فقلت له : «إن قوة الفرقة ٤ مدرعة المتيسرة غير كافية لتنفيذ هذه المهمة، فكل المتبقى بها ١٣٨ دبابة واللواء ٦ مشاة ميكانيكى متبق به أقل من كتيبتين، بينما العدو الموجود فى القطاع ٥ لواء مدرع وميكانيكى تدعمهاً ١٠ كتائب مدفعية غير الصواريخ المضادة للدبابات، أما احتياطى قائد الجيش فهو كتيبة مشاة ميكانيكى وكتيبة دبابات غير كاملة أى أن المقارنة فى القوات ١ : ٣ فى الدبابات والمشاة غير المدفعية»، وأصر الوزير على رأيه، فقلت له : إننى سوف أخصص المهمة للعميد عبد العزيز قابيل .

ويصف الفريق سعد الشاذلى فى كتابه (حرب أكتوبر ص ٢٧٥) ما حدث بعد ذلك فيقول :

«الساعة ١١٠٠ يوم ٢٦ أكتوبر حضر العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعة إلى المركز ١٠ (مركز العمليات) ليعرض قراره، وكان تقرير العميد عبد العزيز قابيل، يؤيده فى ذلك اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث، وهو أن

الفرقة الرابعة المدرعة لا تستطيع أن تقوم بتنفيذ المهمة، كان كلام قابيل وعبد المنعم واصل كلامًا منطقيًا يعتمد على قواعد وأصول العلم العسكرى، ولم أكن أنا شخصيًا أتوقع غير ذلك منذ يوم ٢٣ أكتوبر.

ولكن الوزير - والكلام لايزال للفريق سعد الشاذلى - أخذ يحاور قابيلاً محاورات غريبة، وهنا قال قابيل: إننى وضباط وجنود الفرقة جميعهم مستعدون للقيام بهذه العملية الانتحارية، ولكننى لا أعتقد أننا سننجح فى فتح الطريق إلى القوات المحاصرة بعد ذلك، وإذا دمرت هذه الفرقة، فسيكون الطريق مفتوحًا أمام العدو إلى القاهرة.

فقال الوزير: «إذن تعدل المهمة من فتح طريق السويس إلى حماية القوات الإدارية التى تتحرك من القاهرة إلى الجيش الثالث عبر المسالك والطرق الثانوية، وعلى أثر ذلك ألغيت المهمة، ولم تنفذ».

أحداث يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣:

أبلغت عناصر الاستطلاع عن وجود لواء مدرع للعدو، تقدر قوته بحوالى ١٣٠ دبابة فى منطقة سدر الحيطان شرق ممر متلا، وتوقعت إدارة المخابرات قيام العدو بهجوم مضاد على قوات رأس الكوبرى، وفى الوقت نفسه كان العدو يواصل هجماته الجوية على القوات فى رأس الكوبرى، ويركز على المعابر على قناة السويس وتمكن فعليًا من تدمير العديد منها باستخدام النابالم.

الساعة ١٩٣٠ وجه وزير الحربية الرسالة التالية لقوات الجيش الثالث:

«من القائد العام إلى الجيش الثالث «تحياتى» يحيى الشعب فيكم البطولة والشجاعة فردًا فردًا، تسير الأمور فى صالحكم من جميع النواحى».

أحداث يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣:

الساعة ٠٢٠٥ أفادت هيئة العمليات أن اللواء السودانى قد دخل ضمن تجميع المنطقة المركزية العسكرية وليس الجيش الثالث، وأمرت بقيام الجيش الثالث بإمداد

قوات رأس الكوبرى ليلاً، وعلى دفعات مع الاستمرار فى تأمين النطاق الدفاعى الثانى على أن يبدأ الإمداد اعتباراً من ليلة ٢٧ / ٢٨ أكتوبر، كما أفادت هيئة العمليات بأنه عند صدور الكلمة الكودية «صقر» تقوم جميع القوات فى جميع القطاعات بالضرب على العدو فى مواجهتها بالضرب المباشر والمدفعية؛ لإحداث أكبر خسائر فى قوات العدو.

الساعة ٠٨٠٠ صدرت التعليمات بوضع قوات رأس الكوبرى شرق القناة تحت قيادة العميد أحمد بدوى قائد الفرقة ٧ المشاة؛ للسيطرة على الإمداد الإدارى وتوحيد جهة التعامل مع قوات الطوارئ الدولية، وبدأ التخطيط لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة.

التخطيط لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة:

توقفت الهجمات الإسرائيلية بالوحدات المدرعة والميكانيكية بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى الأدبية، وفشلت فى احتلال مدينة السويس، فاكتفت بحصار قوات الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس والسيطرة على طريق القاهرة - السويس وإن كانت استمرت فى التراشق بنيران الدبابات والمدفعية مع قواتنا المحاصرة فى نقطة كبريت بقيادة الشهيد العقيد إبراهيم عبد التواب، وهو آخر شهيد فى حرب أكتوبر، والقوات شرق القناة، لدفعها إلى استهلاك ذخيرتها و إنهاكها، ولكن قواتنا ازدادت صلابة - كعادة الشعب المصرى - وبدأت فى مبادلة العدو فى العمليات الليلية بالإغارة على قواته غرب القناة مما اضطره إلى سحب معظم القوات ليلاً خلف التباب والهيئات لحمايتها، مع ترك قوات لتأمين مواقعه الدفاعية فى المناطق المستولى عليها، واكتشفت قواتنا هذا الأسلوب فزادت من هجماتها التى كثيراً ما أسفرت عن قتلى وأسرى والاستيلاء على معدات إسرائيلية.

ومع ثبات القوات فى أوضاعها الدفاعية شرق وغرب القناة، بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة فى التخطيط لعملية تصفية القوات الإسرائيلية غرب القناة، وفك حصار الجيش الثالث ومدينة السويس.

وسنلاحظ فى عرضنا لتطور الخطط الهجومية لفك الحصار وتصفية الثغرة أن هذه الخطط قد تطورت من حيث القابلية للتنفيذ والواقعية بناءً على العوامل الآتية :

* مدى استعادة القوات التى تأثرت بالقتال فى الفترة السابقة؛ لكفاءتها القتالية واستعواض ما فقدته من الأسلحة والمعدات والذخيرة بعد أن قام الاتحاد السوفييتى بعمل جسر جوى متصل لإنقاذ الموقف.

* وصول بعض الوحدات من الدول العربية ودفعها إلى ميدان القتال كما حدث مع لواء مدرع جزائرى، أوالاحتفاظ بها كاحتياطى ودفع جزء من الاحتياطى إلى الجبهة كما حدث مع لواء مشاة سودانى، أو تكليفها بمهام تأمين ودفاع لسحب القوات المصرية ودفعها لمواجهة العدو فى الثغرة، كما حدث مع اللواء المشاة المغربى.

*** أما أهم هذه العوامل جميعًا، فقد كانت عودة القيادة السياسية إلى الانشغال بمهامها السياسية والدبلوماسية فى المفاوضات الدائرة لإمداد الجيش الثالث ومدينة السويس وعودة القوات إلى الخطوط التى كانت عليها القوات ساعة تنفيذ قرار وقف إطلاق النار، أى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر، وبذلك تركت القيادة السياسية للقيادة العسكرية التصرف فى الموقف الذى أوصلت القوات المسلحة إليه بتدخلها فى قرارات القيادة العامة للقوات المسلحة، ومن ثم بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة فى تجميع شتات فكرها مرة أخرى، والتفكير فى كيفية التغلب على الوضع الذى كان يهدد بإجهاض النجاح الأول لحرب أكتوبر، وكان أهم ما بدأت به القيادة العامة عملها فى التخطيط هو استطلاع رأى قادة الجيوش ومعرفة تصورهم للتخطيط المناسب لتصفية الثغرة، قبل الأمر بإعداد هذا التخطيط كخطة ملزمة واجبة التنفيذ.**

ولاشك أن صمود قواتنا فى رأس الكوبرى شرق القناة وداخل مدينة السويس، وصمود قوات نقطة كبريت التى حوصرت من جميع الجهات أثناء مرحلة حصار الجيش الثالث، بالإضافة إلى وضوح نية إسرائيل فى عدم العودة إلى خطوط يوم ٢٢ أكتوبر كان لهم جميعًا أثر كبير فى إصرار القيادة العامة على تخطيط عملية هجومية حاسمة؛ لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة، وفك حصار الجيش الثالث ومدينة السويس.

الخطة واصل:

فى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣، تم استدعائى إلى القاهرة؛ لحضور مؤتمر فى القيادة

العامة، وعند وصولى وجدت اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى موجوداً مع الوزير وهيئة القيادة، وبمجرد دخولى وبعد أن انتظم المؤتمر، بدأ وزير الحربية الحديث قائلاً :

«عبد المنعم خليل ليس له ذنب فيما حدث للجيش الثانى، ولذلك نحن نريد أن نأخذ منه ١٠ كيلومتر؛ من المواجهة، ويأخذها الجيش الثالث».

فقلت له : «أولاً اللواء عبد المنعم خليل هو قائد الجيش الثانى، ثانيًا الموضوع ليس من هو المسئول عن الثغرة، هل من المعقول أن تزيد مواجهة الجيش المحاصر ١٠ كيلومترات لأن اللواء عبد المنعم خليل ليس له ذنب فى ما حدث، يافندم نحن لانجد قوات؛ لكى نحارب بها»، وأصر الوزير على رأيه وبالتالى زادت مواجهة الجيش الثالث غرب القناة بمسافة ١٠ كيلومترات.

ثم كلفنى الوزير بالمهمة واصل التى كانت تتلخص فى الآتى :

دون اهتزاز النطاق الدفاعى الثانى، يقوم الجيش الثالث بدفع مجموعة لواء من وادى حجول للاستيلاء على الأدبية والخليج، ثم يتابع التقدم للاتصال برأس كوبرى الجيش.

فقلت له : «أنا قلت لسيادتك لا يمكن تنفيذ عمل كهذا؛ لأن كل ما لدى ١٣٨ دبابة والعدو له ٥ لواءات مدرعة بخلاف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، وأنا عندما أسحب مجموعة لواء سيكون لواء اسمًا فقط وليس فعلا، ثم كيف لا يهتز النطاق الدفاعى الثانى».

وبعد انتهاء المؤتمر تسلمت مظروفًا مغلقًا وانصرفنا، وأثناء عودتى إلى قيادة الجيش، فتحت المظروف، ووجدت به نفس المهمة الغير ممكن تنفيذها، التى أطلق عليها الخطة واصل، وبعد فترة من وصولى إلى قيادة الجيش، اتصل بى اللواء الجمسى، وأبلغنى بإلغاء المهمة.

الخطة شامل وتطورها إلى شامل ٢ ثم شامل ٢ المعدلة :

وبناء على توجيهات من القيادة العامة للقوات المسلحة بوضع الخطة شامل

للهجوم على قوات الثغرة وتصفيتها، واستعادة السيطرة على غرب القناة، ثم العبور مرة أخرى إلى شرق القناة، قام كلّ من الجيش الثالث والجيش الثانى بإعداد الخطوط العريضة لخطة تصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة، كلٌ فى نطاقه كما وضع كلٌ من الجيشين مطالبه لضمان نجاح تنفيذ الخطة، وكان أهم ما طلبته من القيادة العامة هو عودة الفرقة ٤ المدرعة إلى محلاتها، والعمل تحت قيادة الجيش الثالث مرة أخرى، وسرعة استعادة الكفاءة القتالية للفرقة ٦ مشاة ميكانيكية، كما طلبت دعم القيادة العامة لتأمين الأوضاع الدفاعية على النطاق الثانى الدفاعى عند القيام بالعملية الهجومية، خاصة أن حجم العدو فى نطاق الجيش الثالث أكبر منه فى نطاق الجيش الثانى، وكان أبرز ما طلبته من القيادة العامة أثناء عرض خطة الجيش الثالث لتصفية قوات الجيب الإسرائيلى هو تحديد القوات والقيادة المسئولة عن تأمين الفاصل بين الجيشين الثانى والثالث، والتى تصل إلى ٣٠ كيلومتر غرب البحيرات المرة، ومع اقتناع اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بمطالبى ومقترحاتى وأهميتها فى أن تكون الخطة شاملة فعلاً ، وتتجنب عيوب الفترة السابقة، تم وضع خطة جديدة هى الخطة شامل ٢ المعدلة، وعين قائداً لها اللواء سعد مأمون الذى كان قد عين مساعداً لوزير الدفاع بعد شفائه من الأزمة القلبية.

وتلخصت الخطة شامل ٢ المعدلة التى تم تخطيطها طبقًا لمطالبى ومقترحاتى فى الآتى (الخريطة رقم ١٩) :

- **قوات حصار وتأمين :**

* اللواء المغربى فى بير عديب على خليج السويس.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ولواء مدرع جزائرى والكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ على النطاق الدفاعى الثانى من جبل عتاقة حتى المدقات ١٢ - ١٣ - ١٤.

* اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ المدرعة واللواء ١٥٠ مظلات واللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى تحتل المنطقة من غرب جبل شبراويت إلى جنوب الإسماعيلية.

قوات لتوجيه الضربة لتدمير القوات الإسرائيلية فى الجيب غرب القناة :

* الفرقة ٤ المدرعة توجه ضرباتها فى اتجاهى الشط وجنوب البحيرات.
* الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى توجه ضرباتها فى اتجاهى فنارة وفايد.
* الفرقة ٢١ المدرعة توجه ضربتها فى اتجاه الدفرسوار.

وكان الهدف الأولى للخطة شامل هو تدمير القوات الإسرائيلية فى منطقة الجيب الإسرائيلى غرب قناة السويس والوصول إلى الضفة الشرقية للقناة مرة أخرى، أما الهدف النهائى لهذه الخطة فكان استغلال النجاح وتطوير الهجوم شرق القناة للوصول إلى الممرات الجبلية.

والملاحظ على هذه الخطة أنها تقع كلها فى قطاع الجيش الثالث بعد تعديل حدوده؛ ليصل حده الأيسر إلى جنوب الإسماعيلية بعد أن كان ينتهى عند فايد، وكان الهدف من ذلك هو توحيد قطاع العمل والقيادة حتى نتجنب مشاكل التنسيق على مستوى الجيشين الثانى والثالث واحتياطيات القيادة العامة وقوات الأفرع الرئيسية خاصة القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى.

لماذا لم يتم تنفيذ الخطة شامل ٢ المعدلة :

بعد أن وضحت مماطلة إسرائيل فى تنفيذ إمداد قوات الجيش الثالث شرق القناة، ومدينة السويس، وبعد اكتمال استعداد القوات لتنفيذ الخطة شامل تحدد أول فبراير ١٩٧٤ للبدء فى تنفيذ هذه الخطة؛ للقضاء على قوات الجيب الإسرائيلى غرب القناة واستعادة الضفة الشرقية للقناة حتى الممرات الجبلية، وبناء على متابعة أجهزة المخابرات الأمريكية للموقف على جبهة قناة السويس، وبعد تصاعد الأزمة الديبلوماسية بين أمريكا وروسيا ووصولها إلى حافة المواجهة المسلحة قبل أن تتراجع روسيا عن نواياها لدفع قواتها إلى المنطقة، ونتيجة لوضوح موقف القوات الإسرائيلية فى الجيب غرب القناة وإحاطتها بالقوات المصرية من كل جانب، والنشاط القتالى اليومى الذى استمر فى إنزال الخسائر بأفراد العدو ومعداته غرب القناة، تقدم وزير الخارجية الأمريكى بطلب لمقابلة الرئيس أنور السادات، وأخبره أن الولايات المتحدة الأمريكية على علم بنية القوات المصرية فى الهجوم على القوات

الإسرائيلية غرب القناة لتدميرها، وقال له إن الولايات المتحدة لن تسمح بتفوق السلاح السوفييتى على السلاح الأمريكى كما حدث فى العبور، وطلب منه عدم تنفيذ الهجوم الشامل، ووعده بأن الولايات المتحدة ستستخدم نفوذها لضمان انتظام إمداد قوات الشرق ومدينة السويس وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى شرق القناة.

وخلال الأيام التالية بدأت محادثات فصل القوات بإشراف الأمم المتحدة - والتى سميت بمحادثات الكيلومتر ١٠١، وإن كانت منعقدة فعلاً عند علامة كم ١٠٣ طريق السويس القاهرة - تأخذ مساراً أكثر جدية إلى أن انتهت بتوقيع اتفاقية الفصل بين القوات فى ١٧ يناير ١٩٧٤،

وانتهت بذلك أعظم حروب مصر فى التاريخ المعاصر بتحرير سيناء المغتصبة وعودتها إلى الوطن الأم، بعد أن استكملت الديبلوماسية العمل العسكرى البطولى الذى قام به مئات الآلاف من الرجال على مدى الفترة من ٩ يونيو ١٩٦٧ حتى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

وفى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ تم استكمال تحرير سيناء وجلاء القوات الإسرائيلية عنها.

لقد كانت حرب أكتوبر حربًا فريدة من نوعها حيث دار القتال خلالها على مواجهة واسعة وأعماق كبيرة، واستخدمت فيها جميع القوات البرية و البحرية والجوية وقوات الدفاع الجوى، كما شهدت ظهور وحدات الحرب الإلكترونية كعنصر فعال فى الحرب، وعلاوة على ذلك فقد شهدت حرب أكتوبر استخدام مختلف أساليب القتال من الدفاع إلى الهجوم إلى الهجمات والضربات المضادة وأعمال الحصار والتطويق.

كما ظهرت خلالها الأهمية الكبرى للقيادة والسيطرة على القوات وأهمية دور عناصر الاستطلاع فى سرعة وصحة القرارات المتخذة.

ومع كل هذا يبقى الدور الأكبر لمعدن الرجال وصلابتهم ومدى قدرتهم على تحمل الظروف القاسية، وفى هذا الميدان أشهد لرجال الجيش الثالث الميدانى الذين كانوا رغم كل الظروف رجالاً شجعانًا أثبتوا فى جميع المواقف أنهم أهل للدفاع عن هذا البلد الحبيب.

الدروس المستفادة

بعد هذا العرض الطويل لقصة الصراع العربى الإسرائيلى على مدى الفترة منذ عام ١٨٨٢ ، وربما قبل ذلك وحتى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعلى الرغم من أننى أعتقد أن قارئ هذا الكتاب بما احتوى عليه من ذكريات ومذكرات وتحليلات وآراء، سوف يصل بنفسه إلى الدروس التى يجب أن نخرج بها من أحداث الحروب والصراع مع إسرائيل التى حاولت جاهداً أن استكمل بياناتها وتفاصيلها بالاطلاع على ما كتبه الصديق والعدو فى هذا المجال، إلا أننى جريًا على عادة العسكريين عندما يعدون بحثًا أو تقريراً فينهونه بالدروس المستفادة، وحتى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب، سوف ألخص فى السطور التالية ما أتصوره الدروس المستفادة الحيوية من أحداث الصراع العربى الإسرائيلى.

إن إسرائيل قد قامت منذ أكثر من ٥٣ عاما، وخلال هذه الفترة دارت رحى أربع حروب شاملة بينها وبين العرب، بدأت بحرب ١٩٤٨، وانتهت بحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن إذا دققنا فى الأوضاع الحقيقية طوال هذه الفترة، سنجد أن الوضع فى المنطقة العربية منذ أن بدأت أعمال الهجرة والاستيطان اليهودية فى فلسطين وحتى اليوم الذى تقرأ - عزيزى القارئ - فيه هذا الكتاب، هو فى الحقيقة حالة دائمة من الحرب من إسرائيل ضد العرب، ولا يقلل من حقيقة وجود هذه الحرب فترات الهدنة التى شهدتها الأربعينيات والخمسينيات، أو قرارات وقف إطلاق النار التى شهدتها الستينيات والسبعينيات، أو حتى معاهدات ومؤتمرات السلام ومبادرات الدول الكبرى فى الثمانينيات والتسعينيات، كما لا يقلل من حقيقة وجود هذه الحرب عدم توجيه إسرائيل للضربات الجوية الشاملة وعبور الطوابير المدرعة للحدود المشتركة، والاستيلاء على الأراضى السورية أو اللبنانية أو الأردنية أو المصرية، وإلا فما هو الوصف المناسب لمجمل الأعمال العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين فى الأرض المحتلة وضد المواقع السورية فى لبنان، ومن قبل ضد المنشآت العراقية، **إنها فى الواقع الحرب وإنما بأسلوب حديث لا يثير المجتمع الدولى، ويسبب الإحراج للدول الكبرى، وربما يضطرها إلى إصدار الإنذارات والتهديد بإرسال القوات كما حدث من قبل مع أمريكا وروسيا فى حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣.**

ومن ثم على العرب مهما كانت علاقاتهم بإسرائيل قد اتخذت شكلاً أو آخر من أشكال السلام أن يكونوا على يقين من أن هناك وقتًا سنحتاج فيه جميعًا إلى المواجهة العسكرية، هذا إذا أردنا، فإن لم نرد فستستمر المنطقة فى حالة العربدة الإسرائيلية المعتمدة على تقييد بعض دول المنطقة بالمعاهدات والتعهدات والعلاقات . . . الخ، للانفراد بالشعب الفلسطينى.

على العرب فى البداية أن يتفقوا على تحديد واضح للقضية من خلال الإجابة على سؤال حتمى ومصيرى **«هل القضية عربية أم هى قضية فلسطينية أم هى قضية إسلامية ؟ »**، وأعتقد مخلصًا أن الإجابة الأمينة على هذا السؤال سوف تحدد إلى درجة كبيرة شكل المواجهة مع إسرائيل وطبيعة العلاقات مع من يدعمها أو يعاونها أو يساندها، وكلما كان التحديد جديًا والاتفاق عليه واضحًا، كلما كان الموقف العربى محددًا بما يمنع المناورات السياسية والوعود الكاذبة والتصريحات الفضفاضة المشروطة بما يفرغها من محتواها.

ولكى نكون واضحين مع أنفسنا وشعوب الأمة العربية يجب - على الأقل - أن نتفق على مبدأ مهم وأساسى لمعرفة الطريق العربى نحو السلام العادل، هذا المبدأ هو **متى سيضطر المجتمع العالمى إلى إجبار إسرائيل على الالتزام بالقرارات الدولية والتخلى عن دعاوى العنصرية واستخدام القوة، والإجابة بسيطة وواضحة، عندما يوقن العالم أن هناك موقفًا عربيًا واحدًا وواضحًا وجادًا، وأن هذا الموقف سيؤثر بالقطع على مصالحه مع الدول العربية** ولنا فى استخدام سلاح البترول أثناء حرب أكتوبر المثل الواضح على ذلك.

لقد أثبتت أحداث الحقبة الماضية منذ بدء إنشاء إسرائيل، وحتى الآن عدة نقاط لا اختلاف عليها:

* **الغرب** هو الذى أنشأ إسرائيل، ودعمها بالمال والسلاح والمتطوعين والمهاجرين.

* **والغرب** هو الذى وقف دائما لحماية إسرائيل فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن واستخدم أو هدد باستخدام حق الاعتراض (الفيتو)؛ لإجهاض أى محاولة لإدانة إسرائيل مهما كان العمل الذى اقترفته.

* **والغرب** على استعداد دائمًا لتوقيع أقصى العقوبات على الدول التى تنتهك القانون الدولى أو سيادة الدول على أراضيها أو المساس بالحريات الدينية أو حرية الرأى، أو تمارس الاغتيالات والإرهاب، وهو نفسه الذى لا يتطرق إلى ذهنه أبدًا أن يدين إسرائيل لأى ممارسات مما سبق ذكرها إذا فعلتها إسرائيل بصرف النظر عن حجم الممارسات، وما استخدم فيها من وسائل الدمار.

لاشك أن السلام هو الهدف المنشود لكل الشعوب ، حيث يمكن تنمية المجتمع وتطويره وتحسين حالة الشعب، ولكى نصل إلى هذا الهدف يجب أن نستذكر جيدا الدروس المستفادة من الصراع العربى الإسرائيلى التى قد تكون ذات فائدة فى جعل العرب أكثر قوة للدفاع عن حقوقهم :

على المستوى السياسى العسكرى:

الدرس الأول: أهمية تحديد الهدف من الحرب:

فى حرب ١٩٤٨ ، اجتمع القادة العرب وقرروا دخول حرب ضد إسرائيل، ولكنهم لم يحددوا هدفًا واضحًا أو مقبولاً، كما لم يتم التنسيق بينهم حول القيادة العسكرية للحرب، ومن ثم كما رأينا فى الحديث عن هذه الحرب، كانت معارك حرب ١٩٤٨ عبارة عن مجموعة من المعارك المنفصلة للجيوش العربية بدون خطة استراتيجية محددة أو هدف واضح، بل إن الملوك والأمراء والرؤساء العرب كانوا هم الذين حددوا للجيوش العربية خطوطًا عامة للوصول إليها دون إجراء أى تنسيق للجهود أو المهام التفصيلية للقوات، ومن الغريب أن مهمة الجيش المصرى قد حددت دون حضور أى من ضباط القيادة المصرية لاجتماع وزراء الدفاع العرب الذى تحددت فيه المهام بشكل تفصيلى، وبالتالى كانت نتيجة الحرب هى انفراد القوات الإسرائيلية بكل جيش دولة حتى الإجهاز عليه، ثم التحول إلى الدولة الأخرى.

وكان هذا هو ما حدث فى حرب يونيو ١٩٦٧ من القيادة المصرية التى صعدت الموقف دون أن يكون لديها هدف عسكرى محدد للحرب التى أصبحت وشيكة

على الاندلاع، حتى أصبح العمل العسكرى المصرى أشبه بالمظاهرة العسكرية عديمة الهدف.

الدرس الثانى: متى نوقف إطلاق النار:

وضح فى جميع الحروب التى نشبت بين إسرائيل والدول العربية أن إسرائيل لا تلتزم بقرارات الهدنة أو وقف إطلاق النار، حيث تواصل قواتها تحقيق مهامها، وربما أكثر من مهامها استغلالاً للالتزام العربى عادة بإيقاف إطلاق النار، أحيانًا عن رضًا بسبب ضعف الموقف، وأحيانًا أخرى عن خوف من فقد التأييد العالمى أوالدعم الصديق الذى لم يثبت نجاحه فى إيقاف التقدم الإسرائيلى بعد الهدنة أوإيقاف إطلاق النار، أو إعادة القوات الإسرائيلية إلى أوضاعها ساعة صدور القرار الدولى، ومن ثم يجب أن تكون الأسبقية للقوات فى الميدان؛ لتحديد متى بالضبط سيتوقف القتال، ولن تعدم الديبلوماسية أعذارًا ومبررات تسوقها حتى تتمكن القوات من تحسين أوضاعها أو استكمال مهام كانت على وشك تحقيقها، وعلى أى حال فالمؤكد أن إسرائيل ستفعل ذلك، سواءً فعلناه أو لم نفعله.

الدرس الثالث: تدخل القيادة السياسية فى قرارات القيادة العسكرية:

لقد أوضحت أحداث الحروب مع إسرائيل أن تدخل القيادة السياسية فى تسيير دفة العمليات فى ميدان القتال كان له دائما أثر سلبى على نتائج الحرب، ففى حرب ١٩٥٦ رفضت القيادة السياسية إيقاف الملاحة فى قناة السويس مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، لإتاحة الفرصة لعبور باقى القوات المصرية؛ لدعم قتال قوات الدفاع عن ممر متلا الذى تعرضت لهجوم قوات المظلات الإسرائيلية، وكان السبب هو عدم إعطاء الذريعة لإنجلترا وفرنسا للتدخل فى الحرب لحماية قناة السويس، وعندما بدأ عبور القوات صباح اليوم التالى تعرضت لهجوم الطيران الفرنسى مما أدى إلى عدم نجاحها فى الوصول إلى الممر والدفاع عنه فى الوقت المناسب.

أما عن القرار السياسى باتخاذ عمل عسكرى لمساعدة الجبهات أو الجيوش العربية الأخرى، فيجب منذ البداية أن يضع فى اعتباره أولاً موقف القوات المسلحة

الوطنية ومدى استعدادها لتقديم العون للحليف العربى، دون أن يكون لذلك تأثير ضار على موقف الجيش الوطنى، ومثال ذلك أمر الملك فاروق بدعم الجيش الأردنى بالطيران المصرى فى وقت كانت القوات المصرية فى فلسطين فى أمس الحاجة إلى هذه المعاونة، وموقف الرئيس جمال عبد الناصر فى حرب ١٩٦٧ لدعم سوريا فى مواجهة الحشود الإسرائيلية على حدودها(*)، كما أن القرار السياسى بتطوير الهجوم شرقًا، الذى اتخذه الرئيس السادات إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتخفيف الضغط على سوريا كان له أثر كبير فى تحول دفة الحرب، كما رأينا من قبل. **ونحن هنا لا نغفل بأى حال حرية القيادة السياسية فى اتخاذ القرارات الاستراتيچية أثناء الحرب، لكنه من غير المفضل أن تتدخل تفصيلاً فى قرارات القادة سواءً على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة أو فى قرارات القادة فى الميدان، فعلى القيادة السياسية أن تعطى المهمة السياسية التى ترغب أن تنفذها القوة العسكرية، وعلى القادة أن يضعوا القرار المناسب لتنفيذ هذه المهمة طبقًا لقواعد وأصول العلم العسكرى، وبعد تقدير الموقف الشامل لميدان القتال.**

واستكمالاً لهذا المبدأ، يجب أن تكون القيادة السياسية على ثقة من حسن اختيارها للقيادة العسكرية بعيداً عن أى اعتبارات قد تدفع هذه القيادة العسكرية إلى نفاق القيادة السياسية، أو تجنب مواجهتها، أو عدم إغضابها من خلال إما التهوين من الوضع العسكرى الخطير، أو التنفيذ الحرفى لأوامرها دون إعمال العلم العسكرى كما ينبغى.

الدرس الرابع: دور القيادة العسكرية:

وكما تحدثنا عن دور القيادة السياسية فى إدارة دفة الحرب واتخاذ القرارات بعد بدئها، فيجب على القيادة السياسية العسكرية، ونعنى بها هنا وزير الدفاع، أن يتبع نفس المبدأ، فعليه أن يحدد المهمة وتصوره العام لتحقيقها لمجموعة ضباط هيئة أركان القيادة العامة للقوات المسلحة، وهؤلاء عليهم أن يقوموا بدراستها، ثم يقترحوا عليه القرار المناسب والبدائل المتاحة، وعلى الوزير أن يختار أنسب هذه

(*) وقد ثبت بعد ذلك أنه لم تكن هناك حشود ـ الناشر.

البدائل لتحقيق الهدف السياسى المكلف به من القيادة السياسية ، ولا يقتصر دور وزير الدفاع على ذلك ، فعليه أن يكون قادراً على الدفاع عن القرار المقترح والبدائل المتاحة وإقناع القيادة السياسية بها ، وتحذيرها من عواقب المخاطرة الغير محسوبة .

الدرس الخامس : العلاقة بين القيادة السياسية العسكرية والقيادات الميدانية :

وهو درس على مستوى العلاقة بين القيادة العامة للقوات المسلحة وبين القيادات الميدانية ، فالقيادة العامة للقوات المسلحة تحدد المهام وتوقيتات التنفيذ بعد التنسيق مع الجيوش الميدانية ، كما تحدد الدعم بوسائلها ، وتقوم بأعمال التنسيق بين الأسلحة والقوات المختلفة ، **أما التنفيذ فى الميدان وتحديد الوحدات التى ستقوم بالتنفيذ واتجاهات عملها وخطوط مهامها على الأرض ، فهى مهمة القائد الميدانى الأقرب إلى ميدان القتال والأكثر إحساسًا بنبض القوات وحالتها سواء كانت معادية أم صديقة ، كما أنه أقدر على الانتقال إلى موقع العمل واستطلاعه بنفسه وبالتالى اتخاذ القرار القابل للتنفيذ ، وليس القرار النظرى من على الخرائط** ، وفى كل الأحوال فالقيادة العامة هى التى تصدق على قرارات القادة الميدانيين وتعاونهم فى تنفيذها من خلال إمدادهم بالمعلومات بوسائلها ، ومعاونتهم بأعمال قتال الأفرع الرئيسية كالقوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى والقوات الخاصة .

الدرس السادس : أهمية النظرة الشاملة لميدان المعركة :

يجب على القائد على كافة المستويات من القيادة العامة إلى القادة على المستويات الصغرى أن تكون له نظرة شاملة لمسرح العمليات أو ميدان المعركة ، وليس فقط حدود الموقف أو المشكلة ، فالقيادة العامة يجب أن تحيط بموقف العدو القادم من الحدود الدولية والعدو القائم بالهجوم والقوات التى على اتصال بالعدو ، وتلك التى فى العمق والأخرى التى لاتزال تتحرك ، والثالثة التى تتعرض للاختراق والرابعة التى لم تتعرض للاختراق بعد ، وعليها أن تتصور الموقف الشامل واتجاهات تطوره واحتمالات النجاح والفشل ، ومن ثم تتخذ القرار المناسب قوةً

واتجاهًا وتوقيتًا، وفى جميع الأحوال يجب أن يكون هناك جزء من القوات فى يد القيادة العامة، لدعم هذه القوة أو تلك، كما يجب عليها أن تراعى نفس المبدأ بالنسبة للتشكيلات، فتسمح لها بسحب قوات ودفع بدلاً منها، وهى كلها من أعمال إدارة المعركة، ويسرى نفس المبدأ على كل المستويات حتى أصغرها.

الدرس السابع: وحدة القيادة على القوات:

لقد أظهرت عملية السيطرة على خليج السويس فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ نتيجة سلبية لتعدد القيادات فى اتجاه واحد، كما أظهرت عمليات ١٩٦٧ نفس النتيجة لتعدد القيادات فى جبهةِ قناة السويس، ولا ننسى الأثر السلبى لتغيير القيادة فى الجيش الثانى الميدانى إبان حرب أكتوبر من اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش بعد مرض اللواء سعد مأمون إلى اللواء عبد المنعم خليل، ثم إلى الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، ثم عودته مرة أخرى إلى القاهرة وعودة القيادة إلى اللواء عبد المنعم خليل، وكل ذلك فى خلال خمسة أيام فقط، مما كان له أثر كبير فى ضياع الساعات الثمينة فى شرح الموقف، واتخاذ القرارات الجديدة بدلاً من استخدام القوات ودعمها وتحسين أوضاعها.

* * *

على المستوى التكتيكى:

وبعد هذه الأعوام الطويلة التى تركت فيها الحياة العسكرية، لم أستطع أن أنسى الدروس المستفادة على المستوى التكتيكى، الذى سأظل مؤمنًا بأنه هو الذى يحدد فى النهاية نتيجة الحرب، فلا قيمة لقرار عبقرى يتخذه قائد داهية إن لم ينفذه جندى شجاع، يقوده ضابط يتحلى بالجرأة والذكاء.

الدرس الأول: أهمية المعلومات:

برزت - فى كل الحروب - أهمية عناصر المخابرات والاستطلاع فى جمع

المعلومات عن العدو والأرض وقواتنا، ووضع التصورات المنطقية عن احتمالات أعمال العدو أمام القائد، حتى يتم اتخاذ القرار المناسب، فلا نصر بدون قرار سليم ولا قرار سليم بدون معلومات كافية.

الدرس الثانى : أهمية التأمين :

لعله يكفى أن أقول إن تأمين الأجناب والمؤخرة والاهتمام بالفواصل بين التشكيلات والوحدات المحاربة أصبح لا يقل عن أهمية المواجهة، ويجب أن تعطى أهمية خاصة، لتأمين الموانع الطبيعية والصناعية ومراقبتها وحمايتها بالقوات والنيران فى جميع الظروف والأوقات، وضرورة تأمين القوات التى سيتم دفعها للهجوم أو احتلال مناطق دفاعية عاجلة بالمعلومات والقوات حتى نتجنب الوقوع فى الكمائن وستائر الصواريخ المضادة للدبابات.

الدرس الثالث : أهمية استغلال النجاح :

يجب على القادة على جميع المستويات استغلال النجاح - فربما لا يأتى مرة أخرى - ويكون هذا بالطبع من خلال الحسابات الدقيقة والتنسيق مع القوات المجاورة، ويجب على القيادات العليا إتاحة الفرصة للوحدات؛ لاستغلال النجاح ودعمهم بالمعلومات والنيران وتطوير الخطة لتأمينهم، واستغلال النجاح بالمستويات الأعلى.

الدرس الأخير :

يجب علينا أن نربى ضباطنا من بداية عهدهم بالحياة العسكرية على الآتى :

* التفكير المنطقى السريع.
* اتخاذ القرار الحاسم.
* التنفيذ السريع القوى.

* التأثير على العدو بقسوة وطول الوقت وعلى جميع الاتجاهات والأعماق .

* لا نجاح بدون مفاجأة .

* لا نجاح بدون خداع .

* وأخيراً، لا نجاح بدون جنود وأسلحة ومعدات، فعلى كل ضابط أن يلتحم بجنوده، ويعتنى بأسلحته ومعداته .

* * *

وفى الختام أرجو للجميع التوفيق والسداد وأشكر كل من خدم معى وشاركنى تلك الرحلة الطويلة عبر الخدمة فى القوات المسلحة، خاصة تلك الفترة التاريخية التى شملت حرب الاستنزاف وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ التى أعادت لنا أرضنا وكرامتنا، وأثبتت قدرتنا على أن نكون محاربين أقوياء، خاصة إذا ما اتحدت قوتنا كعرب، وأخلصنا فى عملنا كقادة على كافة المستويات، واتصفنا بالشجاعة والوضوح والإخلاص .

* * *

الخاتمة

فى نهاية هذا الكتاب الذى حاولت قدر طاقتى أن أجمع فيه خبراتى ورؤيتى لمراحل الصراع العربى الإسرائيلى - مركزًا على ما يخص مصر فى هذا الصراع الممتد عبر عشرات السنين، وبالطبع مركزًا بدرجة أكثر على النواحى العسكرية باعتبارها مهنتى ونطاق تخصصى - أرجو أن أكون قد وفقت فى النهاية فى تقديم سجل متكامل وملخص لذا الموضوع المتشعب والشائك.

إن الصراع العربى الإسرائيلى فى الحقيقة موضوع شديد الاتساع والعمق ومتعدد الجوانب، بل ومتجدد يوميًا، حتى إنه ليصعب على الكاتب أن يمسك قلمه عن الاسترسال فى الكتابة عنه.

وإننى لأنصح قارئ هذا الكتاب أن يستزيد من المعرفة بجوانب هذا الصراع التاريخى، فهو قدر هذه الأمة، ويجب علينا جميعًا أن نكون على إلمام كامل بكل جوانبه وتداعياته.

والله الموفق.

المراجع

١ - التاريخ العسكرى معارك ل ١٤م فى يونيو ١٩٦٧- هيئة البحوث العسكرية .

٢ - معارك ج ٣ ميد فى حرب أكتوبر (تعبوى - تكتيكى) - هيئة البحوث العسكرية .

٣ - الندوة الاستراتيجية ٢٥ سنة على حرب أكتوبر - هيئة البحوث العسكرية .

٤ - الجولة الإسرائيلية/ العربية الثالثة صيف ١٩٦٧- الجزء الثانى : سير القتال على الجبهة المصرية ٥ - ١٠ يونيو ٦٧ - هيئة البحوث العسكرية .

٥ - حرب فلسطين ١٩٤٨ - رؤية مصرية اللواء دكتور إبراهيم شكيب .

٦ - حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة أكتوبر ١٩٧٣ - اللواء حسن البدرى - اللواء طه المجدوب - اللواء ضياء الدين زهدى .

٧ - الإعداد لمعركة التحرير - الفريق أول محمد فوزى .

٨ - حرب الثلاث سنوات ٦٧ - ٧٠ - الفريق أول محمد فوزى .

٩ - مذكرات الفريق سعد الشاذلى (قصتى مع السادات) - الفريق سعد الشاذلى .

١٠ - حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى - اللواء عبد المنعم خليل .

١١ - فى قلب المعركة - اللواء عبد المنعم خليل .

١٢ - القادة يتحدثون (٢٠ سنة على أكتوبر) - كبار قادة ٧٣ .

١٣ - حرب أكتوبر بين الحقيقة والافتراءات - عميد محمد إبراهيم عبد الغنى .

١٤ - ضباط يونيو يتكلمون - مجموعة من القادة .

١٥ ـ ملفات السويس (حرب الثلاثين سنة) ـ محمد حسنين هيكل .

١٦ ـ أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ـ محمد حسنين هيكل .

١٧ ـ وثائق حرب أكتوبر ـ موسى صبرى .

١٨ ـ من سيناء إلى الجولان ـ جمال حماد .

١٩ ـ حرب الأيام الستة ـ راندولف وونستون تشرشل .

٢٠ ـ يوميات أكتوبر فى سيناء والجولان ـ عبده مباشر .

٢١ ـ زلزال فى أكتوبر ـ زئيف شيف .

٢٢ ـ حرب يوم الغفران ـ إيلى زعيرا .

٢٣ ـ التقصير ـ مجموعة كتاب إسرائيليون .

٢٤ ـ YOM KIPPUR WAR ـ صنداى تايمز / لندن .

٢٥ ـ مذكرات إسحاق رابين ـ إسحاق رابين .

٢٦ ـ THE ARAB ISRAELI WARS ـ حاييم هرتزوج .

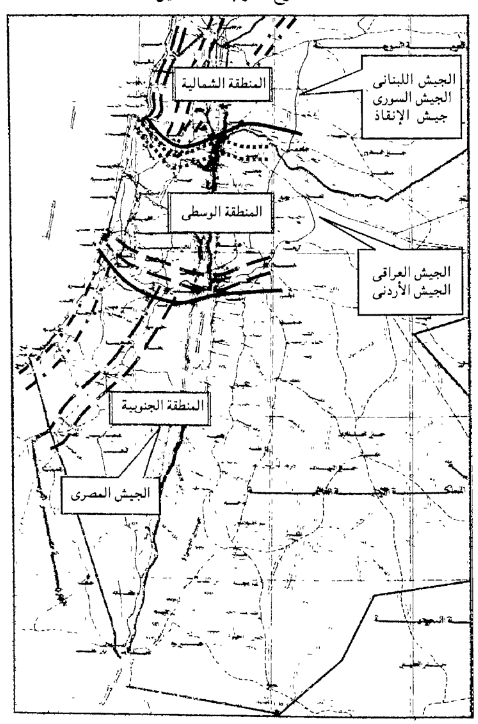
الخـرائط

بيان الخرائط

موضوع الخريطة | الصفحة

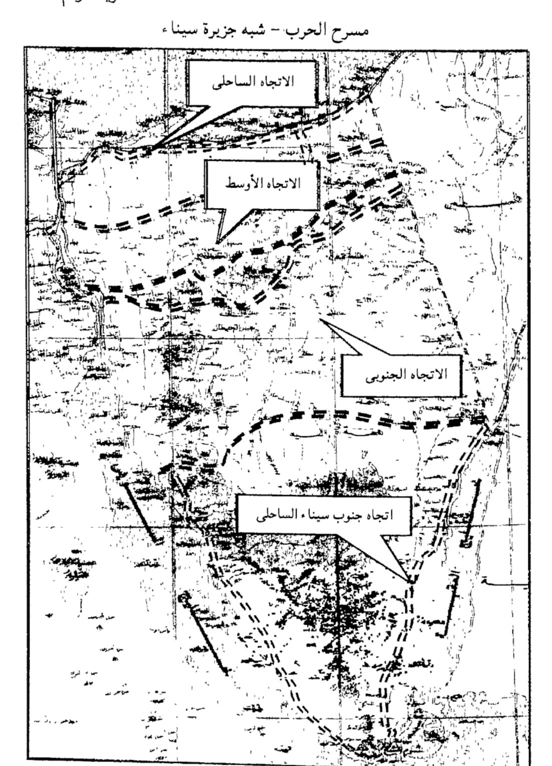
الخريطة رقم (١)

مسرح الحرب - فلسطين



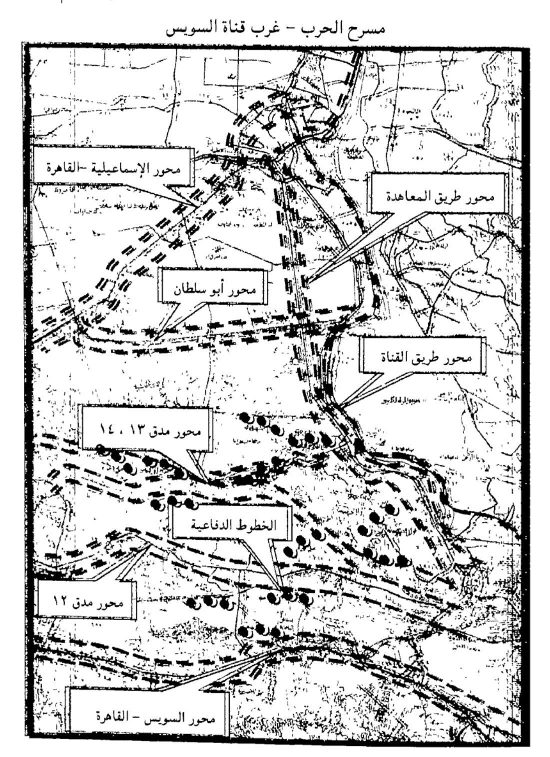
الخريطة رقم (٢)

مسرح الحرب - شبه جزيرة سيناء



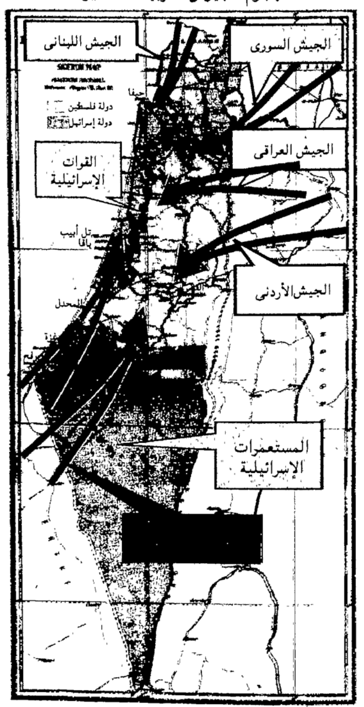
الخريطة رقم (٣)

مسرح الحرب - غرب قناة السويس



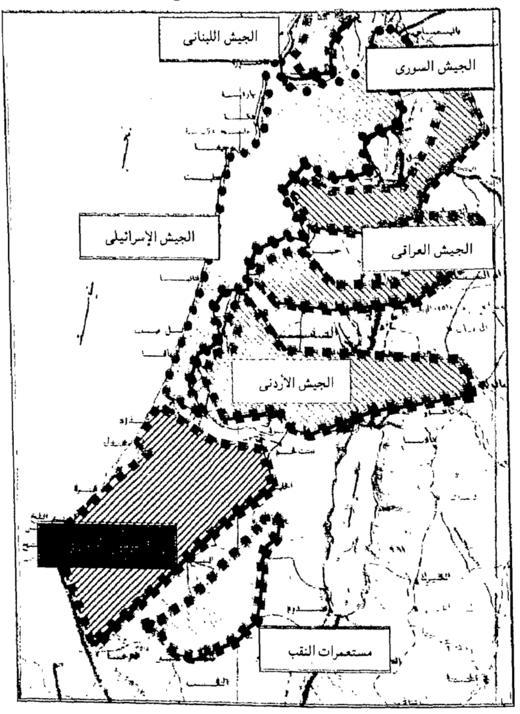
الخريطة رقم (٤)

خطة الهجوم للجيوش العربية ١٥ مايو ١٩٤٨



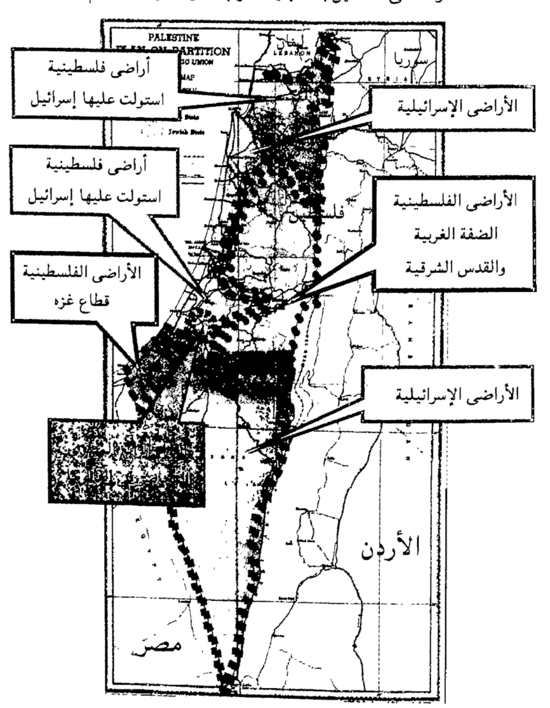
الخريطة رقم (٥)

موقف القوات العربية عند بدء الهدنة الأولى ١١ يونيو ١٩٤٨



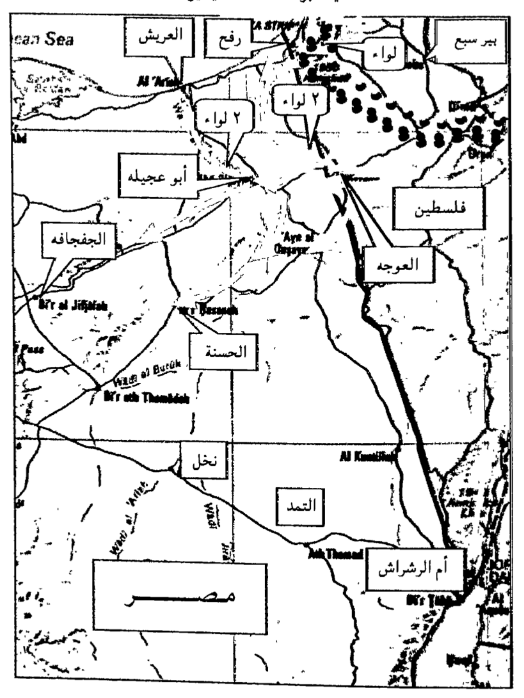
الخريطة رقم (٦)

الموقف فى فلسطين بعد نهاية الحرب مقارنة بقرار التقسيم



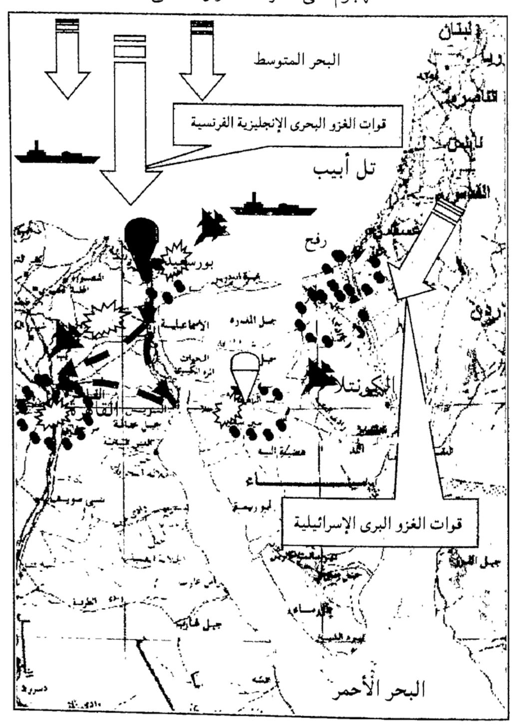
الخريطة رقم (٧)

الهجوم الإسرائيلى على مصر فى حرب ١٩٤٨
٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ - ٧ يناير ١٩٤٩



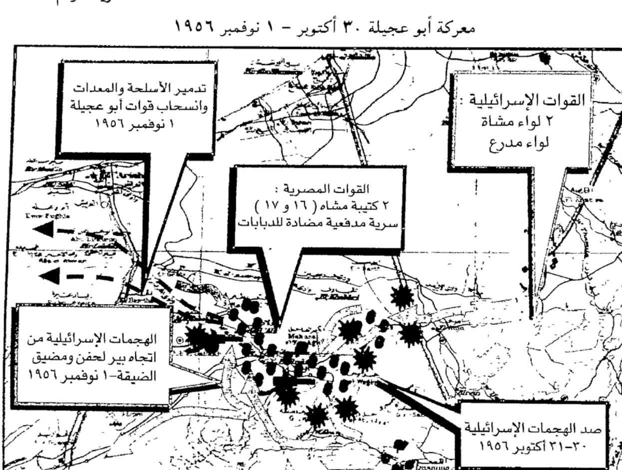
الخريطة رقم (٨)

خطة الهجوم على مصر - العدوان الثلاثي ١٩٥٦



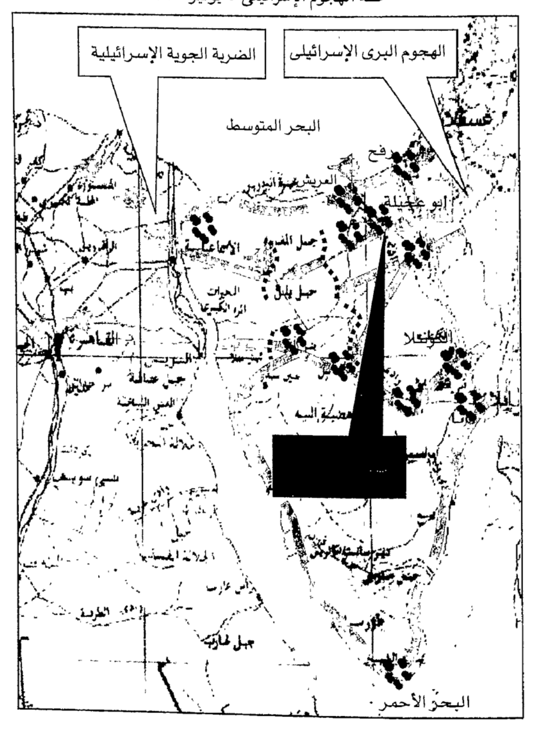
الخريطة رقم (٩)

معركة أبو عجيلة ٣٠ أكتوبر - ١ نوفمبر ١٩٥٦



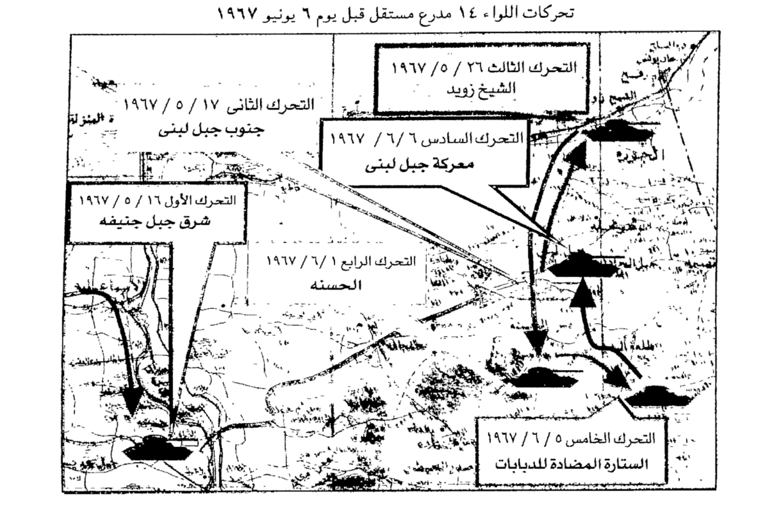
الخريطة رقم (١٠)

خطة الهجوم الإسرائيلى ٥ يونيو ١٩٦٧



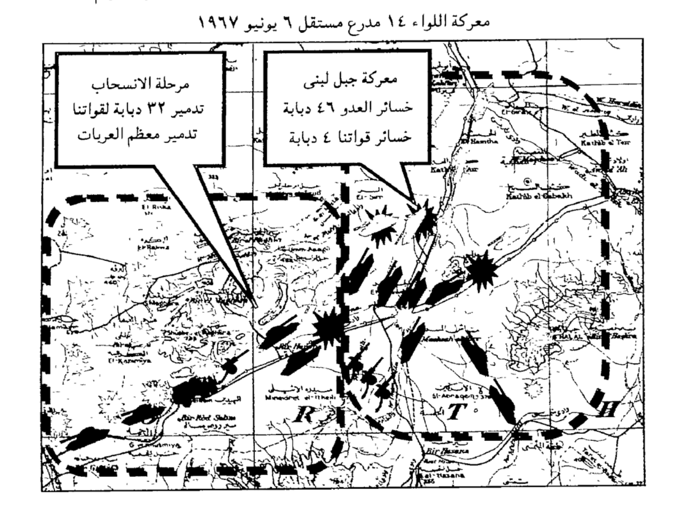
الخريطة رقم (١١)

تحركات اللواء ١٤ مدرع مستقل قبل يوم ٦ يونيو ١٩٦٧



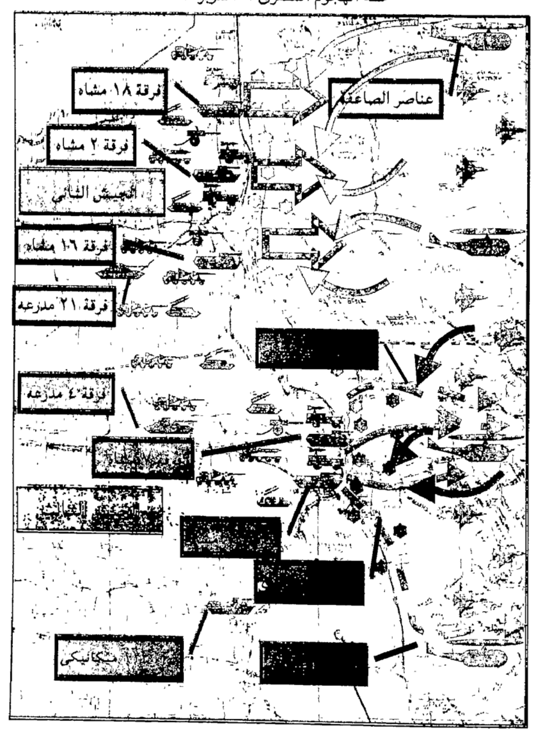
الخريطة رقم (١٢)

معركة اللواء ١٤ مدرع مستقل ٦ يونيو ١٩٦٧



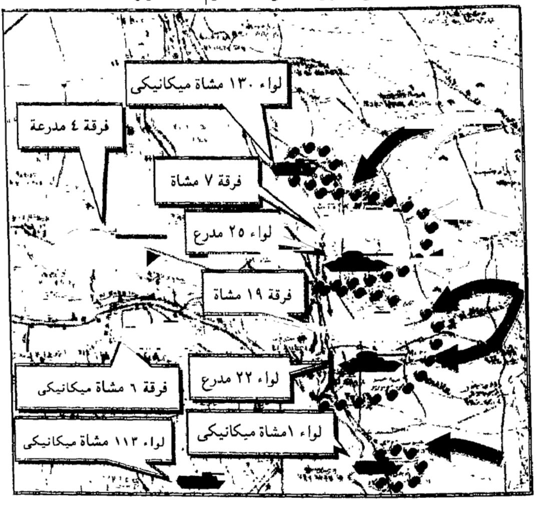
الخريطة رقم (١٣)

خطة الهجوم المصرى ٦ أكتوبر ١٩٧٣



الخريطة رقم (١٤)

موقف رأس كوبرى الجيش الثالث يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣



الخريطة رقم (١٥)

التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣

الفرقة ٢١ مدرعة

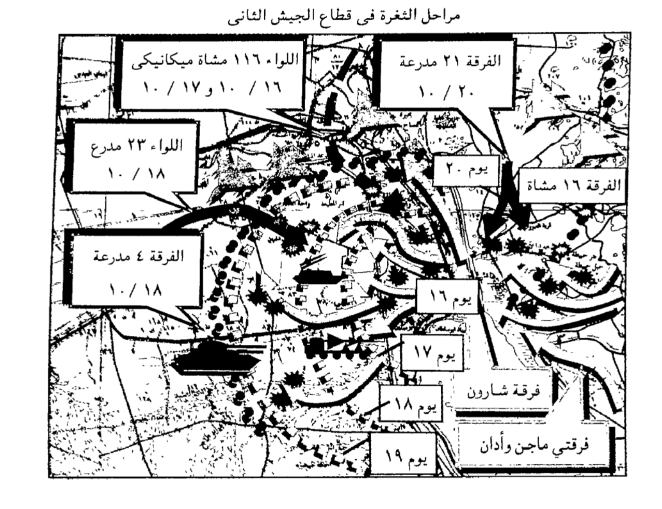
اللواء ١١ مشاة ميكانيكى

اللواء ٣ مدرع

الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى

الخريطة رقم (١٦)

مراحل الثغرة فى قطاع الجيش الثانى



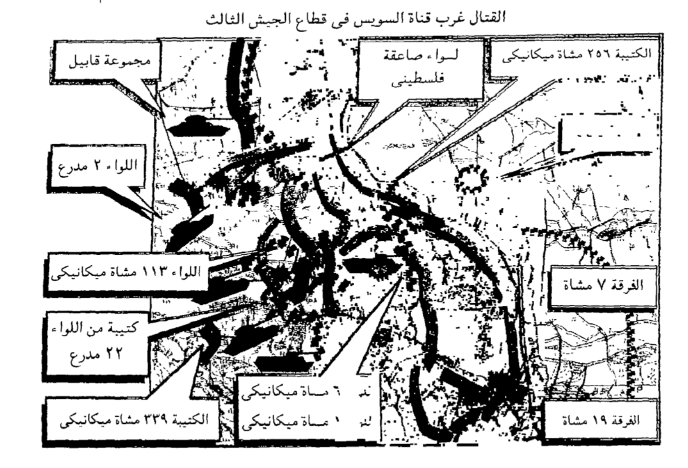
الخريطة رقم (١٧)

معركة اللواء ٢٥ مدرع يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣



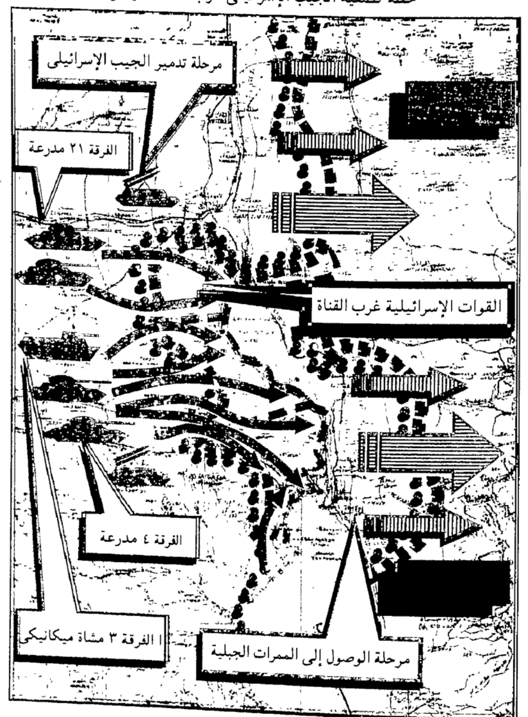
الخريطة رقم (١٨)

القتال غرب قناة السويس فى قطاع الجيش الثالث



الخريطة رقم (١٩)

خطة تصفية الجيب الإسرائيلى غرب قناة السويس



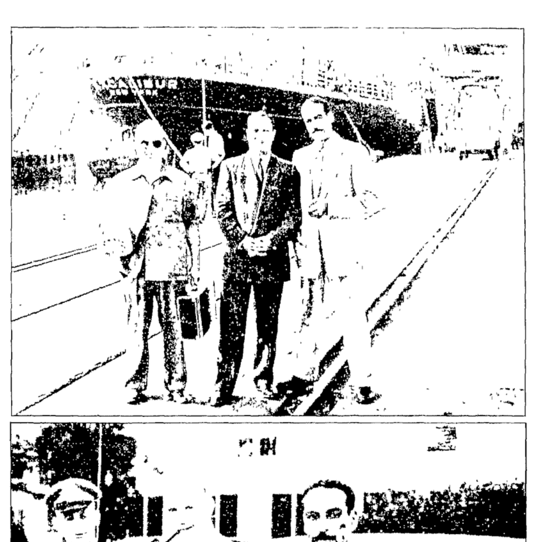
ألبـوم الصـور

الجائزة الكبرى



تظهـــر هـــذه الصـــورة الجزء الصغير الذى استطاعت الكاميرا تصويره من الاســـتقبال الشـــعبى الحافل الذى استقبلتنى به جماهير شعب ســـوهاج، يوم أن وصلت إلى المحافظة، عقب تعيينى محافظاً لسوهاج ، أما الجزء الذى لم تستطع الكاميـــرا أن تســـجله فهـــو رجال الصعيد الأشداء الذين احتشدوا خارج محطة القطار لاستقبالى وهم على ظهور الجمال والخيل، فى إعلان هائل عن تقديرهم لمقاتـــلى حـــرب أكتوبر المجيدة، الذين تزخر مدن وقرى الصعيد بالآلاف منهم شهداءً وأبطال .

إنـــنى أعتبر الاستقبال الذى سجلته هذه الصورة هو بحق جائزتى الكبرى والوســـام الأعـــلى الذى منحه لى الشعب بإحساسه الفطرى ، على ما قدمتـــه خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة .





أثـــناء بعـــثته قـــائد كتيبه دبابات بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢ ويظهر بجوارى فى الصورة العليا الرائد فؤاد لبيب





الـــرئيس الــــراحل جمــــال عبد الناصر أثناء حضور أحد المشروعات التكـــتيكية خـــلال فـــترة قيادتي للفرقه الرابعة المدرعة ، ويظهر في الصـــــور الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والفريق عبد المنعم ريــــاض رئيس أركان حرب القوات المسلحة واللواء عبد القادر حسن قائد الجيش والعميد عبد الرحمن فهمى رئيس أركان الفرقة





الـزعيم الـراحل جمـال عبد الناصر يصافح قادة وحدات الفرقة الرابعة المدرعة قبل مغادرتها عقب انتهاء مشروع تكتيكى أثناء فترة قيادتى للفرقة





الـــرئيس الراحل محمد أنور السادات أثناء حضوره أحد المشروعات التكـــتيكية خـــلال قيادتى للجيش الثالث الميدانى، ويظهر فى الصورة العـــليا وهـــو يـــراقب المشـــروع من مركبة القيادة ، بينما يظهر فى الصـــورة الســـفلى وهو يناقش باهتمام أحد الجنود، إلى جواره الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية .





الرئيس الراحل محمد أنور السادات أثناء زيارة ميدانية لمواقع الجيش الثالث الميدانى، ويرافقه الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية آنـــذاك، ويظهر فى الصورة السفلى وهو يراقب الضفة الشرقية للقناة من أحد المواقع الدفاعية



حــوار باســم مــع الــرئيس الــراحل محمـــد أنور السادات أثناء أحد المشروعات التكتيكية ويظهر إلى جواره الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك



أثـــناء انتظار وصول الرئيس السادات لحضور مشروع تكتيكى ويظهر إلى يمينى الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة بينما يظهر إلى يسارى اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى



الــرئيس الراحل محمد أنور السادات يحى قادة القوات المسلحة عند وصوله إلى نقطة المشاهدة لمشروع تكتيكى، ويظهر فى الصورة اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة آنذاك، والذى أصبح فيما بعد وزيرًا للدفاع



الــرئيس الراحل محمد أنور السادات أثناء أحد اللقاءات مع الجنود والضباط ، ويظهر عــلى يميــنه الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية، بينما يظهر فى الصورة خلف الرئيس بعض الخبراء الروس



أثـــناء زيارة وفد عسكرى برئاسة الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية عـــام ١٩٧٢ للاتحـــاد السوفييتى لمناقشة مطالب مصر من السلاح ويظهر فى الوسط وزير الدفاع السوفييتى آنذاك .



لحظـــات مـــن الـــراحة مع الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية أثناء زيارتـــه لقيادة الجيش الثالث عام ١٩٧٢ ، ويظهر على يمينه اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى الميدانى آنذاك



السـيد حـافظ بـدوى رئيس مجلس الشعب الأسبق وبعض أعضاء المجلس يتفقدون الدمار فى مدينة السويس أثناء حرب الاستنزاف



الدكـتور عزيـز صدقى رئيس الوزراء الأسبق ومعه بعض الوزراء يتفقدون الدمار فى منطقة الزيتية بالسويس أثناء حرب الاستنزاف





توالت زيارات القيادات الدينية فى مصر للجنود فى الجبهة أثناء حرب الاســتنزاف، ويظهر فى الصورة العليا الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجـامع الأزهر وهو مجتمع بالجنود والضباط ، وفى الصورة السفلى يظهـر قداسـة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وهو يشاهد أحد المواقع الإسرائيلية على الجبهة، ويظهر على يمينه ابنى الرائد طارق واصل الذى كان مرافقاً له فى الزيارة



ظهــر اهتمام الجبهة الداخلية بالحالة المعنوية للقوات المسلحة فى الزيارات العديــدة للسيدة جيهان السادات قرينة رئيس الجمهورية للجبهة ، وتظهر فى الصــورة وهى تصافح قادة وضباط اللواء الثانى المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة .



ظهــر الاهــتمام عــلى المستوى السياسى فى زيارة كبار المسئولين للجبهة ويظهــر فى الصــورة الدكــتور محمود فوزى رئيس الوزراء الأسبق وهو يصافح باعتزاز وثقة أحد الجنود أثناء أحد زياراته للجبهة .



الأميـــر سـلطان بـــن عـــبد العزيز وزير الدفاع السعودى يراقب المواقع الإسرائيلية أثناء زيارته للجبهة عام ١٩٧٢



المـــلك فهـــد بـــن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين يتفقد مدينة السويس ويرافقه الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك





تجلى التأييد العربى والأفريقى لمصر فى الزيارات المتعددة للقادة والرؤساء العرب والأفارقة للجبهة ، ويظهر العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية فى الصورة العليا ، والرئيس الأوغندى الجنرال عيدى أمين فى الصورة السفلى أثناء زيارة كل منهما للجيش الثالث الميدانى



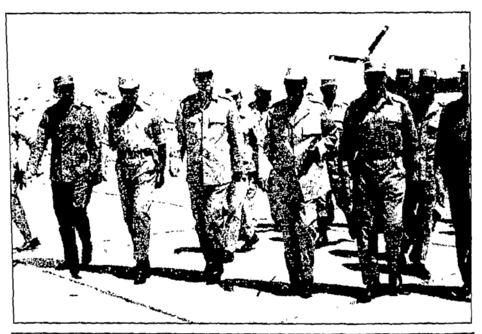


حــرص الفــريق أول أحمد إسماعيل فور تعيينه وزيرا للحربية قرب نهاية عــام ١٩٧٢، عــلى زيارة التشكيلات الميدانية ، ويظهر فى الصورة العليا أثــناء زيارتــه للجيش الثالث وعلى يمينه اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيــس هيئة العمليات آنذاك ثم العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعــة ، و فى الصورة السفلى يظهر وهو يستمع فى اهتمام وتفكير إلى العميد منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث .





حـــرص وزيـــر الحربية الراحل الفريق أول أحمد إسماعيل، على التعرف على تفاصيل أوضاع العدو على الأرض أثناء وضع الخطوط النهائية لقرار العبور، ويبدو فى الصورتين وهو على شاطئ القناة نتبادل مناقشة تفاصيل أوضاع العدو وتصورات أعماله





الــرئيس الــراحل محمــد أنور السادات والفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحــربية والفــريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة والــلواء محمــد حسنى مبارك قائد القوات الجوية آنذاك أثناء زيارة للجيش الــثالث فى عــام ١٩٧٣ ويبدو اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة على الطرف الأيمن للصورة العليا



الــرئيس الــراحل محمــد أنــور الســادات يستمع إلىّ باهتمام أثناء أحد المشروعات التكتيكية



الــرئيس الراحل محمد أنور السادات يصافحنى بابتسامة أثناء حضوره أحد اللقاءات، ويبدو فى الصورة اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى الميدانى

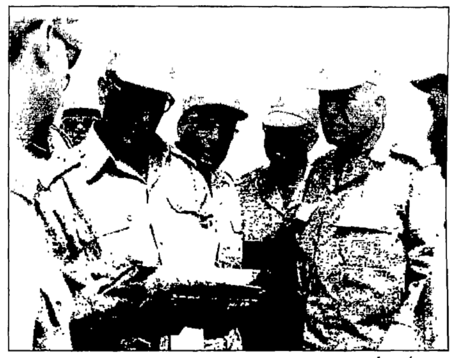


أثناء شرح فكرة أحد المشروعات التكتيكية التى حضرها الرئيس الراحل محمد أنور السادات عام ١٩٧٢

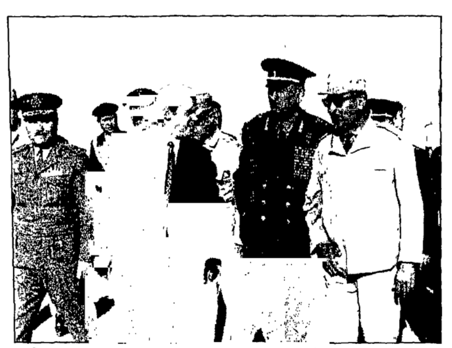


بعض الخبراء الروس أثناء الشرح على تخنة الرمل فى أحد المشروعات التكتيكية





الفـــريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية يستمع باهتمام إلى مناقشة قـــرار أحد القادة أثناء مشروع تكتيكى عام ١٩٧٣ ويظهر إلى جواره اللواء مصطفى شاهين رئيس أركان الجيش الثالث آنذاك .



وزير الدفاع الروسى أثناء زيارته للجيش الثالث يرافقه اللواء سعد مأمون



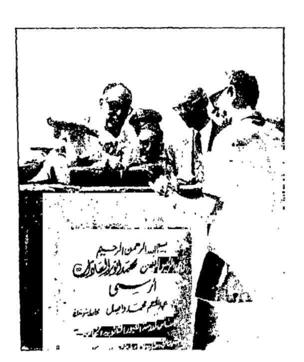
مع محافظ السويس والقيادات الشعبية بالسويس أثناء زيارة لمقابر الشهداء

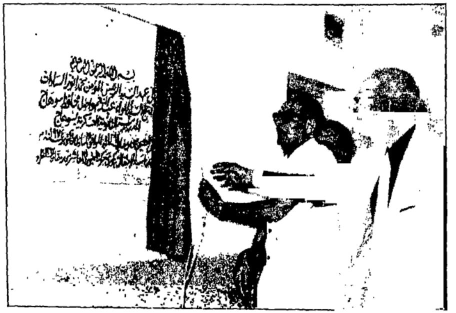


أثــناء استقبال السيدة جيهان السادات قرينة رئيس الجمهورية عند زيارتها لمحافظة سوهاج عقب تعييني محافظاً لسوهاج



أثــناء أحــد المعارض خلال عملي محافظاً لسوهاج وإلى جواري ــ كما هي دائماً ــ زوجتي السيدة نعمت فهمي





حفلت فترة عملي كمحافظ لمحافظة سوهاج بالعديد من المشروعات ، وأثـناء احتفالات أكتوبر ١٩٧٤ قمت بإرساء حجر الأساس لمدرسة العبور الثانوية الخاصة (الصورة العليا) ، كما قمت بافتتاح المدرسة الثانوية العسكرية بسوهاج (الصورة السفلى)



مع المزارعين فى الحقول بسوهاج أثناء موسم جنى القطن



إشعال الشعلة فى افتتاح دورة رياضية لشباب سوهاج



أثناء تسلمى الدكتوراه الفخرية من جامعة المنوفية



رئيس الوزراء الراحل السيد ممدوح سالم أثناء زيارته لمحافظة سوهاج ويظهر في أقصى يمين الصورة الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى الحالى





الــرئيس الراحل محمد أنور السادات أثناء زيارة محافظة الشرقية ويظهر في الصورة العليا وهو يفتتح أحد مشروعات الرى ، وفى الصورة السفلى أثناء حضور الاحتفالات الشعبية للمحافظة ويرافقه وزير الزراعة الأسبق السيد مرعى ورئيس الوزراء السيد ممدوح سالم





الـــرئيس محمد حسنى مبارك أثناء افتتاح المتحف التاريخى للجيش الثالث الميـــدانى ، ويظهر فى الصورة المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع واللواء بكر الرشيدى قائد الجيش الثالث الميدانى وبعض السادة الوزراء.

الفهـــرس

الباب الخامس: حرب أكتوبر ١٩٧٣

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٩٤١٨/ ٢٠٠٢

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١



١٩٤٨



١٩٥٦





١٩٧٣

• هذا الكتــــاب •

فـى هذا الكتاب عن الصراع العربى الإسرائيـلـى ، أعـاد الفريق عبد المنعم واصل ترتيب واستكمـال وصياغة مذكراته وذكرياته وأفكاره التى تراكمت عبر السنين الطويلة من الخدمة العسكرية ، لكى يقدم سجلا شبه متكامل عن هذا الصراع بصفة عامـة ، وعـن العمليـات العسكرية بصفة خاصـة ، وبـذلك يصبح لدينا تسجيلا أمينا مـن أحـد كبـار قادة حـرب أكتوبر ١٩٧٣ ، يضعه فـى أيـدى الأجيـال القـادمة التـى نتمنـى لهـا أن تستفيـد مـن دروس هـذا الصـراع الممتد عبر الأجيال، حتى يتسنى لها أن تحافظ على بلدنـا وعروبتنا ومقدساتنا

